

السَّيِّد
عَبْدُ الْحَسَنِ دَسَاتُغِيْب

الْقَلْبُ الْإِسْلَامِي

دُرَرُ الْإِسْلَامِ

ترجمة
الشيخ حسين كوراني

أجزاء الشَّيْبَانِي

الفن السابع

القلب السليم

السَّيِّدُ عَبْدُ الْحُسَيْنِ دَسْتُغِيثٌ

نَزَمَهُ

الشيخُ حُسَيْنُ كُورَانِي

الجزءُ الثاني

في الاخلاق

دار البلاغة

جَمِيعُ حُقُوقِ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ
الطبعة الثانية: "١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.



دار البلاغة للنشر والتوزيع
بيروت - هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥٠ / ٨٣٤٢٦٥ - فاكس: ٢٠٣٩١ - ٢٢٦٧١ - سكايم
حارة حريك - مقابل البنك اللبناني الفريني.

المقدمة

هل الانسان موجود مادي ، وبالموت ينعدم ويفنى ، أم أن للبشر حياة خالدة ؟

ما هو الهدف من خلق الانسان ؟ وبماذا يتحقق كماله وسعادته ؟ وما هو طريق الوصول الى كماله ؟ هذه أسئلة علمت أجوبتها من المطالب السابقة ، وباختصار نقول :

الانسان ابتداءً مادي ومخلوق من التراب . . وكان علقاً ومضغاً ، الا أنه بعد إتمام بناء الجسد وجدت فيه ، الروح ، القلب ، النفس . . وما يتغير بالموت هو الجسد الترابي فقط ، اما روحه وحقيقته فهي أبدية وباقية ولا يطويها الفناء .

واما الهدف من خلقه فهو تكامله ليصل الى أعلى درجات الكمال ، أي القرب من خالق العالم جلّت عظمته والتنعّم ببركات هذا القرب التي منها الحياة الطيبة التامة الانسانية التي هي حياة لا موت فيها على الاطلاق ، وسلطنة ونفوذ مشيئة لا عزل فيها ، ودوام بهجة وسرور لا يعترها حزن ، وادراك لا يشوبه جهل .

بناءً عليه فان واجب الانسان في مدة الفعالية المادية ، وتعلق الروح بالبدن ، ان يسعى للتخلص من كل نوع قذارة وتلوث لا يناسب جوار الخالق سبحانه ، والتخلص من كل شر ، والتحلي بكل خير بمقدار طاقته ليحظى بالقرب الالهي^(١) .

صراط التوحيد طريق القلب السليم :

الخلاصة هي أن من أعدّ في هذا العالم قلباً سليماً ، سوف توصله بعد الموت جاذبة اللطف الى مقام القرب من الخالق سبحانه . . . والشخص الذي يذهب بقلب سليم سيعده القهر الالهي عن مقام القرب ليستقر في المكان المناسب له بحسب العدل ، والذي أعده هو لنفسه .

الصراط المستقيم والطريق القويم ، الذي يحصل من طيه وقطع مسافته ، القلب السليم ، ويصل صاحبه في النتيجة الى مقام القرب ، هو صراط التوحيد بحيث أنه اذا وصل شخص في التوحيد الصفاتي والافعالي ، بالتفصيل الذي تقدم ، الى درجة اليقين ، واستقام في مقام العبودية ، يظهر من كل رذيلة ، ويزين بكل فضيلة ، ويصبح لائقاً لمقام القرب .

مثلاً : من أيقن أن العزة لله^(٢) سوف لن يطلب أبداً العزة من مخلوق ، ومن هنا فلن يراني أمام الناس ولا يصبح مشركاً ولا يتملق للمخلوق ولا يتعلق طمعه به .

ومن أيقن أن القوة لله^(٣) ، سوف لن يرى أبداً أي سبب مستقلاً ، ومن هنا يكون اعتماده على الله لا يخاف الا من قهره ولا يأمل الا لطفه .

(١) ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ القمر ٥٥ .

(٢) ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ فاطر ١٠ .

(٣) ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ البقرة ١٦٥ .

ومن علم ان الكبرياء والعظمة خاصتان بالله ، فلن يصاب بالعجب والكبر ، ومن أدرك أن جميع أموره هي بتقدير الله وتديره سوف لن يتلى بالحسد او الغلظة أو القسوة ، لن يكون معجباً بنفسه سيء الظن بالآخرين ، ولن يبخل بالانفاق مما أعطاه الله .

اهتموا بتهذيب النفس :

وباختصار لو ان شخصاً أخذ بنظر الاعتبار ، ما قيل في باب التوحيد والعبودية ، والتزم به في سلوكه واستقام في العبودية حقاً وصدقاً سوف يرزق القلب السليم ، ويحصل على هدفه الأصلي الذي هو القرب من الخالق سبحانه . وبناءً عليه لا تبقى ضرورة لبيان سائر الامراض النفسية . والردائل الاخلاقية وعلاجها ، الا انه لابد من بيان بعضها المهم لسببين :

الاول : لانها امور اهتم بها الله والرسول ونهاها عنها ، وقد ورد الوعد بالعذاب عليها وتحذير المسلمين منها وواجب كل مسلم ان يوصل الآخرين ما بينه الله ورسوله كما يقول سبحانه في القرآن الكريم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة ١٥٩ .

الثاني : لأن أكثر المسلمين يظنون ان هذه الامور هي فقط ردائل اخلاقية وازالتها والتخلص منها ممدوح عقلاً ومستحسن عرفاً . . غافلين عن أنها بالاضافة الى حكم العقل هي مورد للحكم الشرعي ، ويترتب عليها استحقاق الثواب والعقاب . . وهي تؤدي بكل شخص وجدت فيه الى دركات الجحيم كما أن كل من تخلص منها وتحلى بأضدادها التي هي الفضائل يفوز بدرجات الجنان العالية .

الذنوب التي محلها القلب . . أليست حراماً ؟

بعض أهل العلم عندما يقال له هذه الامور حرام شرعاً وذنوب يوجب العقاب يقول : ما دامت لم تصل الى مرحلة العمل فلا عقاب عليها ومجرد كون هذه الامور في القلب وما دام الانسان لم يرتكب ذنباً بجوارحه فلا شيء عليه . . . غافلاً عن أن الذنب الذي لا يترتب عليه شيء ما لم يقترن بعمل خارجي هو خطور الذنب الذي هو من عمل الجوارح (خطوره في الذهن) كشرب الخمر والقمار والزنا ، اما الأمور التي محلها أصلاً باطن الانسان فقط ، مثل سوء الظن ، أو العجب أو الحقد ، فإن مجرد كونها في القلب ، واستمرار بقائها ذنب ، ويجب على الانسان في كل لحظة أن يبعدها عن قلبه .

وتكرار هذا المعنى سببه تأكيد أهمية الاهتمام بالذنوب القلبية التي هي الرذائل الاخلاقية ، الواجب عقلاً وشرعاً التطهر منها ، وهذه التزكية وهذا التهذيب هما هدف بعثة الأنبياء ، كما قال تعالى في سورة الجمعة ٢ : ﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾ وفي سورة الشمس وبعد القسم ثمانية مرات يقول تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ .

القلب الملوث لا يتحقق منه قصد القربة :

ونقول أيضاً إن جميع العبادات الشرعية من واجبات ومستحبات شرط صحتها قصد القربة أي أن يأتي بها الانسان بهدف الوصول الى القرب الالهي ، وقد قلنا سابقاً إن هذه الرذائل والأدران لا تتناسب مع القرب من الله سبحانه ، اي لا يصل الانسان الى مقام القرب ما دامت فيه ، وسوف لن تنفعه عباداته ، مثلاً : الشخص المبتلى بمرض العجب كل عبادة يؤديها بنية القربة الى الله هي في الحقيقة تبعده عن الله وتقربه الى نفسه لانه ما دام لم يعرف نفسه فلن يعرف ربه ، وما دام يرى نفسه فقط ، فلن يمكنه أن يرى الله (ببصيرته) ، وكذلك

الشخص المرائي فإنه وان كان عندما يأتي بعمل ينوي القربة . . فان عمله يقربه في الحقيقة الى الخلق لا الى الخالق ، لأن هذا هدفه الحقيقي . . .

وكذلك الشخص البعيد عن الله سبحانه بُعد الارض عن السماء بسبب مرض قسوة القلب ، هل يرجى له ما دام على هذه الحال ان يقربه أعماله الى الله او الشخص الملوّث قلبه بالحقّد او الحسد او الطافح قلبه بحب الدنيا وكل همه الانتقام او إذلال المحسود او القرب من أهوائه والوصول اليها ، فما دام هكذا هل تنفعه عبادته-التي يؤديها قربةً الى الله - في مجال حصوله على القرب الحقيقي . . .

صحيح أنه يقول « قربةً الى الله » أو يخطر ذلك بباله ، ولكن هدفه الحقيقي شيء آخر والنية الصادقة غير متوفرة فيه ، وتجد توضيح ذلك في مبحث الاخلاص من هذا الكتاب . .

وخاتمة المطاف أن الابحاث التي سترد في قسم الاخلاق يجب ان تقرأ بدقة ويعمل بها وان لا ينظر اليها على أنها منفصلة عن الفقه بل في كل منها تكليف شرعي وحكم إلهي . .

* * *

١ - القسوة ...

من جملة الامراض النفسية والذنوب القلبية التي يجب علاجها عقلاً
وشرعاً مرض قسوة القلب الذي هو بالاضافة الى كونه مرضاً خطيراً ، سبب في
أمراض اخرى سيأتي توضيحها ، كما انه سبب في انحراف الانسان عن صراط
العبودية المستقيم في أقواله وأفعاله واليكم بعض الآيات المباركة لبيان شدة هذا
المرض وخطورة هذا الذنب النفسي ونتائجه الوخيمة .

قال تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾ الزمر ٢٢ ، وقد تقدم معنى
شرح الصدر في قسم العقائد ، ومن التأمل في جملة : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله ﴾ تتضح جيداً أهمية ذنب القسوة .

سبب للخروج عن الدين :

قال تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم

وكثير منهم فاسقون ﴿ الحديد ١٦ .

يدل نوله تعالى : ﴿كثير منهم فاسقون﴾ على أن هؤلاء فسقوا . . خرجوا من الدين لقسوة قلوبهم .

افتح قلبك للإيمان : ولدى التأمل في هذه الآية يعلم جيداً أن من الواجب على كل مسلم أن يعالج مرض قسوة قلبه ويعمل جاهداً ليكون قلبه ليناً خاشعاً ، وأن لا يكتفي بالإسلام بحدود شهادة الشهادتين وما يترتب على ذلك من طهارة الظاهر وسائر الأحكام ، بل يتعدى هذا الى صياغة قلبه وباطنه على اساس هذا المعتقد . . اما اذا كان تأثير عقائد الإسلام واحكامه مقتصرأ على ظاهر الشخص ، وكان قلبه خالياً من الله والاخرة لا يعرف قلبه الخوف من الله ولا رجاءه سبحانه ، ولا الخوف من الاخرة ، وليس في قلبه الا حب الدنيا والتعلق بالاسباب وطلب الشهوات . شخص كهذا . . لا يستفيد الا من أحكام الإسلام الوضعية الظاهرية ، كالزواج والارث . . واذا مات على هذه الحال فلن يستفيد شيئاً في عالم ما بعد الموت وهو في هلاك أبدي . .

الواجب أكثر من كل شيء إذن ، السعي في إصلاح القلب وعلاج قسوته وغلظته وصعوبته ، ليستقر فيه الايمان . . واذا استقر الايمان في القلب بأية نسبة كان ومات الانسان على ذلك فهو من الناجين يقيناً وسيحصل على شيء وفائدة من درجات أهل الايمان ومقاماتهم . . واذا أراد شخص أن يعرف هل استقر الايمان قلبه ام لا ، فهناك علامة وردت عن الإمام الباقر عليه السلام لأولى درجاته .

أولى علامات الايمان :

قال عليه السلام : من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن^(١) .

(١) بحار الانوار ج ١٥ ط . قديمة . وميزان الحكمة ٢/ ٣٣٦ .

وقد نقل عن ابن مسعود ان المدة بين اسلام المسلمين ونزول الآية السابقة ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ هي أربع سنوات اي بعد قبول المسلمين الإسلام والعمل بتعاليمه أمرهم الله بوجوب أن تكون قلوبهم خاشعة لذكر الله . . . وليس فقط أجسادهم . . . وان يحذروا من مرض القسوة ، ولكي لا ييأس المسلمون من علاج مرض القسوة ، ويعلموا ان الله قادر على شفائهم من هذا المرض واحياء قلوبهم الميتة ، ويبدل القسوة بلين ورقة يقول في الآية التالية .

﴿اعلموا ان الله يحيي الأرض (في فصل الربيع) بعد موتها (في فصل الشتاء)﴾ .

ويحيي أرض القلوب الميتة بنور المعرفة ، وكذلك يحيي الأرض التي ملئت ظلماً وجوراً وليس لأهلها حياة حقيقة - يحييها - بنور العدل بواسطة قائم آل محمد المهدي عجل الله فرجه .

﴿قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ الحديد ١٧ .

وقد وردت في كتب التفسير قصص عن أشخاص خشعت قلوبهم لله وتابوا لدى سماع هذه الآية .

توبة مالك بن دينار :

من ذلك ما في تفسير روح البيان ، سئل مالك بن دينار عن سبب توبته وتوجهه الى الله . . قال : كنت في مستهل عمري جندياً سكيراً . . اشتريت جارية وتعلقت بها كثيراً ومنَّ الله عليَّ منها بطفلة ، وكان حبها يزداد في قلبي يوماً بعد يوم ، وفي اول مشيها أحببتها حباً لا يوصف ، وكانت هي كذلك شديدة التعلق والانس بي . . وكلما كنت أتناول كأس الخمر لأشربها كانت تأخذها مني وتريقها على ثيابي ، وعندما بلغت الثانية من عمرها ماتت ، فتأثرت

لموتها كثيراً ، كانت غصة لا تحتمل ولم يعد يقر لي قرار ، وفي ليلة جمعة من شعبان شربت الخمر ولم أصلُ العشاء ونمت . . فرأيت في النوم كأن اهل المقابر خرجوا جميعاً وهم في المحشر . . وأنا معهم . . وسمعت من خلفي صوتاً . . نظرت فإذا بأفعى سوداء ضخمة لا يتصور أكبر منها ، وهي فاعرة فاها مسرعة نحوي . . وبرعب ودهشة شديدين فررت من أمامها . . واذا بها تطاردني بسرعة . . والتقيت في الطريق برجل عجوز حسن الوجه والرائحة . . سلمت عليه فردّ علي ، قلت : أغثني واحمني ، قال : أنا في مقابل هذه الافعى عاجز . . ولكن إذهب بسرعة ، الأمل ان يهيء الله وسائل نجاتك ، ومضيت هارباً مسرعاً حتى وصلت الى منزل من منازل القيامة (اي مرحلة من مراحلها) فرأيت هناك طبقات جهنم وأهلها . . وكدت لشدة خوفي من الافعى أن أرمي بنفسي في جهنم فاذا بصوت يقول : إرجع لست من أهل هذا المكان . . بعد هذا الصوت إطمأن قلبي ورجعت ، فرأيت ان الافعى أيضاً رجعت وهي تطاردني الى أن وصلت الى ذلك العجوز قلت : أيها العجوز قلت لك أحمني فلم تغثنني ، فبكى العجوز وقال : انا عاجز ولكن اذهب نحو هذا الجبل الذي فيه أمانات المسلمين فاذا كانت لك أمانة فستساعدك . نظرت الى ذلك الجبل فرأيت فيه غرماً أرخيت عليها ستائر ، وابواب تلك الغرف من الذهب الاحمر المرصع بالياقوت والدر ، فركضت باتجاه ذلك الجبل والافعى تطاردني . . وعندما اقتربت صاح ملك : ارفعوا الستائر افتحوا الابواب واخرجوا ، لعل لهذا المسكين أمانة بينكم تحميه من شر العدو . . وواصلت الركض . . واذا بأطفال وجوههم كالقمر الساطع قد خرجوا . . واقتربت الافعى مني فتحيرت صاح طفل تعالوا كلكم فقد اقترب منه العدو ، وخرجوا فوجاً فوجاً . . فجأة رأيت ابنتي التي كانت ماتت . . وبمجرد أن رأيتي بكيت وقالت والله هذا أبي ، ثم وضعت يدها اليسرى في يدي اليمنى واشارت بيدها اليمنى الى الافعى فرجعت وهربت ، ثم أجلسني إبتني وجلست في حضني ووضعت يدها على لحيتي

وقالت يا أبت :

﴿ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ .

بكيت وقلت : ابنتي أنت تقرأين القرآن .

قالت : يا أبتِ معرفتنا بالقرآن أفضل من معرفتكم به .

قلت : أخبريني ما هذه الافعى قالت : هي عمك السيء الذي قوته
وكان يريد إلقاءك في جهنم .

قلت : وذلك العجوز ؟

قالت : أعمالك الصالحة التي ضعفتموها بحيث لم تستطع ان تساعدك
على أعمالك القبيحة .

قلت : ابنتي ماذا تفعلين أنت في هذا الجبل ؟

قالت : نحن أطفال المسلمين الذين جئنا في طفولتنا من الدنيا الى هنا
وقد أسكننا الله هنا الى القيامة ونحن ننتظر أباءنا وأمهاتنا ليأتوا إلينا فنشفع لهم .
واستيقظت مذعوراً وتركت شرب الخمر وسائر الذنوب نهائياً وتبت الى
الله . . هذا سبب توبتي (٢) .

« أخرج رأسك من جيب الغفلة حتى لا تكون غداً نكساً من الخجل ،
الآن يجب الاستيقاظ أيها النائم عندما يكشف الموت باطنك ماذا سينفعك
الندم ، ماذا يحزنك من فقد طفل دفن في التراب فقد جاء طاهراً وعاد طاهراً
انت جئت طاهراً فاحذر وابق طاهراً فان من العار أن ترجع الى التراب
متنجساً » (٣) .

(٢) النص هنا مترجم عن الفارسية .

(٣) مضامين أبيات من الشعر الفارسي .

فوائد من هذه القصة :

تعلم من هذه القصة ثلاثة أمور تشهد الروايات والقصص بصحتها :

الأول : أن النفوس البشرية ، التي تغادر الدنيا تمتلك من المعلومات في البرزخ ما لا يقاس بمعلوماتها في الدنيا . . الى حدّ انهم (الموتى) يعرفون جميع اللغات ويفهمون القرآن بشكل أفضل ، وكثير من الأمور التي هي سر بالنسبة لأهل الدنيا هي لهم علن ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ ق٢٢ أي ما لم تكن تراه في الدنيا وتعلمه هو اليوم ظاهر لك .

الثاني : مسألة تجسيم الأعمال أي أن أعمال الانسان الحسنة والقييحة تحضر امام الانسان يوم القيامة وتتصل به وتكون في صورة مناسبة لتلك الاعمال ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ آل عمران ٣٠ .
ومن رأته تعالى أنه يخبرنا ويحذرننا حتى لا نتلوث بالأعمال القبيحة ونعذب بسببها في النهاية .

الثالث : مسألة شفاعة أطفال المسلمين الذين ماتوا في طفولتهم لأبائهم وامهاتهم وفي كتاب لآلئ الأخبار روايات وبعض القصص حول ذلك فليراجع .

ما هو الخشوع وكيف يحصل :

لعلّ القارئ العزيز يحب بعد سماع وقراءة هذه الآية الشريفة أن يعرف معنى الخشوع لله . . . لذا تذكر حقيقة الخشوع باختصار .

عندما يدرك إنسان في إنسان آخر أمرين : أولاً : عظّمته وقدرته واستطاعته ، وثانياً : كرمه واحسانه المتوالي . . تحصل في قلبه عند الالتفات

الى عظمتة هية لذلك الشخص العظيم كما تحصل من الالتفات الى احسانه محبة له في قلبه ويحصل من اجتماع الأمرين (الهية والمحبة) حالة في القلب يقال لها الخشوع .

إذن الخشوع تذلل وتصاغر في مقابل المنعم العظيم ممزوج بالمحبة .

عندما يقف غلام السلطان المقتدر الذي يدرك أن كل ما عنده من مال وجاه وعز فإنما هو من السلطان . . . عندما يقف أمام السلطان تحصل في قلبه من ادراك عظمتة ، هية ، ومن ادراك نعمه محبة فيواجهه بقلب خاشع وبدن خاضع .

إذا اتضح ذلك فنقول :

صاحب المعرفة أي من عرف في نفسه الحقارة والعدم وعرف في ربه العظمة والوجود المطلقين بل انحصار القدرة والعظمة في عالم الخلق به وأدرك أن جميع اجزاء عالم الوجود عاجزة مقهورة له ، تظهر إذن في قلبه هية الله . . . ومن ملاحظة نعم الخالق التي لا تحصى ، عليه وعلى الآخرين ، وملاحظة أنه لا منعم غيره تظهر في قلبه محبة الله سبحانه عندها ينصرف الى اظهار عبوديته واداء شكر إنعامه فيقف ويصلي ويخاطب المنعم العظيم الشأن ويناجيه ليحقق لنفسه الفلاح : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ المؤمنون ١ - ٢ .

مما تقدم يعلم أن من لا يزال يظن أن له أو لغيره عظمة وقدرة أو ينسب نعم الله التي لا تحصى الى نفسه أو الى مخلوق آخر فهو محروم من الوصول الى مقام الخشوع لله عز وجل .

وبعبارة أخرى ما دام معجباً بنفسه معتقداً بشأن لها وعظمة واستطاعة ، ويتخيل أن النعم منه أو من مخلوق آخر على نحو الاستقلال فليس له من حقيقة

الايمان وآثاره نصيب .

القلوب أشد قسوة من الصخر :

﴿ثم نست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ (الصخور التي تسقط من الجبال من جراء الزلازل أو انفجار البراكين أو تساقط الأمطار أو ذوبان الثلوج التي تولدت داخلها في الشتاء) وما الله بغافل عما تعملون ﴿ البقرة ٧٤ .

وقوله تعالى : ﴿من خشية الله﴾ سببه أن جميع الأسباب الطبيعية تنتهي الى الذات الإلهية ، كما أن ملكوت جميع الأشياء يتصف بالشعور والادراك وقد ثبت هذا في محله .

قال بعض المفسرين في شرح هذه الآية :

هذه القلوب اشد قسوة من الصخر الصلد ، لا هي تقبل الحق ولا هي ذات حياة معنوية وكمال عقلي . . . لا تفور من داخلها عواطف الخير ولا تجد النصيحة والحكمة والعبرة من آذانها وعيونها سبيلاً الى ضميرها ووجدانها الجاف والميت ، ولا تحني رأسها أمام العظمة والقدرة والآيات المحسوسة . . . مع أن صخور الجبال الشامخة تتساقط أمام قدرة الله وقهر آياته . . . الخلاصة إن سبب كون القلوب القاسية أشد قسوة من الصخر ثلاثة أمور :

لماذا هي اقسى من الصخر :

١ - كثيراً ما ينبع الماء والأنهار من باطن الصخور . . . إلا أن هذه القلوب القاسية لا ينبع منها شيء .

٢ - يتشقق الصخر بسبب عوامل الخلقة ، ويخرج منه الماء إلا أن قلوب هؤلاء لا تصلها المواعظ والعبر ولا يرشح منها الخير .

٣ - تنحني الصخور أمام قهر الله . . إلا أن قلوب هؤلاء لاتخضع امام عظمة الحق وآياته وليس سبب قسوة قلب هؤلاء الى هذا الحد هو طينتهم بل إن ذلك من آثار اعمالهم التي افقدت قلوبهم القابلية التي كانت موجودة فيها وستكون نتائج اعمال أصحاب القلوب المتحجرة هؤلاء هي النيران وليس الله غافلاً عما يعملون .

لماذا لم يتضرعوا عند نزول العذاب :

﴿ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ الانعام ٤٢ - ٤٣ .

قسوة القلب بمعنى تحجر القلب في مقابل لينه تتجسد في أن يكون الانسان صعب القلب بحيث لا يتأثر عند رؤية المشاهد المؤثرة أو سماع الاحاديث المؤثرة عادة .

بناءً عليه فإن معنى هاتين الآيتين كما يلي :

لقد ارسل الله انبياء الى الامم السابقة فدعوا اممهم الى توحيد الله والتضرع إليه والتوبة . . . وابتلاهم الله بأنواع الشدائد كال فقر والجاب وانواع المشقات كالمرض وغلبة العدو . . لعل قلوبهم تلين فيختارون ما فيه صلاحهم ويتضرعون الى الله وينصرفون عن الانخداع بتزيينات الشيطان التي تجعلهم يميلون الى التعلق بالاسباب الظاهرية . . . إلا أن جهود الانبياء لم تثمر . . . ولم يتضرع أولئك لله فالانشغال بمال الدنيا جعل قلوبهم قاسية وزين لهم الشيطان عملهم القبيح ليسرق من قلوبهم ذكر الله .

وبعبارة أخرى : في هاتين الآيتين وآيتين بعدهما^(٤) يبين الله لنبّيه ما فعله سبحانه مع الامم السابقة ويخبره أنا ارسلنا اليهم انبياء ولكي تلين قلوبهم وجعلها جاهزة لقبول دعوة الانبياء في توحيد الله والتضرع إليه ابتليناهم بأنواع الشدائد والمحن والعذاب إلا انهم حتى عند مواجهة المصائب والمنغصات والبليات لم يرجعوا الى ربهم ولم يتذلّلوا له ولم تتأثر قلوبهم . . . وظلّوا مشغولين بأعمالهم الشيطانية أي الأعمال التي كانت تحجبهم عن الله واعتمدوا على الاسباب الظاهرية متخيلين أن صلاح امورهم جميعها مرتبط بتلك الاسباب وعندما وصلوا الى هذا الحد فتح الله عليهم أبواب النعم في كل المجالات ففرحوا بها وظنّوا أنهم استغنوا عن الله . . . ثم ابتلاهم فجأة بالعذاب من حيث لا يحتسبون فانطفأوا وذلّوا وقطع دابر الظالمين . .

﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ المائدة ١٣ .

أي لأن بني اسرائيل نقضوا العهد الذي كنا قد أخذناه منهم بأن يقيموا الصلاة ويؤدّوا الزكاة ، ويطيعوا الأنبياء عاقبناهم بالطرد من رحمتنا وجعل قلوبهم قاسية أي حجبنا عنهم اللطاف التي كانت قلوبهم تلين بسببها حتى رسخت قلوبهم في القسوة فلم يعودوا يتأثرون بأي من مشاهدة الآيات واستماع التخويفات .

روايات عن المعصومين عليهم السلام :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : لمتان لمة من الشيطان ولمة من الملك

(٤) الآيتان التاليتان هما قوله تعالى : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿ الأنعام ٤٤ - ٤٥ .

فلمة الملك الرقة والفهم ولمة الشيطان السهو والقسوة^(٥) .

قال الإمام الصادق عليه السلام : فيما ناجى الله عزَّ وجلَّ به موسى عليه السلام : يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيفسد قلبك والقاسي القلب مني بعيد^(٦) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من الشقاء جمود العين وقسوة القلب والحرص في طلب الدنيا والاصرار على الذنب^(٧) .

عن الإمام الصادق عليه السلام : إن الله عزَّ وجلَّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب قاسي^(٨) .

عن الإمام الباقر عليه السلام : ما ضرب العبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إن أبعد الناس من الله القاسي القلب^(٩) .

عن الإمام السجاد عليه السلام : انه قال في حديث طويل : والذنوب

(٥) وسائل الشيعة - الجهاد باب ٧٥ تحريم قسوة القلب . واللمة : الرفقة والصحبة ولعل المراد أن من ارتضى رفقة الشيطان حصل على السهو والقسوة ومن اختار رفقة الملك حصل على الرقة والفهم وقد فسرت اللمة بالمسة . الكافي ج ٢ باب القسوة .

(٦ و ٧) المصدر السابق .

(٨) الكافي - كتاب الدعاء .

(٩) مستدرك الوسائل - الجهاد - باب ٧٣ تحريم قسوة القلب .

التي تحبس غيث السماء جور الحكام في القضاء ، الى أن قال : وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة^(١٠) .

عن الإمام الصادق عليه السلام : إن الله جعل الرحمة في قلوب رحماء خلقه فاطلبوا الحوائج منهم ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإن الله تعالى أحل غضبه بهم .

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام : من أعظم الشقاوة والقساوة^(١١) .

معنى القلب وقسوته :

رغم أن معرفة معنى القلب ليست ضرورية . . . والضروري هو معرفة صفاته وأنواع أمراضه والسعي في علاجه وإصلاحه . . ولكن لعل القارئ العزيز يريد معرفة ذلك فنقول إن القلب يطلق على معنيين :

الأول : قطعة اللحم الصنوبرية الشكل الواقعة في وسط يسار الصدر وفي جوفها أربع تجويفات تشكل جهاز تصفية ومنها يضخ الدم الى سائر اجزاء البدن وفيه تتولد الروح البخارية وتضخ منه الى سائر اجزاء البدن مع الدم ، وتشارك البهائم فيها مع الانسان .

الثاني : للقلب معنى آخر وهو اللطيفة الربانية والجوهرة الروحانية المتعلقة بهذا القلب الذي ذكر في المعنى الأول . . . وهذه اللطيفة تارة يقال لها النفس والروح والإنسان وهي العالمة والعارفة والمستطبعة وهي مورد التكليف الإلهي والثواب والعقاب لها . أما كيفية تعلقها بالقلب الجسماني فهو أمر تحير فيه العقلاء . . . هل هو تعلق من نوع تعلق الانسان بالمكان الذي استقر فيه ام

(١٠) نفس المصدر السابق .

(١١) المصدر السابق باب ٧٦ .

من نوع آخر .

على كل حال فإن ما سمي في القرآن المجيد والروايات بالقلب هو ذلك المعنى الثاني .

ويرى بعض اهل المعرفة أن للقلب معنى ثالثاً هو المراد في كثير من الآيات والروايات وهو مرتبة من مراتب الروح الانسانية التي تقع في الوسط وهي برزخ بين الروح والقلب الجسماني أي ليس القلب بهذا المعنى الثالث مثل الروح المجردة والشفافة المطلقة .

وليس كالقلب الجسماني وغير الشفاف بل هو صورة وشكل وهو باطن وغيب هذا القلب المادي . والأمور المعنوية كالإيمان تدخل فيه وتخرج منه وهو محل الحالات النفسية مثل الخوف ، الرجاء ، الحب ، الحياء ، الخجل ، الغم والفرح . . . وتظهر آثار ذلك في هذا القلب الجسماني كاضطراب وخفقان القلب الجسماني عند حدوث الخوف الشديد في لقلب المعنوي لأن بين القلب الجسمي والمعنوي ارتباطاً وتناسباً تاماً والظاهر أن هذا المعنى الثالث هو المراد من القلب في هذا الحديث : « عن أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام : إن القلوب أربعة : قلب فيه نفاق وإيمان إذا أدرك الموت صاحبه على نفاقه هلك ، وإن أدركه على إيمانه نجا ، وقلب منكوس وهو قلب المشرك ، وقلب مطبوع وهو قلب المنافق وقلب أزهر أجرد وهو قلب المؤمن فيه كهيئة السراج إله أعطاه الله شكر وإن ابتلاه صبر » (١٢) .

مكتوب من « المكاتيب » :

قال في المكتوب ٢٦٣ من كتاب « المكاتيب » في معنى القلب : سألوا ما هي الروح ؟ وما هو القلب ؟ وما هي النسبة بينهما .

(١٢) الكافي كتاب الإيمان والكفر - باب في طلمة قلب المنافق .

الجواب : يا روحي بك أملي ، . . . ويا قلبي أقبل عطفك ، الانصاف بصفات القلب والروح جميل ، أي نفع في سماع حكايتهما . . بل لعل ذلك ضار ، فلعل فكر السامع لا يبلغه فيكذبه ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ عندها لا يفلح أبداً ، مع ذلك لا بد - امثالاً لأمر أحبة الصدق - من قول كلمتين باختصار وليحسنوا الظن بتصديق ذلك وهو : إن حقيقة الانسان واقعة بين عالمين أحدهما عالم الاتحاد وهو جميعه قرب في قرب ونور في نور ووصل في وصل ويقال له عالم الأمر ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ وثانيهما : عالم الأغيار (الغربة) وهو جميعه بعد في بعد وظلمة في ظلمة وهجران في هجران ويسمى عالم الخلق قال الله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ والروح ذكر من عالم الأمر أرفقت بالانسان والنفس ذكر من عالم الخلق وقرنت به وكلاهما راجعان الى مرجع إلهي احدهما سر لطفه قائم بجماله والاخر سر قهره قائم بجلاله وما يرجع الى الانسان هو القلب الذي هو واقع بين اصبعي اللطف ومن هنا لم يرد ذكر اسم القلب بالنسبة لله أما عن الروح فقد ورد ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ وعن النفس ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ولأن تركيب الانسان يتفكك بالموت وكل من الروح والنفس - بحكم كل شيء يرجع الى أصله - يعود الى عالمه والقلب الذي هو حقيقة الانسان يشايخ (يتبع) ذلك الذي ألفه أثناء مصاحبته له وأنس به وأقبل عليه وطبع بطابعه (وأخذ لونه) اذا كان روحانيا يذهب مع الروح الى عالم الوحدة ويفوز بنور القرب والسرور والوصل (الوصال) وتحصل الروح على لذة تبعاً له . أما بالذات فلا لأن اللذة لا تحصل من اللذة .

وإذا كان قد صار نفسانياً يقع مع النفس في عالم الكثرة ويبتلى بظلمة البعد وغصة الهجران وتعرض النفس - تبعاً له - للألم أما بالذات فلا لأن الألم لا يحصل من الألم . إلى أن يقول : الذين تكون أرواحهم وقلوبهم في عالم الوحدة يأخذون نفوسهم وأبدانهم معهم لثبوت العلاقة وأرواح وإبدان الذين نفوسهم وقلوبهم في عالم الكثرة تلتحق بعالم الكثرة لثبوت العلاقة من موضع

العلاقة وذلك اليوم يصبح عالم الأمر دار السرور وجنات النعيم وعالم الخلق دار البوار والعذاب الأليم^(١٣) .

قال الحكيم سنائي :

« من أصبح ملكاً على الجسد فقلبه مطمئن له الملك والجنة » « ولا يسوء الجسد إلا لفساد القلب فظلم الجيش من ضعف الملك » « هكذا يملأ الخل قلبك فتصبح أنت والوحش والغول بهذا القلب سواء » « سميت قطعة لحم بالقلب واعرضت عن القلب الحقيقي » .

« هذا الذي سميته قلباً مجازاً اذهب وارمه الى كلاب الحي » .

« ضحَّ بالجسد والنفس والعقل والروح واحصل في الطريق إليه (الله) على القلب » « مثل هذا القلب لا تجد فيه في المنعطفات إلا الله » .

« إن القلب منظر رباني فكيف تسمي بيت الغول قلباً » .

« من باب النفس الى كعبة القلب ألف منزل ومنزل للعاشقين »^(١٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن لله آنية في الأرض فأحبها الى الله ما صفا منها ورقّ وهي القلوب » .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أبي يقول ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة إن القلب لبواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أسفله أعلاه وأعلاه أسفله .

ما هي القسوة :

القسوة هي بمعنى الشدة والصلابة وهي نوع مرض وانحراف عن

(١٣) نقلاً عن خزينة الجواهر للنهاوندي .

(١٤) مضامين أبيات .

الاستقامة يعرض على قلب الانسان ، عندها لا يقبل الحق ولا يخشع له أي أنه لا يذل وينقاد ويسلم له ، ولا يوجد فيه الخشوع للحق الذي هو حقيقة الايمان . . . وايضاً لا يؤثر النصح والانذار فيه ، وايضاً لا تؤثر فيه المشاهد التي توجب الرقة والحنان كشكاية المظلوم ، وصرخة اليتيم ، وبقاء المرضى بدون علاج ، وحاجة واضطراب الفقراء . . . لا يحس بأي احساس رحمة تجاه هؤلاء وأمثالهم وكأنه لم يسمعهم ولم يرههم ، يمر بهم كالحيوان .

والتأمل الدقيق في آيات القرآن المجيد والروايات التي تقدمت يكشف بوضوح أن مرض القسوة ذنب كبير للقلب الانساني وتجلب فوراً التوبة منه والسعي في علاجه بالتفصيل الذي سيذكر خصوصاً مع ملاحظة أن قساوة القلب سبب عدم الايمان والحرمان من الآثار العظيمة للخشوع للحق .

قسوة القلب منشأ كثير من الذنوب :

وهي ايضاً سبب عدم الخوف وعدم الاضطراب من سفر الآخرة وعدم الاعتناء بأهوال مواقف القيامة . . . وايضاً سبب لكبائر من الذنوب لا تحصى كقطيعة الرحم وعدم مساعدة المسكين وحرمان الفقير وعدم رعاية اليتيم وعدم الخوف من القهر والعذاب الإلهيين والأمن من الانتقامات الإلهية الخفية ، وفي الحقيقة فإن التقوى (وهي الخوف والحذر من الذنوب وكل ما هو خلاف العبودية والخوف مما هو موجب للعذاب الاخروي بحيث يصبح هذا الخوف وهذا الحذر عادة لا يمكن أن تزول) لا يمكن حصولها مع قسوة القلب . . . إذن يجب من اجل الحصول على التقوى السعي في علاج هذا المرض .

ويجب أن يعلم ايضاً أن مرض القسوة ليس امراً تكوينياً أي أن الانسان لا يخلق قاسي القلب . . . بل هو أمر كسبي أي يبتلى به الانسان من جراء أقواله وأفعاله القبيحة وستذكر هنا بعض الامور التي تسبب بهذا المرض . . . مما

وردت الإشارة إليه في الروايات :

القسوة ممكنة العلاج ولها مراتب :

يجب العلم ايضاً أن مرض القسوة يمكن علاجه كما سيذكر . . . وبعد العلاج والشفاء منه قد يرجع أيضاً ويبتلى به الانسان مجدداً ، والهدف من هذا التذكير أن لا يصيب القارئ الغرور ويظن أنه في أمان من هذا المرض فأولا للقسوة مراتب ولعله الآن مبتلى ببعض هذه المراتب وثانياً : يجب أن يعتبر نفسه في معرض خطر الابتلاء به لأن من الممكن أن تكون نتيجة عدم الحذر والابتلاء ببعض اسباب القسوة هي الابتلاء بهذا المرض ومن هنا أمرنا الأئمة عليهم السلام أن نراقب قلوبنا وأن نبادر الى علاجها بمجرد أن نلاحظ فيها شيئاً من القسوة .

راقبوا حالات قلوبكم :

« عن الشحام (أبي اسامة) قال : زاملت أبا عبدالله (الإمام انساق) عليه السلام فقال لي : إقرأ فافتحت سورة من القرآن فقرأتها فرقاً وبكى ثم قال : يا أبا اسامة ارعوا قلوبكم بذكر الله تعالى (أي احفظوا قلوبكم من وساوس الشيطان بذكر الله) واحذروا النكت فإنه يأتي على القلب تارات او ساعات الشك من صباح (أحد الرواة) ليس فيه إيمان ولا كفر شبه الخرقه البالية أو العظم النخر (أي لا قيمة للقلب في مثل هذه الحالة كما أنه لا قيمة للخرقة البالية أو العظم النخر أو كما أن الخرقه البالية والعظم النخر يتناثران ويتلاشيان بأقل حركة فكذلك القلب في هذه الحالة ينتقل من الايمان الى الكفر لأقل وسوسة من الشيطان) يا أبا اسامة أليس ربما تفقدت قلبك فلا تذكر به خيراً ولا شراً ولا تدري أين هو قال : قلت له : بلى إنه ليصيني وأراء يصيب الناس قال : أجل ليس يعرى منه أحد قال : فإذا كان ذلك

فاذكروا الله تعالى واحذروا النكت فإنه اذا اراد بعبد خيراً نكت ايماناً واذا اراد به غير ذلك فكنت غير ذلك قال قلت وما غير ذلك جعلت فداك ما هو قال اذا اراد كفراً نكت كفراً» (١٥) .

مع كلام المجلسي والفيض رحمهما الله :

قال المرحوم المجلسي في معنى (نكت كفراً) أي لأنه استحق أن يحجب الله عنه لطفه يصبح الشيطان مسلطاً على قلبه ويلقي فيه ما أراد وإسناد النكت الى الله مجاز لأن منع اللطف من الله يصبح سبباً لوقوعه في شرك الشيطان .

وقال المرحوم الفيض : النكت في الحديث بمعنى نقض عهد الايمان بالشك وفي بعض النسخ النكت وهو بمعنى ضرب الخشبة الصلبة بالأرض ليظهر أثر هذه الضربة وبناءً عليه فمعنى احذروا النكت هو :

احذروا أن يستقر بعد هذه الحالة اثر الكفر في قلوبكم ويظهر (١٦) .

الذين أعيروا الايمان (المعارون) :

في كتاب الايمان والكفر من أصول الكافي في باب سهو القلب اربعة احاديث مضمونها هو ما جاء في هذا الحديث الذي أورده في باب « المعارين » عن الإمام الصادق عليه السلام : إن العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً وقوم يعارون الايمان ثم يسلبونه ويسمون المعارين ثم قال : فلان منهم (١٧) .

(١٥) روضة الكافي حديث ١٨٨ .

(١٦) أصول الكافي - ج ٢ - .

(١٧) كلام المجلسي والفيض هنا مترجم عن الفارسية .

والظاهر أن فلان هو أبو الخطاب الذي كان من أصحابه عليه السلام ثم اغرف وأظهر البدع ولعنه الإمام .

ونقل أيضاً في هذا الباب عن الإمام الصادق عليه السلام : « إن الله جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبداً وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبداً وجبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون أبداً ومنهم من أعير الإيمان عارية فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان » (١٨) .

علاقة بقاء الإيمان وزواله بعمل الإنسان :

قال المرحوم المجلسي في شرح فقرة فإذا هو دعا . . . : فيه حث على الدعاء لحسن العاقبة وعدم الزيف كما كان دأب الصالحين قبلنا ، وفيه دلالة أيضاً على أن الإيمان والكفر والسلب (سلب الإيمان) مسبيان عن فعل الإنسان لأنه يصير بذلك مستحقاً للتوفيق والخذلان .

وجملة القول في ذلك أن كل واحد من الإيمان والكفر قد يكون ثابتاً وقد يكون متزلزلاً يزول بحدوث ضده لأن القلب إذا اشتد ضياؤه وكمل صفاؤه استقر فيه الإيمان وكل ما هو حق ، وإذا اشتدت ظلمته وكملت كدورته استقر فيه الكفر وكل ما هو باطل ، وإذا كان القلب بين ذلك أي يختلط فيه الضياء والظلمة كان متردداً بين الاقبال والإدبار ومذبذباً بين الإيمان والكفر فإن غلب الأول (الضياء) دخل الإيمان فيه من غير استقرار وإن غلب الثاني (الظلام) دخل الكفر فيه كذلك (من غير استقرار) وربما يصير الغالب مغلوباً فيعود من الإيمان الى الكفر ومن الكفر الى الإيمان فلا بد للعبد من مراعاة قلبه فإن رآه مقبلاً الى الله عز وجل شكره وبذل جهده وطلب منه الزيادة لئلا يستدبر وينقلب ويزيغ عن الحق كما ذكر سبحانه عن قوم صالحين :

(١٨) أصول الكافي ج ٢ باب المعارين .

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب﴾ آل عمران ٨ .

وإن رآه مديراً زائغاً عن الحق تاب واستدرك ما فرط فيه وتوكل على الله
وتوسل إليه بالدعاء والتضرع لتدركه العناية الالهية فتخرجه من الظلمات الى
النور وإن لم يفعل ربما سلط عليه عدوه الشيطان واستحق من ربه الخذلان
فيموت مسلوب الايمان كما قال سبحانه : ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾
الصف ٥ .

أعاذنا الله من ذلك وسائر أهل الايمان (١٩) .

تنقل أحوال القلب :

« عن سلام بن المستنير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل
عليه حمran بن أعين وسأله عن أشياء ، فلما همّ حمran بالقيام قال لابي جعفر
عليه السلام : أخبرك - أطال الله بقاءك لنا وامتنعنا بك - أنا تأتيتك فما نخرج من
عندك حتى ترق قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في ايدي الناس من
هذه الأموال ، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحبيننا الدنيا
قال : فقال ابو جعفر عليه السلام : انما هي القلوب مرّة تصعب ومرّة تسهل .
ثم قال ابو جعفر عليه السلام : أما إن اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم
قالوا يا رسول الله نخاف علينا النفاق قال فقال : ولم تخافون ذلك قالوا : اذا كنا
عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة
والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد
ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم
نكن على شيء ، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً ؟

(١٩) مرآة العقول ٢٤٨/١١ (بتصرف يسير) .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم انفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنكم تذبنون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذبوا ثم يستغفروا الله فيغفر (الله) لهم . إن المؤمن مفتن تواب اما سمعت قول الله عز وجل : ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ وقال ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ (٢٠) .

قال المجلسي رحمه الله في شرح هذا الحديث :

إن للروح الانساني منازل في السير الى الله أولها المحسوسات وثانيها المتخيلات وثالثها في الموهومات ورابعها المعقولات ، وهو في هذا المنزل يمتاز عن سائر الحيوانات ويرى فيه ما هو خارج عن عالم الحس والخيال والوهم ويعلم روح الاشياء وحقائقها ، وله (لهذا المنزل) عرض عريض أوله أول عالم الانسان وآخره عالم الملائكة بل فوقه وهو معراج الإنسان واعلى عليين له ، كما أن الثلاثة الأول اسفل السافلين له ، واعظم اسباب معراجيه قطع التعلق عن الدنيا والإعراض عنها بالكلية ، ثم الدوام على هذه الحالة فانه يوجب الوصول الى حالة شريفة هي مرتبة عين اليقين وله في تلك المرتبة قدرة على أفعال غريبة وآثار عجيبة بإذن الله تعالى كمصافحة الملائكة والمشي على الماء والهواء وغيرها ومنه يعلم أن الكرامات غير منكورة من الأولياء كما زعمه بعض العلماء (٢١) .

مع المحقق المازندراني :

ذكر المحقق الجليل الشيخ محمد صالح المازندراني المتوفى

(٢٠) اصول الكافي - ج ٢ / باب في تنقل أحوال القلب .

(٢١) مرآة العقول ١١ / ٢٦٤ .

عام ١٠٨١ هـ في شرح هذا الحديث مطالب قيمة تذكر هنا خلاصتها :

عندما رأى حمزان أن حالته في الخلوة لا تطابق حالته بين يدي الإمام عليه السلام خاف وتخيل أن هذا دليل على نفاقه وظن أن تلك الرقة وذلك الخشوع الذي يحصل له أثناء موعظة الإمام عليه السلام يجب أن ترافقه في كل مكان وفي جميع الحالات ليكون من أهل الصدق فأجابه الإمام بأن القلوب تارة تصعب على قبول الحق وتارة تسهل وليست دائماً على نسق واحد . . . فإذا صعبت أعرضت عن الحق ووصلت الى حالة منحطة وإذا سهلت لانت وأقبلت على الحق ووصلت الى حالة شريفة وسبب ذلك أن الطريقة الإلهية في خلق الانسان هي أنه جعل عمله وسطاً بين عالم الملائكة وعالم الشياطين فقد خلق الله الملائكة بحيث لا يصدر منها إلا الخير ولا تغفل لحظة وهي تذكر الله دائماً وجعل الشياطين متمكنة من الشر بحيث لا تذكر الله لحظة وخلق الانسان بحيث انه متمكن من الخير والشر كليهما وهو حيناً غافل وحيناً ذاكراً لله . . . نعم يستطيع بواسطة الكسب والمجاهدة أن يتمحض في الخير كالملائكة لا تعتريه غفلة ابداً وسؤال حمزان هذا دليل على أن مجالسة أصحاب اليقين والصالحين ومصاحبتهم تقضي على الغفلة وتذكر بذكر الله والآخره وتطرد خطرات النفس ووساوس الشيطان ومن هنا ورد التأكيد في الروايات على مصاحبة الصادقين والصالحين خصوصاً الأئمة عليهم السلام (اشير الى ذلك في بحث اليقين) الى أن يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في جواب اصحابه كذلك فاختلف حالاتكم ليس نفاقاً لأنكم حيناً بالايما تذكرون وحيناً بوسوسة الشيطان تغفلون وتميلون الى الدنيا .

وأما المنافق فهو عدم ايما وغفلة دائمين وعلى نسق واحد ومن الواضح جداً التفاوت بين المؤمن الذي يغفل بتأثير وسوسة الشيطان ثم يعوض غفلته

بذكر الله وبين من لا يخرج من الغفلة ابداً ورغم أنه اذا استطاع الشخص الحصول على دوام الحضور وبقاء قلبه مع ربه في جميع الحالات على نسق واحد فسيصل الى المقامات العالية التي ذكرت في الرواية (مصافحة الملائكة ، المشي على الماء) إلا أن الذين تختلف حالاتهم ولا تتساوى ويعوضون غفلتهم بالذكر ومعصيتهم بالتوبة هم أيضاً جيدون بل تقتضي حكمة الله أن يكون أكثر الخلق كذلك لتظهر الغفارية والتواوية واللف والرحمة والحكم الإلهية الآخرة ولهذا ومن اجل تسلية المذنبين وبشارة التوابين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر الحديث : « ولولا انكم تذبون فتستغفرون لخلق الله خلقاً حتى يذبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم » ومن الجدير بالذكر أن الذنب والغفلة ليسا مطلوبين لله ولا مرضيين عنده بل المطلوب والمقصود هو التوبة والرجوع بعد الذنب فإن فيها حكماً لا تنهاى وأهمها قرب الخالق تعالى لأن القرب لا يتيسر إلا بالعجز والانكسار والخشوع والاحتقار وبناءً عليه فالعبادة التي تسبب للعابد رضاه عن نفسه والعجب والغرور هي عبادة تبعده عن ربه فراسخ . . . واذا تسبب ذنب بانكسار المذنب وتنكيس رأسه وخجله والتضرع بخشية وبكاء الى الله الغني فإن ذلك الذنب يصبح وسيلة قرب كآدم أبي البشر الذي بكى بعد صدور « ترك الأولى » (منه) عدة سنوات مستغيثاً مقبلاً على الله الى أن اصبح مختار الباب الإلهي ووصل الى مقام الاجتباء والنبوة .

والخلاصة : الواجب هو أن يسعى العبد في أن لا يصدر منه ذنب ولا تسيطر عليه الغفلة واذا ابتلي بالذنب فلا يصبح سيء القلب ويطلق بواسطة التوبة والإنابة باب الرحمة لتفتح له ابواب الخزائن الإلهية ويصبح في النتيجة محبوب الله كما قال تعالى : ﴿ان الله يحب التوابين﴾ .

أسباب قسوة القلب

تذكر فيما يلي الامور التي تسبب قسوة القلب والتي اشير اليها في
الروايات :

١ - الذنب اكبر أسباب القسوة :

كل ذنب يصدر من الانسان يزيد في قسوة قلبه وظلمته إلا اذا تاب منه
بسرعة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وما قست القلوب إلا لكثرة
الذنوب »^(١) .

قال الإمام الباقر عليه السلام : « ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة (أي نقطة)
بيضاء ، فإذا أذنب خرج في النكتة نكتة سوداء فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن
تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا تغطى البياض لم
يرجع صاحبه الى خير ابداً وهو قول الله عزَّ وجلَّ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ »^(٢) .

(١) علل الشرائع .

(٢) اصول الكافي ج٢ / باب الذنوب حديث ٢٠ .

والظاهر أن المراد بالنقطة البيضاء في قلب كل عبد قبل التلوث بالذنب هو الفطرة الأولية المرافقة لتكوينه التي يكون بمقتضاها متذكراً لخالقه وحياته الخالدة وعالم ما بعد الموت وقد اشير إليها في قسم العقائد من هذا الكتاب .

٢ - الأمانى تقسي القلب :

قول الأمل أي الأمانى والرغبات الدنيوية والأهواء النفسانية التي تتولد للحصول عليها رغبات لا تنهاى . . . - كما أنه يلزمها وقت طويل لتحقيقها - هذه الأهواء والأمانى حجب مظلمة تغطي قلب الانسان بحيث لا هو يذكر ربه ولا يطلب قربه ولا يبحث عن رضاه ولا يتذكر آخرته ولا يسعى لتأمين راحته الأبدية وحياته الخالدة . . يركض ويسعى ويتوئب ولكن فقط للوصول الى الأهواء النفسية وتأمين الحياة الفانية الدنيوية التي هي مشبوهة ولا اساس لها .

وبالتدقيق يعلم أنه لا شيء كالأمال الشهوانية والأهواء الشيطانية والهوس النفساني ، يقسي القلب ويجعله مظلماً حالكاً^(٣) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتباع الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة^(٤) .

٣ - كثرة الأكل تورث قسوة القلب :

﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ الأعراف ٣١ . أورد في كتاب الأطعمة من وسائل الشيعة اثنين وعشرين حديثاً في ذم كثرة الأكل والنهي عنها ، وفي كتاب مستدرك الوسائل أورد سبعة وثلاثين حديثاً ورعاية

(٣) وانك لا تخنجب عن خلقك إلا أن تجلبهم الآمال دونك دعاء ابي حمزة الثمالي .

(٤) نهج البلاغة ، والكافي ج ٢ باب اتباع الهوى .

للاختصار يكتفى هنا بنقل عدة منها :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « اقرب ما يكون العبد من الله اذا خفّ بطنه وابتغى ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تमितوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلوب تموت كالزرع اذا كثر عليه الماء .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل أنه قال له ليلة الاسراء : «يا أحمد أبغض الدنيا واهل الدنيا وأحب الآخرة وأهلها قال يا رب ومن أهل الدنيا ومن أهل الآخرة قال أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه وغضبه » .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : من تعود كثرة الطعام والشراب قسى قلبه .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أيّاكم والبطنة فإنها مقساة للقلب مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد ويجب العلم بأن كثرة الأكل وادخال الطعام على الطعام - أي الأكل على الشبع . . والشرب رغم الارتواء - إذا كان مضرّاً بالبدن فهو حرام وإن لم يكن مضرّاً فهو مكروه .

ميزان كثرة الأكل نسبي :

وليس لكثرة الأكل ميزان كلي بحيث يقال إن المقدار الفلاني من الطعام يجعل صاحبه كثير الأكل بل إن ذلك يختلف باختلاف الأبدان والأمزجة والحالات مثلاً المقدار الفلاني لشخص ما هو كثرة أكل . . إلا أنه لشخص آخر ليس كذلك . . بل هو متوسط . . ولعل السبب في العلاقة بين كثرة الأكل وقسوة القلب هو أن الطعام الكثير الذي يدخل المعدة يتعب الجهاز الهضمي فلا

يقوم بوظيفته بشكل سليم وذلك يفسد الطعام أي لا يتحول الى جزء من الجسد ولا يغذي .. والدم الذي هو خلاصة ذلك الطعام الفاسد يستقر في القلب بكثافته وعدم صفائه ويتصاعد منه البخار الكثيف (الذي هو الروح البخارية) ويتأثر بذلك القلب المعنوي لأنه مرتبط تمام الارتباط بهذا القلب الصنوبري والجسماني ، متحد معه وقد تقدم أن القلب المعنوي يتصف أيضاً بالصعوبة والقسوة ...

ولعل الحديث المنقول في « علل الشرائع » ناظر الى ذلك والحديث هو : « فإن مالت به اليبوسة كان عزمه القسوة » لأن اليبوسة الزائدة سبب خلل الجهاز الهضمي وذلك يسبب فساد الدم وكثافته وذلك يسبب غلظة القلب المعنوي وقسوته ... ولعل الحديث الوارد في دعوات الراوندي كذلك ناظر إلى هذا :

عن النبي صلى الله عليه وآله : أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ، ولا تناموا عليها فتفسد قلوبكم .

ومن الجدير بالذكر أن كثرة الأكل الموجبة للقسوة هي كثرة الأكل الحلال اما الأكل الحرام فإن لقمة منه تسبب القسوة .

وفي وسائل الشيعة كتاب الاطعمة باب كراهة الشبع أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابنه الحسن عليه السلام : ألا أعلمك أربع خصال تستغني بها عن الطب قال بلى قال : لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع ولا تقم من الطعام إلا وأنت تشتهي ، وجود المضغ وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء وإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب .

٤ - كثرة الكلام الحلال تورث قسوة القلب :

إذا كان الكلام حراماً كالكذب ، الغيبة ، التهمة ، النيمة ، اهانة

المؤمن وفضح سره ، وكل كلام يسبب الفتنة والفساد ، فإن الكلمة الواحدة منه تورث القسوة . . . أما اذا لم يكن الكلام حراماً ولم يكن واجباً ولا مستحباً وليس فيه أي نفع فهو مباح إلا أن زيادته مكروهة وتورث القسوة .

قال الإمام الصادق عليه السلام : كان المسيح عليه السلام يقول لا تكثر الكلام في غير ذكر فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون^(٥) .

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على امرأة وهي تبكي على ولدها وتقول الحمد لله مات شهيداً فقال صلى الله عليه وآله كيف أيتها المرأة فلعله كان يبخل بما لا يضره ويقول فيما لا يعنيه^(٦) .

أي أن يبخل الانسان في إنفاق الزائد مما يملك وعدم حفظ لسانه عن الكلام الزائد واللغو أمران يترتب عليهما عدم وصول الانسان الى الدرجة العالية وعدم الوصول الى النجاة التامة منذ ساعة الموت .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .

٥ - كثرة النوم :

لا بد لكل انسان أن ينام مقداراً من اليوم واللييلة للتخلص من التعب والاستعداد لمواصلة نشاطه فإذا نام أكثر مما ينبغي فسد دينه وقسى قلبه (كما تقدم في كثرة الأكل) روي عن الإمام الصادق عليه السلام : كثرة النوم تتولد من كثرة الشرب ، وكثرة الشرب تتولد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن

(٥) الوسائل الحج باب ١٢ وأصول الكافي ج ١ - باب الصمت وحفظ اللسان .

(٦) مصباح الشريعة .

الطاعة ويقسيان القلب عن الفكر^(٧) (في الامور الإلهية والامور الأخروية) .

وقال عليه السلام : كثرة النوم مذهب للدين والدنيا^(٨) .

وعنه عليه السلام : ان الله تعالى يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ^(٩) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : كثرة الأكل والنوم يفسدان النفس ويجلبان المضرة^(١٠) .

لأنهما معاً تورثان الكسل والعجز عن الطاعات والعبادات والنشاط فيها وتسببان ضياع الأوقات والغفلة عن سفر الآخرة وهذا كاف في جلبهما المضرة إلى جانب وجود المضرة البدنية في كل منهما ، وقد قال أساتذة الطب إن النوم الكثير يسبب ترهل الجسم وضعف قواه وبرودته ورطوبته ويزيد البلغم ويضعف الحرارة الغريزية وكل من ذلك يتسبب بوجود عدة أمراض .

مقدار النوم اللازم :

نقل المحدث الفيض في كتاب منهاج النجاة^(١١) أنه ينبغي النوم في اليوم واللييلة ثلاثهما أي ثمانية ساعات وقال بعض الأطباء ينبغي النوم بمقدار الربع أي ست ساعات وذلك كاف لأغلب الطبائع وإذا كانت السوداء غالبية يكتفي بأقل من ذلك . . والحق أنه لا ميزان كلياً لذلك وهو يختلف باختلاف الاشخاص من حيث السن وكمية الجهد والفعالية ينبغي أن يكون كل شخص طبيب نفسه فينام بمقدار ما يرتاح من تعبته ويريح بدنه ولمعرفة آداب النوم والامور

(٨و٧) الكافي .

(٩)

(١٠) الفرر للآمدني .

(١١) ص ٨٩ ط الدار الاسلامية . .

المتعلقة بذلك يراجع كتاب دار السلام للمحدث النوري (عليه الرحمة والرضوان) .

٦ - كثرة المال :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وإن كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب » لأن من كان همه جمع المال حراسته وزيادته سوف لن يكون بصدد تحصيل الايمان والعمل الصالح وزيادة زاد سفر الآخرة ولن يؤدي حقوق الله من ثروته . . وهكذا يفسد دينه .

وأما قسوة القلوب فلأن الانسان عندما يتعلق بالمال ويصبح همه زيادة الثروة يقسو قلبه ، فلا يعود يخشع لربه . . أي لا يرى نفسه عبداً عاجزاً ومحتاجاً إليه ولا يفكر بالآخرة ولا يرحم الفقراء والمكروبين ، والآيات والروايات كثيرة في ذم الذين تكون همتهم متعلقة بتكاثر الثروة ونقلها يوجب الإطالة والملل . .

ويجب العلم بأن زيادة الثروة المذموم والموجب لقسوة القلب وشقائه هو الثراء مع البخل في الانفاق اما اذا اجتمعت الثروة مع السخاء أي أن صاحب الثروة لا يحتكرها وإنما يأخذها بيد ويعطيها بيد أخرى فهذه الثروة ممدوحة وهي توجب زيادة رقة القلب والسعادة .

اذا كنت حاملاً للمال من اجل الدين ف « نعم مال صالح » كما قال الرسول (ص) (١٢) .

٧ - الغفلة :

قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي : إياك والغفلة ففيها تكون

(١٢) مضمون بيت شعر فارسي .

قساوة القلب (١٣) .

قال الله تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾ الأعراف ١٧٩ . في هذه الآية الشريفة يوضح الله تعالى أن الغفلة سبب العمى والصمم وعدم الفهم والسقوط من مقام الإنسانية .

متى تجهزون الزاد :

في حديث أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل سوق البصرة فنظر الى الناس يبيعون ويشترون فيكي بكاءً شديداً ثم قال : «ياعبيد الدنيا وعمال أهلها اذا كنتم بالنهار تحلفون وبالليل في فراشكم تنامون وفي خلال ذلك عن الآخرة غافلون فمتى تجهزون الزاد وتفكرون بالمعاد» (١٤) .

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكرى على كل حال فإن كثرة المال تنسي الذنوب وتترك ذكرى يقسي القلوب (١٥) .

« يا من أمضيت العمر العزيز بالغفلة ما نفع ما عندك وماذا عملت واين هو عملك » .

« ما هو زاد سفرك في هذا الطريق الطويل وقد جاءك بياض شعرك رسالة من الأجل » .

(١٣) دار السلام للنوري .

(١٤) سفينة البحار ج ١ / ٦٧٤ .

(١٥) دار السلام للنوري / ٦٣ .

« يمكنك بالعلم والعمل أن تصبح ملاكاً لكنك لإضاءة همتك انسجمت مع الوحش والدواجن » .

« كيف ستصبح رفيق حور الجنان وأنت مشغول دائماً بالنظر الى الماء والنبات كالأنعام » .

« اجهد أن لا تبقى محروماً من السعادة أصلح عملك فالمقام هنا ليس أكثر من يومين أو ثلاثة »^(١٦) .

ما هي الغفلة :

الغفلة بمعنى عدم الانتباه وعدم الذكر كما أن الذكر بمعنى الإلتفات والانتباه ولأن الغفلة تقابل الذكر فيتم هنا ايضاح معنى ذكر الله والآخرة ليتضح معنى الغفلة عن الله والآخرة الذي يقابله .

ذكر الله يعني أن يدرك الإنسان بنور عقله أنه مخلوق لله العظيم العالم البصير والقادر الذي يتولى تربيته وهو وكل ما يتعلق به ، منه ، وكذلك جميع أجزاء عالم الخلقة ، فهي كلها مخلوقة له وهو مربيها . . . وباختصار كل موجود منه ، وهذا الإدراك هو الإيمان بالله كما أن الغفلة عن هذه المعاني هي الكفر الحقيقي بحيث أن هذه الغفلة اذا استمرت ومات صاحبها عليها ، مات كافراً « كل من غفل عن الحق زماناً فهو عندها كافر إلا أن كفره خفي . وإذا كانت هذه الغفلة مستمرة فقد أقفل في وجهه باب الإسلام »^(١٧) وباستمرار حالة الكفر هذه يقسو القلب ويصبح أعمى وأصم لا يفهم ، بحيث أنه لن يفكر بذكر الله ولكي لا تستمر هذه الحالة كان من الواجب ذكر الله خمس مرات في اليوم أي صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ليتم ببركة ذلك التخلص من تأثير

(١٦) مضامين ابيات من الشعر الفارسي .

(١٧) مضمون بيتين .

الغفلات التي تصيب القلب بين هذه الصلوات - وتجعله قاسياً لكن يجب العلم أن هذه الصلوات علاج للغفلة وتمنع قسوة القلب إذا أدت بانتباه وحضور قلب . . ثم إنها في هذه الحال علاج للغفلة فقط ، أما اذا تلوث الإنسان بين أوقات الصلوات هذه فإن الصلاة وحدها لا تخلصه من الذنب بل لا بد من تطهير نفسه من ذلك الذنب بالتوبة ليعالج بذلك تلوث قلبه . . . إذن ينبغي من أجل عدم التلوث وعدم القسوة أن يبقى الإنسان دائماً الذكر وإذا كان في ساعة غافلاً فليكن في الساعة الأخرى ذاكراً .

ذكر الله على كل حال :

ومن أجل دوام الذكر يشار هنا الى بعض التفاصيل : اذا جلس الإنسان وحيداً فليتذكر أن الله حاضرٌ معه . . ليتذكر من خلقه من حفنة تراب . . وهو الآن جالس على بساطه (الأرض) . . . وإذا مشى فليتبته أنه يمشي على بساط الله بقدرة الله التي اعطاه إياها . إذا تكلم مع أحد فليتبته أنه يتكلم باللسان المخلوق لله وبقدرة الله يعبر عما في باطنه ويظهره . . . وليعلم أنه اذا كان مع شخص آخر فإن الله ثالثهما وإذا كان مع اربعة فإن الله خامسهم وهكذا^(١٨) وليكن حديثه بدلاً عن مدح نفسه أو مخلوق آخر حول آيات الله وشواهد حكمته وبدلاً من شكوى عدم الوصول الى بعض مآربه النفسانية ليكن حديثه حول نعم الله - التي لا تحصى - عليه وعلى الخلق^(١٩) وإن كان في بيته مع الزوجة والولد

(١٨) ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ المجادلة ٧ .
(١٩) عن أبي هاشم الجعفري قال : اصابتني ضيقة شديدة فصرت الى ابي الحسن علي بن محمد عليه السلام فأذن لي فلما جلست قال : يا أبا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد أن تؤدي شكرها ؟ قال أبو هاشم فوجمت فلم أدري ما أقول فابتدأ عليه السلام . . . فقال : رزقك الايمان فحرم بدنك على النار ووزرك العافية فأعانتك على الطاعة ورزقك القنوع فصانك عن التبذل يا أبا هاشم انما ابتدأتك بذلك لأني ظننت أنك تريد أن تشكو لي من فعل بك هذا وأمرت لك بمائة دينار فخذها . بحار ج - ١٢٩/٥٠ .

فلينتبّه الى أنهم جميعاً مخلوقون لله وأنهم نعمة عليه من الله ووسيلة لأنسه وصاحب ومعين . . . وإذا خرج من بيته في طلب الرزق وتحصيل المعاش فلينتبّه أنه يسعى بقدره الله وامداده وامثالاً لأمره للحصول على الرزق الذي قدره له . . وإذا جلس الى مائدة الطعام فلينتبّه الى الأطعمة والأشربة وكيفية خلقها وخواصها ومنافعها والتذاذ الانسان بها . . ثم الى كيفية هضمها وتحولها الى أجزاء من البدن وتقويتها له وليتذكر أنها كلها من الله الحكيم . . وكل وقت يمر عليه وهو غافل فليجدد فوراً انتباه قلبه وتذكره بواسطة الذكر اللساني ، أيّ يستغفر من غفلته التي مرت ويشكر نعمته أنه تنبه لذلك^(٢٠) مثلاً : اذا غفل عن الطعام وانتبه عندما اشرف على الانتهاء منه فليقل : الحمد لله من أوله الى آخره في الخبر أن الإمام الكاظم عليه السلام كان يسجد لله عند كل نعمة يذكرها وقال الإمام السجاد عليه السلام : ونهني لذكرك في أوقات الغفلة واجعلني ممن يديم ذكرك ولا ينقض عهدك ولا يغفل عن شكرك^(٢١) .

٨ - ٩ - اجتنب خمساً . . . وثلاثاً :

عن النبي صلى الله عليه وآله : خمس تقسي القلوب قيل وما هي يا رسول الله قال : ترادف الذنب على الذنب ومجاراة الأحق وكثرة مناقشة النساء وطول ملازمة المنزل على سبيل الانفراد والوحدة والجلوس مع الموتى قيل وما الموتى قال كل عبد مترف فهو ميت وكل من لا يعمل لآخرته فهو ميت^(٢٢) .

(٢٠) عن معاوية بن وهب قال : كنت مع أبي عبدالله عليه السلام بالمدينة وهو راكب حماره ، فنزل وقد كنا صرنا الى السوق أو قريباً من السوق قال : فنزل وسجد وأطال السجود وأنا انتظره ثم رفع رأسه قال : فقلت : جعلت فداك رأيتك نزلت فسجدت قال : اني ذكرت نعمة الله علي قال : قلت : قرب السوق والناس يجيئون ويذهبون قال : إنه لم يرني أحد . بحار/٤٧/ ٢١ .

(٢١) الصحيفة السجادية .

(٢٢) دار السلام للنوري/٦٣ .

« أحي قلبك ألا تعرف من هو الميت إنه من لا شغل له بالله » (٢٣) .

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :

ثلاثة يقسين القلب استماع اللهو وطلب الصيد وإتيان باب السلطان (٢٤)

١٠ - حب الراحة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث تورث القسوة حب النوم وحب الراحة وحب الأكل (٢٥) .

١١ - النظر الى البخيل :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : النظر الى البخيل يقسي القلب .

١٢ - الجزارة (القصابة) :

قال الإمام الصادق عليه السلام : إن الجزار تسلب منه الرحمة .

ما لم تصل القسوة الى الحرمة فهي مكروهة :

من الجدير بالذكر أن ما ذكر من اسباب القسوة . . . أكثره مكروهات وليس عليها عذاب أخروي إلا أن تتسبب بدرجة شديدة من القسوة .

توضيح ذلك هو أن لقسوة القلب مراتب وأنواع الى أن تصل الى مرتبتها الشديدة أي يصبح القلب قاسياً الى حد أنه لا يقبل الايمان بالله ويوم الجزاء ولا يخشع وتصبح الحجب المظلمة بحيث تغطي القلب فلا يرى الحق ولا تؤثر فيه أية موعظة ولا نهزه أكثر المناظر رقة واثارة ولا تنبعث في قلبه الرحمة . . . ولهذا المرتبة الشديدة ايضاً مراتب الى أن يصل القلب الى مرحلة قلوب جنود

(٢٣) مضمون بيت شعر فارسي .

(٢٤) من لا يحضره الفقيه .

(٢٥) دار السلام للمحدث النوري .

يزيد . . . الذي لم ترق قلوبهم حتى لمنظر طفل عطشان في شهره السادس وهو يضطرب على يدي أبيه ، ولم تؤثر في قلوبهم كل تلك المواعظ النارية لسيد الشهداء عليه السلام ولأصحابه . . وعندما هاجموا المدينة وأباحها لهم يزيد تناولوا طفلاً من مهده وضربوا به الحائط . .

وكذلك مثل قسوة ابن زياد والحجاج وكثير من رؤساء بني أمية لعنهم الله .

والخلاصة : إن الأمور المذكورة وإن كانت تورث درجة من القسوة وسقوط ستار مظلم على القلب . . . إلا إنها ما دامت لم تورث المرتبة الشديدة فهي ليست حراماً ولا عقاب عليها وبمجرد أن تصبح مورثة لتلك المرتبة الشديدة المذكورة تصبح حراماً ويصبح تركها واجباً وكذلك فإن كل شخص ابتلي بالمرتبة الشديدة للقسوة يصبح علاجها واجباً عليه عقلاً وشرعاً بالتفصيل الذي يذكر .

بناءً عليه من كان يحمل همّ الدين ويدرك أن كل سعادته في رقة القلب والايمان والخشوع لله ويوم الجزاء وتأمين حياته الأبدية في جوار الله وأوليائه أي سيدنا محمد وآل محمد عليهم السلام فإن عليه أن يجتنب بمقدار استطاعته الأمور المذكورة ليحافظ على رقة قلبه وصفائه لأنه إذا تساهل الشخص وقال :

إن هذه ليست حراماً ولم يتورع عن ارتكابها تضعف رقة قلبه تدريجياً ويقسو ويظلم شيئاً فشيئاً الى أن يبتلى - نعوذ بالله - بدرجة الشقاء والقسوة الشديدة التي ذكرت ويصبح علاجها في غاية الصعوبة . . . خاصة إذا تجاوز عمره الأربعين ، وإذا فاجأه الموت على هذه الحالة ومات على غير ايمان فليس له أي أمل بالنجاة .

توضيح ذلك : إن الانسان منذ بلوغه حد الادراك والشعور تبدأ قواه النفسية وحالاته الباطنية - كقواه البدنية - تشتد وتنمو وتتكامل ويستمر ذلك الى

حدود الاربعين بحيث أن التغيير فيها بعد الأربعين يكون في غاية الصعوبة كالشجرة . . . حين تكون غرسة ليس لها جذع صلب يمكن تقويم اعوجاجها بيسر . . فإذا نمت معوجة واشتد جذعها وتصلب فإن الصعوبة في تقويمها واضحة ومن هنا يقول الامام الصادق عليه السلام : إن العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين اربعين سنة ، فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عز وجل الى ملكيه أنني قد عمرت عبدي عمراً (أي بمقدار ما يبلغ الكمال) فغلظاً عليه وشدداً وتحفظاً عليه واكتبنا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره^(٢٦) .

قال السيد نعمة الله الجزائري لعل المراد من هذا التشديد أن العبد إذا أذنب قبل الأربعين يمهل سبع ساعات فإن لم يتب كتبت له سيئة . . ولكنه بعد الأربعين لا يمهل .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أبناء الاربعين زرع قد دنى حصاده وروي : اذا بلغ الرجل الاربعين سنة ولم يتب مسح ابليس وجهه وقال : بأبي وجه لا يفلح^(٢٧) .

وفي البحار نقلاً عن الخصال^(٢٨) والأمالى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن حبنا اهل البيت .

(٢٦) الخصال للصدوق .

(٢٧) سفينة البحار / ج ١ / ٥٠٤ .

عندما يتخطى عمرك الاربعين فلا تحاول السباحة فإن الماء قد غمر رأسك وعندما يغطي شيبك الشباب فقد أصبح ليلك نهارةً فاستيقظ من النوم .
أسفاً أن فصل الشباب مضى وتصرمت الحياة باللهو واللعب .
أسفاً أننا شغلنا بالباطل فبقينا بعيدين عن الحق عاطلين .
ما اجمل ما قاله للطفل المعلم لم تفعل شيئاً وجاء أوان الإستراحة . (مضامين أبيات لسعدي) .

(٢٨) الخصال / ٢٥٣ .

في هذا الحديث - كما تلاحظ - سيسأل عن نعمة الشباب . . . فاعرف قدر شبابك ايها الشاب العزيز وكما أنت حريص على حفظ عافيتك وسلامتك ولا تغفل عنه وتجتنب كثيراً من الأمور لأجله . . . يجب أن تكون كذلك حريصاً جداً في حفظ سلامة نفسك ولا تتساهل في مرض القسوة وسائر الأمراض التي تم التذكير بها في هذا الكتاب . ولا تقصر في ذلك واعلم أن علاجها بعد سن الشباب في غاية الصعوبة كما تقدم .

ومن الجدير بالذكر أن من أمضى شبابه والغفلة . . . وتراكت أمراضه النفسية حتى بلغ الأربعين يجب أن لا يئأس من العلاج وأن لا يتخلى عن محاولة العلاج أولاً : لأن علاج الأمراض النفسية بعد الأربعين رغم صعوبته وشدته إلا أنه ليس مستحيلاً ، وثانياً : إن كل صعوبة وشدة هي بالنسبة الى قدرة الله سهلة وهينة . . . فإذا التجأ العبد مضطراً الى ربه وبثه شكواه وآلامه وطلب منه دواءها وكان في هذا الطلب جاداً وصادقاً وثابتاً فلا شك أن الله الكريم لن يحرمه .

« لم يأت هذا الباب معتذر ولم يغسل سيل الندامة ذنبه » .

علاج القسوة :

مما تقدم تعلم جيداً خطورة ذنب القسوة وصعوبة مرض غلظة القلب ووجوب السعي في علاجه ، ويعلم أيضاً أن على كل إنسان عاقل أن تكون له وقفة مع قلبه . . . فإذا وجد فيه شيئاً من هذا المرض والانحراف عن الفطرة الأولية عمل على علاجه فوراً بالطريقة التالية :

يسعى أولاً الى ترك الأمور الاثني عشر التي مرّ ذكرها من الروايات ثم يعمل بما ورد في الروايات لعلاج القسوة .

أما بالنسبة لترك الأمور المذكورة فإنه إذا انتبه الى آثارها السيئة

و... والآثار الحسنة لتركها فسيكون قادراً - إذا حاول بجد - أن يتركها بسهولة... إلا حجاب الآمال والأمانى النفسانية فإن النجاة منه صعبة جداً... لأن صاحب هذا الحجاب شغلت الرغبات المادية والأمنيات النفسية قلبه منذ أن بدأ يشعر... وقد بذل كل جهده وهمه وسعيه للوصول إليها... ويوماً بعد يوم كان تعدادها يزداد... فكيف يمكنه الآن أن يفصلها عن قلبه لتستقر فيه بدلاً منها الرغبات الروحية وأمنيات الآخرة؟

لسنوات طوال ظلّ ولا أمنية له إلا تأمين الحياة المادية وتحصيل العيش واللذة الدنيويين والثراء والمنزلة والمقام على وجه الأرض فكيف يمكن استبدال ذلك بسهولة بحيث يصبح ولا أمنية له إلا تأمين الحياة الخالدة والثراء المعنوي والمقامات الروحية وعيش الآخرة^(٢٩) والطريق الوحيد للمخلص والنجاة من شر الآمال كثرة التفكير في فناء الدنيا وزوالها أي فناء الحياة المادية بحيث يصبح الانسان بمجرد أن يقع بصره على شيء يلتفت الى فئائه وزواله فوراً... وأيضاً يصبح يرى موته أقرب من كل شيء الى الحد الذي بيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : « والذي نفس محمد بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي وظننت أني خافضه حتى أقبض ، ولا تلقمت إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغصُّ بها من الموت... »^(٣٠) .

(٢٩) « انظر كل صوب ترّ وجه الله وسبب عدم رؤية وجهه عمى العين » .
« ضربنا - عُمرًا - مثل الستار على عين رؤية الله فينبغي أن نصرف عُمرًا آخر على تمزيق ذلك الستار » .
« حصل المعرفة لتفهم العبودية فهذا هدف الخالق من خلق العبد » . « مضامين أبيات » .

(٣٠) بحار الأنوار/١٦٦/٧٣ وميزان الحكمة - الأمل (مختصراً) .

وفي الوافي أن الإمام الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الموت الموت (أي احذروه أو تذكروه) ألا ولا بدّ من الموت ، جاء الموت بما فيه جاء بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وجاء الموت بما فيه بالشقوة والندامة وبالكرة الخاسرة الى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم » وقال (ص) : إذا استحققت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العين وذوئ الأمل وراء الظهر وإذا استحققت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العين وذوئ الأجل وراء الظهر (أي لا يرى الموت ولا يذكره وليس له طلب إلا الوصول الى مشتهياته النفسية والأمور التي ترتبط بالحياة الدنيا) قال وسئل رسول الله (ص) : أي المؤمنين أكيس فقال : أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً (٣١) .

مع كتاب أمير المؤمنين (ع) الى محمد بن أبي بكر :

كتب الطيب الروحاني والهادي الانساني أمير المؤمنين علي عليه السلام في رسالة طويلة الى محمد بن ابي بكر عندما كان والياً على مصر ليقراه على اهل مصر :

احذروا يا عباد الله الموت وسكرته وأعدوا له عدته فإنه يفجأكم بأمر عظيم بخير لا يكون معه شرٌّ أبداً وشر لا يكون معه خير أبداً ، الى أن يقول : فاكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات ، وكفى بالموت واعظاً . وكان رسول الله كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول : أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات ، يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له اشد من الموت ، القبر ، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربه . إن

(٣١) الوافي نقلاً عن الكافي باب ٣١ ذكر الموت .

القبر يقول كل يوم أنا بيت الغربية ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الوحشة ، والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار^(٣٢) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « ذكر الموت يميت الشهوات ، ويقطع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعيد الله ، ويرق الطبع . . . »^(٣٣) .

وإذا رجعت عزيزي القارئ الى خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه في نهج البلاغة وغيره تدرك أنه أوصى في أكثرها بذكر الموت وعقبات عالم ما بعد الموت والتفكير في فناء الدنيا . . . وإذا أريد استقصاء آيات القرآن المجيد وروايات المعصومين عليهم السلام في هذا الموضوع فذلك في حد ذاته يبلغ كتاباً مستقلاً وكبيراً . . . لذا يصرف النظر عن نقلها ويكتفي فقط بالدعاء الأربعين من الصحيفة السجادية على أمل أن يكرر القارئ العزيز قراءته ويدقق في معناه ويدرك طريق سعادته ومسلكها ليبقى مصوناً من مرض القسوة .

وكان من دعائه عليه السلام انا نعي اليه ميت أو ذكر الموت .

اللهم صلّ على محمد وآل محمد واكفنا طول الأمل وقصره عنا بصدق العمل ، حتى لا نؤمل استتمام ساعة بعد ساعة ، ولا استيفاء يوم بعد يوم ، ولا اتصال نفس بنفس ، ولا لحوق قدم بقدم وسلمنا من غروره ، وآمنا من شروره ، وانصب الموت بين ايدينا نصبا ، ولا تجعل ذكرنا له غبا ، واجعل لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطنه معه المصير إليك ، ونحرص له على وشك اللحاق بك ، حتى يكون الموت مأنسنا الذي نأنس به ، ومألّفنا الذي نشاق إليه ، وحامتنا^(٣٤) التي نحب الدنو منها ، فإذا أوردته علينا وأنزلته بنا فاسعدنا به

(٣٢) بحار الأنوار/٧٧/٣٨٥ - ٣٩١ .

(٣٣) البحار/٦/١٣٣ .

(٣٤) حامتنا : القرابة الحميمة .

زائراً وأنسنا به قادماً ، ولا تشقنا بضيفته ، ولا تخزننا بزيارته ، واجعله باباً من ابواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك ، امتنا مهتدين غير ضالين ، طائعين غير مستكبرين ، تائبين غير عاصين ولا مصرين ، يا ضامن جزاء المحسنين ، ومستصلح عمل المفسدين .

استعملوا دواء مرضكم :

من الجدير بالذكر كما أن الشخص المريض يتحمل منة طبيب الجسد ويأخذ منه الوصفة الطبية ، ويشرب ذلك الدواء المر المزعج بسرعة . . . بل وهو على استعداد للخضوع لعملية جراحية وقطع عضو من بدنه ويتحمل كل الآلام الناتجة عن ذلك للحصول على السلامة . فكذلك ينبغي أن يتحمل الانسان العاقل منة عظماء الدين ويتقبل دواء ذكر الموت وفناء الدنيا الذي علموه ويستعمل هذا الدواء ، بالرغم من أن دواء ذكر الموت مر وثقيل على النفس . . . والانسان يهرب منه ما استطاع الى حد أنه يشغل نفسه بأنواع الملهيات ويختلق الكثير منها حتى لا يتذكر الموت ، ولكن حيث أن سلامة نفسه وقلبه وسعادته مرتبطان بذلك فيجب استعمال ذلك الدواء وإذا قالت النفس بإغواء من الشيطان : « بناءً على هذا يجب أن يكون الانسان دائماً منتظراً لملك الموت وينصرف عن العمل والكسب ، ولا يستفيد ابداً من نعم الدنيا ومفرحاتها وفقط يجلس في زاوية ينتظر أن الموت سينزل به الآن أو في لحظة أخرى وهذا المسلك خلاف العقل والشرع » اذا قالت النفس ذلك فنقول في الجواب ، حاشا وكلا أن يكون ذلك حال المؤمن بالله والقرآن ومحمد وآل محمد عليهم السلام ويوم الجزاء بل إنه رغم كون الموت وفناء الدنيا دائماً نصب عينه يمضي في عمله وكسبه وطلب معاشه هو وعائلته ، ولا يهدر لحظة واحدة من عمره بالبطالة إلا أن كل تحركه وفعاليته ينطلق من إطاعة أمر مولاه لا

من رغباته وميوله وحب الوصول الى الأمانى النفسية ، كما يفعل من يعتقد أن الدنيا مقره ولم يخلق لحياة أخرى . . . وأيضاً يستثمر نعم هذا العالم ولذائذه لكن مع الالتفات الى أن هذه جميعها نماذج عن أصل النعمة وكمال اللذة التي أعدها الله الكريم لأهل الايمان في عالم ما بعد الموت (٣٥) .

جواب الإمام الباقر لابن المنكدر :

يقول محمد بن المنكدر « . . . خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي وكان رجلاً بديناً وهو متكٍ على غلامين له أسودين أو موليين ، فقلت في نفسي : شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ، أشهد لأعظنه ، فدنوت منه فسلمت عليه فسلم علي بُّهر (٣٦) وقد تصبب عرقاً ، فقلت : أصلحك الله ، شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال ، قال : فخلّى عن الغلامين من يده ، ثم تساند وقال : لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى أكف بها نفسي عنك وعن الناس ، وانما كنت اخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله ، فقلت : يرحمك الله اردت أن أعظك فوعظتني » (٣٧) .

إن اسامة لطويل الأمل :

روي أن اسامة بن زيد اشترى جارية بمائة ديناراً ، على أن يدفع ثمنها بعد شهر ، وعندما علم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك قال : «ألا تعجبون

(٣٥) وإن من شيء إلا عندنا خزائنه .

(٣٦) البهر بالضم انقطاع النفس من الاعياء .

(٣٧) البحار ٢٨٧/٤٦ .

من أسامة المشتري الى شهر ، إن أسامة لطويل الأمل » (٣٨) .

أي أن الانسان العاقل لا ينبغي أن يطمئن الى أنه سيكون حتماً بعد شهر في الدنيا ، وسيدفع هذا المبلغ . . . وعليه فليجتنب مهما امكن المعاملة او الموعد إذا استتبعاً مدة طويلة ، وإذا أراد أن ينجز شيئاً من هذا فليحتمل حلول الموت قبل ذلك . . . وليعين طريقة أداء دينه - إذا مات - ولا ينسى أن يوصي به .

وقد روي أنه بلغ أمير المؤمنين علياً عليه السلام عصر ذات يوم وصول مبلغ من المال لبيت مال المسلمين فأمر بتقسيمه بين المسلمين . . . وعندما طلب منه تأجيل ذلك الى اليوم التالي قال : أتضمنون بقائي حياً الى غد ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين الأمر بيد الله . . . قال إذن قسموه الآن . . . (٣٩) .

كيف يتحقق الحياء من الله :

عن ابي ذر رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا ذر أتحب أن تدخل الجنة قلت نعم فذاك أبي وأمي قال فاقصر من الأمل واجعل الموت نصب عينيك واستحي من الله حق الحياء قال : قلت : يا رسول الله كلنا نستحي من الله قال : ليس كذلك الحياء ولكن الحياء أن لا تنسى المقابر والبلى والجوف وما وعى (أي تحفظ البطن والفرج من الحرام والشبهة) والرأس وما حوى (أي تحفظ عينك واذنك ولسانك وخيالك من المعصية وتستعمل ذلك في الطاعة) ومن اراد كرامة الآخرة فليدع زينة الدنيا فإذا كنت كذلك اصبحت ولاية الله (٤٠) .

(٣٨) سفينة البحار ج ١ / ٣٠ والبحار ١٦٦ / ٧٣ .

(٣٩) لم أجد هذا النص وهو هنا بالمضمون .

(٤٠) عين الحياة للمجلسي (فارسي) ٢٩٥ / .

مواعظ :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا أبا ذر لو نظرت الى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره ، يا أبا ذر كن كأنك في الدنيا غريب أو كعابر سبيل ، وعد نفسك من أصحاب القبور ، يا أبا ذر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك » (٤١) .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي داوود عليه السلام عندما صدر منه « ترك الأولى » (٤٢) . . . بقي أربعين يوماً ساجداً يبكي ليله ونهاره ، ولا يقوم إلا وقت الصلاة حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه ، فلما كان بعد أربعين يوماً نودي : يا داوود ما لك أجائع أنت فنشبعك ، أظمان فنسقيك ، أم عريان فنكسوك ، أم خائف فتؤمنك ؟ فقال : يا رب كيف لا أخاف وقد عملت ما عملت ، وأنت الحكم العدل الذي لا يجوزك ظلم ظالم فأوحى الله عز وجل إليه تب يا داوود (.) فخرج داوود يمشي على قدميه ويقرأ الزبور ، وكان اذا قرأ الزبور لا يبقى حجر ولا شجر ولا جبل ولا طائر ولا سبع إلا يجاوبه ، حتى انتهى الى جبل وعليه نبي عابد يقال له حزقيل ، فلما سمع دوي الجبال ، وصوت السباع ، علم أنه داوود (. . .) فقال داوود : يا حزقيل أتأذن لي أن أصعد إليك قال : لا فإنك مذنب (. . .) فأوحى الله عز وجل الى حزقيل : لا تعير داوود بخطيئته وسلني العافية (فإن من وكلته الى نفسه يخطيء) فنزل حزقيل وأخذ بيد داوود وأصعده إليه فقال له داوود : يا حزقيل

(٤١) المصدر السابق .

(٤٢) حيث أن الانبياء (ع) معصومون فما ينسب إليهم من ذنوب هو ترك الأولى بمعنى أنهم تركوا ما كان . الاتيان به أولى إلا أنه ليس واجباً ولذا فتركه ليس حراماً .

هل هممت بخطيئة قط ؟ قال : لا قال : فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عز وجل ؟ قال : لا قال : فهل ركنت الى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهواتها ولذاتها ؟ قال : بلى ربما عرض ذلك بقلبي . قال : فما تصنع ؟ أدخل هذا الشعب^(٤٣) فاعتبر بما فيه ، قال : فدخل داوود عليه السلام الشعب فإذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية ، وعظام نخرة ، وإذا لوح من حديد وفيه مكتوب ، فقرأه داوود فإذا فيه : أنا أروي بن سلم ملكت ألف سنة وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف جارية ، وكان آخر أمري أن صار التراب فراشي والحجارة وسادي ، والحيات والديدان جيراني ، فمن يراني فلا يغتر بالدنيا^(٤٤) .

الهدف من نقل هذا الحديث أن يتنبه الانسان العاقل عند هيجان الشهوة والأهواء النفسية ويتحكم بها بواسطة تذكر الموت .

تقرير عن النار :

أورد في منازل الآخرة^(٤٥) بسند صحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال : قلت له يا بن رسول الله خوفني فإن قلبي قسى ، فقال : يا ابا محمد استعد للحياة الطويلة فإن جبرئيل جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وهو قاطب (أي عابس) وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً ، فقال : يا محمد قد وضعت منافخ النار ، فقال وما منافخ النار يا جبرئيل ؟ فقال : يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ، لو أن

(٤٣) الشعب (بالكسر) انفراج بين جبلين .

(٤٤) بحار الأنوار ج ١٤ / ٢١ - ٢٢ (بتصرف) .

(٤٥) للمحدث الجليل الشيخ عباس القمي - فارسي .

قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من ننتها ولو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها ، ولو أن سربالاً من سراويل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه ، قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل فبعث الله اليها ملكاً فقال لهما : إن ربكما يقرئكما السلام ويقول : قد أمتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل مبتسماً بعد ذلك ، ثم قال : إن أهل النار يعظمون النار وإن أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم ، وإن جهنم إذا دخلوها هبوا فيها مسيرة سبعين عاماً ، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأعيدوا في دركها فهذه حالهم ، وهو قول الله عز وجل : ﴿كَلِمَاتٍ أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ثم نبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم . قال أبو عبدالله عليه السلام : حسبك ؟ قلت : حسبي ، حسبي (٤٦) .

والهدف من نقل هذا الحديث أن يراقب القارئ العزيز قلبه . . . فإذا لاحظ فيه قسوة رجع الى الطيب الروحاني وحيث أن هذا العصر عصر الغيبة الكبرى وصاحب الزمان غائب عن الأنظار ولا سبيل للوصول اليه ثم إن المؤمن الكامل الذي يستطيع تشخيص مرض القلب ويحدد الدواء هو كالكبريت الأحمر ، إذن يجب الرجوع الى القرآن المجيد وكلمات أهل بيت الوحي عليهم السلام وهي بحمد الله في تناول الجميع ، فيجب الرجوع اليها او طلب شفاء القلب منها . .

بعض ما يلين القلب :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من انكر منكم قساوة قلبه فليدن يتيماً

(٤٦) بحار الأنوار ٢٨٠/٨ ، ومنازل الآخرة/ ١١٠ والاربعون حديثاً للإمام القائد رضوان الله عليه/ ١٤٦ وليلاحظ أن الحديث الوارد هنا بلفظ تفسير القمي .

فيلطفه ، وليمسح رأسه يلين قلبه بإذن الله عز وجل فإن لليتيم حقاً .

وروي انه قال : يقعده على خوانه (أي مائدته) ويمسح رأسه يلين قلبه (٤٧) .

وفي مشكاة الانوار للطبرسي أن رجلاً شكى الى النبي (ص) قساوة قلبه ، فقال « إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وأمسخ رأس اليتيم » (٤٨) .

وفي مكارم الأخلاق عن النبي صلى الله عليه وآله : شكى نبي من الانبياء الى الله عز وجل قساوة قلوب قومه فأوحى الله إليه وهو في مصلاه أن مرقومك أن يأكلوا العدس ، فإنه يرق القلب ويدمع العين . والأخبار في هذا المعنى كثيرة ويظهر أن المراد من العدس (. . .) الحمص ، والله العالم (٤٩) .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أحب أن يرق قلبه فليدمن من أكل البلس يعني التين » (٥٠) .

وفي الروايات مدح كثير لأكل خبز الشعير والخل والعنب الاسود والزيتون والرمان وأن أكلها يورث نورانية القلب وفيها كذلك ذم للاكثار من أكل اللحم ولمزيد الإطلاع يراجع كتاب الأطعمة والأشربة من وسائل الشيعة .
وعن الإمام الباقر عليه السلام في وصيته لجابر الجعفي : « وتعرض لرقعة القلب بكثرة الذكر في الخلوات » (٥١) .

(٤٧) من لا يحضره الفقيه .

(٤٨) دار السلام للنوري ١٤٩/٢ .

(٤٩) نفس المصدر وفي هامشه أن تفسير العدس بالحمص سببه ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن العدس « هو الذي تسمونه عندكم الحمص ونحن نسميه العدس » المحاسن ط طهران ج ٨/باب ٨٥ / ٥٠٥ .

(٥٠) سفينة البحار ج ٢/ ٤٤٢ .

(٥١) نفس المصدر/ ١٤٢ وقد تقدم شرح الحديث بتمامه في قسم العقائد (القسم الأول) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : « بياض القلب في أربع خصال :
في عيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وشراء اكفان الموتى ودفع القرض »^(٥٢)
وفي الختام يتم التذكير بمثل مثله بعض الحكماء ليتأمل القارئ العزيز فيه جيداً
ويبقى في ذهنه . . .

قال بلوهر : بلغنا أن رجلاً حمل عليه فيل مغتلم^(٥٣) فانطلق مولياً هارباً ،
واتبعه الفيل حتى غشيه فاضطره الى بثر فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على
شفير البثر ووقعت قدماه على رؤوس حيات ، فلما تبين له الغصنان فإذا في
أصلهما جردان يقرضان الغصنين ، أحدهما أبيض والآخر اسود ، فلما نظر الى
تحت قدميه ، فإذا رؤوس أربع أفاع قد طلعن من حجرهن فلما نظر الى قعر
البثر إذا بتنين فاغر فاه نحوه يريد التقامه ، فلما رفع رأسه الى أعلا الغصنين اذا
عليهما شيء من عسل النحل فذاق ذلك العسل فألهته لذة طعمه عن كل
شيء . . .

أما البثر فالدنيا مملوءة آفات وبلايا وشورور ، وأما الغصنان فالعمر وأما
الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الأجل وأما الأفاعي الأربعة فالأخلاق
الأربعة^(٥٤) التي هي السموم القاتلة من المرة والبلغم والريح والدم التي لا
يدري صاحبها متى تهيج به وأما التنين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الراصد
الطالب وأما العسل الذي اغتر به المغرور فما ينال الناس من لذة الدنيا
وشهواتها ونعيمها ودعتها من لذة المطعم والمشرب والشم واللمس والسمع

(٥٢) المصدر السابق/ ٤٤٢ دفع القرض يعني أداء الدين .

(٥٣) شديد الشهوة ، سكران .

(٥٤) يرى الطب القديم أن في البدن أربعة مواد (أخلاق) فإذا هاجت إحداها قتلت صاحبها
وأمرضته .

ذو القرنين والأمة العادلة :

جاء في بعض الآثار أن ذا القرنين بعد فتح المدن في الشرق والغرب انطلق أيضاً في المدن . . « فبينا هو يسير إذ وقع الى الأمة العالمة الذين منهم قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ، فوجد أمة مقسطة (أي عادلة) يقسمون بالسوية ، ويحكمون العدل ويتواسون ويتراحمون ، حالهم واحدة ، وكلمتهم واحدة ، وقلوبهم مؤتلفة ، وطريقتهم مستقيمة ، وسيرتهم جميلة ، وقبور موتاهم في أفنتهم وعلى ابواب دورهم ، ليس لبيوتهم ابواب ، وليس عليهم أمراء ، وليس بينهم قضاة ، وليس فيهم اغنياء ، ولا ملوك ولا اشراف ، ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون ، ولا يختلفون ولا يتنازعون ، ولا يستبون ولا يقتتلون ، ولا تصيهم الآفات ، فلما رأى ذلك من امرهم ملئ من عجبها فقال لهم : ايها القوم اخبروني خبركم ، فإني قد درت في الارض شرقها وغربها وبرها وبحرها ، وسهلها وجبلها ، ونورها وظلمتها ، فلم أرى مثلكم أخبروني ما بال قبوركم على أبواب أفنتكم ؟ قالوا فعلنا ذلك عمداً لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا ، قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب ؟ قالوا ليس فينا لص ولا خائن وليس فينا إلا أمين ، قال فما بالكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : إنا لا نتظالم ، قال فما بالكم ليس عليكم حكام ؟ (قضاة) قالوا : إنا لا نختصم قال فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لأننا لا نتكاثر ، قال فما بالكم ليس فيكم أشراف ؟ قالوا : لأننا لا نتنافس ، قال فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون ؟ قالوا : من قبل أنا (أي لأننا) متواسون ، متراحمون ، قال : فما بالكم لا تتنازعون ولا تختصمون ؟ قالوا : من قبل الفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا ، قال فما بالكم لا

تستبّون ولا تقتلون ؟ قالوا : من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم ، وسننا أنفسنا بالحلم ، قال فما بالكم كلمتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة ؟ قالوا : من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً قال فأخبروني لم ليس فيكم فقير ولا مسكين ؟ قالوا : من قبل أنا نقسم بالسوية قال : فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذل والتواضع ، قال : فلم جعلكم الله أطول الناس أعماراً ؟ قالوا : من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل ، قال فما بالكم لا تحفظون ؟ قالوا : من قبل أنا لا نغفل عن الاستغفار قال فما بالكم لا تحزنون ؟ قالوا من قبل أن وطننا أنفسنا على البلاء وحرصنا عليه فعزينا أنفسنا ، قال : فما بالكم لا تصيبكم الآفات ؟ قالوا : من قبل أنا لا نتوكل على غير الله ولا نستمطر بالأنواء والنجوم » (٥٦) .

والهدف من نقل هذه القصة أن هؤلاء القوم السعداء كيف جعلوا قبور موتاهم على أبواب بيوتهم كي لا يغفلوا عن ذكر موتاهم عند الخروج من البيوت وعند الدخول إليها وبذلك تلين قلوبهم وتقل آمالهم ويوفقون لكل خير .

إنه ترابي وترابك هذا الذي يأخذه ريح الشمال يميناً وشمالاً (٥٧) .

ما لك في الخيمة مستلقياً قد نهض القوم وشدوا الرحال

(٥٦) بحار الأنوار/ ١٢/ ١٩٢- ١٩٣ وكشف الأسرار فارسي- تفسير سورة الكهف والأنواء ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها ومنه قوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل » يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت في الشرق (.) وكانت العرب تزعم أنه مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها ينزل المطر وينسبونه إليها فيقولون مُطَرْنَا بنوء كذا وإنما سمي بنوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق أي نهض وطلع » نفس المصدر/ ١٧٧ .

(٥٧) هذا الشعر في الأصل ملّمع أي بيت فارسي وبيت عربي ولذلك فهو هنا بيت مترجم نثراً وآخر كما هو .

وانقضى العمر حسرات فلا تصرفن باقيه على المحال .
قد وعى المسلك يا ذا الفتن أفلح من هبأ زاد المال
كفى ففي حزن اللحد يمر عليّ وعليك اليوم والليله والشهر والسنة .

لا تك تغتر بمعمورة يعقبها الهدم أو الانتقال
لو كان الانسان كأس جم^(٥٨) فإن حجر الاجل يكسره كالفخار
لو كشف التربة عن بدرهم لم ترَ الا كدقيق الهلال
كفى . . . فالممزق في هذا التراب وجوه الجيدين البديعة
الجمال .

اندرس الرسم بطول الزمان وانتخر العظم بطول الليال
يا من أظلم باطنك بالذنب أخشى عليك أن لا تقبل المرآة الصقال
(الصقل).

ما لك تعصي ومنادي القبول من قبل الحق ينادي تعال
« يا ذا القلب الحي ألا تعلم من هو الميت ذلك الذي ليس له بالله
اشتغال » .

عزّ كريم أحد لا يزول جل قديم صمد لا يزال
وفي نهاية بحث القسوة ، ويهدف تتميم البحث يتم التذكير باختصار
بمسائر الأمور التي عدت في الروايات من اسباب القسوة :

١ - هم الدنيا :

المبتلى بتجرع الغصص والحزين لأنه بدل أن يصل الى آماله الدنيوية
يواجه الصعوبات والمشاكل - اذا استقر هذا الحزن في قلبه وثبت فإنه يبتلى

(٥٨) جم مخفف جمشيد ملك إيراني وكأسه بحسب قصص الأدب الفارسي كانت ترى منه
الدنيا ، أو رسمت عليه خارطة العالم ويقال له بالفارسية (جام جم) (فرهنگ عميد) .

بقسوة القلب يقول أمير المؤمنين عليه السلام : تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فإنه من كانت الدنيا همّه قسى قلبه وكان فقره بين عينيه^(٥٩) .

٢ - كثرة هم القوت :

كثرة تجرع الفصة للرزق ، كثرة الحزن على وسائل الحياة الدنيوية تورث القسوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام :

قال الصادق عليه السلام : « من اهتم لرزقه كتب عليه خطيئة »^(٦٠) . لأن غصته لذلك شاهد عدم قبوله الوعد الإلهي بإيصال الرزق الى جميع المخلوقين .

٣ - خفق النعال :

من كان له أتباع . . . وهو يسير امامهم ويرضى باتباعهم له . . . سيبتلى بقسوة القلب ، قال : أمير المؤمنين عليه السلام : « ما أرى شيئاً أضر بقلوب الرجال من خفق النعال »^(٦١) وقال الصادق عليه السلام : « فوالله ما خفقت لنعال خلف الرجل إلا هلك وأهلك »^(٦٢) .

٤ - الضحك :

كثرة الضحك تورث القسوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر ، وفي حديث آخر أنها تميت القلب ، وفي حديث آخر أنها تمحو الإيمان ، وقال الإمام الباقر عليه السلام : إذا قهقهت فقل حين تفرغ : اللهم لا

(٥٩) لآلئ الأخبار .

(٦٠) سفينة البحار ج ١ / ٥١٩ .

(٦١) لآلئ الأخبار .

(٦٢) أصول الكافي - باب حب الرئاسة .

٥ - اهالة التراب في قبر الرحم :

روي في الكافي والتهذيب عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : أنهاكم أن تطرحوا التراب على ذوي ارحامكم فإن ذلك يورث القسوة في القلب ومن قسى قلبه بعد عن ربه (٦٤) .

٦ - ترك مجالسة العلماء :

من ترك مجلس العالم الرباني التي تذكر رؤيته بالله والأخرة . . . ويزيد كلامه في ايمان جليسه وعمله . . . وترغب أفعاله بالعمل الصالح . . . فسيبتلى قهراً بالجهل والغفلة وذلك يقسي القلب . . . ويجعله مورداً للخذلان الإلهي (٦٥) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا أتى على المؤمن أربعون صباحاً ، ولم يجالس العلماء قسى قلبه وجرؤ على الكبائر (٦٦) .

ولعلاج القسوة تأمل في هذه القصص القصيرة :

١ - يعظ نفسه بالمرض والموت . . .

جاء في سيرة أحد أهل المراقبة أنه كان يذهب كل يوم - وقبل الذهاب الى

(٦٣) وسائل الشيعة/٥/٤٧٩ والأحاديث المشار إليها هي قال النبي (ص) : كثرة الضحك يقسي القلب ، وقال صلى الله عليه وآله : إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ، وقال الصادق عليه السلام : كثرة الضحك يمحو الايمان ، ووسائل الشيعة كتاب الحج/باب ٨١ .

(٦٤) التهذيب - كتاب الطهارة (٧٨) .

(٦٥) أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني - دعاء ابي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد (ع) .

(٦٦) لآلئ الأخبار باب ١ / لؤلؤ ٢ .

عمله - الى ثلاثة أماكن :

الأول: يعود مريضاً او يذهب الى المستشفى ويخاطب نفسه : اسعي أن تعلمي عمل خير قبل أن تصبحي مثل هذا المريض أسيرة سرير المرض ولا يعود باستطاعتك فعل شيء .

الثاني : كان يذهب الى المقبرة او يشترك في تشييع جنازة أو يزور قبر مؤمن ويقول لنفسه : ما دمت قادرة فافعلي شيئاً قبل العجز عن أي عمل .

الثالث : كان يذهب الى مكان جمع فيه بعض الجناة والخونة أو سجنوا ويقول لنفسه : لو أن الله لم يمن عليك بعفة النفس ولم تتركي بتأييده الذنب كنت ابتليت بمثل هذا .

٢ - بنار الدنيا يتذكر جهنم :

جاء في سيرة المرحوم الشيخ مهدي المازندراني أنه كان اذا أحس في نفسه بقسوة قلب . . . اصطحب ابنه وخادمه الى صحراء ليس فيها أحد فيجمعون حطباً كثيراً وأشواكاً . . . ثم يشعلونها . . . ويقول لابنه : يجب أن لا تراعي حق الابوة ابداً بل تمسك بنصف لحيتي ويمسك الخادم بنصفها الآخر وتسحباني نحو هذه النار كمجرم يستحق الإلقاء فيها . . . وتوصلاني الى حيث تصلني حرارتها وأتذكر موقف الحساب في القيامة وطرد المذنبين وسحبهم الى جهنم . . . ويعلمهما ما ينبغي أن يقولوا له ومنه : هذه النار التي اشعلتها انت بيدك .

٣ - التمرين على القبر :

جاء في سيرة الربيع بن خثيم وغيره أنه حفر في بيته قبراً . . . وكان إذا أحس في نفسه قسوة نام فيه مردداً « ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما

تركت ثم يبكي ويقول : يا ربيع ما لم يقل لك «كلا» (٦٧) فانهض واستعد للآخرة» (٦٨) .

٤ - يا نفس ذوقي :

في أمالي الصدوق : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة ، وبطنه مرة ، وجبهته مرة ، ويقول : يا نفس ذوقي فما عند الله عز وجل اعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر الى ما يصنع ، ثم إن الرجل لبس ثيابه ثم أقبل فأوماً إليه النبي صلى الله عليه وآله بيده ودعاه فقال له : يا عبدالله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت ؟ فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله عز وجل وقلت لنفسي : يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي صلى الله عليه وآله : لقد خفت ربك حق مخافته فإن ربك ليباهي بك اهل السماء ، ثم قال لأصحابه : يا معاشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعوا لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال لهم : اللهم اجمع أمرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا (٦٩) .



(٦٧) إشارة الى قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرِثَهُمْ يَبِزْزِخْ إِلَى يَوْمِ يَعْتُونَ﴾ .

(٦٨) تجد نبذة من احوال الربيع بن الخثيم في سفينة البحار (ربيع) والنص هنا بالمضمون .
(٦٩) البحار / ٧٠ / ٣٧٨ .

٢ - و٣ الربا، والسمة

من جملة الأمراض النفسية والذنوب القلبية الرياء ، والتوبة منه وتطهير القلب من تلوثه واجب ، وما لم يسلم القلب الانساني من هذا المرض لا سبيل له الى دار السلام (الجنة) . . . إذن تجب معرفة معنى الرياء وحقيقته وطريقة علاجه .

في بحث الشرك من كتاب « الذنوب الكبيرة » ذكر معنى الرياء وحرمة العمل الواقع رياءً وكون ذلك من الكبائر وسيباً لبطلان العمل . . . ويضاف هنا أن الرياء في حد ذاته ويقطع النظر عن العمل الصادر عنه هو مرض نفسي وذنب قلبي ، ولأن الرياء القلبي حرام فإن العمل الريائي كذلك حرام ، وبعبارة ثانية سبب حرمة العمل الريائي هو حرمة الرياء القلبي .

ولذلك يجب ايضاح حقيقة الرياء ثم ايضاح كونه مرضاً قلبياً وحرمة .

حقيقة الرياء :

إذا كان القصد الباطني لشخص هو أن يحصل بواسطة اداء عبادة من الواجبات او المستحبات البدنية أو المالية . كالصلاة الصوم ، الحج ، الزكاة ، الخمس ، الانفاق المستحب - على وجهة واعتبار لدى الناس ليعتقد الناس أنه

سليم ومتدين ، ويكون ذلك طريقة الى مقاصده الدنيوية المشؤومة من زيادة الثروة ، والمقام ، والمنصب ، فإن قصده وميله القلبي هذا رياء . . . ورغم أن هذا المثال كاف لإيضاح الرياء . . . فنظراً لأن معرفته ضرورية جداً ، تذكر عدة أمثلة لمزيد من الايضاح : من كان هدفه الباطني الثروة والمنصب والرئاسة والشهوات الدنيوية . . . وهو يرى أن أداء العبادات واعمال الخير في العلن وسيلة للوصول الى امنياته . . . هذا الشخص مبتلى بالرياء القلبي . . . وكل عبادة يؤديها فحيث أن المحرك والداعي لها هو ذلك الهدف النفساني فتلك العبادة عمل حرام وباطل وإن قال بلسانه أو أخطر في ذهنه أنه يأتي بها « قربة الى الله » .

ابن زياد والحجاج ايضاً كانا يصليان :

مثلاً ابن زياد الملعون الذي لم يكن له هدف غير الشهوة والرئاسة والتقرب الى يزيد للوصول الى أهدافه الى حد أنه ارتكب أكبر جناية أي قتل ابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأسر ذريته . . . ابن زياد هذا كان يؤم المصلين في هذا المسجد الجامع في الكوفة . . . ويوم الجمعة يصعد المنبر ويعظ الناس ويصلي صلاة الجمعة .

ولا شك في أن أعماله هذه كانت بهدف اظهار أنه مسلم وتثبيت حكمه على المسلمين . . . واسوأ منه الحجاج الملعون الذي كان ايضاً يصلي في هذا المسجد ويلقي ايام الجمع خطباً نارية ويخوف الناس من العذاب الإلهي في حين كان في سجنه ثلاثون ألف بريئاً يواجهون أسوأ اساليب التنكيل وكان ذنب اكثرهم حب علي بن أبي طالب عليه السلام .

مثل هذا الملعون الذي كان يقول : لا لذة لدي تشبه لذة قتل انسان أمامي وتخبطه بدمه . . . كانت أعماله الظاهرية رياءً قلبياً . . . وكل عبادته لم تكن إلا مراعاة وإن قال بلسانه « قربة الى الله » فهو في الحقيقة يريد أن يتقرب

الى تلك الأهواء النفسية والآمال الشيطانية .

حب الشهرة سبب الرياء :

وكذلك من كان هدفه الباطني الشهرة . . . أي يريد أن يجري اسمه على الألسن ، وتجري الأقلام بمدحه والثناء عليه . . ويصرف - انطلاقاً من هذا الهدف - ماله في العلن في مصرفه الواجب أو المستحب من الأمور الخيرية . شخص مثل هذا هو من أهل الرياء وانفاقه مهما كان ، حرام وباطل ورياء . . . وإن قال بلسانه أو استحضر في ذهنه « قربة الى الله » . . .

إن انفاقه هذا وسيلة تقربه من هواه النفسي الذي هو الشهرة . ولا يقربه من الله . . . أي أن عمله لا قيمة له عند الله . دافع الشهرة الذي يحمل صاحبه على جعل العبادات وفعل الخير وسيلة للوصول الى الشهرة . . . هو في نفس الانسان من القوة بحيث أن الانسان يسعى الى شهرته حتى بعد الموت . . . وللوصول الى ذلك يبني مؤسسة « خيرية ! » ويحفر اسمه عليها . . . أو يؤلف كتاباً ويدون اسمه . . . غافلاً عن ان الشهرة بعد الموت والثناء والمدح لا ينفعه لا دنيا ولا آخرة . . .

أما دنيا فلأنه ليس موجوداً في عالم المادة هذا . . . والبدن الذي هو مركبه ووسيلته اصبح في التراب وأما آخرة فلأن التعارفات والمدح والثناء المتبادل ليس له فائدة إلا التسلية المؤقتة بالموهومات . . . وليس له أي أثر في عالم المعنى والحقيقة .

نعم اذا كان الشخص موقناً بالآخرة خائفاً حق الخوف من عقبات ما بعد الموت ويؤسس عملاً خيرياً ويسجل اسمه عليه أو يؤلف كتاباً ويكتب اسمه عليه على أمل أن يأتي بعده صاحب قلب (حي) فينتفع بذلك ويذكره ويطلب من الله تعالى نجاته بصدق وجد فذلك جيد جداً . . . إلا أن تحقق هذه النية صعب جداً وغالباً ما يشتبه الأمر أي أن القصد الحقيقي هو الشهرة وما يُقال (من

الاخلاص) ليس إلا شيئاً يقال أو يخطر بالبال تطميناً للوجدان فقط . . .
من هنا قال الإمام الصادق عليه السلام : إن الشرك أخفى من دبيب
النمل^(١) .

بيتي . . . أم بيت الله :

يقال إن هارون الرشيد بنى مسجداً في بغداد ووضع اسمه عليه ، وذات
يوم ذهب لزيارة ذلك المسجد . . . فجاء « بهلول » وقال : ماذا بنيت؟ قال :
بنيت بيت الله قال بهلول : مرهم يمحو اسمك ويكتبوا اسمي بدلاً منه فغضب
الخليفة وقال انا بنيته وأكتب عليه اسمك ؟ قال بهلول : فلم تقول : بيت الله
قل : بيتي . . .

اي البناء الذي بنيته لشهرتك الشخصية ، من الخطأ أن تسميه بيت الله ،
لأن ليس لله .

وكذلك من كان قصده الباطني إظهار نفسه وكمال ترويجها والتظاهر
وزيادة الاتباع والأنصار . . . وبهذا الدافع يتصدى لتدريس العلوم الدينية أو
يرتقي المنبر أو ينصرف الى التحقيق في المجالات الدينية ، أو يؤلف كتاباً أو
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنه مرء والمراثي معذب وإن قال بلسانه أو
خطر على قلبه اني أقوم بهذه الاعمال لله وتقرباً إليه وتحصيلاً لرضاه . . . ذلك
لأن جميع هذه الأعمال ، التي هي في الظاهر عبادة واطاعة لأمر الله ، هي
تقرب الى الشيطان لأنه آداها بدافع هواه النفسي للحصول على رضا الخلق لا
الخالق والعجيب أنه مسرور بهذا الرياء والمعصية الكبيرة .

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ الكهف ١٠٤ .

وعلاوة رياء مثل هذا الشخص حالته عندما يقل اتباعه . . . او ينصرفون

(١) سفينة البحار ١/ ٦٩٧ .

الى شخص آخر ويشتركون في درس آخر ويصغون الى مدرس آخر . . .
ويمدحون غيره ويصبحون من المشتركين في مجلس درسه فإذا تألم فليعلم أن
السبب هو أنه لم يحقق رغبته النفسانية وحرّم من النتيجة التي كان يريدّها عن
طريق الرياء ولذا تألم . . .

مما تقدم علم أن حقيقة الرياء هي ارادة المنزلة والاعتبار والوجاهة لدى
الناس بواسطة اداء عبادة ، وبعبارة أخرى : الرياء طلب التقرب الى الخلق
بالعمل العبادي كما أن الخلوّص (الاخلاص) طلب التقرب الى الخالق
وحسب .

المقدمات ليست اختيارية :

وعلم أيضاً أن النية في العبادة ليست أن يقول أحدنا باللسان أو يمرّ في
خاطره أنني أقوم بهذا العمل قربة الى الله فقط ، بل النية في العبادة هي أن يؤدي
العمل للتقرب إلى الله .

توضيح ذلك : أن كل فعل اختياري يصدر من الانسان فقبل كل شيء
يستقر في قلبه الميل والرغبة والإرادة لذلك الشيء باعتبار المنفعة الحاصلة
منه . . . ثم وللوصول الى تلك المنفعة يريد أن يأتي بذلك العمل . . . مثلاً
العطشان يستقر في قلبه الميل الى شرب الماء لأن منفعة زوال العطش تتحقق
بشربة . . . وعندما يستقر في قلبه الميل الى شرب الماء تتحقق فيه فوراً الإرادة
لتناول إناء الماء . . فيتناوله مباشرة ويشربه .

في مثل هذا المثال رفع العطش هو الغرض (الهدف) والداعي والمحرك
للإرادة ، وبعبارة أخرى : صدور الفعل الاختياري بدون ميل وإرادة محال ، أي
أن حركة البدن لأداء أي عمل تتوقف على الميل . . . لأن حصول الإرادة
العملية بدون ميل ورغبة مستحيل أي يجب أن تتحقق في قلبه ارادة عمل
ما لتتحقق فيه إرادة القيام بذلك العمل . . . وتحقق الإرادة والميل بدون إرادة

النفع أيضاً محال اي لا بد وان يكون الشخص طالباً لنفع عمل ما . . . عندها تتحقق فيه ارادة القيام بهذا العمل ثم تتحقق فيه ارادة نهائية تتصل بالتنفيذ . . . هذه هي حقيقة النية .

والآن نقول : عندما يكون في قلب المؤمن ميل الى القرب من الله تعالى أو الوصول الى الثواب أو النجاة من العذاب في الآخرة أو الحصول على رضا الله أو اطاعة أمره (مثلاً بذل المقدار الفلاني من ماله فيما أمر الله به) - عندما يكون في قلب المؤمن ذلك - ثم أراد القيام بهذه العبادة وقام بها فهذه عبادة بقصد القربة واخلاص . .

اما اذا كان في قلبه ميل للشهرة ومدح الناس بحيث أنه اراد ذلك ورأى أن الوصول إليه يتم ببذل المبلغ والمقدار الفلاني من ماله في مورد خيري . . . ثم أراد وانفق فهذا العمل ريائي وشيطاني حتى اذا خطر على قلبه حين الانفاق ما مؤداه : أنفق من اجل رضا الله .

يعيد صلاة ثلاثين سنة :

صلى أحد العباد ثلاثين سنة جماعة في الصف الأول . . . وذات يوم لم يتمكن من الحضور مبكراً . . . وعندما وصل وجد أن شخصاً غيره يصلي في المكان الذي كان يقف فيه للصلاة . . . فاضطر للوقوف في آخر صفوف الصلاة . . . وعندما انتهى الناس من صلاتهم ورأوه ، خجل وتألم لأن الناس يرونه واقفاً في آخر صف .

وهكذا ادرك أن صلاته طيلة ثلاثين سنة كانت ملوثة بالرياء . . . وقد كان هدفه الباطني هو أن يراه الناس دائماً في الصف الأول فيمدحونه على ذلك ، فأعاد صلاة هذه الثلاثين سنة . . .

وحقاً . . لقد ادركه لطف . . . فأدرك خراب عمله وفساده قبل الموت . . .

ومن الجدير بالذكر أن ما تقدم هو بيان لواقعية النية وحصولها . . . ويجب العلم أن النية لا تتحقق بالتصنع والتكلف لاحتاج في تحققها الى مقدار من الزمان . . بل قد تتحقق في أسرع من لمح البصر . . أي يحصل الميل وتحصل الإرادة . . فإذا كان هذا الميل رحمانياً فقد عبد . . وإذا كان شيطانياً فقد عصى . . والسبب في أن بعض الناس يتلون بالوسوسة في النية هو فهمهم الخاطئ الذي يتصورون على اساسه أن النية تصنع أي يتم انتاجها واخراجها عبر الاستحضار في الذهن . . وقد فهم مما تقدم أن الإخطار في الذهن والاحضار في الخاطر ليس نية وليس له أي أثر في صحة العمل وعدم صحته . . الى حد أنه اذا بدأ شخص بعمل بداع إلهي ثم خطرت له في الاثناء خاطرة شيطانية مثل أن الناس سيروني ويمدحوني فإن هذه الخاطرة اذا لم تؤثر في قلبه أي لم تتحول الى داعٍ ومحرك ومرت بسرعة ولم تستقر . . لا يترتب عليها أي ضرر ، خصوصاً اذا تنفر من هذه الخاطرة وأدرك أنها شيطانية . . نعم اذا تحولت الى « داعٍ » يدعو للقيام بهذا العمل فهي مبطله للعمل .

لا بد من تصحيح النية :

الآن وقد اتضح أن صحة العمل وعدم صحته وجماله وقبحه مرتبط ارتباطاً تاماً بالنية . . فقد اتضح أن اهم الواجبات تصحيح النية بأن يسعى الانسان لتكون ميوله ورغباته رحمانية والطريق الى ذلك عبر تقوية الايمان ، وإذا وجدت في قلبه رغبة شيطانية فلا يتبعها وليتجاوزها بنور الايمان حتى لا تتحقق منه ارادة العمل للوصول إليها .

ومن هنا قال تعالى في القرآن المجيد ﴿لِيُبلوكم ايكم احسن عملاً﴾ الملك ٢ ولم يقل أيكم اكثر عملاً لأن ميزان الثواب والدرجات حسن العمل من حيث توفر شرائط الصحة والقبول فيه لا مجرد الكثرة حتى مع الفساد .

الرياء هو مرض القلب :

ذكر في مقدمة الكتاب أن مرض الجسد هو أن عضواً منه خلق لخاصية يصبح بحيث لا تتحقق منه تلك الخاصية مثلاً : سلامة العين في رؤية الاشكال والألوان وتشخيصها الى حدود معينة ، ومرضها في عدم رؤية ذلك بمراتب مختلفة تصل الى مرتبة العمى . . . كذلك القلب الانساني الذي خلقه الله فإن من جملة خواصه رؤية الواقعيات وحقائق الاشياء ، والتمييز بين الحق والباطل والميل الى الحق ، مثلاً : العين الظاهرية (الحيوانية) ترى ظواهر الحياة المادية وزينتها وبهارجها ، عين القلب الانساني ترى بسرعة زوال هذه الظواهر وعدم بقائها وتقلب حالاتها والآلام والمتاعب التي هي من لوازمها . . . كما ترى بطلان الحياة المادية وحقيقة وثبات الحياة الروحانية وعالم ما بعد الموت ، وكذلك حقانية الخالق وأن جميع أجزاء عالم الخلقة مرتبطة به ، الى حد اليقين بأنه ما من ورقة شجرة تسقط بدون اذن الله وارادته والى حد ثبوت بطلان المخلوقات إذ ليس لها من نفسها أي استقلال بحيث انها وحدها لا تستطيع أن تخطو خطوة ، او تتلفظ بكلمة ، أو ترد اليها طرفها . . .

مما تقدم يعلم جيداً مرض القلب المرائي . . . لأنه اذا كانت الرغبة القلبية لشخص هي الشهرة بين الناس ومدحهم له وثناؤهم عليه والوجاهة لديهم . . فإن ذلك يكشف أن عين قلبه عمياء ولذلك لم يرَ عدم قيمة هذه الامور (الشهرة ، ومدح الناس الخ) وعدم اعتبارها ولذلك ارادها . . . ولم يدرك كذلك ثبات وعظمة وقيمة الحياة الآخرة ولذلك فقد من قلبه الميل والامنية والرغبة الأخروية . . وكذلك لم ترَ عين قلبه أن المخلوق لا يستطيع فعل شيء ، ولو أن كل الناس اجتمعوا لإعزاز شخص أو انقاذه من شدة فمّن المستحيل أن يتمكنوا من تحقيق أي شيء اذا لم يرد الله ذلك واذا ارادوا إذلال احد فإنهم لا يستطيعون ذلك ما لم يرده الله . . .

إن عين قلب مثل هذا الشخص لم ترَ بعد . . .

إنه أيضاً مثلك مسكين وعاجز :

هذا البشر الذي تؤدي عبادة للتقرب إليه ، وتحتمل التعب والمشقة من أجل ذلك هو تلك القبضة من التراب التي جعلتها يد القدرة الإلهية عالماً ، قادراً ، بصيراً . . وطبعاً على نحو العارية (الاستعارة) وبشكل مؤقت . . وسرعان ما يرجع الى حالته الأولى . . .

هل يرى القلب الإنساني السليم أن من المناسب الخضوع والذلة في مقابل بشر عاجز ذليل مثله ويؤدي عبادة بهدف الحصول على رضاه والوصول الى الهدف الشيطاني والمنفعة الدنيوية الموهومة . . ويرم هذه المعاملة التي يجب أن يكون طرفها الآخر هو الله - مع مخلوق عاجز . . .

طبعاً - مثل هذا الشخص مبتلى بمرض القلب ، وعمى عين البصيرة والانحراف عن الفطرة الأولى .

إن من لا يرى الله تعالى حاضراً في كل مكان ومحيطاً بكل شيء وسيداً وسلطاناً مطلقاً ، ويرى فقط المخلوق المقهور التي تراه عين ظاهره . . . هو أعمى القلب الذي يقول عنه في القرآن المجيد : ﴿أفلم يسيروا في الأرض ﴾ حتى يعرفوا الله من خلال رؤية دلائل القدرة والحكمة ويتعظوا بزوال الدنيا وفنائها ولا تطمئن قلوبهم بها ، ويدركوا من خلال حالات الماضين ذلة البشر ومقهوريتهم لله ويخافوا الله وحده ويلجؤوا إليه (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج ٤٦ .

أي أنهم إذا كانوا لا يرون آيات الله ولا يعتبرون بأحوال الماضين فليس السبب عمى عيونهم بل عمى عيون قلوبهم .

حرمة الرياء :

ذُكرت في كتاب الذنوب الكبيرة بعض الآيات والروايات حول كون ذنب الرياء من الكبائر ويشار هنا الى قسم اخر منها قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ ﴾ (انفاقاتكم الحالية في سبيل الخير) بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان (حجر أملس) عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴿ البقرة ٢٦٤ ﴾ وخلاصة معنى المثل أن حال المرائي في العمل الريائي وحال جزائه مثل حال حجر أملس غطاه التراب وتساقط عليه مطر غزير . . . هذا المطر هو سبب خروج النبات . . ولكن التراب على هذا الصخر يتفرق ويزول . . . والصخر لا يمكنه جذب الماء واحتضان البذرة . . إذن التراب والماء وإن كانا من اسباب نمو النبات ولكن حيث انهما وقعا على صخر أملس والمحل لا قابلية فيه فإنه لا ينتج النتيجة المطلوبة . . . حال المرائي أيضاً كذلك . . . والانفاق وإن كان من أسباب الاجر والثواب ولكن عندما لا يكون هدف المتفق هو الله فلا ثواب على عمله لأنه لا استعداد له ولا قابلية فيه لذلك وقلبه ليس أهلاً للرحمة والكرامة . . وبعبارة أخرى : إنه لم يقم بالعمل لله ليتوقع الثواب منه .

بعد التأمل في هذه الآية الشريفة يعلم جيداً أن العمل الريائي مبغوض لله وحرام وفاسد وباطل وإذا كان عملاً واجباً كالصلاة والصوم والحج والصدقات (الواجبة) فإن إعادته واجبة .

ثم إن الآية الشريفة صريحة في أن المرائي ليس مؤمناً بالله ويوم الجزاء . . . لأنه لو كان يرى أن الله حاضر وناظر ويعتقد بما وعد سبحانه من الثواب الكبير على الانفاق في الدنيا والآخرة لكان بطبيعة الحال انفق لله واختار

الثواب الاخروي . . . ولم يتملق ويرائي في الاتفاق ولعل المراد من جملة ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ هو أن المرائي حين يكون الرياء في قلبه فلا إيمان بالله واليوم الآخر في قلبه . . . بناءً عليه من الممكن أن يكون في قلبه اخلاص عند القيام بعمل آخر كالصلاة وعندها يكون في قلبه حتماً إيمان بالله واليوم الآخر .
والخلاصة : لا شك في أن الرياء شكر خفي وكفر حقيقي .

من عمل للناس فتثابه على الناس :

قال الإمام الصادق عليه السلام لعباد بن كثير : ويلك يا عبّاد ، أيّاك والرياء ، فإنه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له^(٢) .
وقال أيضاً : كل رياء شرك ، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله^(٣) .
وقال ايضاً : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الملك ليصعد بعمل العبد متهجأ به ، فإذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين ، إنه ليس إياي اراد بها^(٤)

علامات المرائي :

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : ثلاث علامات للمرائي ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده ، ويحب أن يحمد في جميع أموره^(٥) يجب العلم أن هذه العلامات الثلاث هي بناءً على الغالب أي غالباً ما تكون هذه العلامات في المرّئين ومن الممكن أن تكون إحدى هذه العلامات في الشخص ولا يكون مرّائياً كما اذا كان في الوحدة لا يرغب في العبادة . . . فإذا دخل الى محفل ورأى أن الجميع مشغولون بالعبادة والمناجاة فرغب العبادة حقيقة وشارك

(٢و٣) أصول الكافي - كتاب الايمان والكفر - الرياء .

(٤ ، ٥) المصدر السابق .

فيها . . . أو رأى ان جمعاً يشتركون في عمل خير فشارك فيه برغبة حقيقية . . .
وشرط عدم كون عمله رياءً أن يكون وجود الناس وعدمهم لديه سواء ولا يكون
هدفه أن يمدحه الناس على تلك العبادة . . وإلا كان عمله رياءً .

وروي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام : يقول الله عز وجل أنا خير
شريك ، من أشرك معي غيري في عمل عمله ، لم أقبله إلا ما كان لي
خالصاً^(٦)

ويقول عليه السلام أيضاً : من ظهر للناس ما يحب الله وبارز الله بما كرهه
لقي الله وهو مائت له^(٧) .

وروي عنه عليه السلام كذلك : ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسر
سيئاً ، أليس يرجع الى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول ﴿بل
الإنسان على نفسه بصيرة﴾ إن السريرة اذا صحت قويت العلانية^(٨) .

وخلاصة معنى الحديث : ما يصنع أحدكم حين يؤدي في الظاهر عبادة
وهو يبطن نية سيئة وقبيحة هلا رجع الى وجدانه ليعلم أن عمله هذا ليس عبادة
لله . . . فالله تعالى يقول : بل الإنسان على نفسه بصيرة . . . حقاً اذا صحت
النية أي صارت إلهية صلح الظاهر وقوي ولا تبقى حاجة للتصنع والتظاهر . . .
بل يصبح الظاهر في كمال الصلاح وترتاح اليه القلوب .

انتشار الرياء في آخر الزمان :

وروي عنه عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيأتي
على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا
يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء ولا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب

(٦ و٧) نفس المصدر السابق .

(٨) المصدر السابق .

فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم^(٩) .

قال العلامة المجلسي رحمه الله : ولا يبعد أن يكون العقاب اشارة الى غيبة الإمام (المنتظر) عليه السلام^(١٠) وحقاً . . . فإن كل المصائب التي تحل بالشيعه بل بعموم المسلمين ناتجة عن عدم وجوده سلام الله عليه بين الناس .

السمعة :

في قسم من الروايات وكذلك في كلمات الفقهاء ، ذكرت السمعة مع الرياء والمراد بالسمعة هو أن الشخص الذي يؤدي عملاً ما ونيته أن يسمع الناس . . . وبذلك يصبح وجيهاً عندهم . . . وهذا من انواع الرياء لأن من كان قصده التقرب الى الخلق وارضاءهم . . . ويؤدي بهذه النية عملاً . . . فهو مرأى ، سواء ادى ذلك العمل أمام الناس ليروه أو يسمعوه ، أو أخبر الناس به مباشرة او بواسطة شخص آخر يقول تعالى في القرآن المجيد ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو اعلم بمن اتقى﴾ النجم ٣٢ أي لا تمدحوا أنفسكم ولا يقولن أحدكم انا منزه من كل ذنب ودنس ، أنا صاحب فضيلة وتقوى ، أنا من اهل العبادة ، فعلت كذا وكذا . . . لم أرَ احداً مثلي ، لقد اديت عملاً عظيماً ، أنا لا أعرف الحسد والبخل والتكبر ، انا أتحلّى بالسخاء ، الشجاعة ، الاخلاص وغير ذلك من اشباه هذه الأراجيز والأكاذيب النفسية فالله تعالى يعرف أفضل من الجميع من هو المتقي ومن هو المخلص .

في تفسير الصافي عن الإمام الباقر عليه السلام : « لا يفخر أحدكم بكثرة

(٩) نفس المصدر السابق .

(١٠) مرآة العقول - ١١٣/١٠ والظاهر أن سبب استنتاجه ذلك رحمه الله أن من ادعية زمن الغيبة دعاء الغريق الذي تقدمت الإشارة اليه في الجزء الأول وقد رواه الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كمال الدين/ ٣٤٩ .

صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأن الله عز وجل أعلم بمن اتقى .

« الافضل هو من اذا كان في باطنه جوهرة فهو يخفيها كما يخفي الصدف جواهره » .

« إن لم يكن لديك مسك خالص فلا تدّعه وإذا كان لديك فإن عطره يتضوع ويفرح تلقائياً » .

« لا تضع ماء الذهب ايها العزيز في الفلس فان الصراف الخبير لا يشتريه بشيء » (١١) .

وروي ايضاً : سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ فقال : قول الناس صليت البارحة وصمت أمس ونحو هذا ، ثم قال عليه السلام : إن قوماً كانوا يصبحون فيقولون : صلينا البارحة وصمنا أمس فقال علي عليه السلام : لكني انام الليل والنهار ولو أجد بينهما شيئاً لئمته (١٢) .

لعل المراد بقوله عليه السلام : « لكني انام الليل والنهار » أنه سلام الله عليه اعتبر عباداته في الليل والنهار في مقابل عظمة الله سبحانه واستحقاقه الذي ينبغي له ليس شيئاً يذكر وبمثابة النوم .

ذكر نعمة الله عند الضرورة ، ليس تزكية :

ينبغي الالتفات الى أن ذكر الانسان عند الضرورة لبعض الصفات الحسنة الموجودة فيه ، أو لعمل صالح أداه ، ليس ذنباً وليس تزكية ، بل بيان للواقع ألجأته إليه الضرورة كقول يوسف عليه السلام : ﴿إني حفيظ عليم﴾ وصالح عليه السلام : ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ وكحديث المتهم بالخيانة عن امانته في

(١١) مضمون ثلاثة ابيات .

(١٢) نور الثقلين / ١٦٥/٥ .

مقام الدفاع عن نفسه .

وكذلك اذا كان هدف الشخص حقيقة من ذكر صفة حسنة من الله بها عليه ووفقه لها هو الشكر فيقول مثلاً : لقد من الله علي بالحلم ، وفقني للصوم ، شرط أن لا يكون قصده تزكية النفس وأحياناً يكون قصد الانسان ذلك (التزكية) ولكن حيث أنه قبيح عند العقلاء يعمد الى التعبير عنه بلباقة فيقول اذا اراد أن يفتخر بأنه مستجاب الدعوة : أنا لم اطلب شيئاً من الله إلا وتحقق فوراً .

نعم . . اذا كان قصده واقعاً بيان نعمة الله وفضله ، وقال : كلما طلبت من الله شيئاً من علي واعطانيه دون استحقاق مني - فذلك جيد .

« روي أن عابداً في بني اسرائيل سأل الله عز وجل فقال يا رب ما حالي عندك أخير فازداد في خيري أو شر فاستعجب قبل الموت؟ فأناه آت فقال له : ليس لك عند الله خير ، قال : يا رب وأين عملي ؟

قال : كنت اذا عملت خيراً أخبرت الناس به ، فليس لك منه الا الذي رضيت به لنفسك (أي مدح الناس لك) » (١٣) .

السمعة أيضاً شرك :

قال الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾ - الكهف ١١٠ : « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله ، إنما يطلب تزكية الناس ، يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال : ما من عبد اسر خيراً فذهبت الأيام ابدأ حتى يظهره الله له خيراً ، وما من عبد يسر شراً فذهبت

(١٣) البحار ١٠/٧٨ وسفينة البحار/ ٥٠٠ .

الأيام حتى يظهر الله له شراً» (١٤) .

ويقول الإمام الرضا عليه السلام : اعملوا لغير رياء ولا سمعة فإنه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل وما عمل أحد عملاً الا رداه (١٥) الله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر (١٦) .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : من أراد الله عز وجل بالقليل من عمله أظهر الله له اكثر مما أراد ، ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله عز وجل إلا أن يقلله في عين من سمعه (١٧) .

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : الابقاء على العمل اشد من العمل ، قال وما الابقاء على العمل قال (ع) : يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً ثم يذكرها فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياءً (١٨) .

الرياء بعد العمل ليس مبطلاً :

اتضح مما تقدم أن الرياء والسمعة عند بدء العمل أو في اثناؤه - بحيث يكون بدؤه او اتمامه مقترنين بالنية الريائية يجعلان العمل بلا ثواب ، بل يصبح حراماً وموجباً للعقاب وباطلاً أيضاً ، أي إذا كان العمل واجباً تجب اعادته بنية القرية الى الله . . . أما اذا ادى المكلف . العمل بنية إلهية ولم يكن نظره الى الناس أبداً ، إلا أنه بعد الفراغ من العمل حدث الناس به تظاهراً وطلباً للوجاهة فإن ثواب العمل يقل ، وإذا كرر ذلك يزول ثوابه نهائياً ويسجل له عملاً رياءياً

(١٤) نور الثقلين ٣/ ٣١٥ .

(١٥) رداه أي ألبيه وقد ورد في رواية أخرى إلا رداه الله رداءها الخ اصول الكافي - الرياء .

(١٦) والمصدر السابق .

(١٨) المصدر السابق .

أي يصح مستحقاً للعقاب .

وهل يوجب هذا الرياء - بعد العمل - بطلان العمل فتجب اعادته اذا كان واجباً ؟

الأقوى عدم وجوب اعادته . . . ولكن لا شك في أن الاحتياط بالإعادة حسن .

ويمكن حمل الرواية المذكورة على الاحباط أي زوال الثواب وشهد لذلك بالخصوص قول الإمام الباقر عليه السلام « فتمحى » الظاهر في المحو بعد الاثبات وهو مطابق لمعنى الاحباط ، ولعل المراد من قول الإمام عليه السلام : « فتكتب له علانية » هو أن صدقة الانسان سرّاً تسقط بالحديث عنها عن درجة صدقة السر (التي هي اكثر بكثير من صدقة العلانية) ويكتب له عليها ثواب صدقة العلانية الذي هو أقل . . . واذا ذكرها وتحدث بها ثانية يمحي من ديوان عمله ثواب صدقة العلق ولكن « فتكتب له رياء » تدل على أن العمل باطل أي اذا كان واجباً يجب الاتيان به ثانية ، بل إن زوال الثواب أقرب الى معنى هذه الجملة (١٩) .

مجرد السرور بعمل ليس رياءً ولا سمعة :

عن الإمام الباقر عليه السلام قال زارة : سألته عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسرّه ذلك ، فقال (ع) : « لأبأس ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير ، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك » (٢٠) .

(١٩) ترجمة مصباح الهدى ج ٣/ ٤٧٦ - ٤٧٧ والظاهر أن معنى العبارة الأخيرة أنه قد لا تكون في عبارة « فتكتب رياءً » أية دلالة على بطلان العمل بل هي دالة على زوال الثواب فقط .

(٢٠) المصدر السابق .

بناءً على هذا الحديث فإذا قام الانسان بعمل خير الله ، واطلع الناس عليه دون أن يذكره هو وسره اطلاع الناس على ذلك ومدحهم له . . . فهذا لا ضرر فيه .

إلا أن هنا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي : إن لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء من عمل الله (٢١) .

وفي مجمع البيان : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله : اني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرني ذلك وأعجب به ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يقل شيئاً فنزلت الآية ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه احداً ﴾ (٢٢) .

ومن هنا كان من المستحب لمن اراد أن يتصدق في سبيل الله أن لا يدفع الصدقة مباشرة ، بل يدفعها الى شخص أمين ليوصلها الى المستحق لأنه اذا دفعها بنفسه الى المستحق فقد يمدحه ويثني عليه فيتداخله السرور لذلك وهذا السرور بثناء الناس منافٍ للاخلاص .

الجمع بين هذه الرويات :

يقول صاحب عدة الداعي في الجمع بين هذه الروايات ، ورواية زرارة : والتحقيق أن السرور بأطلاع الناس على قسمين : محمود ومذموم والمحمود ثلاثة :

الأول : أن يكون قصده : اخفاء الطاعة اخلاصاً لله تعالى ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله تعالى أطلعهم عليه وأظهر له الجميل تكرماً وتفضلاً فإن

(٢١) عدة الداعي / ٢٠٣ .

(٢٢) نور الثقلين / ٣١٦/٥ .

من صفاته تعالى أنه « أظهر الجميل وستر القبيح » فيكون فرحه بجميل صنع الله لا بحمد الناس وحصول المنزلة له في قلوبهم ﴿ قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ .

الثاني : أن يستدل باظهار الجميل وستر القبيح على أنه تعالى سيعامله كذلك في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة .

الثالث : أن يحمده المطلقون على عبادته فتسره طاعتهم لله في ذلك وتسره محبتهم له لمحبتهم لطاعة الله وأنهم ليسوا ممن يزدرى أهل الطاعة . . . هذه الأقسام من السرور والفرح باطلاع الناس ليست مذمومة . .

وأما المذموم فهو أن يكون فرحه للمنزلة التي حصل عليها في قلوب الناس ليمدحوه ويعظموه ويقضوا له حاجاته ويقابلوه بالإكرام والتوقير فهذا رياء حقيقي ، محبط للعمل ناقل له من كفة الحسنات الى كفة السيئات ومن ميزان الرجحان الى ميزان الخسران ومن درجات الجنان الى دركات النيران (٢٣) .

الرياء مطلقاً مبطل للعمل :

مما تقدم علم حكم الرياء بعد العمل ، وأما الرياء عند البدء بالعمل أو في اثناؤه فهو - كما مر - مبطل للعمل وإذا كان واجباً تجب اعادته ، سواء كان الرياء « تمام الداعي » كما إذا كان عند البدء بالعمل إنما حمّله على الاتيان به التقرب الى الخلق فقط أو أنه في أثناء العمل جاء شخص فأتّم عمله بنية التقرب الى هذا الشخص . . . أو كان الرياء « جزء الداعي » كما إذا كان هدفه التقرب الى الله والى الخلق . سواء كان الرياء جزءاً استقلالياً أو تبعياً والاستقلالي يعني أنه لو

(٢٣) عدة الداعي - ٢١٠ - ٢١١ بتصرف .

لم يكن السبب الذي حمله على الرياء موجوداً لما أدى ذلك العمل ، والتبني يعني أنه لو لم يكن سبب الرياء موجوداً كان أدى ذلك العمل لله . وإذا رأى في جزء من اجزاء الواجب . . . فرغم أن أصل العمل باطل على الأقوى إذا كان كالصلاة لكن الاحتياط يقتضي إعادة ذلك الجزء قربة الى الله ثم إعادة أصل الصلاة وإذا كان كقراءة القرآن أو الاقامة والأذان أعاد تلك الفقرة التي وقعت رياءً .

وإذا كان يأتي بأصل الصلاة قربة الى الله إلا أنه يراني بالزمان أو المكان كأن يصلي في المسجد أو أول الوقت رياءً فالصلاة أيضاً باطلة واعادتها واجبة ، وكذلك إذا رأى في أوصاف العمل كأن تكون صلاته لله إلا أنه يأتي بها جماعة رياءً ، أو يأتي بالقراءة والذكر بخشوع وتأن رياءً . . . هنا أيضاً الصلاة باطلة واعادتها واجبة .

علاج الرياء :

يتم علاج الرياء بشكل عام كسائر الأمراض القلبية ، بتقوية الايمان والسعي للوصول الى درجة اليقين كما اتضح في بحث اليقين . . . فإذا بلغ شخص درجة اليقين فإن نور اليقين يصلح ظلمات قلبه وتلوثاته وأمراضه ويضمن له سلامة قلبه من جميع الجهات . . . وهنا يتم التذكير بهذا المطلوب بشكل خاص :

من أضاء في قلبه نور اليقين بحضور الله ، فرأى أن الله حاضر وناظر في كل مكان وكل حال ، بحيث أن ظاهر العبد وباطنه علن لديه ، فكيف سيؤدي في حضوره عبادة للتقرب الى مخلوق ؟

مثلاً إذا جاء السلطان وخادمه وبادر شخص لتكريم السلطان إلا أن وجهه كان بانجاه الخادم هل هذا العمل عقلائي . . . وهل يقوم به عاقل ؟ اللهم إلا

أن يكون حقيقة لا يرى السلطان ولذلك يتقرب الى خادمه . كذلك من المستحيل أن يكون شخص يرى أن الله حاضر ومع ذلك يتقرب في حضوره الى عبده بأداء عبادة ما . . . لا يمكن أن يصدر منه ذلك إلا في حالة الغفلة وعدم اليقين بحضور الله تعالى .

إن من أضاء قلبه نور اليقين بالتوحيد الصفاتي والأفعالي بالتفصيل الذي تقدم وأدرك موقناً أنه استقلال لأي مخلوق وأن كل عمل يقوم به أي مخلوق لا يمكن أن يتحقق إلا بإذن الله وإرادته ، بحيث لو أن جميع الناس أرادوا مجتمعين القيام بعمل ما فانه لن يمكنهم ذلك إلا اذا طابق هذا إذن الله ورؤيته للمصلحة فيه . . . كما أنه اذا أراد الله شيئاً فإن جميع الناس لا يمكنهم أن يحولوا دون حصوله . . . وعندما يدرك الشخص أن الله تعالى هو القادر المطلق والمخلوق هو العاجز المطلق فكيف يؤدي عبادة للتقرب الى مخلوق والحصول على رضاه .

ليلة عبادة لكلب :

يقال إن شخصاً جاهلاً ذهب الى مسجد ليمضي ليلته في خلوة منشغلاً بالعبادة والمناجاة حتى الصباح وعند منتصف الليل سمع صوتاً ، فظن أن في المسجد شخصاً مثله منشغلاً بالعبادة ، وحيث أن الظلام كان مخيماً فلم يره . . . بعد ذلك وبنتيجة هذا التصور تظاهر بالخشوع في العبادة وزاد من بكائه في المناجاة ، وكان السرور يغمر قلبه أن هذا الشخص سيحدث الناس بحالاته في العبادة ويكسب بذلك الوجهة بين الناس وعندما تنفس الصبح . . . وأضاء الجو وجد أن صاحب الصوت هو كلب وجد باب المسجد مفتوحاً فدخل ونام في زاوية من زواياه . . . فتنهد هذا الجاهل وأخذ يؤنب نفسه : ايها التعيس . . . لقد أتعبت نفسك بالسهر وحملتها على مشقة العبادة من أجل

كلب . . . يا ليت أنك كنت نمت في البيت ولم تأت الى المسجد .

الندم حين الموت :

ليعلم القارئ العزيز أن حسرة المرائين بعد الموت مثل الحسرة الصباحية لهذا التعيس . . . أي عندما تزول ظلمات عالم الطبيعة عن وجه إدراك انسان بواسطة الموت وتطلع شمس الحقيقة ويدرك أن القادر بحق هو الله والعاجز المطلق هو المخلوقات ، عندها يدرك مدى الضرر الذي ألحقه بنفسه . . . وكيف كان يخضع ويتذلل للعاجزين ، وكيف كان معرضاً عن جميع القدرات له ، وجميع الخلق في جميع الأحوال وفي جميع العوالم محتاجون إليه .

« مفتاح باب النار تلك الصلاة التي تطيلها أمام أعين الناس اذا كانت تنتهي بغير الحق (الله) جادتك فستفرش في النار سجادتك » .

يتمنى سرعة الذهاب الى جهنم :

في الحديث أنه عند انكشاف الحقيقة في القيامة ، يتمنى المذنبون من شدة الحسرة وصعوبة الندامة أن يذهبوا بسرعة الى النار . . . حتى لا يتجرعوا المزيد من نار الخجل في موقف فحص الأعمال والحساب . ولأن أهل اليقين قد رفعت قبل الموت عن عيون قلوبهم استار الجهالة والغفلة المظلمة ، ورأوا أن جميع المخلوقين عاجزون ، فإنهم لا يخضعون ولا يتذللون لمخلوق ، وايضاً حيث أن أهل اليقين ادركوا بطلان الدنيا وحقانية الآخرة فقد عرفوا زوال الحياة المادية ولا نهاية وعظمة الحياة بعد الموت وعلموا أن « الآخرة خير وأبقى » فإنهم لا يؤدون عبادة على الإطلاق بغية الحصول على هدف مادي أي الوصول الى المال والجاه والشهرة وسائر الشهوات ، إنهم عرفوا أن العبادة وسيلة للوصول الى السعادة الأبدية والفوائد الروحية ، فكيف يجعلونها وسيلة

للوصول الى الملذات النفسية السريعة الزوال التي ليست إلا وهماً وخيلاً . . .
ثم يبتلون من جرّاء ذلك بالهلاك والعقوبة الأبدية !!؟

اشراق اليقين ، علاج قطعي :

مما ذكر يعلم أن العلاج القطعي الوحيد للرياء هو اشراق نور اليقين في القلب ، وما لم يصل الانسان الى ذلك فهو في معرض خطر الرياء . . . وإن كان لا يعلم ، كما أنه اذا صار من أهل اليقين يصبح يرى الرياء اسوأ من شرب الخمر واسوأ من جميع الكبائر ويرى أن عقوبته أشد . . .

وإذا أراد شخص أن يعلم هل وصل الى مقام اليقين ليكون محفوظاً من الرياء . . . فإذا كانت حاله بحيث أن البشر والجمال لديه سواء . . . أي سواء رأى عمله مائة انسان أو مائة جمال فلا فرق لديه ابداً . . . يتضح أنه من أهل اليقين . . . إذ أنه كما أن رؤية الجمال لعمله لا تستتبع فرحاً فكذلك رؤية الناس لعمله لا تستتبع فرحاً لأنه علم بيقين أن البشر أيضاً كالجمال لا استقلال لهم ولا يستطيعون وحدهم القيام بأي عمل إلا إذا شاء الله وأراد فالقلوب والإرادات كسائر جميع أجزاء الخلقة مسخرة له .

عبادة السر ، والاخلاص :

من لم يصل بعد الى مقام اليقين لكي لا يؤثر فيه مدح الناس وذمهم . . . ويتساوى عنده الانسان والجمال فإن واجبه أن لا يؤدي من العبادات علناً إلا ما ورد الأمر بتأديته علناً كصلاة الجماعة والحج ، والزكاة الواجبة والعبادات التي لا تؤدي إلا علناً كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجهيز الميت . . . أما سائر عباداته من الواجبات والمستحبات فيجب أن يؤديها سرّاً بحيث لا يراه أحد إلا الله وبعد العمل لا يخبر أحداً به . . الى أن يمن الله عليه نتيجة اخلاصه

المستمر بنور اليقين . . . بعد ذلك يصبح كل عمل يؤديه علناً محفوظاً من الرياء . . . وقد تقدم في بحث النفاق بيان أهمية عبادة السر وفضيلتها .

إن من أحكام الإسلام الضرورية والبديهية التي أجمع عليها جميع علماء الإسلام لزوم الاخلاص في العبادة بحيث أن شرط صحة وقبول أية عبادة الاخلاص في نيتها . . . بل تحقق العبادة متوقف على الاخلاص في النية والعبادة بدون إخلاص كجسد بلا روح ليس له خاصية إلا القذارة والعفونة وكذلك العبادة بلا اخلاص ليس لها أية خاصية إلا كونها حملاً ثقيلاً ومشقة وعقوبة لصاحبها والآيات والروايات كثيرة في لزوم الاخلاص في العبادة يكتفى بذكر بعضها :

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ الأنعام ١٦٢ - ١٦٣ .

في هذه الآية الشريفة يقول الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قل للناس « انني جعلت صلاتي ومطلق عبادتي - واختصت الصلاة بالذكر كمزيد العناية بها منه تعالى - ومحياي بجميع ماله من الشؤون الراجعة الي من أعمال وأوصاف وتروك ومماتي بجميع ما يعود إلي من اموره وهي الجهات التي ترجع منه الى الحياة (أي الأمور التي تقع بعد الموت ولكن منشأها الحياة واختيار الانسان) كما قال صلى الله عليه وآله : كما تعيشون تموتون - جعلتها كلها لله رب العالمين من غير أن اشرك به فيها احداً ، فأنا عبد في جميع شؤوني في حياتي ومماتي لله وحده وجهت وجهي إليه لا أقصد شيئاً ولا أتركه إلا له ولا اسير في مسير حياتي ولا أرد مماتي إلا له فإنه رب العالمين يملك الكل ويدبر أمرهم ، وقد أمرت بهذا النحو من العبودية ، وأنا أول المسلمين لله فيما أراده من العبودية التامة في كل باب وجهه .

ومن هنا يظهر أن المراد بقوله « إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله إظهار الإخلاص العبودي أو إنشاؤه فيما يرجع إليه من شؤون العبادة والحياة والموت دون الاخبار عن الاخلاص في العبادة . . . » (٢٤) .

الاحكام التي تستفاد من هذه الآية :

في « كنز العرفان » أن هذه الآية الشريفة دليل على عدة احكام :

١ - وجوب الاخلاص في عبادة الله ، وعدم جواز جعل شريك لله في العبادة بشكل عام ، سواء كان الشرك جلياً كعبادة الأصنام والنجوم ونظائرها أو خفياً كالرياء بل أكثر من ذلك فإن قصد الثواب يتنافى مع الإخلاص (٢٥) .

٢ - الاخلاص في العبادة من أحكام الاسلام المسلمة التي هي في عهدة كل مسلم ، وكل مسلم مأمور بالإخلاص حيث قال : ﴿وأنا أول المسلمين﴾ .

٣ - صحة الصلاة وكل عبادة تتوقف على معرفة الله وتوحيده والاعتقاد بأنه الخالق المربي ولازم هذه المعرفة الاعتقاد بأنه قادر وعالم وحكيم ، ومن هنا كانت عبادة الكافر باطلة بل عبادة من ليس له إيمان قلبي بما ذكر ، باطلة وإن كان ظاهره ظاهر المسلمين .

٤ - في هذه الآية إشارة الى أن العبادة يجب أن تكون لشكر نعمة الایجاد والتربية حيث قال : ﴿وانا رب العالمين﴾ .

٥ - لا تجوز نسبة أي من هذه الاربعة التي ذكرت في هذه الآية الى غير الله لا على نحو الاستقلال ولا على نحو الشراكة أي يجب أن تكون الصلاة والعبادات لله فقط ، وكذلك الحياة والممات يجب الإعتقاد بانهما من الله ودليل

(٢٤) تفسير الميزان ٣٩٤/٧ .

(٢٥) سنوضح قريباً إن شاء الله أن قصد الثواب لا ينافي الإخلاص .

هذا الحكم جملة ﴿لا شريك له﴾ .

٦ - في هذه الآية اشعار بعظمة الله وجلاله ، وأن الله هو الذي ينبغي أن يعبد وله أهلية ذلك .

قصد القربة يعني الاخلاص في العبادة :

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ البيّنه .

يقول في كنز العرفان : الاخلاص في هذه الآية هو قصد القربة الذي هو شرط صحة كل عبادة ، وبصريح الآية الشريفة فإن أمر الله بالعبادة باخلاص على سبيل الحصر إذن العبادة بدون إخلاص ليست مورداً للأمر فهي إذن باطلة .

﴿فاعبد الله مخلصاً﴾ الزمر ٢ في هذه الآية أيضاً مورد الأمر هو العبادة باخلاص .

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ الإسراء ٢٣ .

أي أوجب أن تعبدوه وحده وأن لا تعبدوا غيره . . فعبادة الله وحده هي الواجبة ويكفي في إثبات لزوم الاخلاص في قبول العمل وصحته التأمل في آخر آية من سورة الكهف : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ الكهف ١١٠ .

والظاهر أن الاعتقاد بوحدانية الله وغناه يتنافى مع عبادة غيره لأنه إذا كان الله واحداً فالمعبود إذن واحد .

الاخلاص في العمل اصعب من العمل :

وأما الروايات التي يعلم منها وجوب الاخلاص وأنه شرط قبول بل صحة

أية عبادة فهي فوق التواتر وأكثر من أن تحصى وقد أورد قسم منها في كتاب « الذنوب الكبيرة » ويكتفى هنا بإيراد رواية واحدة يقول الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ لِيُلوكم أيكم احسن عملاً ﴾ الملك ٢ : ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة ثم قال: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص : الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عزَّ وجلَّ ، والنية أفضل من العمل ، الا وإن النية هي العمل ثم تلا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ الاسراء ٨٤ ﴿ ٢٦ ﴾ .

وخلاصة هذه الرواية أن ميزان فائدة العمل صحة نيته ، وميزان صحة النية الاخلاص أي أن لا يكون للشخص هدف غير الله . . . وبناءً عليه فالنية روح العمل .

ما هو الاخلاص في النية :

إذا تأمل القارئ العزيز في ما قيل في معنى الرياء ، تتضح له حقيقة النية والاخلاص ، ولكي يتضح ذلك اكثر تكرر هنا خلاصته :

النية هي العزم والإرادة ، وقصد اداء عمل ، مثلاً يمشي شخص قاصداً السوق ، أو يتجه الى المسجد قاصداً الذهاب إليه ، يضع الماء على وجهه بقصد الوضوء ، يتجه الى القبلة بقصد الصلاة ، يتناول الطعام سحراً بقصد الصوم وهكذا .

وحيث أن الانسان العاقل الفطن يجب أن يهدف الى هدف ونفع من أي عمل ليقصد الاتيان بذلك العمل للوصول الى ذلك الهدف ، وبعبارة أخرى :

(٢٦) أصول الكافي - باب الاخلاص .

بدون الهدف لا يتحقق قصد عمل ما إلا أن يكون الشخص سفيهاً وعابثاً ،
مثلاً :

الشخص العاقل لا يقصد الذهاب الى السوق إلا إذا كان في هذا فائدة
ما ، ولا يقصد اكل شيء إلا إذا رأى فيه نفعاً ما . . من هذا يعلم أن الهدف هو
سبب النية ، بحيث أنه بدونها لا تتحقق النية ، وعليه يمكن القول ، حقيقة النية
هي ذلك الهدف الذي يحمل الشخص على الاتيان بالعمل^(٢٧) وما ورد في
الروايات من أن النية يجب أن تكون صادقة وخالصة فالمراد به أن ذلك الهدف -
أي الهدف والنفع الذي هو مراد القلب والذي يحمل الانسان على العمل -
يجب أن يكون صحيحاً أي مراداً للقلب حقيقة وخالصاً من غير الله أي ينبغي أن
يكون المنظور والمراد لقلبه من ذلك العمل هو الله ومعنى ما ورد عنهم عليهم
السلام : إنما الاعمال بالنيات^(٢٨) أن الاعمال تابعة للمقاصد اي اذا كان
الهدف من العمل هو الله فهو جيد وإلا فهو سيء .

وروي عنهم : « لكل امرئ ما نوى » أي اذا كان هدف الشخص واقعاً
من العمل هو القرب من الله فإنه يقترب منه سبحانه ، واذا كان قصده الباطني
من ذلك العمل القرب الى الخلق بذلك فإنه يقترب من الخلق وإذا كان هدفه
رغبات أخرى نفسانية او شيطانية فإنه يقترب منها .

وروي أيضاً : « لا عمل إلا بالنية » أي العمل الصحيح والمقبول متوقف
على الهدف من ذلك العمل اذا أدى بهدف إلهي فهو صحيح ومقبول وإلا فهو

(٢٧) وهذا من باب تسمية المسبب باسم السبب وقد ثبت في علم المعقول أن حقيقة كل
شيء هي علته ولأن الداعي والهدف سبب انبعاث النية وتحققها فذلك الهدف يمكن
اعتباره حقيقة النية ويمكن اطلاق النية عليه ويراد بها الداعي والهدف كما نجد ذلك في
الروايات .

(٢٨) راجع هذه الروايات في وسائل الشيعة كتاب الطهارة باب ٦٥٥ .

باطل وهباء .

وروي كذلك : « نية المؤمن خير من عمله »^(٢٩) ويمكن القول ان المراد بالنية في هذا الحديث كما نقل هو الهدف ولأن هدف المؤمن من العبادة التي يؤديها هو قرب الله والوصول الى رضوانه ، وطبعاً العبادة التي اداها يترتب عليها ثواب ، إلا أنه يصل الى هدفه الذي هو حقيقة نيته وهو قرب الله ورضاه ، وهو قطعاً أفضل وأسمى من الثواب الذي يستحقه على عمله كما قال تعالى : ﴿ورضوان من الله اكبر (لا يمكن وصفه) ذلك هو الفوز العظيم﴾ ، التوبة ٧٢ الذي هو اكبر من فوز دخول الجنة .

النعم الروحية في الجنة :

وقد روي أن في الجنة ثلاث نعم روحية أكبر وأسمى من جميع نعم الجنة إحداها نعمة الخلود والثانية جوار محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والثالثة : رضوان الله . . . وحقاً أن تلك الساعة التي تدخل روح المؤمن الجنة بقلب سليم ويعمر قلبه الرضا عن الله ويعلم أن الله أيضاً راضٍ عنه فإن هذا الفوز واللذة لا يمكن أن يوصفا . . .

ومما سلف يعلم أن المراد بالاخلاص في النية ، الاخلاص في الهدف أي مراد القلب والغرض والداعي والسبب لارادة الانسان لعمل . . ينبغي أن يكون هو الله وحده . . . إذن اذا كان هدف آخر غير الهدف الإلهي هو سبب الحركة نحو العمل العبادي فهو ليس خالصاً وهو باطل ومردود ، ولايضاح ذلك تذكر عدة أمثلة :

(٢٩) ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول عشرة اوجه في معنى هذا الحديث نقلاً عن العلماء .

الأهداف الفاسدة تبطل العمل :

إذا كان شخص جنباً ، والجو بارد ، وأحب الدفء . . . فبادر بهدف رفع الجنابة وتدفئة البدن الى صب الماء الحار على بدنه . . هذا الغسل باطل . . نعم إذا صب الماء في البداية على جسده طلباً للدفء ، وبعد ذلك اغتسل لرفع حدث الجنابة فغسله صحيح .

أو إذا أتى بالتكبير أو ذكر آخر في الصلاة وهدفه الواقعي أنه مأمور به . . . إلا أنه أداه بصوت عالٍ لاجبار الغير . . . مثلاً التحق بصلاة الجماعة والامام في الركوع منتظر وصوله . . . ولكي يعلم الإمام بأنه كبر يؤدي التكبير بصوت مرتفع . . . أو لأجل إلفات الإمام الى سهوه ، أو لإفهام أمر لشخص ما . . وفي جميع الموارد التي يكون الاتيان باصل الذكر اطاعة للأمر الإلهي ورفع الصوت فيه لهدف صحيح فلا ضرر في ذلك . إذا أدى شخص أعمال الحج وهدفه أداء الواجب الإلهي والسياحة أيضاً والتزّهة والتفرّج فحجه باطل .

إذا أنفق شخص زكاة ، خمساً ، كفارة ، صدقة مستحبة ، هدفه أي محرّكه لهذا الانفاق شيان : ١ - أداء التكليف وامثال أمر الله . ٢ - مدح الذي اخذ منه او مدح الناس أو تعظيمهم وتكريمهم له ، أو أن له حاجة يجب أن يقضيها له مستلم النفقة المالية أو غيره ، ويجعل هذه النفقة وسيلة لقضاء حاجته ، فهذا الانفاق مردود وباطل .

وكذلك إذا كان له بضاعة فاسدة ويريد أن يتخلص من شرها ، فيعمد الى انفاقها « في سبيل الله » لا شك في بطلان عمله . . . ، ثم إن كل ما ذكر هو من الضمائم المباحة (أي الامور المباحة التي تضم الى النية) أما إذا كانت الضميمة للهدف والنية امراً حراماً كالرياء بالتفصيل المتقدم فإن ذلك - بالاضافة الى إبطاله العمل - حرام وسبب لاستحقاق العقوبة .

الضميمة المباحة التبعية ليست مفسدة :

ينبغي التأكيد على أن الضمائم المباحة المتقدمة ، إنما تبطل العمل اذا كانت حقاً جزء الداعي (الذي دعا الى العمل) ولكن اذا لم يكن جزء الداعي أبداً ، وكان المحرك الى العمل هو ذلك الهدف الإلهي فقط ، والضميمة أمر تبعي محض ، فهي لا تضر . . . وللتوضيح تذكر عدة أمثلة :

تريد أن تتوضأ . . . يدعوك الى الوضوء الهدف الإلهي . . فتقول لابنك : تعالَ تعلم الوضوء أو تريد أن تصلي . . . وقد حملك على الصلاة الأمر الإلهي ، وهناك شخص لا يعرف الصلاة فتطلب منه أن يقف بجانبك ليتعلم الصلاة . . . أو تريد أن تصلي في المسجد وضمناً تريد أن ترى الشخص الفلاني هناك لأن لك حاجة اليه . . . والخلاصة : بشكل عام يجب أن يكون محرك الشخص للعبادة هو الهدف الإلهي فقط . . . أما اذا حركه هدف آخر فالعمل باطل . . . الى حد أن الشيخ البهائي يقول : اذا كانت العادة هي محرك الشخص للعبادة فعبادته باطلة . . أي اذا لم تحركه اطاعة أمر الله . . وكان السبب الوحيد الذي حركه هو العادة التي اعتادها .

ولمعرفة العمل الخالص من غير الخالص ومعرفة أثره تأمل هذه القصة من احياء العلوم :

تحطيم الأصنام للنفس أم لله :

« في الاسرائيليات أن عابداً كان يعبد الله دهرأ طويلاً ، فجاءه قوم فقالوا : إن ههنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى ، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال : أين تريد رحمك الله ؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة ، قال : وما

أنت وذاك ؟ تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك ! فقال : إن هذا من عبادتي ، قال : فإنني لا أتركك تقطعها ، فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الأرض وقعد على صدره ، فقال له ابليس : اطلقني حتى أكلمك فقام عنه ، فقال ابليس : يا هذا إن الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك ! وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك والله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ، ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها ، فقال العابد : لا بد لي من قطعها فسابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له : هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع ؟ قال : وما هو ؟ قال : أطلقني حتى أقول لك ، فأطلقه ، فقال ابليس : أنت رجل فقير لا شيء لك إنما انت كل على الناس يعولونك ، ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك ، وتواسي جيرانك ، وتشبع وتستغني عن الناس ، قال : نعم ، قال : فارجع عن هذا الامر ولك علي أن اجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا أصبحت اخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك ، فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئاً ، ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها ، فتفكر العابد فيما قال ، وقال : صدق الشيخ ! لست بنبي فيلزماني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله أن أقطعها فاكون عاصياً بتركها ، وما ذكره اكثر منفعة ، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له ، فرجع العابد الى معبده فبات ، فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما ، وكذلك الغد .

ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئاً ، فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال له : الى اين ؟ قال : اقطع تلك الشجرة ، فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها ، قال : فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة ، فقال : هيهات ! فأخذه ابليس

وصرعه فإذا هو كالعصفور بين رجله وقعد ابليس على صدره وقال : لتنتهني عن هذا الأمر أو لأذبحنك ! فنظر العابد فإذا لا طاقة له به ، قال : يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني الآن ؟ فقال : لأنك غضبت أول مرة لله ، وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك (أي نصرك علي) وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك (٣٠) .

ضربة واحدة أفضل من عبادة الجن والانس :

تأمل في هذه الرواية . . . يقول المحدث الجزائري في الأنوار النعمانية : روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين الى يوم القيامة ، وهذا الحديث مستفيض بل قريب من حد التواتر وقال بعضهم : كيف يمكن أن تكون ضربة واحدة أفضل من كل عبادات الجن والانس الى يوم القيامة . . . وقال علماء الشيعة في الجواب : لأنه عليه السلام كان مخلصاً في قتله ذلك الملعون ولم يكن له أي هدف إلا رضا الله . . . ولم يكن يريد اثبات شجاعته (لأن عمرواً كان شجاع عصره . . . وقد كانت مبارزته وغلبته مدعاة لفخر لا نظير له لأن ذلك الملعون كان يواجه ألف فارس شجاع فيغلبهم) ولأنه عليه السلام لم يكن من هدفه الافتخار بشجاعته . . . وكان هدفه الله فقط صار اخلاصه سبب فضيلة هذه الضربة . . .

تعلم الاخلاص من علي :

ويؤيد ما تقدم - أي اخلاص أمير المؤمنين عليه السلام - انه عندما ألقى عمرواً على الأرض وجلس على صدره ، تروى قليلاً فصرخ المسلمون : يا

(٣٠) احياء علوم الدين للغزالي ٣٧٧/٤ .

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قل لعلي يسرع في قتل عمرو فقال لهم الرسول أن يدعوا علياً وشأنه فهو أدرى بما يفعل ، وعندما جاء علي برأس عمرو قال له رسول الله : يا علي (عليه السلام) لقد ابطأت في قتل عمرو ولم تعجل . . .

قال يا رسول الله عندما طرحته أفحش لي في القول فغضبت وخفت اذا قتلته على تلك الحال أن يكون قتلي له سبب ما قاله لي فترثت حتى سكن غضبي . . . وعندها قتلته الله .

قال بعض علماء العامة في بيان الحديث المذكور كان الإسلام آنذاك في المدينة فقط ولو أن عمرواً انتصر لقضي على اساس الإسلام وبديهي أن عبادة الجن والانس الى يوم القيامة فرع بقاء الإسلام وحيث ان أمير المؤمنين عليه السلام كان سبب بقاء الإسلام فعمله أصل والعبادات الى القيامة فرع ومن البيديهي أن الأصل أشرف من الفرع .

١ - مراتب الاخلاص :

اولى مراتب الاخلاص هي أن يكون الهدف من اطاعة الأمر الإلهي الواجب أو المستحب هو الوصول الى الثواب الذي وعد الله به المطيعين ، وبعبارة أخرى يعبد ربه بإطاعة أمره على أمل أن يمن الله عليه بما وعد المطيعين ، سواء كان طلبه ثواباً اخروياً كالجنة او ثواباً دنيوياً كالتوسعة في الرزق التي تحصل من صلاة الليل ، أو نزول المطر من صلاة الاستسقاء ، أو تحقق حاجة من صلاة الحاجة ، في جميع هذه الموارد . . . كلما صلى لإطاعة أمر الله - الذي بينه المعصوم فقال : اذا صليت كذا فلك كذا - فصلاته صحيحة طبعاً . . . رغم أن الداعي والهدف من اطاعة أمر الله الحصول على الثواب الذي اعطي على هذا العمل أو اجتناب العذاب المترتب على تركه والخلاصة

أن الشوق الى الثواب أو الخوف من العقاب اذا كان سبباً لحمل الانسان على امتثال ما أمر الله به فعمله صحيح وليس منافياً للإخلاص .

اذا كان الهدف من العبادة خواصها :

صحة كل عبادة واجبة كانت ام مستحبة تتوقف على أن يكون المحرك للاتيان بها هو فقط طاعة الله أي يأتي بها لأن الله أمر بها ، واذا كان المحرك للانسان نحو العمل امراً دنيوياً ونفسانياً كالرياء والضمائم التي ذكرت فالعمل باطل .

إذن . . . إذا كان الداعي للعمل هو الإطاعة فقط فالعمل صحيح ، وحيث أن لاطاعة امر الله خواصاً ومنافع أخبر بها الشرع . . . فكل واحدة من تلك الخواص والمنافع إذا اصبحت سبباً في اطاعة الانسان لأمر الله ليحصل على تلك الخاصة . . . فالعمل صحيح ويحصل على ما أراد .

مثلاً : شخص فقير يحب سعة الرزق ، يسمع أن الشرع أمر بصلاة أحد عشر ركعة في النصف الأخير من الليل الى طلوع الفجر . . . وقال : إن هذا سبب لسعة الرزق . . فتوضأ وصلى تلك الصلاة وعبد ربه . . . طبعاً هذا العمل صحيح وسيحصل من الله تعالى على ما أراد .

وآخر ملأ الخوف كيانه من عقبات البرزخ والقيامة ومنازلها ، وشدة عذاب النار والتفكير في هذه الحالات وأصبح يعيش الاضطراب والقلق وسمع أن الإمام عليه السلام قال : صلاة الليل نور في القبر والبرزخ والقيامة والصراط وجنة من النار . . . فينهض في ذلك الوقت من الليل ويصلي على أمل أن تنجيه هذه الصلاة . . . طبعاً صلاته صحيحة لأنه صلاها بقصد إطاعة أمر الله وسيصل الى ما أمله من الله أي النجاة من شدائد الآخرة .

وثالث تذكر الجنة والثواب الأخروي والعفو الإلهي ، فاشتاق الى ذلك .

وسمع أنه اذا أطاع شخص أمر الله وصلى صلاة الليل فإن له من الثواب الإلهي كذا وكذا . . . وأصبح نتيجة ذلك مستعداً لإطاعة ذلك الأمر وعبادة الله فإن الله تعالى يعطيه ما أمل .

الأهداف في الطاعة متفاوتة :

اتضح من هذا العرض أن حالات الاشخاص في اهدافهم من اطاعة امر الله مختلفة بل إن للشخص الواحد حالات مختلفة باختلاف الأوقات . . كما أن للشوق الى الثواب والخوف من العقاب مراتب أيضاً . . . مثلاً :

تارة يشاق الى الجنة بسبب النعم العجيبة التي وعد الله بها من المأكولات ، المشروبات ، المناظر الجميلة ، المسموعات ، القصور ، الحور . . .

وتارة يشاق إليها لأنها مضافة الله التي يكرم فيها اهل الجنة بقدرته ، وكرمه اللامتناهين . . .

وتارة يشاق إليها باعتبارها مجمع الأخيار والأبرار والانبياء وجميع الصالحين وفي طليعة هؤلاء جميعاً محمد وآله صلى الله عليه وآله .

وبالنسبة لجهنم تارة يخاف منها ويستوحش بسبب أنواع العذاب والابتلاءات والمشقات . . . وتارة بسبب انها محل غضب الله وسخطه وتارة لأنها مجمع الكفار والفجار والاشرار والاشقياء وفي طليعتهم الشياطين واعداء آل محمد وتارة يتحسر بسبب الحرمان فيها من الكرامات والألطفات الإلهية ومن جملتها لقاء الصالحين كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل : فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك وهبني صبرت على حرّ نارك فكيف أصبر عن النظر الى كرامتك .

الحصول على الثواب والخوف من العقاب هدفان صحيحان :

الهدف من إطالة الكلام في هذا المقام جواب الذين ظنوا أن العبادة إذا كانت بهدف الثواب أو الخوف من العقاب ، فليست صحيحة . . . وقد علم بوضوح مما تقدم أن مناط صحة العبادة هو اطاعة امر الله بهدف الوصول الى النفع الذي وعد به^(٣١) .

وينبغي الالتفات الى أن الميل الى الثواب اذا لم يصبح داعياً لإطاعة أمر الله ، بل أصبح داعياً الى نفس العمل فالعمل باطل ولن يحصل مؤديه على الهدف المترتب على اطاعة الأمر . . .

مثلاً : ميل شخص الى سعة الرزق اذا أصبح داعياً له الى صلاة الليل لا الى اطاعة امر الله بصلاة الليل أي يصلي هذه الصلاة لأنها تسبب سعة الرزق ولا يصليها إطاعة لأمر الله وتنتج عن هذه الإطاعة سعة الرزق . . . في هذه الحال يكون قد وضع صلاته في مرتبة معاملاته الدنيوية ولذا لن تكون لها أية نتيجة لأنه لم يطع امر الله بل أطاع نفسه ولم يعبد الله بل عبد نفسه ولم يطلب رضا الله بل طلب رضا نفسه وفهم هذا يحتاج الى مزيد من الدقة .

العمل بدون قصد الطاعة باطل :

ما نقل عن الشهيد الأول والعلامة الحلي وابن طاووس وجمع آخر من الفقهاء من أن العبادة اذا كانت فقط للحصول على الثواب أو الفرار من العقاب

(٣١) ويمكن القول إن هذه المسألة من باب الداعي على الداعي أي توجد في الانسان ارادة الجنة أو الفرار من النار . . . ولأنه يرى ذلك في اطاعة امر الله فتوجد فيه الإطاعة ويؤدي العبادة ، والخلاصة : يكفي في صحة العبادة أن تؤدي بداعي امر المولى . . . حتى اذا كان ذلك الداعي للاطاعة قد تحقق ووجد من الميل الى الثواب أو الخوف من العقاب .

فهي باطلة . . . فالظاهر أن مرادهم ما ذكر . . . مثلاً : الخوف من العذاب يحمل شخصاً على اعطاء مبلغ للفقراء . . أو الشوق الى الجنة يحمله على دفع مبلغ للسادة أي يجري معاملة ما . . . يريد أن يشتري الجنة بهذا المبلغ . . . هذا طبعاً باطل ، لأن الجنة للعابدين والمطيعين لأمر الله وهذا الشخص ادى عملاً امتثالاً لرغبته واطاعة امر قلبه . نعم اذا حمله الشوق الى الجنة على اطاعة امر ربه بالزكاة والخمس ، فأخرج من ماله ذلك المقدار الذي حدده الله وأنفقه في الموارد التي امر بها دون رياء وسمعة وهدف شيطاني ومرض نفساني فهو صحيح طبعاً ويكون قد ادى عبادة ، وسيصل الى الامل الذي امله من ربه من جراء تلك الطاعة والخلاصة اذا كان الداعي والهدف هو الثواب المترتب على طاعة الله بحيث أن ذلك الهدف هو الذي حمله على الطاعة بالنحو الذي أمر به فعمله صحيح وهو مأجور ، أما اذا كان الداعي حمله على أداء العمل لرغبته فيه - دون أن يدخل امتثال أمر الله في حسابه - فعمله باطل ، وهو الذي أفتى الفقهاء الكبار ببطلانه .

٢ - العبادة بداعي الشكر :

المرتبة الأولى للاخلاص التي هي العبادة شوقاً الى الثواب أو خوفاً من العقاب ، رغم إنها صحيحة وصاحبها مأجور بالشرح المتقدم . . . إلا أنه ينبغي للانسان ان يخرج حب النفس ورؤية الذات ويتخلى عن الحظوظ النفسانية (الرغبات الخاصة) ويفكر في نعم ربه اللامتناهية فيتأمل في اجزاء البدن ، والقوى الادراكية وفوق ذلك كله نعمة العقل التي من الله بها عليه .

ما اجمل ما قاله سعدي الشيرازي : « كل نفس ينزل ممد للحياة وعندما يرجع فهو مفرح للذات .

إذن في كل نفس نعمتان وشكر كل منهما لازم .

يد ولسان من ، يمكنهما الخروج من عهدة شكره العبد الأفضل هو الذي يعتذر الى ساحته تعالى عن تقصيره وإلا فإن احداً لا يمكنه أن يؤدي حق عبادته كما ينبغي له «(٣٢) . ويلاحظ - الانسان - أيضاً الرزق الذي يصله باستمرار والأجهزة العظيمة المسخرة له .

السحاب والرياح والقمر والشمس والفلك في شغل ليصل الى كفك خبز ولا تأكله وأنت غافل ، كل هذه مسخرة لك ومطبعة لأجلك وليس من الانصاف أن تكون أنت غير مطيع(٣٣) .

وليتأمل قليلاً في النعم المعنوية . . . كيف أنه لم يترك حيراناً ضائعاً . . بل هداه الله وارسل النبي وعرفه الإمام وقدم له التعاليم التي تضمن سعادته الابدية .

وليلاحظ كذلك توفيقاته وتأيداته التي لا تحصى . . . وليتأمل في الستر والعفو والامهال الإلهي على ذنوبه الكثيرة جداً ، وحقاً . . . لو أراد كل انسان أن يحصى النعم المتتالية عليه لما استطاع . . .

شكر النعمة بحكم العقل :

ثم يرجع الى عقله ووجدانه ليرى هل من المناسب أن يستصغر كل هذه النعم التي لا تحصى ولا يقيم لها وزناً، وينسى المنعم عليه ولا يعبدّه ويخضع له ويخشع . . . في حين أن جميع أوامره لفائدة العبد نفسه وسعادته . . . لو أن بشراً مثله اعطاه واحداً على ألف بل واحداً من مليون من النعم التي اعطاه الله اياها . . . فكيف تكون معاملته له يا ترى ؟

علما بأن كل احسان يصل الى الشخص وبأي واسطة كان فانما هو من الله

(٣٢و٣٣) مضامين ابيات .

وقد أشير الى ذلك في بحث التوحيد الأفعالي .

والواقع أنه حتى اذا لم يكن أي وجود للثواب والعقاب والجنة والنار فإن من الواجب عقلاً شكر مثل هذا المنعم بإطاعة أوامره في مقابل إحسانه وانعامه اللامتناهيين وبالاعتذار عن عدم الشكر والكفران الذي صدر عن تقصير أو قصور .

من هنا كرر القرآن المجيد التذكير بهذا الحكم العقلي :

﴿فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ البقرة ١٤٧ ﴿فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ الاعراف ٧٣ .

وفي القرآن المجيد اكثر من سبعين آية حول شكر الله تعالى . . . وفي الحقيقة اذا اصبحت سعادة الشكر نهجاً لشخص ، وجعل اساس عبادته واطاعته لله على قاعدة الشكر وادائها بذلك الهدف فسينعم بفوائد عظيمة من المقامات العالية للقرب من الله وحبه والاخلاص والتسليم والرضا ، وسيصونه ذلك من كل ذنب .

﴿وسنجزى الشاكرين﴾ آل عمران ١٤٥ .

إن من كانت رغبته الباطنية وميله الداخلي وأمنيته القلبية هي شكر ربه تعالى ، بحيث يصبح ذلك داعيه الى العبادة ، أي يحمله ذلك الميل القلبي على العبادة والطاعة . . . فسيكون له - بالاضافة الى الثواب المترتب على عمله والذي سيعطاه بالنحو الاحسن - نصيب من الدرجة والمقام اللذين أعدهما الله للشاكرين .

٣ - العبادة بداعي القرب من الله :

بمجرد أن يدرك العبد حقارة نفسه وعجزها وحاجته وخلو يده من كل

شيء ، يدرك أنه بين يدي العظمة والقدرة المطلقتين وأن الاستغناء والجلالة والكرامة لله تعالى .. وتنبعث في قلبه أمنية القرب إليه سبحانه ، ليعالج ببركة هذا القرب انواع عجزه ونقصه وحاجته .. اي تتبدل كلها الى قدرة وكمال وغنى ... ثم إن امنيته القلبية التي هي القرب من الله عز وجل تحمله على العبادة والاطاعة لأن الوسيلة الوحيدة للقرب من الله هي هذه العبادة والاطاعة ...

ومن كان داعيه الى العبادة هو القرب من الله . فبالاضافة الى الثواب والأجر الذي سيعطى له على تلك العبادة سيحصل ببركات قرب الله التي لا يمكن أن توصف على فوائد كبيرة .

القرب بحسب المرتبة والكمال :

من أجل معرفة معنى قرب الله يتم إيضاح ما نقله العلامة المجلسي رحمه الله في عين الحياة :

القرب من الله ليس قرباً زمانياً ومكانياً لأن الله منزّه عن الزمان والمكان ، ولقرب الله معانٍ كثيرة يكتفى في هذه الرسالة ببيان معنيين منها .

الأول : القرب بحسب المرتبة والكمال ، أي لأن واجب الوجود كامل من جميع الجهات ولا نقص في ذاته وصفاته ، والممكن هو تمام النقص والعجز وعدم الكمال ... من هنا كان التقابل والتباين بين الواجب والممكن متجلياً بأقصى الحدود ... وكلما ازيل نقص من نقائص ممكن الوجود وأفيض عليه كمال من كمالات الفياض المطلق يحصل للممكن قرب في الجملة (من الواجب) كما لو كان شخصان متضادين ومتباينين في اخلاقهما ... يقال عنهما : هذان بعيدان عن بعضهما جداً ... فإذا اكتسب أحدهما خلقاً من اخلاق الآخر يقال : هذا اقترب من الآخر بعض الشيء ... صحيح أن صفات

الواجب والممكن لا ارتباط بينهما وكمال الممكن مختلط ومشوب بمائة ألف نقص . . . أما - بلا تشبيه - يحصل للممكن نوع معرفة وارتباط بالواجب وهو الذي يعبر عنه بالقرب ، لأن العبادات الظاهرة لطف في العبادات الباطنة وكل عبادة سبب كمال في النفس ، فمن الممكن إذن أن يكون هدف الانسان في العبادة تحصيل هذا الأمر . . . ودرجات مراتب هذا القرب لا تنهاى . . . وتفصيل هذا المعنى موكول الى مقام آخر إن شاء الله .

القرب بحسب الذكر والمجبة :

المعنى الآخر للقرب القرب بحسب الذكر والمجبة والمصاحبة المعنوية كما لو كان شخص في المشرق وله صديق في المغرب . . . وهذا الصديق دائماً يلهج بذكر محبوه لا يغيب عن ذاكرته وهو يتحدث دائماً بمناقبه ، منصرف دائماً الى اعمال مرتبطة به . . . مثل هذا الصديق سيكون بحسب القرب المعنوي أقرب إليه من غريب عنه او عدو جالس بجانبه وظاهر أن هذا المعنى يحصل من كثرة العبادة والذكر « لو كنت في اليمن فلأنك معي فأنت عندي » .

٤ - العبادة حياءً :

عندما يضيء قلب العبد بنور الايمان ويدرك حسن العبادة والطاعة وقبح التمرد والمعصية ويصل في مقام المعرفة الى درجة الكمال ويدرك أن الله - دائماً وفي كل مكان - حاضر وناظر . . . بحيث يعلم أن خفايا باطنه هي عند الله علن . . يتجلى لقلبه الجلال والعظمة الإلهيين ولذا يكون في حياء دائم من ربه ، وحياء حضور الحق تعالى هذا يمنعه من كل ذنب ويدعوه الى كل طاعة إلى حد لو فرض أنه قيل له وعلم أنه لن يعذب وأنه من أهل الجنة قطعاً . . فإن ذلك الحياء يمنعه ايضاً من التمرد وفعل القبيح وهذا الأمر في غاية الوضوح .

إن الانسان دائماً يجتنب الاعمال القبيحة والمنافية في حضور عبد عاجز مثله فكيف لا يستحي في حضور الخالق من الاعمال القبيحة والعصيان . . نعم في حال الغفلة عن حضور الحق ما اكثر العصيان وفعل القبيح وقلة الحياء التي تصدر من الانسان . . . هنا وعلى هذه الغفلات ينبغي أن تسكب العبرات . . ينبغي العويل على قلة الحياء من الله الغفار والستار . .

٥ - العبادة حباً :

عندما تخرج من نفس الانسان - نتيجة المجاهدات النفسية والتفكير الكثير في فناء الدنيا - محبة الشهوات الحيوانية والآمال النفسانية ، ويتخلص من مرض الأنانية وعبادة الذات ويصبح مورداً للطف الله ومحبه وبسبب ذلك وبسبب بركة كثرة العبادة والسعي في الاخلاص عندها يجعل الله قلبه محلاً لاشراقه نور محبه ليصبح محبه ومحبوه ﴿يحبهم ويحبونه﴾ المائدة ٥٤ . ومقام المحبة اعلى درجات المقامات الانسانية ونهاية آمال العارفين .

ولأن القلب سلطان البدن ، وجميع حركات الجسد الاختيارية تتم بأمره وإرادته . . . فالقلب الذي ليس فيه حب آخر ورغبة أخرى . . . غير حب الله والرغبة فيه فإن حركات عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وكل عضو منه ستتحرك على قاعدة حب الله خصوصاً حركات عبادته أي أن من أصبح محباً لله لعبادته وخضوعه وخشوعه له سبحانه واطاعته له إنه يحبه هو بالذات الى حد يصبح ذكر الله لديه بالعبادة والإطاعة أحلى من العسل . . . وتصبح لذة قلبه وسروره واستقراره واطمئنانه في ذكر الله . . . ويكون حاله اثناء ذكر الله كحال السمكة في الماء كما تكون حالة غفلة كحال السمكة خارج الماء « يا مولاي بذكرك عاش قلبي وبمناجاتك بردت ألم الخوف عني » (٣٤) .

(٣٤) دعاء السحر.

بذكر الله تطمئن القلوب :

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾
الرعد ٢٨ .

إن كل من أصبح محباً لله ، يحب أن لا يجري لسانه إلا بذكره وإن لا يطرق سمعه شيء غير ذكره وأن لا يقع بصره إلا على آياته ، وأن لا تتحرك يده ورجله إلا في امتثال أوامره .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل الناس من عشق العبادَةَ فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر ام يسر^(٣٥) .

من استقر حب الله في قلبه وعشق العبودية . . . سوف لن يكون الثواب هدفه ويصل به الأمر الى حيث لو فرض انه تيقن أنه لا يدخل الجنة ولا يجزى على عمله فإنه لا يتخلى عن العبادَة والطاعة . . بل إذا أدخل النار فإن حب الله الذي أصبح جزء ذاته وحقيقته يبقى يرافقه كما يقول الإمام السجاد عليه السلام :

الهي لو قرنتني بالاصفاد ومنعتني سييك من بين الاشهاد ، ودلت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي الى النار ، وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك ولا صرفت وجه تأميلي للعفو عنك ، ولا خرج حبك من قلبي ، أنا لا أنسى اياديك عندي ، وسترك المرخى علي في دار الدنيا^(٣٦) . يا من اذاق

(٣٥) أصول الكافي - باب العبادَة .

(٣٦) دعاء ابي حمزة الثمالي .

أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين^(٣٧) .

وكما أن محب الله محب للعبادة والطاعة فهو يتألم من الغفلة والمعصية ويرى الذنب عدوه وهو لديه أمر من الحنظل بحيث لو فرض أنه لا يعذب على الذنب فمع ذلك ليس مستعداً أن يلوث نفسه بالذنب لأنه أدرك قبحه ووضاعته .

في الحقيقة إن محب الله شُفي قلبه من كل مرض وأصبح سالماً تماماً خصوصاً من جهة الذائقة أي تذوق حلاوة ذكر الله والعبادة وأدرك مرارة الذنب ، ومحبو الدنيا على العكس فقد انخرقت ذائقة قلوبهم عن الفطرة الانسانية ولم يدركوا إلا اللذات الحيوانية الخسيسة وهم يرون الحلاوة في ذكر الدنيا والشهوات ويفتخرون بمشاركة الحيوانات ويهربون من ذكر الله والدار الآخرة ، ويحملون انفسهم على الغفلة عبر الانشغال بملاهي الدنيا .

﴿واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾ الزمره ٤٥ .

علامات المحبين :

ما ذكر من أن محبي الله يحبون العبادة ويرون الذنب عدواً فيتركونه . . هو في حد ذاته علامة لهم يعرفون بها روي أن موسى عليه السلام قال : يا رب كيف يمكنني أن اعرف من احببت ممن ابغضت قال تعالى : يا موسى اذا احببت عبداً جعلت فيه علامتين قال موسى : يا رب وما هما ؟ قال : يا موسى اذا احببت عبداً ألهمته ذكرى لكي اذكره في ملكوت السماء وعصمته (عن)

(٣٧) دعاء عرفة ، والتملق تصنع ولعل المراد أن العباد مهما بلغوا في عبادة الله تعالى فإنهم لا يعبدونه حق عبادته . . ولذا تبقى عبادتهم بالتملق أشبه والله العالم (المترجم) .

محارمي لثلا يحل عليه عقابي وسخطي (٣٨).

إذا وفق انسان للعبادة بدافع المحبة لله فقد وفق لأشرف مراتب الاخلاص كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام : العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عزَّ وجلَّ خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء ، وقوم عبدوا الله عزَّ وجلَّ حباً له فتلك عبادة الاحرار وهي أفضل العبادة (٣٩) .

ومن الجدير بالذكر أن ما تقدم من أن طاعة محبي الله وعبادتهم ليس للوصول الى الجنة والفرار من النار . ليس معناه انهم يستصغرون الجنة ويحتقرون النار . الجنة التي خلقها الله ووصفها بانها كبيرة ﴿واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ الانسان ٢٠ .

هل يمكن أن يستصغرها محبو الله . . . الجنة التي دعى الله عباده إليها فقال اسرعوا إليها ﴿وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ آل عمران ١٣٣ .

ليس محبو الله مشتاقين إليها . . . ألا يريدونها . . . بالاضافة إلى أن الجنة دار الكرامة وتجليات انوار الجمال الإلهي . . . وكذلك النار التي جعلها الله سجنًا ودار قهاريته وحذر منها العباد : ﴿ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾ الزمر ١٦

الشوق الى الجنة والخوف من النار هما اللذان أطلقا أنين محبي الله واجريا دموعهم وأحرقا قلوبهم « ولولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر

(٣٨) لوامع البينات . ولمعرفة عظمة مقام الحب وعلاماته يراجع كتاب « معراج السعادة » (فارسي) .

(٣٩) اصول الكافي - العبادة .

ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب» (٤٠) .

كل ما في الأمر أن صاحب المعرفة والمحبة الذي يزيد شوقه الى الجنة عن غيره ليس سبب شوقه هذا المنافع والملذات النفسية . . . بل لأن الجنة محل كرامات رب العالمين وألطفه ومقام القرب منه والمخاطبة له . . . وكذلك خوفهم الشديد من النار الذي هو اكثر من خوف غيرهم ليس سببه فقط انواع العذاب فيها بل من جهة انها محل قهارية الله والبعد عنه وهجران أوليائه .

مثال ذلك :

ولإيضاح ذلك يذكر هذا المثال :

عندما يدعو السلطان جماعة الى مائدته . . . ويحركهم الشوق ويحضرون . . . فانهم على ثلاثة أقسام :

فئة تتصف بأوصاف المستجدي والعايد لبطنه وشوق هذه الفئة الى ملء بطونهم من هذه المائدة الكبيرة .

وفئة أخرى شوقها الى أن في مائدة السلطان نعماً لا تحصل في مكان آخر . . . وفي قصره ضيافة ملكية .

وفئة ثالثة عاقلة الهمة شوقها فقط الى نسبة هذه المائدة الى السلطان حيث تنعم هناك بلذات القرب من السلطان وصحبته وملاطفته والحديث اليه (٤١) .

وكذلك اذا أمر السلطان بإلقاء شخص عادي في السجن فإن ذلك الشخص يتألم فقط للمشقة التي هو فيها . . . أما اذا غضب السلطان على

(٤٠) نهج البلاغة - خطبة المتقين .

(٤١) هذا المثال يوضح جيداً أن تفاوت لذة اهل الجنة إنما هو باعتبار مراتب محبتهم ومعرفتهم .

شخص عاقل صاحب مقام كوزيره مثلاً وألقاه في السجن فإن المشقة التي يعيشها ذلك المسكين من سخط السلطان والبعد عنه وتنزل مقامه لا يقاس بمشقة نفس السجن . . بل إن جميع تألمه في السجن سببه غضب السلطان عليه .

أردت السلطنة فصرت لك عبداً :

بعد ملاحظة هذا المثال أقول : مع أن شوق اهل المعرفة والمحبة الى الجنة وخوفهم من النار كثير - إلا أن داعيهم الى عبادة الله وطاعته هو تلك المحبة بالتفصيل الذي تقدم . . . وقد عرفوا الله بحيث أصبحوا يفضلون العبودية له وامثال أوامره بالطريقة المقبولة عنده على سلطنة العالم ويفتخرون بذلك ويرون عزتهم في ذلك كما يقول سيد الأولياء علي المرتضى عليه السلام : إلهي كفى بي عزاً أن اكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً أنت كما أحب فاجعلني كما تحب .

« يا رب اذا قلت مرة واحدة : « عبدي » فإن صوت ضحكتي سيتجاوز العرش الأعظم » (٤٢) .

٦ - عبادة الكاملين في المحبة والمعرفة :

عندما يتجاوز العبد في معرفة رب العالم مرحلة علم اليقين ويصل الى حق اليقين ويعرف اسماء الله وصفاته وجماله وجلاله كما ينبغي ويصل في المحبة والارتباط بالله الى الدرجة الأعلى التي يعبر عنها بالعشق . . عندها يعلم أن الله أهل للعبادة والطاعة . ولذا يكون دائماً جاهزاً للعبادة والإطاعة . وهذا مقام عظيم جداً بل العقول الجزئية عاجزة عن ادراكه واللسان والقلم عاجزان

(٤٢) مضمون بيت .

عن بيانه . . . ولا يعرف أحد شيئاً عن هذا المقام إلا صاحب العقل الكلي كسيد العارفين أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو صاحب هذا المقام . . . وعلي فقط^(٤٣) هو الذي يمكنه أن يقول : إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك وإنما وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

وحيث أن لكل من هذه الدرجات الست للاخلاص مراتب لا تحصى فقد يصل بعض الصديقين الى مرتبة من مراتب الدرجة الأخيرة .

نصيحة ضرورية :

اتضح جيداً مما تقدم في بحث النية والاخلاص أن سعادات حياة الآخرة كلها ترجع الى صدق النية واخلاصها . . . الى حد أن حشر الخلائق في القيامة طبق نواياهم ، والدخول الى الجنة ودرجاتها التي لا تحصى يتم أيضاً باعتبار مراتب النية التي لا تحصى كما أن سبب الخلود في الجنة هو ايضاً النية . . .

بناءً عليه يجب أن يقرأ القارئ العزيز هذا البحث بدقة مراراً ثم لا يقنع بمعرفة ذلك بل يسعى في تصحيح نيته ويعلم اهميتها .

صحة النية وحسنها وصدقها وكمال اخلاص النية كل ذلك يتحقق عندما يكون توجه القلب الى الله كما يقول سبحانه : ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ البقرة ١١٢ .

ويقول أيضاً : ﴿ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور﴾ لقمان ٢٢ .

ويقول أيضاً : ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما

(٤٣) أي من أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وطبيعي أن المعصومين الآخرين كذلك ولم يذكر المؤلف هذا لوضوحه . وإن كان التعبير لا يفي بالمقصود .

أنا من المشركين ﴿الانعام ٧٩﴾ . وآيات القرآن المجيد في أن وجه القلب يجب أن يكون لله كثيرة وفي ما نقل كفاية .

التوجه الى الله . . . كيف ؟

المهم معرفة معنى وحقيقة توجه القلب الى الله فنقول : القلب الانساني كمرآة ذات وجه واحد ترى فيها الرسوم والاشكال والصور وليس في ظهرها أي منظر . . .

فإذا كان جميع وجه الانسان الى الدنيا فلن يوجد فيه غير الوسواس الشيطانية والهوس والأهواء النفسية والشهوات والحيوانية ويكون كل تحركه وسعيه للوصول الى تلك الاشياء الكامنة في قلبه . . .

أما إذا كان كل توجه القلب الى الله فلن يكون فيه شيء غير الرغبات الإلهية أي يكون كل أمله تحصيل رضا الله وقربه والعبودية له وتأمين الحياة الابدية بالتفصيل الذي مرّ في مراتب الاخلاص .

والخلاصة أن توجه القلب هذا الى الله هو معنى المحبة والاستقامة وخلوص النية ومن الطبيعي أن لتوجه القلب الى الله كذلك مراتب لا تحصى ومرتبته الأعلى هي أن يكون كل وجه القلب في كل الأحوال نحو الله وهذا مقام المعصومين عليهم السلام والمراتب الأخرى بمقدار مواجهة القلب وزمان المواجهة الى حيث قد يكون جزء من مائة من القلب مع الله ويكون في الباقي مواجهاً للدنيا . . . كما قد يتفق أن القلب لا يواجه الله في اليوم والليلة إلا عدة لحظات بينما هو في الباقي مواجه للدنيا .

رغبات القلب ميزان :

الميزان لمعرفة مقدار توجه القلب الى الله تلك الرغبات القلبية اذا كانت

الرغبات رحمانية والآمال الأخروية فيه اكثر فصاحب ذلك القلب من أصحاب اليمين ويؤمل فيه الخير جداً . . . وإذا كانت الوسواس الشيطانية والهوس النفساني فيه اكثر فهو من أصحاب الشمال وأمره صعب . . . ويجب أن يصلح انحراف قلبه بتقليل الآمال والأمانى الدنيوية كما تقدم في بحث القسوة الى أن يستقيم ويواجه الحق . . . والواقع أن انشغال الانسان بعيوبه ورؤيته لحاله كما هي خفي جداً ومشكل ، لأن النفس والشيطان لا يريدان أن يدرك الانسان المسكين عيبه ويبادر الى اصلاحه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » الا اذا جد انسان واجتهد وتضرع الى ربه طالباً منه البصيرة والهداية ليرى بنور هداية الله في بيت قلبه المظلم انحرافاته عن الصراط المستقيم ثم ينصرف الى علاجها .

من أراد الله به خيراً :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اذا أراد الله بعبد خيراً لها عن محاسنه وجعل مساويه بين عينيه (حتى لا ينساها ويتداركها) وكرهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله (٤٤) .

ويجب الانتباه الى أن هذا النور يوفق له الانسان اذا لم يكن مغروراً بنفسه ، راضياً بذلك النقص الموجود فيه . . . أي أنه في كل مرتبة من مراتب الاخلاص ينظر الى المراتب الأعلى حتى لا يرى نفسه من أهل الاخلاص ولا يسميها مخلصه . . . وعلى غرار أهل الدنيا الذين ينظرون دائماً الى من فوقهم ولا يقنعون بأي مستوى يصلون إليه ولا يكتفون . . . كذلك محبّو الله ينظرون دائماً الى المراتب العالية للاخلاص في العبادة والطاعة ويرون أنفسهم مقصرين في الاخلاص واطهار المحبة . . . ولذلك يجدون انفسهم بين يدي الله منكسي

(٤٤) سفينة البحار ١/ ٣٦١ .

الرؤوس خجلاً ، عاصين ، صفر الأيدي . « كيف أتخلص من الخجل من حبيبي اذا لم اتمكن من أن أقوم بخدمته كما ينبغي » .

لم نقدم العمر والمال فداء للحبيب لأن عشقنا يقصر عن ذلك^(٤٥) .

وفي الحقيقة كل من رأى نفسه مخلصاً فقد استعظم عمله وكل من استعظم عمله فليس من اهل الاخلاص ، وكما قيل وسيأتي في بحث العجب ، قيمة الأعمال بمقدار مراتب الاخلاص في النية والصدق والمحبة .

مسائل في الاخلاص :

حيث أن الشرط الشرعي في صحة وقبول أية عبادة واجبة أو مستحبة ، هو الاخلاص في نيته بالتفصيل المتقدم ، فمن الواجب على كل شخص - قبل البدء بالعمل - اليقين باخلاص نيته في اداء ذلك العمل كما أن شرط صحة الصلاة ، الطهارة ، إذن يجب على كل شخص قبل البدء بالصلاة أن يحصل على اليقين بالطهارة . . . ويصلي على ذلك اليقين . . . وإذا شك في طهارته (بدون يقين بطهارة سابقة) وصلى على تلك الحال من الشك فصلاته باطلة . . . كذلك اذا شك في اخلاصه وصلى على ذلك الشك أو أتى بعبادة أخرى فعمله باطل .

مثلاً اذا تيقن قبل الشروع بالصلاة ، الحج ، الانفاق ، او أية عبادة أخرى أن محركه لهذه العبادة هو الله وحده ، ورؤية الخلق وعدم رؤيتهم له على حد سواء . . . ومحبة الناس وثناؤهم على ذلك العمل ليس له أي تأثير في قلبه . . . فليؤد تلك العبادة فهي صحيحة ومقبولة وإذا رأى بعد الرجوع الى نفسه أنه بالاضافة الى طاعة الله فإن رؤية الناس له جزء مراده الباطني لذلك العمل فإن

(٤٥) مضمون بيتين .

اداء تلك العبادة على هذه الحال حرام مهما كان ذلك العمل مستحباً ، وإذا تحير وشك في مقصده ومراده الباطني هل تريد نفسه غير طاعة الأمر ، أي أن يراه الناس ، فمن الواجب أن يؤدي ذلك العمل سراً . . . أو يصبر حتى يزول شكه ويتيقن باخلاصه .

وكذلك في الضمائم الأخرى غير الرياء فإن من الواجب أيضاً اليقين باخلاص النية وسلامتها من تلك الضمائم . . . مثلاً اذا تيقن اثناء الوضوء أو الغسل بالماء الحار أنه لا هدف له غير اطاعة الأمر وأنه يتوضأ بالماء الحار لأن الماء البارد يؤذيه ، أو لأنه لا ماء غير هذا الماء الحار فعمله صحيح . . . وإذا تيقن أنه بالاضافة الى طاعة الامر يريد تدفئة بدنه بحيث أن ذلك جزء مراده فعمله باطل كما تقدم وإذا شك فيجب أن يتوضأ بالماء البارد أو أن يصب الماء الحار على اعضاء وضوئه طلباً للدفع ثم يتوضأ .

يجب عدم الاعتناء بالوسوسة :

ينبغي التذكير بأن ما قيل من لزوم ترك العمل عند الشك في الاخلاص انما هو فيما اذا شك الشخص واقعاً في نيته الحقيقية وهدفه الباطني . . أما اذا كان ذلك من باب الوسوسة الشيطانية والخواطر النفسانية فلا ينبغي الاعتناء بها . توضيح ذلك : أحياناً يميل الانسان الى اداء العبادة الفلانية إطاعة لأمر الله ولا يكون له أي هدف باطني آخر واقعاً ، لكن الشيطان - لحرمانه من ذلك العمل وعدم حصوله على ثوابه - يُخَطِّرُ بياله أن هدفك رؤية الخلق لك ومدحهم أو هدفك « الضميمة » في هذه الصورة ينبغي أن لا يترك العمل بل يجب أن يرجع الى باطنه ويحصل على الاطمئنان بأن لا هدف له ولا مراد إلا الله ووجود الضميمة وعدمها سواء . . ورؤية الناس وعدمها سواء وينبغي أن يستعيذ أي يلجأ إلى الله من شر الشيطان ويسأل الله حفظ الإخلاص وزيادته ويؤدي العمل متكللاً عليه .

الخلاصة: لا ينبغي الاعراض عن إطاعة امر الله بواسطة الوسوسة في الاخلاص فيسلط الشيطان على نفسه ويفرحه بامتثال أوامره . . . وليعلم أن ترك العمل نتيجة الوسوسة الشيطانية في الاخلاص هو في حد ذاته من أنواع كيد ذلك الملعون ، كأن يخطر ببال إنسان : اذا أدت هذه العبادة اغتالك الناس وقالوا فلان مرائي . . . فيترك العمل حتى لا يقال عنه أنه مرائي .

وأيضاً مثل أن يُخطر بباله أنك اذا أتيت بهذا العمل فستصبح مشهوراً به وهذا الاشتهار بالطاعة في حد ذاته نقص في درجتك عند الله . . . وفي جميع هذه الموارد يكون هدف الشيطان الحرمان من عمل الخير . . . والانسان العاقل الذي صحح نيته وتساوى عنده مدح الناس وذمهم لا ينبغي أن يعتني بهذه الوسوس وإنما امر بالاستعاذة قبل الشروع بأي عمل للحيلولة دون وسوس الشيطان .

نعم . . . إذا شك حقيقة في أصل نيته ولم يعلم هل له - غير الداعي الإلهي - غرض نفساني آخر . . في هذه الحال يجب ترك العمل والسعي في اخلاص النية ثم يأتي بالعمل كما في هذه القصة :

يترك الصلاة أول الوقت جماعة :

في مستدرك الوسائل أن المحقق المتقي الشيخ عبدالله التستري ذهب ذات يوم الى الشيخ البهائي لزيارته . وعندما حان موعد صلاة الظهر وارتفع صوت المؤذن طلب منه الشيخ البهائي البقاء ليصلي الظهر مقتدياً به حرصاً على ثواب الصلاة جماعة . . . فتأمل الشيخ التستري قليلاً ثم رفض البقاء ومضى الى بيته . . . وعندما سأله احد المقربين منه عن سبب عدم بقائه رغم حرصه على الصلاة أول الوقت قال : رجعت الى نفسي فرأيت أن اقتداء مثل الشيخ البهائي بي يترك أثراً في نفسي ويفرحني . . . ولست بحيث يكون ذلك وعدمه

لدي سواء^(٤٦) .

اخلاص المقدس الاردبيلي :

وهذا الاهتمام بالاخلاص الذي تجلى في المحقق المذكور هو ببركات استاذہ المحقق الاردبيلي كما يدل عليه ما ينقله التكايني في قصص العلماء حيث يقول :

كان الشيخ عبدالله اذا سأل المقدس الأردبيلي مسألة ويطلب منه التباحث فيها يسكت المقدس ويقول دعها لأراجعها . . . ثم يأخذ بيد الشيخ ويخرجان من النجف باتجاه وادي السلام وعندما لا يبقى معهما أحد يقول المقدس : أعد علي مسألتك ثم يتكلم في أطرافها ويشبعها بحثاً وتحقيقاً .

ويقول الشيخ عبدالله : لِمَ لم تذكر هذا التحقيق هناك فيقول الأردبيلي : كان هناك جماعة يسمعون حديثنا ومن الممكن أن يؤدي البحث الى انتقاص احدنا فيبادر من ظهر عجزه منا الى اثبات علمه وطلب الغلبة على الآخر وهذا منافٍ للاخلاص واما هنا فليس معنا إلا الله ونحن بمنأى عن الرياء^(٤٧) .

لا يترك العمل عند الشك في الاخلاص :

اتضح جيداً مما تقدم أنه لا يصح البدء بالعمل مع الشك في الاخلاص (لا الوسوسة) بل يجب الاتيان بالعبادة سرّاً حيث يُطمأن بالاخلاص . فإذا اراد أن يأتي بها علناً . . او كانت عبادة لا تؤدي إلا علناً كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إرشاد الجاهل ، العمل المنبري ، الموعظة ، الصلاة جماعة ، وأمثال ذلك فمن الواجب قبل البدء بالعمل ، السعي في اخلاص النية بالتفصيل الذي

(٤٦) مستدرك الوسائل ٤١٥/٣ (بتصرف) .

(٤٧) قصص العلماء للتكايني - فارسي - ٣٤٤/ .

ذكر في بحث علاج الرياء ، وأن لا يأتي بالعمل إلا بعد الاطمئنان الى أن الذي يدعو الى هذا العمل هو داع رحماني فقط لا شيطاني . . .

الخلاصة : لا ينبغي أن يكون الشك في الاخلاص وسيلة لترك العمل خصوصاً في الواجبات فتركها حرام بل السعي فيها للاخلاص في النية بمقدار الاستطاعة واجب . . . أي أنه اذا سعى بمقدار استطاعته قبل الإتيان بالعمل الواجب - كالأمر بالمعروف - للحصول على النية المخلصة وبقي متحيراً ولا يدري هل هناك داع نفساني بالاضافة الى الداعي الرحماني . . هنا يجب أن يأتي بالعمل وهو صحيح . . خصوصاً اذا كان يستاء واقعاً من الرياء . . . وفي مثل هذه الحال يكون ذلك الاستياء نفسه شاهداً على أن منشأ حيرته هو الوسوسة لا غير ولا ينبغي الاعتناء بها .

المسألة الثانية : لا ينبغي الرياء في كتمان المعصية أيضاً :

كما لا ينبغي الرياء في اظهار الطاعة فكذلك في كتمان المعصية ، توضيح ذلك : اذا أدى شخص عبادة او عملاً خيراً سراً . . . ثم أظهره بهدف طلب المنزلة والوجاهة لدى الناس كأن يقول : أعطيت المبلغ الفلاني الى الفقير الفلاني ، انشغلت الليلة الماضية بالصلاة والمناجاة وغير ذلك فهذا حرام بالتفصيل المتقدم . . نعم اذا كان هدفه واقعاً من إظهار العمل هو فقط شكر الله على التوفيق الذي تفضل به ، أو حث شخص آخر وترغيبه للاشتراك في عمل الخير ذاك فلا ضرر في ذلك .

كذلك اذا أخفى شخص ذنبه عن الناس حفاظاً على منزلته بينهم وحرصاً على استمرار مدحهم وثنائهم فإنه بذلك يكون مرئياً لأنه طلب المنزلة لدى الناس باخفاء ذنبه وبعبارة اخرى : أظهر نفسه بمظهر الورع والتقوى والخائف من الله عبر إخفاء ذنبه .

وكلما كان اخفاء الذنب ليس لإظهار طهارته وتقواه فليس رياءً ولا حراماً
بل اذا اخفى ذنبه عن الناس لاهداف صحيحة - سيأتي بيانها - فذلك حسن وفي
بعض الموارد يكون واجباً .

الأهداف الصحيحة لاختفاء الذنب !

١ - لأنه علم أن الله ستار العيوب وهو يحب أن لا ينكشف ذنب احد . .
فيخفي ذنبه لذلك ، وشاهد الصدق على هذا عندما يكون الشخص يحب أن لا
ينكشف ذنب أي مسلم كما يحب ذلك لنفسه . . هذا يثبت أنه « الله » لا يحب
أن يظهر ذنبه ولذلك اخفاه .

٢ - لأنه يعلم انه اذا ظهر ذنبه فسيقع الناس في غيبته وذمه ، كما يوجب
ذلك تشوشه بحيث لا يوفق لحضور القلب والتوجه في العبادة أو أن ذلك يحرمه
من بعض الخيرات ، أو أن الناس يؤذونه . . . من هنا لا يحب انكشاف ذنبه .

٣ - لأنه يتصف بالصفة الكريمة (الحياء) ومن كانت هذه صفته يخجل
من انكشاف ذنبه . . ولكي يحول دون خجله من الناس فإنه يخفي ذنبه ، وطبعاً
صفة الحياء مرضية عقلاً وشرعاً .

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « الحياء شعبة من الايمان »
و « إن الله يحب الحيي . . . » .

إلا أن مثل هذا الشخص ينبغي أن يكون اشد خجلاً من الافتضاح أمام
الله فلا يذنب من الأساس .

وعلى أي حال فإن الذين يخفون ذنوبهم عن الناس حياء هم يقيناً أفضل
من الذين لا يستحون ، ولا يتورعون عن اظهار ذنوبهم .

٤ - لأنه علم أنه اذا اطلع اخر على ذنبه فستزول من نفسه (الآخر)

خطورة الذنب ، ويستصغر الذنب وسيتلى هو ايضاً بالتلوث بالمعصية . .
مثلاً : اذا اطلع افراد الاسرة أن اباهم أو كبيرهم لا يصلي او يفطر عامداً من غير
عذر في شهر رمضان او يشرب الخمر فإن ذلك يترك أثره فيهم . . . وقد يتلوثون
هم بهذا الذنب . . . وكذلك الامر في كل كبير بالنسبة الى من تحت يده فإنه
يجب على الكبير اذا كان مبتلى بذنب أن يخفيه عنه حتى لا يكون سبباً في
جرأته على الذنب .

المسألة الثالثة : الرياء في العبادة فقط هو الحرام :

ما ذكر من خطورة ذنب الرياء . . . المراد به الرياء في العبادة أي أن
يجعل الشخص عبادة واجبة او مستحبة وسيلة لطلب المنزلة عند الناس اما اذا
لم يكن العمل عبادياً وجعله وسيلة للتقرب الى الناس فرغم أن حرمة الشرعية
ليست ثابتة لكن لا يخفى أنه اذا جعل شخص سيرته الرياء فقد سلك خلاف
الصراط المستقيم للعبودية والتوحيد . . . واذا استمر في ذلك فلن يكون بوسعه
الوصول الى مقام اليقين .

ثم إن من اعتمد الرياء في أفعاله غير العبادية فسيرائي في أفعاله العبادية
وبناءً عليه فطريق الاحتياط هو أن يجتنب أي نوع من أنواع الرياء .

وقد ذكرت انواع الرياء في كتاب « الذنوب الكبيرة » ولأن الإطلاع عليها
ضروري . . . ولعل القارئ لم يقتن ذلك الكتاب فيشار اليها هنا تكميلاً لبحث
الرياء .

الامور التي يراى بها :

قال بعض اهل التحقيق^(٤٨) في معرض تحديد الامور التي يمكن أن يقع

(٤٨) هو الغزالي في احياء علوم الدين ج٣/٢٩٧ وقد دمج المؤلف بين كلامه ونص الغزالي
ولعله لذلك لم يذكر اسمه .

الرياء فيها . . . ما يلي :

« والمراءى به كثير وتجمعه خمسه أقسام (. . . .) البدن ، والزبي ، والقول ، والعمل ، والاتباع والاشياء الخارجية » وكل منها إما أن يرائي به اهل الدنيا . . . أو المدعون انهم من اهل الآخرة وهذا ايضا ذلك .

١ - « الرياء في الدين بالبدن » :

« وذلك بإظهار النحول والصفار (إصفرار الوجه) ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليدل بالنحول على قلة الأكل ، وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائي يتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر » .

« إنه عرف أن الناس يستدلون بهذا على ذاك من هنا تظاهر بهذه الامور » .

« فأما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها » .

٢ - الرياء بالهيئة والزبي :

أما الهيئة فبتشعث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف و (. . .) وترك تنظيف الثوب . . . كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنه من اهل العلم والزهد والعبادة . . . مع أنه لاحظ له من العلم والدين ويبلغ به الرسوخ في الرياء بهذه الامور حداً بحيث اذا ارادوا تغيير زيه فكأنهم يريدون قتله لأنه يخشى أن يقول الناس عنه أصبح من اهل الدنيا . . . وترك طريقة اهل

العلم و«اما اهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والسكن وأثاث البيت » وواسطة النقل لجذب انتباه الناس إليه ويمدحوه ويعظموه .

٣ - الرياء بالقول :

وذلك بأن يعظ الناس ويحذرهم من شدة أمر الآخرة ويشوقهم الى الجنة في حين لا وجود في قلبه لشيء اسمه الخوف من الله والآخرة ولا أثر فيه للشوق الى الجنة وكذلك أن يقرأ الآيات والروايات ويحفظ معانيها ليظهر فضيلته اثناء الحديث أو أن يأمر المعروف وينهي عن المنكر في حين أنه تارك للمعروف وفاعل للمنكر . . . أو أن يشغل لسانه في حضور المخلوق بذكر الله في حين أن قلبه غافل عن ذكر الله . . . يقرأ القرآن بحزن ليعرف أنه من اهل الخوف والحزن ، يظهر الغضب من المنكرات ليشتهر بالتعصب للدين ، يتحسر على قلة الدين بين الناس وتفشي المعصية وأنه لا أحد يفكر بآخرفته وامثال ذلك أو أن يدعي لنفسه الأمور التي يمكن أن تشد الانظار إليه وتكسبه احترام الناس فيقول مثلاً : احفظ من القرآن والحديث المقدار الفلاني واعرف معانيها الغامضة ، خدمت العالم والاستاذ الفلاني المشهور واستفدت من علومه كثيراً ، فلأن العالم لم يعرف المسألة الفلانية وعرفتها أنا ، يجادل في البحث لاطهار كثرة علمه واطلاعه . . . والرياء بالقول في الدين كثير وانواعه لا تنحصر .

واما الرياء بالقول في المجال الدنيوي فهو كأن يحفظ الكثير من تاريخ الدول وجغرافيتها واحوال الامم السالفة والاشعار والامثال ليستعمل ذلك في تزوين حديثه ومجلسه ويشبع بذلك نزعة حب الظهور في نفسه أو يظهر التودد الى الناس ليستهوي القلوب ويشترى ثناء الناس ومدحهم او يتصدى لمدح شخص بهدف أن يبادله بالمثل . . . والواقع أن انواع الرياء بالقول في الامور الدنيوية أيضاً كثيرة .

٤ - الرياء بالعمل :

كمراءة المصلين بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع وإطراق الرأس وترك الالتفات واطهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى أن المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فإذا اطلع عليه احد من اهل الدين رجع الى الوقار وإطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه الى العجلة وقلة الوقار ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من أن يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس ، فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يحتج الى التغيير ويظن أنه بذلك يتخلص من الرياء والواقع أن رياءه قد تضاعف فإنه صار في خلوته ايضاً مرائياً لأنه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في المألا لا لخوف من الله وحياء منه .

وأما اهل الدنيا فمرءاتهم بالتبخر والاختيال وتحريك اليدين أو انفاق المال الكثير في الضيافات والموارد التي تلفت الأنظار ليعرف بين الناس بالثراء والكرم .

٥ - الرياء بالاتباع وأمثالهم :

كالمرءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يبذل جهده ليزوره عالم من العلماء ليقال إن فلاناً زار فلاناً ، أو عابد من العباد ليقال إن اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه ، أو يحرص أن يكون له طلاب ليقدم نفسه للناس على أنه عظيم وملجأ وملاذ ، وليس لهذا النوع من الرياء حد بحيث لا يعود يقنع بالشهرة والاتباع في المدينة التي هو فيها ويريد أن يشد إليه انظار الناس في المدن بل في الدول الأخرى .

ومن الرياء بالاتباع أن يكتر من الخدم والمستخدمين ويكون معه منهم عدد في ذهابه وإيابه ليعظمه الناس ، أو يشكل مجموعة أو حزباً ليكون له اعوان واتباع ، أو يصادق أصحاب المناصب الحكومية ويتردد اليهم ليعرف بين الناس بالنفوذ فيرجعون إليه في مشاكلهم ويتملقون له ومن الضروري الالتفات الى أن ما ذكر مما يراءى به للدنيا قد يكون عبادة ومن شؤون الآخرة . . . وذلك فيما اذا استعملها المؤمن بالمقدار الذي حدده الشرع وبهدف امر الله . . . مثلاً : اذا كان هدفه اطاعة أمر الشارع بنظافة البدن واللباس وتنظف على هذا الاساس لا بهدف التزين للناس ، فقد ادى عبادة ، وكذلك اذا كان هدفه امتثال أمر الشارع باظهار نعمة الله وحفظ ماء وجهه لذلك اعد البيت والأثاث المناسبين لشأنه لا بهدف التظاهر للناس . . . فذلك ايضاً عبادة وكذا في الموارد الأخرى .

* * *

٤ - العجب

معنى العجب والإدلال :

من جملة الذنوب القلبية والأمراض الباطنية ، العجب . . . وحقيقة العجب هي أن الشخص يرى نفسه خالية من اي عيب ونقص . . . ويرى نفسه عظيماً لأنه في كمال ونعمة . . . شرط أن يكون يعتبر هذا الكمال من نفسه لا من الله ويعتمد على ذلك ويفرح به بحيث لا يخطر بباله زوال تلك النعمة ليخاف .

العجب في العبادة أن يعتبر الشخص أن العبادة التي أداها إنما هي منه لا من توفيق الله . . . ويرى نفسه نتيجة ادائها عظيماً لأنه قام بعمل عظيم كما يتخيل ويفرح بتلك العبادة ولا يعود يرى نفسه (بسبب هذه العبادة) مقصراً تجاه الله تعالى .

والإدلال هو أن الشخص بالاضافة الى اكبار نفسه بسبب العمل الذي أداه يرى نفسه صاحب حق ومقرباً الى الساحة الإلهية بحيث أنه - بزعمه هو - في الآخرة يجب أن تكون الجنة مكانه حتماً . . . وفي الدنيا كلما دعا فيجب أن يستجاب دعاؤه فوراً ولا يصيبه أي بلاء .

مثال ذلك من اعطى مالا لآخر أو اسدى إليه خدمة فاستعظم ذلك ورأى نفسه صاحب حق وتوقع من الأخذ الجزاء وامثال اوامره .

مع المجلسي والشيخ البهائي رحمهما الله :

قال العلامة المجلسي في معنى العجب : والعجب استعظام العمل الصالح واستكثاره ، والابتهاج له والادلال به وأن يرى نفسه خارجاً عن حد التقصير ، وأما السرور به مع التواضع له تعالى والشكر له على التوفيق لذلك وطلب الاستزادة منه فهو حسن ممدوح ، قال الشيخ البهائي قدس الله روحه (في معنى العجب في العبادة) : لا ريب أن من عمل أعمالاً صالحة من صيام الأيام وقيام الليالي وأمثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج ، فإن كان من حيث كونها عطية من الله له ونعمة منه تعالى عليه ، وكان مع ذلك خائفاً من نقصها مشفقاً من زوالها ، طالباً من الله الازدياد فليس ذلك الابتهاج عجباً ، وإن كان -الابتهاج- من حيث كونها صفته وقائمة به ومضافة إليه فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حد التقصير وصار كأنه يمن على الله سبحانه بسببها فذلك هو العجب^(١) .

وبعبارة أسهل : العجب هو أن يرى الشخص نفسه عظيماً ويفتخر بنفسه بأنني كيت وكيت وكذا وكذا ، اديت عملاً عظيماً ، أنا لا عيب في ولا نقص ، في حين أنه لا وجود لذرة من العظمة الإلهية في قلبه ولا ذرة من الخوف من عقوبته . . . فليس خائفاً من عدم قبول اعماله التي يراها خيراً .

العجب مرض القلب :

تقدم في قسم العقائد من هذا الكتاب أن من الأمراض القاتلة للنفس

(١) مرآة العقول/١٠/٢١٨ - ٢١٩ .

الانسانية الجهل المركب وعلاجه في الحقيقة في غاية الصعوبة وليس له غير الفضل الالهي أي علاج كما سيذكر والجهل المركب هو أن لا يعرف الانسان الحقيقة ولا يعرف بجهله هذا بل - رغم جهله - يعتبر نفسه عالماً وبعبارة اخرى : « أن يجهل أنه يجهل » .

العجب هو الجهل المركب بحقيقة الامر لأن الشخص المعجب لم يعرف حقيقة أمره وإلا لما وجد فيه العجب وهو ايضاً لم يدرك هذا الجهل .

كل ما لديه من الله ولكنه لا يعلم :

توضيح المطلب أن الحقيقة الانسانية ليست شيئاً آخر غير العدم الذاتي والوجود العرضي والحاجة الشاملة من كل الجهات . . . وكما أن الانسان لم يكن شيئاً منذ البدء فهو الآن ليس شيئاً وليس له من نفسه شيء ولا يملك أي استقلال وأصل وجوده وآثار وجوده معاً مرتبطان بالله .

أو هل كان أوله شيئاً غير قبضة تراب في الأرض وبعد ذلك قطرة ماء في الرحم ؟

هذا الجهاز العظيم والمعمل المحير ، البدن ، من الانسان ؟ ! هذه القوى الإدراكية كالبصر والسمع وسائر الإدراكات هو أوجدها في نفسه ؟

هذا العلم وهذه القدرة هل هما منه ؟ الكمال الذي يظنه في نفسه عن أي طريق وصل إليه ؟ هل وصله عن طريق آخر غير القوى الإدراكية ومنها العقل وكلها من الله . .

العبادة التي اداها هل اداها بغير البدن الذي صنعه الله وبأمر الله سخر لارادته ؟ وايضاً تلك العبادة وحصول الميل والشوق اليها هل هو من غير الله ؟ المال الذي انفقته هل هو سوى مخلوق وملك حقيقي لله . . والشخص

هو مجرى خير لا أكثر أي أن الله أوصل المال الى آخر بواسطته (وقد ذكر توضيح ذلك في باب التوحيد الأفعالي) والخلاصة أن الانسان وعلاقاته وأعماله كل ذلك ملك الله ﴿ والله ما في السماوات والأرض ﴾ هذه حقيقة الامر وهذا هو الواقع (٢) .

اذن ذلك الانسان - الذي لم يدرك هذه الحقيقة وبمجرد أن ظن في نفسه كمالاً أو أتى بعمل خير ، رأى أن ذلك الكمال وتلك النعمة منه فرح بها واعتبر نفسه عظيماً وجهل جهله بالحقيقة - هو في الحقيقة مبتلى بأصعب الأمراض النفسية لأن اذن قلبه صُمّت عن سماع الحق وأصبح قلبه اقصى من الحجر وأقفل على قلبه وختم عليه بحيث لا يدخله حق وخسر الحقيقة التي هي خاصية القلب الانساني السليم إنه ذلك الاحمق الذي يعجز الاطباء الإلهيون عن علاجه ويولون منه فراراً .

الذين يخافون من التزكية :

في مقابل هؤلاء الجهلة غير العقلاء فئة من عباد الله قلوبهم سليمة آمنوا مرض الجهل وزالت عن أعينهم استار الغفلة . . . لا يمدحون انفسهم ولا ينظرون الى اعمالهم بفرح ولا يدلّون بها ولا يقيمون لنهجهم اي وزن ويخافون من كل منصب ومقام ولا يرضون بمدح الناس لهم كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في أوصاف المتقين :

واذا زكي احد منهم خاف مما يقال له ويقول : « انا اعلم بنفسي من

(٢) «سألني الصديق من هم أولئك القوم الذين أدركوا من بين كل الناس غور الحقيقة فقلت وكيف تسأل عن علامتهم وهم لم يظهروا أنفسهم لأنفسهم بدافع الإظهار » مضمون بيتين » .

غيري وربّي اعلم مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني احسن مما يظنون » .

العجب ذنب قلبي وحرام شرعي :

اتضح مما تقدم في معنى العجب أن العجب حالة نفسانية وعارضة معنوية باطنة ، أي أن مكان العجب هو باطن الانسان وليس بدنه وحركات اعضاء البدن - خصوصاً اللسان - تظهر ذلك أي يعلم من كلامه ومن حركات عينه ويده ورجله أن في باطنه عجباً .

والأدلة على حرمة الشرعية من الآيات والروايات كثيرة يشار الى بعضها .

فلا تزكوا أنفسكم :

في سورة النجم الآية ٣٢ يقول تعالى : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ .

تزكية النفس تعني أن يرى الانسان نفسه طاهراً منزهاً من العيب ويمدح نفسه بالطهارة وهو العجب الذي نهى عنه الله تعالى .

ويجب العلم بأن عيوب النفس لا تحصى واذا ادرك شخص بعض عيوبه فإن ما لم يدركه يقيناً - أكثر . . إن الانسان يحب نفسه وهذا الحب يمنع من رؤيته لعيوبه .

واذا شمل الفضل الإلهي حال شخص وأدرك بعض عيوبه فالطهارة من ادراكها هي يقيناً خارج حدود استطاعته . ولا يمكن لأي انسان أن يطهر نفسه من ظلمات الباطن إن الله فقط هو القادر على تطهير عبد كما في الآية الآتية ، بناءً عليه فمن يزكي نفسه كاذب أولاً : لأنه ليس متصفاً في الواقع بأي نوع من انواع الطهارة وهو يدعي الطهارة والتزكية ويمدح نفسه كذباً .

ثانياً : اذا كان واقعاً قد أصلح قسماً من عيوبه واتصف بالطهارة منها فالله

هو الذي طهره وهو أعجز من أن يستطيع تطهير نفسه ، اذا تصور أنه هو سبب الطهارة والافتخار بها والادلال ليس شيئاً غير الكذب ومن هنا نهى في القرآن المجيد عن تزكية النفس في عدة مواضع ثم إن تزكية النفس مرتبة من الشرك كما سيأتي .

بل الله يزكي من يشاء :

في سورة النساء يقول تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ اللَّهُ يَزْكِي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ * انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً ﴿ النساء ٤٩ - ٥٠ .

إن الإنسان لا يملك نفعه ولا ضره ولا حياته ولا موته ، وليس مستقلاً ليتمكن التخلص من النقص الذي يواجهه والتحلي بالفضائل وهو جميع شؤونه والخير الذي يظن أنه موجود فيه وجميع اسباب ذلك كله ملك الله تعالى .

من هنا يعلم أن من يزكي نفسه هو في الحقيقة يدعي الاستقلال والاستغناء عن الله ويجعل نفسه شريكاً له . . وبعبارة أخرى : إن جميع اجزاء عالم الوجود هي من الله والكمالات الإنسانية هي أيضاً من مراتب الوجود . . اذن كل كمال وفضيلة في أي انسان عطاء إلهي ، وكل صاحب فضيلة اذا لم يكن اعمى القلب يجب أن يفخر بالله لا بنفسه ويمدحه ولا يمدح نفسه . . وهكذا يتضح أن الشخص المعجب في عداد المشركين .

تزكية الله بحسب الاستعداد :

ويجب العلم بأن تزكية الله لمن يشاء تتم بملاحظة الاستحقاقات والاستعدادات (القابليات) والرغبات الحقيقية للعباد . . أي أن الله يزكي كل شخص بمقدار المرتبة التي يريدها من التزكية وجاهزته لها . . وهذا مقتضى

العدل الإلهي كما قال سبحانه ﴿ولا يظلمون شيئاً﴾^(٣) .

والواقع أن الانسان المعجب بنفسه الذي يزكي نفسه ويمدحها ويرتكب بذلك ذنباً كبيراً هو الكذب والشرك يقول تعالى : ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب (اذ قالوا نحن ابناء الله واحبائه . . .) وكفا به اثماً مبيناً﴾ لأنهم أولاً كذبوا على الله وزعموا انهم من اوليائه والله لم يجعلهم كذلك وثانياً : ولنفترض انهم اولياء الله فتزكيتهم لأنفسهم بسبب ذلك كذب وجعل لأنفسهم بدلاً عن الله لأن كل كمال وفضيلة هو عطاء الله فقط .

والخلاصة إن تزكية الانسان نفسه كذب على الله لأن التزكية هي لله فقط .

التزكية المطلوبة :

وينبغي الالتفات الى أن التزكية المنهي عنها التي تتحدث عنها هاتان الآيتان هي أن يمدح الانسان نفسه ويفتخر بها بالتفصيل المتقدم ، وأما التزكية الممدوحة المذكورة في سورة الشمس^(٤) وغيرها فالمراد بها جهاد النفس ومصارعة اهوائها ورغباتها بترك المحرمات والمكروهات وفعل الواجبات والمستحبات ليصبح بذلك جاهزاً للتزكية الإلهية ، أي يجعل الله قلبه سالماً ويطهره من كل عيب معنوي ، ويخلصه من كل نقص ليوصله الى الكمال ويجعله من أصحاب الفضائل .

الاعتماد على النفس شرك :

يقول في تفسير الميزان : الاعتماد على النفس الذي جعله بعض كتابنا -

(٣) الفتيل : الخيط الذي في شق نواة التمرة . البحار/٥/٤ .

(٤) ﴿قد أفلح من زكاه﴾ الشمس ٩ .

تقليداً للغربيين - من الفضائل الانسانية لا وجود له في قاموس الدين ، القرآن لا يعرف إلا الاعتماد على الله والاعتزاز به سبحانه ويقول :

﴿الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ آل عمران ١٧٣ .

اي لم يخافوا ولم يعتمدوا على قوتهم واستقوا بقدرة الله تعالى .

ويقول أيضاً : ﴿أن القوة لله جميعاً﴾ البقرة ١٦٥ ، ﴿ان العزة لله جميعاً﴾ يونس ٦٥ .

الاعتماد بالنفس يعني أن يعتبر الانسان نفسه عالماً قادراً ويعتمد على قدرته وعزته وارادته وذلك خلاف توحيد الله الذي هو اساس الإسلام وبالرجوع الى ما تقدم في بحث الشرك والتوحيد من هذا الكتاب يتضح هذا جيداً . . . ويعلم أيضاً أن الاعتماد على النفس خلاف حكم العقل أي الاعتماد على الذات دليل عدم العقل ودليل الجهل بالحقيقة والواقع ، إن الانسان الذي أصل وجوده من الله وهو مخلوق لله . . هل يمكن ان تكون آثاره وخواصه منه هو لا من الله ؟ هل يقبل العقل أن يكون الفرع زائداً على الأصل . هل الانسان بداية اكثر من حفنة تراب ؟ .

اذن هذا الوجود العارية (الاعارة) وخواصه وعوارضه في الائناء - ما بين البداية والنهاية - اذا غرت الانسان فظن لنفسه شأنًا واستقلالاً واعتمد على هذا الوجود غير الثابت هل ذلك شيء غير عدم العقل ؟

وحيث أن هذا الامر تم ايضاحه في هذا الكتاب ببيانات مختلفة فيكتفى بهذا المقدار .

العجب كفر :

في سورة الكهف الآيات ٣٢ - ٤٤ يذكر تعالى قصة حوار شخصين وإليك الآيات أولاً ثم بعض الاستفادات منها .

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * كلنا الجنتين اتا اكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهرا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالاً وأعز نفراً * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً * قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً * لکنا هو الله ربي ولا اشرك بربي أحداً * ولولا اذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً * فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً * أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلباً * وأحيط بشمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي أحداً * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً * هنالك الولاية لله الحق وهو خير ثواباً وخير عقاباً .

مع هذه القصة :

يريد الله تعالى بهذه الآيات أن يتنبه المسلمون الى مرض العجب وأن لا ينسوا الله أبداً وأن لا يعتبروا انفسهم مستقلين وفي غنى عنه سبحانه ولا يفتخروا ويتباهوا بما منحهم ولا يتكبروا على الآخرين وأن عليهم أن يتأملوا في حال من انعم الله عليه نعمة وافرة فنسي هذا الشقي ربه ورأى أنه هو مصدر هذه النعم

فتباهى بها ولم يدرك فناءها وزوالها وكونها عارية (استعارة) ، وظن أن الموت والقيامة من البعد بحيث انهما محض خيال لا يمكن أن يتحقق ، ورأى كذلك أنه صاحب شرف وكرامة فقال : اذا كان هناك عالم آخر غير الدنيا ﴿لأجدن خيراً منها﴾ وقد بلغت غفلته هذا الحد الذي لم يقل معه إن الله بفضله سيعطيني بل قال سأجد خيراً مما وجدت في الدنيا وبلغ غروره وعجبه بهذه النعمة أن تكبر على صاحبه فصور نفسه افضل منه واعظم ولم يصغ الى نصحه وفي نهاية المطاف حل به البلاء الإلهي وقضى على جميع ثروته . . عندها أدرك أن الاسباب الظاهرة ليست شيئاً وأن الحق هو قدرة الله وعزته سبحانه . ولم تكن لتعطيه اية فائدة سوى الحسرة والندامة على عجبه وكبره وشركه وكفره وهذه الندامة هي لكل المعجبين والمتكبرين ، بعد الموت وعندما تنكشف الحقيقة . ولمعرفة خطورة ذنب العجب تأمل في هذه الجمل من الآيات الشريفة :

المعجب يظلم نفسه :

١ - ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ الظلم هو وضع الشيء في غير محله المناسب كما أن العدل وضع الشيء في محله المناسب ، بناءً عليه فالانسان الذي هو مخلوق وفقير ذاتاً ، وشأنه العبودية أي العجز والحاجة والخضوع والخشوع . . اذا ادعى الربوبية أي جعل نفسه مستقلاً وغير محتاج ومالكاً فقد جعل نفسه في مكان ليس من شأنه .

بعبارة اخرى : الانسان عبد والله مولى فاذا اعتبر الانسان نفسه مولى فقد ألحق بنفسه اكبر ظلم لأن مظالمه الأخرى من هذا تبدأ .

يظن انه خالد :

٢ - ﴿ما أظن أن تبید هذه﴾ المعجب بنفسه الذي يرى انه هو وثروته لا

يمكن أن يزولا يرى أن موته وقيامته ابعد مما يظن ، إنه في الحقيقة لا يؤمن بالمعاد وإن أقرّ به بلسانه أو خطر على باله احياناً .

الكفر والحسرة :

٣ - ﴿أكفرت بالذي خلقك﴾ يتضح جيداً من التأمل في هذه الآية بدقة أن حال المعجب هي الكفر بالله ، لأنه عندما يرى نفسه مستقلاً وغير محتاج ويرى ثروته منه فهو يقول بلسان الحال : ليس لي رب ، ليس لي خالق ومدبر ومنعم حتى اذا قال بلسان (القول) « الله ربي » وصلّى أو ادى عبادة اخرى .

٤ - ﴿يا ليتني لم اشرك . . . ﴾ تندم ذلك الشقي بعد زوال ثروته وقال ﴿يا ليتني لم اشرك﴾ يا ليتني لم اعتبر الاسباب الظاهرية ذات اثر بدون الشرط (اذن الله) اجمالاً الشخص المعجب نفى عن الله المالكية والربوبية والمدبرية ووضع نفسه بديلاً عنه سبحانه مالكاً ورباً ومدبراً . .

اتضح إذن من هذه الآيات جيداً أن حال المعجب هي الكفر بالله والشرك به .

وحيث أن ايراد الآيات الأخرى حول العجب يستدعي الاطالة فيكتفى بهذا المقدار . . . وهذه اشارة الى روايات من اصول الكافي .

الذنب خير للمؤمن :

يقول الإمام الصادق عليه السلام : إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب ابداً^(٥) .

أي لأن العجب ذنب القلب وهو اسوأ من الذنب البدني فعندما يريد

(٥) اصول الكافي - كتاب الايمان والكفر - باب العجب .

المؤمن أن يرتكب ذنباً بدنياً فإن الله تعالى لا يحول بينه وبين ذنبه ويكمله الى نفسه - لأنه اذا حال بينه وبين ذنبه سببتلى بالعجب والغرور ويرى نفسه (في ترك الذنب) طاهراً مطهراً وقد مرّ أن العجب في حد الكفر والشرك .

وروي عنه عليه السلام : من دخله العجب هلك^(٦) .

ويقول أيضاً : إن الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك ، فيتراخي عن حاله تلك فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه^(٧) .

والخلاصة أن حالة الندم بعد الذنب هي في حد ذاتها عبادة ومحبوبة لله لأن الله يحب التوابين وحالة العجب بعد العبادة معصية ويبغضها الله تعالى .

قال عبد الرحمان بن الحجاج : « قلت لابي عبدالله عليه السلام : الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه العجب به ؟ فقال : هو في حاله الأولى وهو خائف احسن حالاً منه في حال عجبه^(٨) »

مثلي يسأل عن صلاته ؟

وروي عنه عليه السلام أنه قال : « اتى عالم عابداً فقال له : كيف صلاتك ؟ فقال : مثلي يسأل عن صلاته ؟ وأنا اعبد الله منذ كذا وكذا ، قال : فكيف بكاؤك ؟ قال : ابكي حتى تجري دموعي فقال له العالم : فإن ضحكك وانت خائف أفضل من بكائك وانت مُدِلّ ، إن المُدِلّ لا يصعد من عمله شيء^(٩) » .

وعن الإمام الباقر او الإمام الصادق عليهما السلام : « دخل رجلان

(٦) ، ٧ ، ٨) نفس المصدر .

(٩) نفس المصدر .

المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجنا من المسجد والفاسق صديق ،
والعابد فاسق ، وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدل بها فتكون
فكرته في ذلك ، وتكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله عز وجل
مما صنع من الذنوب» (١٠) .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن موسى عليه السلام قال
للسيطان : « أخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه ؟ قال : اذا
اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه » (١١) .

انذر الصديقين :

قال النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله عز وجل لداود عليه
السلام : يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين ، قال : كيف أبشر المذنبين
وانذر الصديقين؟! قال : يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة وأعفو عن
الذنب ، وانذر الصديقين ألا يعجبوا باعمالهم فإنه ليس عبد انصبه للحساب إلا
هلك (١٢) .

اي انه يصبح مستحقاً للعذاب لأن شرائط صحة العبادة وقبولها كثيرة ،
وأكثر الناس لا يأتون بها . . . ثم إنه اذا تمت المقابلة بين العبادات والنعم فمن
البديهي انها لا تفي بشكر نعمة واحدة .

فأضربه بالنعاس :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « قال الله تعالى أن من عبادي المؤمنين
لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاذه ولذيد وساده فيجتهد لي الليالي فيتعبد
نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني إليه وابقاءً عليه فينام

(١٠، ١١، ١٢) نفس المصدر السابق .

حتى يصبح فيقوم وهو ماقت (لها) زارىء عليها ولو اخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصيره العجب الى الفتنة بأعماله ، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجب بأعماله ورضاه عن نفسه ، حتى يظن أنه يتقرب إلي « (١٣) .

العجب مهلك :

روي عن الإمام الباقر عليه السلام : ثلاث موبقات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (١٤) .

وفي نهج البلاغة : سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك .

وفي الصحيفة السجادية يقول الإمام عليه السلام :

« نعوذ بك أن (.) نعجب بأعمالنا » (١٥) .

أي ان نرى اعمالنا الخيرة التي نعملها عظيمة ونفرح بها وندل ولا نرى أنفسنا مقصرين .

ويقول عليه السلام ايضاً : « وَعَبْدُنِي لَكَ وَلَا تَفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعَجَبِ » (١٦) .

بين عيسى عليه السلام ومعجب :

في أصول الكافي ، باب الحسد ، «عن داوود الرقي قال : سمعت ابا

(١٣) وسائل الشيعة - كتاب الطهارة - باب تحريم الاعجاب بالنفس والإدلال به .

(١٤) الخصال / ٨٤ .

(١٥) الصحيفة السجادية ، الدعاء الثامن .

(١٦) المصدر السابق الدعاء العشرون .

عبدالله عليه السلام يقول : اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً ، إن عيسى ابن مريم كان من شرايعه السَّيِّئُ في البلاد ، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام فلما انتهى عيسى الى البحر قال : « بسم الله » بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى عليه السلام جازه : « بسم الله » بصحة يقين يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام ، فدخله العجب بنفسه ، فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء فما فضله عليه ، قال : فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فاخرجه ثم قال له : ما قلت يا قصير ؟ قال : قلت : هذا روح الله يمشي على الماء وانا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى : لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه ، فمقتك الله على ما قلت ، فتب الى الله عزَّ وجلَّ مما قلت قال : فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها ، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً .

ويدل ربط الإمام بين هذه القصة والحسد على أن ذلك الرجل القصير قد ابتلي - حين العجب - بالحسد ايضاً ، أي عندما رأى نفسه مثل عيسى حسده على مقام النبوة وتمناه لنفسه ، كما يدل قول عيسى عليه السلام لذلك الرجل « يا قصير » أن مناداة الاشخاص ببعض صفاتهم الظاهرة اذا لم يكن استهزاء فلا اشكال فيه . . . ويحتمل أن يكون قوله « يا قصير » إنما هو لتأديبه ، وقد أشار المجلسي عليه الرحمة الى ذلك في شرح الكافي (١٧) .

سفعة من الشيطان :

روي ان رجلاً ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وآله ، فأقبل ذات يوم

(١٧) مرآة العقول ١٠/١٦٥ .

فقالوا : يا رسول الله (ص) هذا الذي ذكرناه لك فقال (ص) : إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان ، فسلم ووقف على النبي واصحابه فقال النبي (ص) اسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم افضل منك فقال : اللهم نعم «(١٨)» .

يعلم من هذا الحديث جيداً أن العجب او الكبر الباطني ذنب كبير جداً رآته عين النبوة وأخبرت به .

العجب حالة ثابتة :

بعد التدقيق في الآيات والروايات المتقدمة يعلم أن العجب حرام شرعي بل صريح الروايات أن العجب باعتباره ذنباً قلبياً فهو اعظم من سائر الذنوب التي ترتكب بالجوارح والاعضاء .

وتسأل : إن العجب من خطرات القلب والعفو عنها مسلم وقطعي . . . ثم إن قصد الذنب وحده لا يؤاخذ الانسان عليه فأكثر الفقهاء يقولون : ما لم يصل الذنب الى مرحلة العمل فإنه لا يتصف بالحرمة وحيث أن العجب امر باطني فالمكلف لم يقم بعمل حتى يقال ارتكب حراماً .

والجواب : ليس العجب خاطرة قلبية سريعة الزوال ليتنافى دليل العفو عنها (الخاطرة السريعة) مع ادلة حرمة العجب بل العجب حالة نفسية ثابتة كما تقدم في بيان معناها .

أما مسألة العفو عن الذنب فأولاً : سنقول إن شاء الله في بحث العزم على الذنب أن العزم على الذنب هو في حد ذاته ذنب ، وثانياً : العجب ليس عزمًا على الذنب بل هو ذنب بالأدلة المتقدمة ومراد الفقهاء من أن الذنب ما لم يتحقق

(١٨) المحجة البيضاء ٢٤٠/٦ .

فليس ذنباً ومجرد القصد ليس حراماً - مرادهم - ذنوب الجوارح أي أعضاء البدن كالزنا والقمار وشرب الخمر وغيره من الذنوب التي تتحقق بالبدن .

اما العجب الذي هو امر معنوي باطني فمحله القلب والباطن ولا معنى للعزم والارادة بالنسبة إليه وسبب وجوده هو الغفلة والجهالة فقط بالتفصيل الذي مر .

والخلاصة : العجب ذنب محله الباطن والداخل فإذا وجد سببه وجد هو وإلا لم يوجد .

واما الذنب الذي محله ظاهر الانسان فهو متوقف على العزم والارادة ولذلك يقال فيه إن مجرد العزم على الذنب ليس حراماً والخرام هو العمل الذي يؤدي بالبدن .

هل العجب غير اختياري :

يقول في مصباح الفقيه : ليس العجب فعلاً اختيارياً مسبوقاً بإرادة الانسان ليتصف بالحرمة الشرعية ويستلزم العقوبة ويقول لتوضيح عدم كون العجب اختيارياً : الشخص العالم الذي ادرك فضيلة العلم يجد نفسه قهراً في مقابل الجاهل صاحب منزلة وشأن عند الله ، والشخص الذي علم فضيلة الصلاة أول الوقت فكلما ادى صلاته اول الوقت سيرى نفسه قهراً صاحب مقام ، والشخص الذي ادى عمله الواجب يرى نفسه قهراً مطيعاً وعبداً غير مقصر تجاه الله ويرى نفسه أيضاً أفضل من العبد العاصي .

ازالة سبب العجب اختيارية :

الجواب : ليس الاختيار في الافعال التوليدية بأن يكون الانسان قادراً على نفس الفعل بل اذا كانت اسباب الفعل مقدورة فذلك الفعل اختياري مثلاً

تحطيم الصخر وجعله املس ليس مقدوراً ولكن حيث أن الحديد في متناولنا ويمكن تحقيق ذلك الفعل بواسطته فتحطيم الصخر اختياري والتكليف به صحيح .

والعجب من هذا القبيل اي رغم أن وجود حالة العجب خارجة عن الاختيار والارادة ولكن حيث أن ازالة اسبابها التي هي الغفلة والجهل والغرور هي في حدود الاختيار والاستطاعة فيصبح وجود حالة العجب وازالتها معاً اختياريين ، والتكليف بازالتها والمؤاخذة عليها كلاهما صحيح . . . مثلاً : الشخص الذي يتعلم المصطلحات الكلامية ، الفلسفية ، الأصولية ، الفقهية ، ومصطلحات التفسير ، ويعتبر نفسه صاحب فضيلة ومنزلة ويعجب بنفسه قهراً . . . الا يحتمل - هذا الشخص - أن المراد بالعالم الذي تتحدث الروايات والآيات أنه صاحب فضيلة ومنزلة ليس هو « العالم بالمصطلحات » ولعل المراد هو من وصل في الامور الاعتقادية الى مرحلة اليقين واصبح صاحب بصيرة في طريقة عبوديته وسلوكه الديني .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله^(١٩) : يا ابا ذر من أوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق أن يكون قد أوتي علماً لا ينفعه ، إن الله نعت العلماء فقال : ﴿إن الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ الاسراء ١٠٧ - ١٠٩ .

يعلم من هذا الحديث بوضوح أن كل علم لا يزيد الخوف من الآخرة وخشية الله ولا يبكي صاحبه ويشير نحيبه فليس لهذا العلم نفع باق وليس علماً إلهياً ولا مورداً لرضا الله تعالى بناءً عليه اذا اعجب عالم بعلمه فليعلم أنه ليس

(١٩) مكارم الاخلاق ٤٦٢ .

ذلك العالم الإلهي الذي جاء مدحه كثيراً في القرآن والروايات والذي جعل رديفاً للأنبياء .

العمل بالعلم :

هل رأى هذا « العالم » ما ورد في فضيلة العلم ، ولم ير ما ورد في شرائط العالم التي منها العمل بعلمه ؟

الم يسمع أنه يغفر للجاهل سبعون ذنباً ولا يغفر للعالم ذنب واحد ؟

ألم يطلع على قصة بلعم بن باعوراء التي وردت في القرآن الكريم ؟

والأهم من ذلك كله ألم يعلم أن العلم كسائر الكمالات نعمة وعطاء من الله وشكرها واجب . . . لا أن يراها منه ويفتخر بها ويدل . . . اي عالم هذا الذي لم يدرك بعد نفسه وربه ولم يدرك الحقيقة ؟

الهدف من اطالة الكلام بيان كون عجب العالم اختيارياً لأن السبب الذي يؤدي إليه وهو الجهالة والغفلة أو التغافل هو اختياري ويمكنه أن يصحح عالماً بالله مبصراً للحقيقة حتى لا يحصل له العجب .

احترام العلماء :

من الواضح أن ما قيل في موضوع عجب العالم بيان لواجب العالم . . . أنه يجب أن لا يكون معجباً مغروراً راضياً عن نفسه غافلاً عن الله ويجب أن يرى نفسه اقل من الآخرين .

اما واجب الناس تجاه العالم الديني الذي لم يظهر منه فسق فهو كمال الاحترام والتأدب والتواضع له لانه ينسب الى الدين فإكرامه احترام لصاحب الشرع واهانتة إهانة لرسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في الخبر وفي هذا المجال روايات كثيرة .

عجب اهل العبادة :

وكذلك المؤمن الذي يستيقظ ليلاً ويصلي صلاة الليل ثم يفتخر بنفسه أنه ادى عملاً عظيماً ويرى نفسه صاحب منزلة عند الله وصاحب حق . . . بحيث انه يعتبر نفسه صالحاً والآخرين هلكى . . . ويرى أن حصوله على فضائل صلاة الليل حتمي ، ويدخله العجب لهذا السبب .

الم يطرق سمعه أن هذه الفضائل (الثواب وما شابه) هي لمن كانت صلاته مستوفية لشرائط الصحة وشرائط القبول ومن جملة تلك الشرائط حضور القلب والخشوع والاخلاص في النية وحالة العجب تتنافى مع ذلك . .

الخلاصة : من اين علم أن هذه الفضائل هي لصلاة امثاله لتكون سبب عجبه ، وفي الحقيقة إن هذه الفضائل التي ذكرت للعبادات هي بشكل عام لزيادة الرجاء لا العجب والغرور .

أي أن الانسان العاقل عندما يسمع ما يترتب على عبادة ما من ثواب وسائر الآثار يزداد أمله بالله ويؤدي عملاً ما متشوقاً للوصول الى مرتبة من الثواب والفضل الإلهيين في حين انه يعلم أن الله اذا عامله بعدله فلن يعطيه شيئاً وهو لذلك خائف ، يرى نفسه مقصراً خجلاً تجاه الساحة الإلهية المقدسة .

لماذا رأى انه مطيع :

اما القول بأن كل من رأى نفسه مطيعاً فسيعجب بنفسه قهراً فالجواب عليه : إنه « ارتكب حماقة إذ رأى نفسه مطيعاً » فكان ذلك باعثاً له على العجب .

اي انسان عاقل يجزؤ أن يدعي هذا الادعاء والحال أن كل إنسان مهما بلغت إطاعاته فمخالفاته يقيناً اكثر . . مهما بلغ شكره فالنعم التي لم يشكرها

هي حتماً أكثر ، ومهما التزم بالعبودية فلا شك أنه لم يعبد الله كما ينبغي أن يعبد سبحانه .

وهكذا يتضح أن العجب امر اختياري وذنب قلبي وحرام شرعي وحيث قد تقدمت الإشارة في مقدمة الكتاب لذلك وسيأتي مزيد توضيح له فيكتفى بهذا المقدار .

هل العجب مبطل للعمل ؟

أكثر الفقهاء الذين قالوا بحرمة العجب لا يرون أنه مبطل للعمل ومفسد له بحيث تجب اعادته وقضاؤه اذا كان واجباً وحملوا الروايات التي تدل على أن العجب للعمل على ابطال الثواب المترتب على هذا العمل لو لم يخالطه العجب . . . أي أن حرمة العجب توجب الحرمان من الثواب ولا تبطل العمل . . . وأن العبادة مع العجب لا توجب قرباً من الله ولا تستتبع ثواباً لكنها مع ذلك اذا كانت كالصلاة الواجبة فانها تسقط عن المكلف الذي اداها معجباً بنفسه ولا تجب الاعادة ولا القضاء .

وهناك قسم آخر من الفقهاء يرون أن العجب بالاضافة الى أنه حرام فهو مفسد لأصل العمل أي أنهم قالوا بوجوب الاعادة أو القضاء .

الحق في المسألة أن للعجب درجات ومراتب بعضها حرام ومفسد وبعضها الآخر حرام فقط وفي الحرمة بعض التأمل . . . بناءً عليه يتم التذكير بمراتب العجب وحكم كل منها .

١ - العجب بالعقائد الباطلة :

أي يظن الباطل حقاً ويعتقد به . . . ثم يرى نفسه طاهر المعتقد محقاً ويرضى عن نفسه ويعجب بها . . . في حين أنه لو فكر وأنصف لأدرك أن ما

اعتقد به ليس صحيحاً ومثال ذلك : أنواع الكفر ، والشرك والأديان المصطنعة والخرافية . . . وسوء الظن بالمسلم واحلال عداوته في القلب والتصدي لا يذاته والفرح بهذا العمل ظناً منه أنه اعتقد عقيدة صحيحة وقام بعمل صالح في حين أنه لو فكر وعاد الى نفسه لأدرك قبح عمله .

ومثل ذلك الذنوب التي يزينها الشيطان للانسان الشقي فيظنها حسنة صحيحة . . . وعندما يؤديها يرضى عن نفسه ويفتخر بذلك . . . وكذلك الجاهل الذي يؤدي عبادات باطلة لا تتوفر فيها شرائط الصحة . . . ويعتمد عليها ويعجب بنفسه الى حد انه يدعي : « ان كل اعمالي وافعالي صحيحة ولست مقصراً تجاه ربي » .

الخلاصة : كل شخص اعتقد بأمر باطل او عمل عملاً منافياً ورأى أن تلك العقيدة أو ذلك العمل حق فدخله الغرور والعجب . . . فهو مبتلي باشد انواع العجب ، ولا شك في حرمة عمله وفساده . . . والى هذه المرتبة من العجب يشير قوله تعالى في سورة فاطر :

﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ فاطر ٨ .

اي أنه نتيجة عدم التدبر والتعقل ونتيجة اتباع الهوى والهوس اعتبر عمله القبيح حسناً واتى به وفرح به . . . هل هذا الشخص كمن رأى بنور العقل الحسن والقبح الواقعيين فاعتقد بالحسن الواقعي واجتنب القبيح الحقيقي كلا . . . ليس هذا كهذا . . .

وقد اشير ايضاً الى هذه المرتبة من العجب في سورة الكهف يقول تعالى :

﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ الكهف ١٠٤ .

أي لأنهم معجبون بأعمالهم الباطلة فهم لا يدركون قبحها ابداً حتى يبادروا الى اصلاح عملهم ويقبلون على الصلاح والسداد ومن هنا كانوا الأخسرين أعمالاً ، واكثر الجهلة كذلك لأن الاعمال التي يعملونها هي في نظر العقل والشرع غير صحيحة بل قبيحة وهم يعملونها باستمرار ويظنون ذلك كملاً ويفتخرون بها ويُدِلّون أن فعلنا كذا وكذا . . .

٢ - الاطاعة مع المن :

المرتبة الثانية الاطاعة مع المن أي يقبل الشخص العقائد الحقّة ويفعل الفعل الحسن لكنه يرى نفسه مستقلاً أي لا يرى أن ذلك بسبب التوفيق الإلهي بل يراه من نفسه ويظن ذلك العمل عظيماً وقيماً جداً . . . والعمل الذي هو في الحقيقة حبة هو في نظره قبة ويرى أنه صاحب حق ومنة على الله ويعتقد أن قربهِ ومنزلته قطعان بحيث اذا كانت له حاجة في الدنيا وطلبها من الله فيجب أن يطاع فوراً وتعطى له . . . وفي الآخرة يجب أن يحل في الدرجات العلى .

شخص كهذا مثل مريض مبتلى بأنواع الأمراض القاتلة ويتصدى طبيب حاذق حنون لعلاجهِ ويتولى بنفسه شراء ما يحتاجهِ من غذاء ودواء ليتعافى وليس على المريض إلا أن يستمع الى الطبيب في تناول ما ينصحهُ به والاجتناب عما ينهاه عنه ومع ذلك فهو يمن على الطبيب انه استمع الى ارشاداتهِ وعمل بها . . . والواقع أن حال العابد الذي يمنّ على الله هو اسوأ - بمراتب - من حال هذا المريض .

ولا شك في أن هذه المرتبة من العجب هي بالاضافة الى الحرمة مفسدة للعمل ، اي اذا كان العمل واجباً كالصلاة ، والصوم ، الحج ، والزكاة والخمس وأداه بهذه الحالة فهو باطل وتجب اعادته او قضاؤه .

العجب ينافي قصد القرية :

لأن شرط صحتها أن تؤدي بداعي اطاعة الامر الإلهي كما تقدم في بحث الرياء مفصلاً ، ومن أدى عبادته بمنة فليس محركة للعبادة اطاعة الله وامثال أمره . . . إنه رأى نفسه مستقلاً وسمع أنه اذا عمل العمل الفلاني فسيجزيه الله عليه الجزاء الفلاني إذن يأتي بهذا العمل بهدف المعاملة والمبادلة مع الله ولأنه يرى عمله قيماً جداً وكأنه اسمى من الثواب الإلهي وأعلى . . . فهو يرى نفسه صاحب منة ، وفي الحقيقة انه لا يرى لله حق العبادة وحق امتثال الأمر . . . بل هو منكر لمالكية الله وربوبيته ولكونه المعسم . . ولا يرى وجوب شكره . . .

إن كل ما يملكه العبد فهو بحكم العقل والشرع من الله . . . ومهما أطاع العبد وشكر فلن يؤدي حق الله فاذا اعرض العبد عن ذلك وتصور نفسه - بسبب العمل الصالح الذي اداه - صاحب حق على الله ومنّ عليه . . . فهل بالامكان القول إن هذا العمل صحيح وأن العبد امتثل وشكر الله وعمل بتكليفه ؟

أين الادلال من الحاجة ؟ :

ونقول ايضاً : حقيقة العبادة ضد حالة المنّة لأن العبادة تدلّل بين يدي الله تعالى اي يظهر العبد ذلته وفقره ، ويظهر عزة الله وعظمته وغناه . . .

وحالة المنّة تعزز اي أنه يرى فقط نفسه وعظمة عمله ويظهر في مقابل الله عزته وعدم احتياجه « العظماء لم ينظروا الى ذواتهم فلا تطلب رؤية الله من خلال رؤية الذات » (٢٠) .

إن العبادة حاجة والمنّة إدلال . . . واين الادلال من الحاجة . . .

(٢٠) مضمون بيت .

وفي الجملة : لا شك في بطلان العبادة مع المنة ، وقد أشير الى هذه المرتبة من العجب وبطلان العمل معها في عدة مواضع من القرآن المجيد .

يؤمنون عليك أن اسلموا :

في سورة الحجرات يقول تعالى : ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم إن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ الحجرات ١٧ .

أي إن مجرد قبول عقائد الإسلام واحكامه ليس عملاً كبيراً عظيماً لتمنوا به على النبي لأن فائدته محدودة بالدنيا ، وما هو عظيم وتترتب عليه فائدة خالدة هو الايمان الذي هو عبارة عن خشوع القلب لله والاعتقاد به وامتنال أوامرته بكل رغبة وشوق واذا ادعيتم أنكم مؤمنون وكنتم ضادقين في ذلك بأن كان نور الايمان في قلوبكم حقيقة فذلك عظيم . . . إلا أنكم ليس لكم الحق في الادلال بذلك والمنة به لأن نور الايمان عطاء الله وهو يمن عليكم أن أعطاكم مثل هذا العطاء .

لا تبطلوا اعمالكم :

وفي سورة البقرة يقول تعالى : ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن﴾ البقرة ٢٦٤ .

ويقول تعالى : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ المدثر ٦ .

وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام : المن يهدم الصنعة^(٢١) .
وفي الامالي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « قال الله عز وجل

(٢١) ميزان الحكمة / ٥/ ٣٤٠ نقلاً عن فروع الكافي ٢٢/٤ .

حرمت الجنة على المنان والبخيل والقتات» (٢٢) .

وفي الخصال عنه صلى الله عليه وآله : ثلاثة لا يكلمهم الله : المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا بمنة والمسبل لإزاره (أي المتكبر) والمنفق سلعته بالحلف الفاجر (٢٣) .

وروايات حرمة المنة وبطلان العمل بها - خصوصاً في الصدقات - كثيرة .
والعجب في هذه المرتبة كالمرتبة الأولى يوجب فساد العمل ولزوم الاعادة أو القضاء ولا شك في هذا الحكم .

« اشكر الله انك وُفِّقَ للخير فمن إنعامه وفضله أنه لم يتركك معطلاً .
لا تمنّ أنك دائماً في خدمة السلطان بل اعرف منته عليك حيث استعملك في خدمته » (٢٤) .

إن منة المخلوق على الله قبيحة وحرام لأنها باطل وكذب ، وكذلك منة المخلوق على المخلوق الآخر لأنها أولاً ادعاء باطل واقعاً لأن أصل النعمة من الله ، وثانياً لأنها من باب القمع والتفريع ، أما منة الخالق على المخلوق فهي حسنة جداً لأنها أولاً حق ومطابقة للواقع وثانياً : ليست من باب القمع والتفريع بل من باب تذكير العبد بالنعمة .

٣ - العجب بكثرة العمل :

اي يرى العمل الذي اتى به عظيماً ولا يرى التوفيق وسائر النعم الإلهية ،

(٢٢) بحار الانوار ٣٠١/٧٣ نقلاً عن أمالي الصدوق، وميزان الحكمة ١٠١/٢ والقتات هو المنام .

(٢٣) الخصال ١٨٤ .

(٢٤) مضمون بيتين .

وكذلك ينسى ذنوبه ومعاصيه وكذلك لا ينظر الى حقارة نفسه وعمله بالنسبة إلى إله عالم الوجود ولذلك فهو لا يعتبر نفسه مقصراً تجاه الله تعالى . . . بل يفتخر ويُدل .

لا شك في أن هذه المرتبة من العجب ذنب كبير وحرام واكثر الآيات والروايات التي تذكر حرمة العجب ناظرة الى هذه المرتبة أما المرتبة الأولى والثانية فحرمتهما بديهية لأنهما في حد الكفر والشرك بالله بالتفصيل الذي مرّ .

مصدر الذنوب :

العبد الذي يعبد الله ويرى شكره واجباً بحكم العقل ويعلم بحكم الوجدان أنه عاجز عن عبادته وشكره كما ينبغي له . . . يجب عليه أن يسعى في العبادة والعبودية والشكر بمقدار جهده مع الاعتراف بالتقصير . . . فإذا تصرف بشكل مغاير للحقيقة اي لم يعتبر نفسه مقصراً واغتر بعمله الضئيل واعجب به فقد كذب وارتكب ذنباً هو مصدر ذنوب كثيرة وقد ارشدت الروايات الى هذا الحكم العقلي .

قال الإمام الكاظم عليه السلام لبعض ولده : يا بني عليك بالجد ولا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل وطاعته فإن الله لا يعبد حق عبادته (٢٥) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام لجابر : يا جابر لا أخرجك الله من النقص ولا التقصير (٢٦) .

(٢٥) اصول الكافي باب الاعتراف بالتقصير .

(٢٦) نفس المصدر .

وعن ابي الحسن عليه السلام : إن رجلاً في بني اسرائيل عبد الله اربعين سنة ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه فقال لنفسه : ما أتيت إلا منك وما الذنب إلا لك قال فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ذمك لنفسك افضل من عبادتك اربعين سنة (٢٧) .

هل يفسد العمل :

يرى اكثر الفقهاء أن المستفاد من ادلة حرمة العجب كونه مهلكاً وعدم قبول العمل والحرمان من الثواب ، أما كونه سبباً لوجوب الاعادة والقضاء فلا يستفاد من الادلة المذكورة ويرى بعض آخر انه يستفاد من ظاهر الادلة أن العمل فاسد وعليه فلا ينبغي ترك الاحتياط اي اذا وجدت هذه المرتبة من العجب في عبادة واجبة فليؤت بها ثانية سواء كان العجب قبل البدء بالعمل أو في الاثناء .

المعارون :

يقول الفضل بن يونس قال لي أبو الحسن عليه السلام : أكثر من أن تقول : اللهم لا تجعلني من المعارين ، ولا تخرجني من التقصير قلت : أما المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ثم يخرج منه ، فما معنى لا تخرجني من التقصير فقال : كل عمل تريد به الله عزَّ وجلَّ فكن فيه مقصراً عند نفسك فإن الناس كلهم في اعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون إلا من عصمه الله عزَّ وجلَّ (٢٨) .

روايات في العجب :

عن ابي الحسن عليه السلام : لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل

(٢٧) نفس المصدر السابق .

(٢٨) نفس المصدر .

وعنه عليه السلام : قال ابليس اذا استمكنك من ابن آدم في ثلاث لم أبال بما عمل فإنه غير مقبول منه : اذا استكثر عمله ونسي ذنوبه ودخله العجب (٣٠) .

ويقول الإمام السجاد عليه السلام : اللهم اني اعوذ بك من (.) واستصغار المعصية واستكبار الطاعة (٣١) .

ويقول عليه السلام : والبسني زينة المتقين في (.) واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي ، واستكثار الشر وإن قل من قولي وفعلي (٣٢) .

خليل الرحمن حقاً :

عن الإمام الصادق عليه السلام : « إن ابراهيم (ع) كان أبا أضياف فكان اذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم واغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف وأنه رجع الى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال له يا عبدالله بإذن من دخلت هذه الدار قال دخلتها بإذن ربها يردد ذلك ثلاث مرات فعرف ابراهيم (ع) انه جبرائيل (ع) فحمد ربه ثم قال : أرسلني ربك الى عبد من عبيده يتخذه خليلاً ، قال إبراهيم (ع) فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت فقال فأنت هو قال ولم ذلك قال لأنك لم تسأل احداً شيئاً قط ولم تُسأل شيئاً قط فقلت لا » (٣٣) .

لا يقيم لنفسه وزناً :

الهدف من هذه القصة التأمل في حال ابراهيم عليه السلام عندما قال له

(٢٩ و ٣٠) وسائل الشيعة .

(٣١) الصحيفة / الدعاء الثامن .

(٣٢) الصحيفة / الدعاء العشرون .

(٣٣) سفينة البحار / ١ / ٧٤ والبحار ١٣ / ١٣ .

جبرائيل انه يحمل بشارة مقام الخلعة من الله الى عبد من عباده ، ومع أن ابراهيم كان يومذاك الانسان الوحيد الموحد والعبد الخاص لله . . . ولكن حيث أنه يرى نفسه مقابل عظمة الحق تعالى صغيراً ولا يليق بالخلعة لم يحتمل أن يكون هو المراد . . . فسأل : من هو اخذمه حتى أموت . . . وعندما أخبر جبرائيل بأنه هو تعجب وسأل : لم ذلك . . . ما هو السبب حتى شملته عناية الله تعالى . . . إنه لا يرى انه يعمل عملاً مناسباً يستحق الاهتمام هذا هو طريق الانبياء . . . وهذه هي سيرتهم . . .

٤ - استكثار العمل بالنسبة لآخر :

إذا كان الشخص لا يرى عمله في حد ذاته كبيراً ولا يرى نفسه خارجاً من حد التقصير ولكنه إذا قارن بينه وبين شخص آخر رأى انه افضل منه ويتداخله العجب كما إذا رأى عالم أنه أعلم من عالم آخر أو رأى عابد أنه أكثر عبادة من شخص آخر أو تبرع شخص بألف تومان ورأى أن غيره تبرع بتومان . . فكبر انفاقه وافتخر وأدلى وظن أنه ذو همّة عالية وسخي .

هذه المرتبة من العجب كالمرتبة الثالثة ذنب قلبي وحرام تشملها أدلة حرمة العجب المتقدمة من الآيات والروايات لأن من رأى أن عبادته او عمل الخير الذي عمله هو بالنسبة الى آخر أفضل وأعظم وافتخر بذلك فقد رأى عمله عظيماً وطاهراً واعتمد عليه . . . ومهما قال بلسانه : إني مقصر تجاه ربي فإنه بلسان الحال وفي باطنه يرى نفسه مستحقاً للأجر والمقام . . . وهو العجب الحرام .

يأمن مكر الله :

ونقول أيضاً : من جملة الذنوب الكبيرة الأمن من المكر الإلهي بالتفصيل

المذكور في كتاب « الذنوب الكبيرة » ومثل هذا الشخص المبعجب بعمله لا خوف لديه من القهر الإلهي الباطني أي لا يحتمل أن يؤاخذه الله ببعض ذنوبه أو يكله الى نفسه فيقع في الذنب فيمحي أثر ذلك العمل . . . والأسوأ من ذلك كله أن يموت على غير الايمان لأن الشرط القطعي للثواب على الأعمال هو الموت على الايمان ومن كانت هذه صفاته فهو يأمن مكر الله . . . والخلاصة إن عدم الالتفات الى الذنب وعدم الخوف من القهر الإلهي والفرح بعمل الخير ، أمن من مكر الله وكونه من الكبائر مسلم .

من الواجب على مثل هذا الشخص أن يتوب من العجب ويبعد هذه الحالة عنه ويقول لنفسه : لعل ذلك الشخص الذي عمله أقل من عملك . . . أقرب الى القبول الإلهي منك بسبب قلة ذنوبه . . . ورغم أن عمله من حيث الكمية أقل فلعله من حيث الكيفية ومراتب الاخلاص أكثر ويتقبله الله تعالى . . . في حين أن عملك الذي هو من وجهة نظرك كبير جداً قد يكون ضئيلاً مردوداً .

لقد انفق الإمام علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام لثلاث ليالي اثناء الافطار خمسة أرغفة من خبر الشعير في سبيل الله . . . ورغم انه بحسب الظاهر اتفاق قليل ولكن حيث أنه كان في الدرجة العليا من الاخلاص تقبله الله وانزل فيه سورة هل اتى .

الخلاصة : لا ينبغي أن يرى المؤمن نفسه أفضل من غيره ولا ينبغي ان يرى عمله أكثر واعظم .

حذيفة بن اليمان :

في جامع السعادات « أن حذيفة صلى بقوم فلما سلم قال : لتلتسنّ اماماً غيري أو لتصلنّ وحدانا ، فإنني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم افضل

مني (٣٤) .

أي أن من اعجب بنفسه ورأى أنه أفضل من الآخرين في حين انه قد يكون على العكس من ذلك عند الله فعمله ليس صحيحاً ، وقد تقدم في الروايات ذكر خبر رفيق عيسى عليه السلام الذي استحق العقاب الإلهي بسبب استعظام نفسه فسقط في الماء .

هل يعجب النبي ؟

مما تقدم تتضح جيداً حرمة هذه المرتبة من العجب وما ذكره المحدث البحراني في الدرة النجفية^(٣٥) - من أن الظاهر أن العجب بهذه المرتبة ليس حراماً لما ورد في الروايات من ان ملكاً من الملائكة وبعض الأنبياء كداوود وموسى حدثت فيهم هذه المرتبة اي تصوروا أنفسهم اسماً واعلم من جميع المخلوقات . . . وحيث أن النبي معصوم من الوقوع في الذنب . . . فهذه المرتبة من العجب ليست حراماً - فجوابه أن العجب المنسوب في الروايات الى الانبياء ليس حالة نفسية ثابتة بل هو من قبيل الوسوسة والخطرات التي ليس عليها شيء .

ثم إن العجب مورد البحث والذي ثبتت حرمة هو ذلك الذي يحصل للشخص بسبب رؤية عمله أو حاله ومقامه اعظم وافضل من غيره بالاضافة الى أن يرى أن ذلك العمل وذلك الكمال منه لا من الله وتوجد في نفسه حالة فرح واستغناء وركون الى ذلك العمل . . . وهذا المعنى لا يتصور في انبياء الله على الاطلاق . . . بل كل ما صدر منهم تصور أنه ليس هناك عبد لله اعلم منهم كما في الروايات المذكورة . . . ومثل هذا التصور وإن لم يكن عجباً حراماً ولكن

(٣٤) جامع السعادات/١/ ٣٣٢ .

(٣٥) الدرة النجفية/ ٤١ .

حيث أنه يتنافى مع مقامهم فقد ادبهم الله تعالى كما في قصة ايوب اذ خطرت على باله عظمة عبادته فقال : « يا رب كيف ابتليتني بهذا البلاء الذي لم تبتل به أحداً فوعزتك إنك تعلم انه ما عرض لي امران قط كلاهما لك طاعة إلا عملت بأشدهما على بدني فنودي : ومن فعل ذلك بك يا أيوب (أي من اقدرك على العبادة) فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم قال : انت يارب » (٣٦) .

إن الله امتحنهم ليعلموا أن علمهم بالنسبة الى علم الحق تعالى اللامتناهي ليس شيئاً يذكر كقصة داود وارسال موسى الى الخضر ونقل ذلك يستوجب الاطالة وبيانه في محل آخر اكثر مناسبة .

اما فساد العبادة بهذه المرتبة من العجب ولزوم الاعادة والقضاء فهو كالمرتبة السابقة موافق للاحتياط .

٥ - العجب في غير العبادات :

العجب بالأمور الدنيوية والعلائق المادية بالتفصيل الآتي رغم أن الفقهاء لم يقولوا بحرمة وحملوا أدلة المقام على العجب في العبادات الذي قالوا انه حرام وذنب . . . لكن التحقيق انه لا تفاوت بين هذه المرتبة والمراتب السابقة في الحكم بالحرمة . . والعجب في الأمور الدنيوية كالعجب في الامور الاخرية حرام .

إن حقيقة العجب كما تقدم في اول البحث حالة نفسية تحصل من رؤية الشخص نفسه عظيماً ومترهاً عن العيب والنقص بسبب اكبار عمله وثروته ورؤية نفسه غنياً ومستقلاً في اعماله وعلاقاته . . أي أن كل ما يعمله يتصور أنه بقوته لا بقوة الله . . وكل ما لديه فهو قد حصل عليه بجهد . . وليس نعمة من الله

(٣٦) سفينة البحار ١/ ١٦٠ .

منحها له وبناءً على هذا فلا فرق في حقيقة العجب بين أن يكون في عمل عبادي ونعمة أخروية في عمل غير عبادي ونعمة دنيوية .

هذا الاهتمام القرآني :

ولأن حالة العجب القذرة ذنب كبير جداً وقريب من الكفر والشرك بل هي عين الكفر والشرك فقد تصدت مئات الآيات في القرآن المجيد لتذكير الإنسان بأن المالك المطلق هو الله وأن جميع اجزاء عالم الوجود ملك له سبحانه وجميع النعم الدنيوية والأخروية هي من الله .

أيها الإنسان انت وما تملك واعمالك أيضاً . . . الجميع ملك الله ومخلوقات له وبشكل عام القوة والقدرة والغنى والعزة لله تعالى فقط .

إن على المؤمن بالله وكتابه أن يفهم هذا المعنى ويتيقن به حتى لا يصيبه العجب والغرور . . . وإذا لم يطع المكلف هذا الحكم العقلي (أي العلم بأن كل شيء من الله) ونسي الله وأصابه العجب والغرور بأعماله (الدنيوية والأخروية) والنعم التي حصل عليها (الدنيوية والأخروية أيضاً) فسيبتلى بهذا الذنب الخطير وسيحل عليه غضب الله سبحانه وبناءً عليه فإن من لم يترك هذا الاعتقاد (الذي سبب له العجب) وأصابه العجب فقد عصى .

هل يستلزم ذلك العسر والخرج :

وتقول : بناءً على ما ذكر فمن الواجب على الإنسان في كل عمل يؤديه أن يلتفت الى أنه يؤديه بقدرة الله وعند كل نعمة أن يتبته الى انها من الله وهذا موجب للعسر والخرج لكثرة الغفلة البشرية . . وليس في الإسلام حكم حرجي .

والجواب : إن الاعتقاد الاجمالي - مع استمراره الحكمي - يكفي نظير

وجوب النية في اجزاء الصلاة فحيث انها حرج فإن النية الكلية في أول الصلاة تكفي بحيث اذا وقعت بعض اجزاء الصلاة بدون الالتفات الى النية وبدون حضور قلب فهي صحيحة لكن بشرط استمرار النية الحكمي والمراد بالاستمرار الحكمي هو أن لا ينوي نية مغايرة . . . وكذلك في الصوم حيث تكفي النية الاجمالية لصوم يوم من طلوع الفجر بحيث انه اذا غفل اثناء النهار عن نيته نهائياً فصومه صحيح بشرط أنه اذا التفت الى نيته لا ينوي نية مغايرة لها اي لا ينوي قطع صومه . . . كذلك الأمر في المسألة الاعتقادية المذكورة (أي الاعتقاد بأن كل شيء من الله تعالى) فإن الاعتقاد الكلي بها كاف بشرط أن لا ينوي نية مغايرة ويؤدي عملاً على اساس هذه النية المغايرة . . . ويرى نفسه مستقلاً عن الله واذا كان لا يستطيع اداء واجب الشكر التفصيلي عند كل نعمة فإن الشكر الكلي كاف . . . والمراد بالشكر الكلي هو الاعتقاد بأن ما بنا من نعمة فمن الله . . . إن هذا يكفي ولكن بشرط أن لا يصدر منه كفران لنعمة بمعنى أن يراها منه لا من الله ويعجب بها (لأن هذا الكفران يلغي الاستمرار الحكمي للشكر الكلي) .

الآيات والروايات أعم :

تقدم أن العجب الذي يحصل في الامور الدنيوية لا فرق بينه وبين العجب الذي يحصل في العبادات وهذا يكفي لاثبات حرمة ويضاف الى ذلك أن أدلة حرمة العجب من الآيات والروايات التي ذكر بعضها اكثرها اعم من العجب في العبادة وفي غير العبادة . . . وبعضها خاص بالعجب في الامور غير العبادة وحيث أن تحقيق هذا بالتفصيل يستوجب الاطالة والخروج عن هدف الكتاب الذي هو الفائدة العامة فليترك ذلك الى محل آخر .

خلاصة المطلب أن العجب في غير العبادة وإن لم يقل الفقهاء بحرمة . . . إلا أن الاحتياط بناءً على التحقيق المتقدم يستدعي اجتنابه .

والعجب في غير العبادة بناءً على ما ذكره بعض اهل التحقيق عبارة عن العجب بالبدن ، القوة ، العقل ، النسب الشريف وغير الشريف ، الأولاد والأتباع ، المال ، الرأي ، بالتفصيل التالي :

١ - العجب بالبدن :

يتحقق العجب بالبدن بأن يرى تناسب اعضاء بدنه وجمالها وعذوبة صوته وسلامة قواه البدنية ولا يعتبرها نعمة من الله وينسى عدم قيمتها وانها معرضة للزوال . . . عندها يستبد به العجب ويتباهى . . . ولو أنه عاد الى رشده وأدرك أنها مخلوقات لله ومصنوعات له ونعم منه ورأى فناءها وزوالها وعدم قيمتها ولم يبعد عن ذهنه عاقبة امره في القبر حيث يتلاشى . . وأنه قد يحشر في القيامة - بسبب قبح أعماله - في اقبح صورة ويبتلى بأنواع الذل . . لتملكه الخوف ولما تداخله العجب على الإطلاق .

لا تغتر بمالك وجمالك فذاك يأخذونه منك في ليلة وهذا بحمي واحدة (٣٧) .

٢ - العجب بالقوة :

يكون العجب بالقوة بأن يرى نفسه قوياً وبهولاً وأن لا يدرك أن قوته مستعارة من الله ولا يخطر بباله انها زائلة . . عندها يعجب بقدرته ويتباهى بنفسه ، ويعتمد في مواطن الخطر على قوته ويمضي دون أي خوف ولو أنه تاب الى رشده لأدرك أن قوته نعمة الله وهي مستعارة ولا قيمة لها . . لأن بالامكان أن تضعف بحمي واحدة لمدة يوم ويتمدد على فراش المرض الى حد أنه لا يستطيع أن يحرك يده . . وفي النهاية يلف الكفن هذه اليد . .

(٣٧) مضمون بيت .

وبالامكان ايضاً أن ينزل شخصاً يعتقد انه أقوى منه فإذا بذلك الشخص يغلبه . .

والخلاصة لو أنه فكر بمثل هذه الامور لما تداخله العجب ابداً ولما كان اعتمد إلا على الله تعالى .

٣ - العجب بالعقل :

يكون العجب بالعقل بأن يعتبر الشخص نفسه صاحب فهم وعلم وذكاء وبعد نظر . . وأنه في تشخيص دقائق الامور من المصالح الدينية والدينية ذو رأي صائب وسليم . . . وأي شخص أبدى رأياً يخالف رأيه فهو جاهل وضعيف الشعور كما يرى أنه ليس بحاجة الى التشاور مع احد وباختصار أن لا يرى احداً اعلم منه . . ويتباهى بفهمه .

ولو أن مثل هذا الشخص تنبه لأدرك أنه اذا كان يمتلك فهماً فهو عطاء الله واستعارة ولا قيمة له . . اذ انه قد يزول بحادثة تصيب دماغه فيفقد عقله نهائياً . . ثم ما اكثر الأمور الواضحة التي ادركها الآخرون ولكن الله لم يشأ له أن يفهمها . . . وكذلك فإن فهمه هو بالنسبة الى ما لم يفهمه كالمتناهي بالنسبة الى اللامتناهي .

والخلاصة : لو تنبه لمثل هذه الأمور لما دخله العجب ولما اعتمد على فهمه . . ولكان امله في فهم أي شيء متعلقاً بالله تعالى .

٤ - العجب بالنسب الشريف :

كما قد يحدث لشخص من سلالة السادات الجليلة إذا لاحظ سيد أن نسبه ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاحظ الروايات في فضائل السادة التي من جملتها وعد الشفاعة لذريته (ص) فقد يفتخر ويأمن من مكر الله

في مقابل ذنوبه . . أي يتلى بمرض العجب المهلك . .

ولو أنه تأمل سيرة اجداده - وكيف كانوا يخافون الله تعالى ويطول بكاؤهم ويتعالى نشيجهم من هول الآخرة وعقباتها . . وكيف كانوا يجتهدون في الورع والعبادة وأنهم تحلوا بالاخلاق الفاضلة - لو أنه تأمل في ذلك - لكان سيطر عليه الخجل بدلاً من العجب ولبكى من خراب باطنه وظاهره لأنه عندها يجد حاله مغيراً لحالهم . . وسيرته منافية لسيرتهم . . . ويدرك كم هو بعيد عنهم خاصة اذا تأمل كلام الإمام السجاد عليه السلام : خلق الله الجنة لمن اطاعه واحسن ولو كان عبداً حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدأ قرشياً^(٣٨) .

وقال عليه السلام : « للمحسن منا اجران وللمسيء منا عقaban » .

الاحتمالات التي توجب الخوف :

واما الغرور بالشفاعة بحيث تصبح سبباً للجرأة على الذنب فهو كجرأة المريض الذي يترك الحمية ويأكل ما يضره معتمداً على وجود الدواء في متناوله . . . ألا يحتمل هذا المجترىء على الذنب اعتماداً على الشفاعة أنه قد يطيل بذلك وقوفه في عقبات الآخرة مئات السنين قبل أن يصل الى موقف الشفاعة .

قال بعض العلماء : المستفاد من الروايات أن موقف الشفاعة هو آخر مواقف يوم القيامة ، ثم ألا يحتمل المعتمد على الشفاعة أن تكون ذنوبه لا تشملها الشفاعة . . . والأسوأ من ذلك كله أن يموت على غير الايمان وعندها ليس له أي أمل بالفوز ابداً .

والخلاصة : اذا كان السيد عاقلاً بصيراً في امر دينه يعمل بما تقدم فلن

(٣٨) هامش .

يتداخله العجب بل يبقى بين الخوف والرجاء الذي هو لازم الايمان .

٥ - العجب بسائر الانساب :

العجب بالانساب الأخرى مثاله أن يعجب بأنه من سلالة رجال عظماء ويعتمد على هذه النسبة ويفرح ويتباهى ويُدِلّ . . . في حين لو أنه لاحظ ظلمهم وتجاوزاتهم . . . ولو رأى صورهم البرزخية وفي مواقف القيامة خصوصاً في عقبة المظالم . . وكيف أن اعداداً لا تحصى من الخلق تحيط بهم تطلب منهم حقوقها . .

لو لاحظ ذلك فبدلاً من أن يعجب بانتسابه اليهم سيسيطر عليه الخجل ويتمنى لو أنه لم يكن ينتسب اليهم .

٦ - العجب بكثرة العدد :

في معرض توبيخه للمسلمين الذين اعجبوا بكثرة العدد يقول تعالى : ﴿ويوم نحين اذ أعجبتمكم كثرتكم﴾ (وفي النتيجة انصرفتم عن الاعتماد على الله واعتمدتم على حولكم وقوتكم واطمأنتم انكم مع هذه الكثرة لا تهزمون والحال أن كثرة الافراد ليست إلا سبباً ظاهراً . . ثم إن سببها متوقفة على إذن الله . . . ولأنكم رأيتم الكثرة سبباً مستقلاً واعتمدتم عليها ونسينم الله أفهمكم الله أن كثرتكم لا تنفع) فلم تغن عنكم شيئاً فضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴿ التوبة ٢٥ .

ومع انكم بسبب هذا العجب بكثرتكم وبسبب فراركم من ساحة المعركة استحققت العقوبة الشديدة إلا أن الله برحمته نصركم وانزل الملائكة ومنّ عليكم بالظفر والفتح .

ويكون العجب بكثرة العدد بأن يعجب الشخص بكثرة عدد أولاده وخدمه

وعشيرته ومتعلقيه . . فيعتمد عليهم ويفرح بهم ويرى نفسه كبيراً . . ولو أنه فكر في أنهم جميعاً عبيد الله عاجزون ولا يمكنهم بدون إذن الله أن يقوموا بأي عمل . . . وقد يتلون بنوع من انواع المرض او البلاء فلا يستطيعون أن يتخلصوا منه . . ثم إنهم عما قريب يتركونه وحيداً في قبره ويرجعون . . وهناك لا مغيب إلا الله . . لو أنه فكر هكذا لما اغترّ بهم ولا أعجب .

٧ - العجب بالمال :

وذلك بأن يحصل على أموال طائلة فيطمئن قلبه بها ويفرح ويرى نفسه غنياً وكبيراً . ولو أنه فكر في آفات المال وأنه قد يخسره لحادثة بسيطة تواجهه وأن من الممكن أن يصاب بمرض يضطر أن ينفق كل ثروته في علاجه ثم لا يشفى . . ولو أن كذلك فكر في موقفه في الحساب يوم القيامة حيث يسأل : من أين له ذلك ؟ وفيم أنفقه ؟ ولم لم تنفقه حيث أمرت . . وكذلك حيرته وذلته أثناء مطالبة أصحاب الحقوق له بحقوقهم هناك . . لو أنه فكر بذلك لما اعجب بثروته أبداً بل كان يظل دائماً خائفاً من آفات ماله والعقبات التي ستواجهه يوم القيامة ويعوذ بالله من شر ماله ويطلب منه العون في اداء الحقوق والقيام بواجباته التي أمر بها سبحانه .

٨ - العجب بالرأي الباطل :

وذلك بأن يرى نفسه صاحب فهم سليم . . ثم يعتقد بعقيدة فاسدة ورأي باطل ويعجب به . . . فيبتلى نتيجة ذلك بالهلاك الأبدي . . . ولو أنه منذ البداية لم يعتمد على فهمه ولم يتخلل عن الميزان الحقيقي لتشخيص الحق من الباطل الذي هو القرآن وأهل البيت عليهم السلام . . . ولو أنه عرض رأيه على هذا الميزان ورجع الى أهل العلم بذلك لما هلك .

السرور بالنعمة ليس عجباً :

قد تسأل : الفرح بالنعمة سواء كانت دنيوية أم اخروية هي من الأمور غير الاختيارية . . مثلاً : اذا ادى المؤمن عبادة او قام بعمل خير . . فإنه قهراً يفرح بهذا التوفيق . . . وكذلك اذا وصله مال ، أو ولد له ولد أو شفي من مرض وأمثال ذلك . . فإنه يفرح قهراً . . . فهل هذا الفرح والسرور هو ذلك العجب الحرام .

والجواب : هذا الفرح ليس عجباً بل الفرح بالنعمة الاخروية من لوازم الايمان كما أن الفرح بالنعمة الدنيوية من لوازم البشرية .

الفرح الذي هو عجب وحرام في النعم الاخروية يتحقق بأن لا يراها توفيقات إلهية . . بل يراها من عنده ويستعظمها ويفرح بها ويصرف النظر عن ذنوبه واستحقاقاته ولا يرى نفسه مقصراً ابداً بل يرى أنه يستحق مقاماً عالياً .

وفي النعم الاخروية يكون بأن لا يرى أن هذه النعم من الله ولا يخاف من الاستدراج الإلهي وبسبب ذلك يرى نفسه غنياً غير محتاج وتكون هذه النعم هي مصدر اطمئنان .

بناءً على هذا فإذا كان سبب الفرح بنعم الآخرة الباقية أنها توفيقات إلهية ، والاعتماد على الفضل الإلهي ووعد سبحانه بالأجر والثواب والافتخار بالله وتوقيفه لا بالنفس هذا ليس عجباً بل قد أمرنا به ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ يونس ٥٨ .

وكذلك إذا كان سبب الفرح بنعم الدنيا أنها من الله لا من النفس أو سبب آخر على نحو الاستقلال فلا مانع منه بشرط أن لا يعتمد عليه أي لا يراه منجياً ومغنياً ولا يتباهى به وعلامة ذلك أنه اذا سلبت منه بعض هذه النعم لا يستبد به

اليأس بل ينتظر فرج ربه لأن مصدر قوة قلبه واطمئنانه هو المنعم (الله) لا
النعمة .

إذا فرح الإنسان بالنعمة باعتبار أنها عطاء الله وعلامة التفاته وفضله
ورحمته لعبده فذلك الفرح شاهد حسن حاله وصدق إيمانه وعلامة ذلك زيادة
خشوع القلب عند النعمة المستجدة والخوف من أن تسلب منه هذه النعمة
بسبب كفرانها أو أي ذنب آخر .

خلاصة القول أن مجرد الفرح بالنعمة لا ضرر فيه أما إذا اقترن بحالة
العجب فهو ذنب وما يمكن إيضاحه بالكتابة من الفرق بين هاتين الحالتين قد
كتب وعلى القارئ العزيز أن يراقب قلبه حتى لا يتلى بالعجب .

لا تنسب الفعل الى نفسك فقط :

مثال اسناد الفعل الى النفس أن يقول الشخص : فعلت كذا أو أفعل كذا
أو سأفعل وكلما تكون هذه النسبة على وجه الاستقلال أي بدون حاجة الى قدرة
الله وإرادته فهي شرك ومعصية أما إذا قال : إن شاء الله ولو لم يجرها على لسانه
وانما قالها في الباطن ولسان الحال فذلك لا اشكال فيه والتمييز بين هاتين
الحالتين أي هل ينسب الأفعال الى نفسه على نحو الاستقلال او يعلقها على
مشيئة الله متروك للمكلف ليراقب حال قلبه حتى لا توجد فيه حالة الشرك .

آفات العجب :

العجب بالإضافة الى أنه ذنب قلبي كبير هو سبب لذنوب أخرى فإذا لم
يتخلص المعجب من عجبه ابتلى بذنوب منها التكبر لأن من رأى نفسه كبيراً
بسبب استكبار عمله وثروته ونسيان الله عندما يواجه آخر ليس له عمله وثروة
يتكبر ، أي يرى نفسه أكبر منه ويفتخر عليه ويتوقع منه أن يعظمه الى حد أنه

يتوقع منه امتثال أوامره . .

ومنها نسيان الذنوب أي أن المعجب لا يرى ذنوبه حتى يتوب منها .
ومنها أيضاً استصغار الذنب لأن من لوازم رؤية الانسان عمله كبيراً والفرح به أن يرى ذنبه - إذا رآه - صغيراً ولا يستحق المؤاخذه عليه .
وقد ذكر في كتاب « الذنوب الكبيرة » أن من جملة ما يُصيرُ الذنوب الصغيرة كبيرة هو نفس استصغارها .

ومنها الامن من المكر الآلهي لأن المعجب بعمله لن يعرف الخوف من انه بسبب ذنوبه سيحل عليه غضب القهار بالتفصيل المذكور في كتاب « الذنوب الكبيرة » .

ومنها : خراب عمله فالمعجب لا يحتمل عدم صحة عمله ليسعى للحصول على شرائط صحته وقبوله لأن من يسعى في اصلاح عمله هو الذي يحتمل خرابه وعدم قبوله ولو أن المعجب يحتمل ذلك لما دخله العجب .

الحرمان من الحق :

ومن الذنوب التي يتلى بها المعجب الحرمان من الوصول الى الحق والصواب ، في العقائد والاعمال ، والركون الى الباطل والخطأ ، لأن المعجب لا يحتمل الخطأ في سلوكه وطريقته كي يبحث عن الصواب وأهل المعرفة ، ويذهب الى عالم عامل ويسأله عن صحة تصرفاته وإذا وعظه عالم فإنه لا يصغي الى اقواله بل يهزأ منه ويقول : انتصح مثلي ؟! أنا عاقل الدهر وأستاذ الآخرين . . . وحقاً إن هذا بلاء تنشأ منه مئات الابتلاءات ومرض تنتج عنه مئات الامراض . . وعلاجه في غاية الصعوبة وهو ذلك « الجهل المركب » الذي تقدم ذكره في الابحاث السابقة إنه أشد الامراض النفسية فتكاً . . .

خصوصاً اذا كان المجال الذي اعجب بنفسه فيه من الأمور الأخروية والأمور الإعتقادية منها بشكل خاص .

عدم الجد في اكتساب الحسنات :

ومنها - الذنوب المتفرعة على العجب - عدم الجد في اكتساب الحسنات مثال ذلك الثري الذي ينفق مبلغاً من المال يراه كبيراً في عمل يراه خيراً ويستعظم ذلك ويعتمد عليه بحيث يتخيل أنه آمن زاد آخرته ولن تواجهه أية مشكلة في عقبات المحشر ، والجنة حتمية له ، والحال أنه ما اكثرت الحقوق الواجبة التي يجب أن يخرجها من ماله ويوصلها الى اصحابها من الارحام والفقراء . . . إن ثرياً معجباً كهذا مبتلي بعذاب ترك الواجبات ، محروم من ثواب درجات الانفاقات المستحبة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا ذر إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من اعطاه الله خيراً فتفح منه يمينه وشماله وبين يديه وورائه وعمل فيه خيراً^(٣٩) .

أي لم يدخر ماله أو ينفقه في مجال شر وانما انفق في كل مجال خيرٍ أتبع له ، ولم يكتف بالانفاق في بعض الموارد .

إن من فرح بوضعه وعمله واطمأن بذلك . . . سوف لن ينشط للإزدياد من المعرفة واكتساب الفضائل والخيرات ، ولن يضطرب من احتمال سرعة حلول الاجل قبل تهيئة زاد آخرته ، ولا يستوحش لقلّة حسناته في كفة ميزان أعماله ، ومن ثم فلا يوجد ما يدفعه الى الجد في اكتساب الحسنات ، وشخص من هذا النوع لا يكون سلوكه سلوك المؤمن بالله ويوم الجزاء .

(٣٩) توحيد الصدوق/ ١٤ .

المؤمن يتهم نفسه :

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : واعلموا عباد الله أن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها^(٤٠) .

فالمؤمن ليس معجباً بنفسه بل هو يتهم نفسه دائماً بالتقصير في العبادة والطاعة ، إنه يرى نفسه وعمله في مقابل عظمة الله تعالى من الحقارة بحيث لا يستحق الذكر ، وكل طاعة وعبادة تصدر منه ، فهو لا يذكرها ليعدها صغيرة أو كبيرة .

علاج العجب :

رغم انه قد سبقت الإشارة بشكل أو آخر الى علاج العجب ولكن حيث انه واقعاً ذنب كبير ومرض قاتل ، يشار هنا الى علاجه الاجمالي ليدخله القارئ في حسابه ويصون نفسه - عن هذا الطريق - من هذا المرض الخطير .

ذكر في أول البحث أن سبب العجب هو الجهل بالحقيقة والواقع ، وعليه فالحيلولة دون العجب وعلاجه يتحققان بالعلم بالواقع : أن يعرف واقعه وواقع الله ويفهمهما جيداً ويوقن بذلك بالتفصيل الآتي ثم يوفق بين مسلكه وبين هذين العلمين (العلم بواقعه والعلم بواقع الله تعالى) حتى تصيح المطابقة بينهما ملكة له . . عندها يكون بمأمن من مرض العجب والكبر .

معرفة الله :

يجب أن يعلم بنور العقل والتفكر في آيات القرآن المجيد والتدبر فيها أن المالك الحقيقي والربوبية المطلقة والعزة الواقعية هي لله تعالى . . وأن جميع اجزاء عالم الخلقة مملوكة لله وتحت تصرفه . . . والكل مخلوق له وموجود

(٤٠) نهج البلاغة - خ - ٢١١ .

منه^(٤١) ويعلم كذلك أنه وجميع أجزاء العالم مربوبون له سبحانه أي أنهم جميعاً تحت تصرف الله وتربيته . . والله فقط هو الذي يوصل جميع المخلوقات الى كمالها الذي يناسبها ، والرزق المناسب لكل مخلوق إنما يصله من الله . . أي أن يفهم معنى « رب العالمين » ويؤمن به ويعلم أنه وجميع المخلوقات مقهورون خاضعون له^(٤٢) .

ولمعونة هذه الحقائق ينبغي أن يتأمل في حالته الأولى والحالة الأولى لجميع أجزاء عالم الوجود اذ لم يكن شيء من ذلك إلا قبضة تراب - هي أيضاً مخلوقة لله - ثم أظهر الله قدرته وحكمته وخلق هذه الظواهر المدهشة والمصنوعات المحيرة في حين أنه لم يكن لأي من هذه المخلوقات اطلاع على خلقه أو خلق غيره . . أي أنه لم يصنع نفسه ولا غيره . . . بناءً عليه فالجميع مملوكون حقيقيون لله .

كل مُيسَّر لما خلق له :

وعندما يتدبر في احواله واحوال جميع اجزاء العالم يجد أن كلاً من ذلك ، من الجمادات والنباتات والحيوانات يسير نحو كماله المناسب له بدون ارادته ومشئئته . مثلاً : النطفة في الرحم تصبح علقة ومضغة ثم تكون بدنأً يخرج من الرحم ويظل بناء البدن ينمو ولا تطرأ عليه لحظة توقف وكذلك القوى التي زود بها تظل تنمو وتسير باتجاه الكمال والاشتداد .

كذلك البذر الذي يستقر في باطن الارض والى أن يخرج رأسه منها ثم تظهر فيه الاغصان والأوراق والثمار . . .

(٤١) ﴿لله ما في السماوات والأرض - الله خالق كل شيء﴾ .

(٤٢) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ الأنعام ٦١ .

وبعد التأمل بدقة في التربية المستمرة لأجزاء عالم الخلق وأنه لا شيء منها هو مربى نفسه بل لا علم له بها يوقن أنه والجميع مربوبون ورب الجميع هو الله تعالى .

ثم إنه لدى التدقيق في عاقبة امره وعاقبة امر سائر الموجودات يرى أن كلاً من ذلك بعد وصوله الى كماله يسير قهراً وجبراً نحو الزوال والفناء ويرجع الى حالته الأولى كما يرى ذلك في حالات الانسان والحيوان حيث انهما بعد الوصول الى حد معين من العمر كيف تبدأ القوى - دون اختيار منها - تضعف وتضمحل وتشيب . . حتى ينتهي ذلك بالموت . . وهكذا يستطيع أن يدرك قاهرية الله ويعلم موقناً أن العزة والقدرة والبقاء لله فقط وأن جميع المخلوقات أذلاء عاجزون فانون ومحتاجون اليه (٤٣) .

معرفة النفس :

عندما يلاحظ الانسان حالته منذ كان في رحم الام والى الآن ، يرى أن حقيقته بدن مصنوع من عدة معامل لم يكن له اي علم بها أو اطلاع عليها ، وقد اودعت فيه قوى . . وجميع اجزاء بدنه وجميع قواه تتحرك دون اختياره واطلاعه وتسير نحو كمالها وقد عرضت عليها حالات وتعرض ليس له فيها أي اختيار كالنوم واليقظة ، الجوع والشبع ، العطش والري ، السلامة والمرض ، الحزن والسرور ، التذكر والنسيان ، القدرة والعجز ، الى حد أنه يريد أن يتذكر شيئاً فلا يستطيع يريد أن يبعد عن خاطرة حادثة محزنة فلا يستطيع يريد تركيز حواسه ليفهم فكرة ، أو يريد أن يبقى متيقظاً فيغلبه النوم او يحب أن ينام فيستبد به الأرق أو يريد أن يستيقظ في وقت معين فلا يستيقظ والخلاصة يرى انه عاجز عن ايصال اصغر نفع الى نفسه كما أنه لا يستطيع أن يدفع عنها أقل ضرر

(٤٣) يا من توحد بالعز والبقاء وفهر عباده بالموت والفناء - دعاء الصباح .

قال تعالى :

﴿قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾ .

ويرى كذلك أنه بعد مدة لا تطول يبدأ بناء بدنه وتبدأ قواه بالنقص والزوال . . إلى أن يرجع هذا البدن في القبر تراباً كما كان في حالته الأولى ، وتستقر روحه في البرزخ الذي هو غيب عالم المادة . . وجميع هذه الحالات كحالاته السابقة تتحقق بدون ميله وارادته .

وهل يبقى مجال للعجب ؟

هل يشكل عاقل بعد رؤية هذه الحقائق في ذلته ووضاعته وعجزه وحاجته ؟

هل يبقى لديه بعد الاطلاع على تقارير نفسه أدنى تردد في مملوكيته ومقهوريته ومربوبيته ؟

هل يمكنه بعد أن يعرف انه ليس شيئاً أن يعتبر اعماله شيئاً . . . أو انها تستحق الذكر . كلا . . بل أن لسان حاله ومقاله بعد هذا العلم هو « وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين » نعم إن الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يجعل الانسان جاهلاً ويمنعه عن رؤية الحقيقة هو الاسباب الظاهرية وارادته واختياره .

العجب بالاسباب الظاهرية :

مثلاً يرى بذرة تختفي في التراب ويوصل اليها الماء . . . فتنبت وتخضر وتثمر . . . نطفة تستقر في الرحم ثم تصبح ولداً ، يأكل خبزاً وطعاماً فيشبع ، يشرب ماءً فيرتوي . . يركض خلف المال فيصبح ثرياً وهكذا يستغني ، يسعى للحصول على مقام فيصبح صاحب مقام وهكذا يصبح عزيزاً ، وكذلك سائر

الاسباب الظاهرية التي يرى آثارها ثم يتصور انها مستقلة في التأثير ، ولكنه اذا تأمل يدرك : كما أن أصل وجود الاسباب من الله فإن خاصيتها وسببيتها ايضاً من الله ، وكذلك تأثيرها أي ظهور خاصيتها مثلاً : الخبز كما أن أصل وجود الحنطة من الله فخاصيته التي هي رفع الجوع هي من الله أي أن الله اعطاها ها هنا الأثر كما أن قابلية الخبز للفتت والهضم والتحول الى دم وجزء من البدن كل ذلك من الله تعالى ، أو مثلاً النبات الفلاني أصل وجوده من الله وعلاج المرض الفلاني به ايضاً من الله وقد ثبت بوضوح في بحث التوحيد الأفعالي من هذا الكتاب أن وجود الاسباب وتأثيراتها كل ذلك من الله والجميع مسخر لمشيئة خالق العالم سبحانه .

قد لا تترتب الآثار على الاسباب :

لمزيد من ايضاح هذه الحقيقة لاحظ الموارد التي لا تقترن فيها الآثار بالأسباب لاحظ مثلاً : ما اكثر الاشخاص الذين يبذلون جهوداً دؤوبة للوصول الى الشراء أو المقام ولكنهم لا يصلون ، ما اكثر الأدوية التي هي لدى الطبيب الحاذق علاج قطعي للمرض الفلاني ولكنها بعد أن تستعمل لا يترتب عليها أي اثر بل قد تتسبب بآثار مضادة .

« قد يجعل القضاء شراب الخل للذين سبوا في زيادة الصفراء وزيت اللوز سبباً في الجفاف » .

« وقد يؤثر الإهليلج اليبوسة ويقدم الماء لنا النار كما في النفط » (٤٤) .

وبشكل عام ما أكثر الاهداف التي يسعى الانسان للوصول اليها عن طريق الاسباب التي يراها قطعية ولكنه لا يحصل على نتيجة . . وكذلك العكس . .

(٤٤) مضمون بيتين والمقصود أن الشيء قد ينتج نتيجة مغايرة لما يتوقع منه والأمثلة المذكورة من الطب القديم .

ما أكثر الامور التي لا يحتمل أنها مؤثرة ولكنه يصل عن طريقها الى النتيجة التي يريد .

« يخفي في الخرابات الكنوز وفي الورد الشوك وفي الاجسام الروح » .

« يجعل الظان موقناً ويبعث العواطف من اسباب الحقد » .

« يربي في النار ابراهيم ويجعل الخوف امان الروح » .

« تسببه الاسباب يحملني على جنون العشق وتعطيله الاسباب يجعلني سفسطائياً » .

« اصبحت تائها في تسببه الأسباب ومتحيراً في تعطيله الاسباب »^(٤٥) .

ومن هنا فإن كل من يحبه الله ويريد هدايته غالباً ما يجعل الاسباب بالنسبة له بلا أثر ويرزقه من حيث لا يحتسب ويعطيه ما أراد^(٤٦) ليرى أن الاسباب جميعها مقهورة ومسخرة للغيب ويقول بيقين :

﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ يس ٨٣ .

أي أن جميع اجزاء عالم الوجود في تصرفه وتدبيره .

هل يعتمد عاقل على الاسباب الظاهرية بعد ادراك هذه الحقيقة ويفرح بها ويرى نفسه غنياً بامتلاكها . . . ويغفل عن الله ويتباهى بها وباختصار يتداخله العجب . أم هل يسيطر عليه اليأس وضعف الهمة والمسكنة لعدم توفر الاسباب . . . كلا . . . فإن هاتين الحالتين معاً خلاف الايمان بالله بل هما عين الكفر بالله وسيأتي بيان ذلك في بحث اليأس .

(٤٥) مضامين خمسة ابيات .

(٤٦) ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ الطلاق ٣ .

العجب في الافعال الاختيارية :

وأما الأفعال الاختيارية والارادية التي يغتر بها الانسان الجاهل فيتصور نفسه مستقلاً وغير محتاج في التأثير والتدبير لأنه يرى انه يصل الى كل ما يشتهي وأراد ، يشتهي الطعام مثلاً فيحصل عليه ويأكله ، ويشتهي الثراء فيعمل ويصبح ثرياً ، يتمنى مقاماً فيحصل إليه وكذلك كل حركة وسكون أراد فإنه قادر على فعلهما ، يذهب الى المسجد للصلاة أو الى السينما للهو . . . يتصدق أو يقرض قرضاً حسناً أو يأخذ الربا ، يظلم أو يعدل ويحسن . . .

باختصار : لأن الانسان يرى أن الامور التي ارادها استطاع تحقيقها - لذلك - يرى نفسه مؤثراً وفاعلاً ولو أنه تأمل بدقة لفهم أن ما أتى به وحققه فهو أولاً قد رآه بالعين التي هي عطاء الله ، وسمعه ومال إليه بالأذن التي هي عطاء ولأن الله جعله صاحب إرادة فقد اراده وتابع تحقيق ذلك حتى النهاية باليدين والرجلين وذلك عطاء الله .

الافعال الاختيارية ايضاً من الله :

مثلاً : الشخص الذي أصبح عالماً . . فقد طالع مسائل ذلك العلم بالعين التي هي عطاء الله وسمع ذلك العلم من الاستاذ بالأذن التي هي عطاء إلهي وفهمه بالذكاء الذي هو عطاء إلهي وحفظه بقوة الحافظة التي هي عطاء إلهي حتى صار من اهل ذلك العلم . . . وكذلك سائر الكمالات النفسية . . . مثلاً : الشخص الكريم إنما يتكرر منه الانفاق من المال الذي أعطاه إياه الله وبالذكاء والرغبة اللتين اعطاهما الله له وبواسطة اليد التي سخرها له سبحانه وبذلك يصبح متصفاً بالسخاء والكرم . . والكمالات الأخرى كذلك . . فمن أصبح عابداً فهو إنما سمع العبادة ووعاها من الشرع المقدس بالفطنة التي منحها له الله

تعالى وقال اليها بالشوق الذي منحه إياه الله وادأها بالبدن الذي هو من صنع الله وإعدادة ، ومن نافلة القول : لو أن واحدة من عطايا الله تعالى المذكورة فقدت فإن ذلك العمل المرتبط بها لا يمكن أن يتحقق أي إذا لم يكن في الانسان الاحساس او الشوق أو القدرة فإنه لا يستطيع القيام بأي عمل وهذا في غاية الوضوح فهل يجعل عاقل ويغتر بعد معرفة هذه الحقيقة . . . ويرى أن الفعل الذي اتى به هو منه فقط ويعتبره كبيراً ويدلُّ به ؟ وإذا دخله العجب والغرور . . . ألن يخجل من كذبه في محضر ربه ؟

هل سيصاب عالم بالعجب بعلمه بعد إدراك هذه الحقيقة ؟
وهل سيتباهى عابد بعبادته بعد معرفة هذا الواقع ويعتبر نفسه صاحب حق ؟

هل سيرى متفق بعد هذه المعرفة أية قيمة لانفاقه ؟

وقفه مع العظماء :

من الامور التي تمنع الابتلاء بالعجب أن يتأمل في احوال عظماء الدين والذين هم اسمى منه وافضل علماً وعملاً فإذا كان عالماً مثلاً يطالع سيرة العلماء الكبار وعلى رأسهم آل محمد عليهم السلام . . . فمع انهم كانوا معدن العلم . . . كيف كان خوفهم من العظمة الالهية واهوال القيامة وعقبات الآخرة . . . لأن كل من كان اعلم فينبغي أن يكون أكثر خوفاً^(٤٧) .

وإذا كان من اهل العبادة فليتأمل احوال العباد وسيدهم زين العابدين عليه السلام . . . وكيف انه رغم عباداته التي ليست في مقدور الآخرين يشكو قلة طاعته ويرسل الزفرات والاستغاثات والنشيج والاني .

(٤٧) ﴿انما يخشى من عباده العلماء﴾ فاطر ٢٨ .

وإذا كان من اهل الانفاق فليذكر أحوال المنفقين والمؤثرين كيف كانوا يعيشون الاضطراب خوف أن لا يقبل انفاقهم وفي القرآن المجيد حولهم ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ المؤمنون ٦٠ .
وحيث أن ذكر الشواهد على ذلك تستوجب الاطالة فيكتفي ببعضها .

بين الامام السجاد (ع) وجابر :

روي أن فاطمة بنت علي بن ابي طالب عليهم السلام أتت الى جابر بن عبدالله فقالت له : «يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إن لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحداً يهلك نفسه اجتهداً أن تذكروه الله وتدعوه الى البقيا على نفسه ، وهذا علي بن الحسين بقية ابيه الحسين قد انخرم انفه ونقبت جبهته وركبته وراحته أذاب نفسه في العبادة فأتى جابر الى بابه واستأذن فلما دخل عليه وجده في محرابه قد أنقضته العبادة فنهض علي فسأله عن حاله سؤلاً حفيماً ثم اجلسه بجنبه ثم اقبل جابر يقول : يا ابن رسول الله اما علمت أن الله انما خلق الجنة لكم ولمن احبكم ، وخلق النار لمن ابغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك ؟

فقال له علي بن الحسين : يا صاحب رسول الله : اما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له وتعبه - بأبي هو وأمي - حتى انتفخ الساق وورم القدم ، وقيل له : اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ، فلما نظر إليه جابر وليس يغني فيه قول قال : يا ابن رسول الله البقيا على نفسك فإنك من اسرة بهم يستدفع البلاء ، وبهم تُستكشف اللأواء ، وبهم تستمسك السماء فقال : يا جابر لا أزال على منهاج أبوي مؤتسيا بهما حتى ألقاهما .

فأقبل جابر على من حضر فقال لهم ما رأي من أولاد الانبياء مثل علي بن الحسين الا يوسف بن يعقوب والله لذرية علي بن الحسين افضل من ذرية يوسف» (٤٨) .

من يقوى على عبادة علي :

يصف الإمام الصادق عبادة جده الإمام السجاد عليهما السلام فيقول « ولقد دخل ابو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه وقد اصفر لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته ، وانخرم انفه من السجود وقد ورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة فقال ابو جعفر عليه السلام : فلم املك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له فإذا هو يفكر فالتفت إلي بعد هنيئة من دخولي فقال : يا بني اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن ابي طالب عليه السلام فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال : من يقوى على عبادة علي بن ابي طالب عليه السلام» (٤٩) .

لاحظ قيمة العمل :

من الأمور التي تمنع الانسان من العجب التفكير في قيمة عمله . . . مثلاً اذا سهر ليلة حتى الصباح مشغلاً بالعبادة . . وأراد أن يعرف قيمة هذه العبادة يجب أن يلاحظ كم هي أجرة الحرس والشرطة المتجولين في الليل الذين يسهرون الليل كله . . . لعله في مثل زماننا ليس اكثر من عشرين تومناً . . . ومن يصلي ساعة في اليوم فليلاحظ كم هي اجرة العامل الذي يعمل من الصباح

(٤٨) بحار الانوار ٤٦ / ٧٨ - ٧٩ .

(٤٩) المصدر السابق / ٧٥ .

حتى الغروب ويحدد قيمة صلاة ساعة على هذا الاساس . . .

والشخص الذي ينفق مقداراً من ماله في سبيل الله ليلاحظ أنه اذا تعامل مع الناس بهذا المبلغ فكم هي قيمة السلعة التي يعطونها له أزاءه وكذلك الأعمال الاخرى .

عندها يرجع الى نفسه ليرى هل يحق له توقع الثواب الباقي والجنة الإلهية على هذا العمل ذي القيمة القليلة ولولا الفضل والكرم الإلهيين هل كان هذا التوقع شيئاً غير توقع أحق . . .

وما أنا وما عملي :

العطاء الإلهي في مقابل طاعة عباده سبحانه وعبادتهم . . . اشبه ما يكون بفقير يقدم هدية في حدود استطاعته الى سلطان كريم والسلطان يعطيه أيضاً في حدود سلطنته واستطاعته فيغنيه ويجعله لا يحتاج إلى أحد ، اذن . . . اذا حمل الفقير وردة ذابلة تالفة وجاء الى حديقة السلطنة وقدم وردته الى السلطان وهو معجب بنفسه لأنه قدم هدية عظيمة الى السلطان . . . ورغم أنه كان يجب أن يسجن لما صدر منه تجاه السلطان من قبل . . . يتوقع الآن أنه في مقابل هذه الهدية العظيمة أصبح يستحق العفو بل بالاضافة الى ذلك يجب أن يجعله السلطان ثرياً ومن خواصه ومقربي بلاطه . . . أليس مثل هذا الفقير أحق ، ألا يستحق الطرد والصد . . خاصة اذا كان السلطان مطلعاً على حالة عجيبة؟

الخلاصة أن الانسان اذا ادرك وضاعته وحقارة عمله وعلم أنه ليس له ولا لعمله قيمة بين يدي الله تعالى فلن يتلى بالعجب ابداً . . . وكذلك اذا قارن بين طاعته وعبادته ونعم الله التي لا تحصى . . . وعلم أن قيمة كل واحدة من هذه النعم هي بحيث لا يمكن حسابها . . .

قيمة المُلك :

دخل واعظ يوماً على هارون الرشيد فقال له : عطني فقال : يا أمير المؤمنين أترك لو منعت شربة من ماء عند عطشك بم كنت تشتريها قال : بنصف ملكي .

فقال : يا أمير المؤمنين اترها لو حبست عنك عند خروجها بم كنت تشتريها ؟ قال : بالنصف الباقي قال : فلا يغرّنك ملك قيمته شربة ماء^(٥٠) .

(٥٠) عدة الداعي / ٢٠٤ .

٥ و٦ الكبير والتواضع

من جملة الذنوب القلبية والامراض النفسية ، والطبائع القبيحة
الحيوانية ، الكبير .

والانسان الملوث بهذا الذنب المبتلى قلبه بهذا المرض لا سبيل له الى
الجنة التي هي دار السلام ومحل السالمين ، واذا مات على الايمان فيجب أن
يبقى سنين في البرزخ وعقبات المحشر او في النار ليظهر من هذه القذارة وتوجد
فيه قابلية دخول الجنة .

معنى الكبير :

الكبر خلق نفساني وحالة باطنية توجد في الانسان بواسطة رؤية نفسه
أفضل واسمى مرتبة من شخص آخر بحيث يعتمد على هذا الاعتقاد الخاطيء
فيرى نفسه مهما وعزيراً وعظيماً ويفرح بعظمته الموهومة . ويرى غيره ذليلاً ولا
قيمة له وهكذا يتضح الفرق بين العجب والكبر لأن العجب هو الرضا عن النفس
واكبار الانسان نفسه وعمله دون ملاحظة آخر . . . أي أنه فقط يرى نفسه وعمله
ويكبرهما ويتباهى بهما . . . لا أنه يرى نفسه اكبر من آخر . . . وعليه فقد يكون
الشخص معجباً ولا يكون فيه كبر . .

ومنشأ الكبر في الحقيقة ثلاثة اعتقادات :

اعتقاد الشخص بمرتبة لنفسه ، واعتقاده بمرتبة لغيره ، واعتقاده بترجيح مرتبته على مرتبة غيره والاعتماد على هذا الترجيح بحيث يرى نفسه عزيزاً وعظيماً وطاهراً .

إذن مجرد الاعتقاد بالتفوق على آخر دون وجود حالة الاحساس بالعظمة والعزة ليس كبراً . . . مثلاً اذا اعتقد شخص بأنه درس اكثر من فلان ، أو أنه في الصناعة الفلانية يمتلك مهارة خاصة لا يمتلكها زميله أو أن فهمه اكثر ، أو أن عمله الخيري الفلاني من حيث المقدار اكثر من عمل غيره . . إن مجرد هذا دون أن تنشأ منه حالة الاحساس بالعظمة والتعالي ليس كبراً ولا ضرر فيه لأن مثل هذا الاعتقاد ليس اختيارياً . . . ولكن وجود حالة الكبر اختياري كما سيأتي .

التكبر استعمال الكبر :

أي أن المتكبر يظهر بأقواله وأفعاله كبره الباطني . . . أما في الأقوال فمثاله أن يزكي نفسه ويتباهى بأنه أفضل من فلان وأن أعماله صحيحة وأنه لا نقص فيه ولا عيب كما تقدم في بحث العجب أو يتباهى بأمور هي من وجهة نظره كمال ويفتخر بها على الآخرين فيقول : إن فيّ من الكمالات ما لا يوجد منه شيء في فلان . . . لا أحد يعادلني في الفهم ، أو يفتخر بحسبه ونسبه وثروته ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ الحديد ٢٣ .

روي عن عقبة بن بشير قال « قلت لأبي جعفر عليه السلام أنا عقبة بن بشير الاسدي وأنا في الحسب الضخم من قومي ، فقال : ماتمنّ علينا بحسبك ، إن الله رفع بالإيمان من كان الناس يسمونه وضيعاً اذا كان مؤمناً ، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً اذا كان كافراً فليس لأحد فضل على

أحد إلا بالتقوى»^(١) .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال : يا رسول الله أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أما انك عاشرهم في النار^(٢) .

قال المجلسي رحمة الله عليه في شرح هذا الحديث : أي أن آبائك كانوا كفاراً وهم في النار فما معنى افتخارك بهم وأنت أيضاً مثلهم في الكفر ، باطناً إن كان منافقاً ، وظاهراً إن كان كافراً فلا وجه لافتخارك أصلاً .

والخلاصة أن عمدة اسباب الفخر بل اشهرها الفخر بالآباء وهو باطل لأنهم اذا كانوا كفاراً وظلمة فهم في النار ويجب التنفر فيهم واذا كانوا أثرياء فالثروة ليست كمالاً . . . واذا كانوا من اهل الكمال واقعاً فذلك لهم والعامل لا يفتخر بكمال غيره « اذا كنت تفتخر بأبائك الأشراف ، فصواباً تقول ولكن بشس ما ولدوا »^(٣) .

ومن الكبر في الأقوال أيضاً توقع اصغاء المستمع وقبول كلامه بحيث اذا لم يصغ إليه ولم يقبل كلامه أو اعترض عليه فإنه رغم علمه بصحة ما قاله يستبد به الغضب ويقول : وتعترض على مثلي ؟ أنت وامثالك أصغر من أن تعترضوا عليّ . . . او إذا وعظه أحد يقول مثلي تنصح ؟ . وأنا المطهر من كل عيب إن فيك مئات العيوب . وما ذكر نماذج من ذلك وللکبر في القول مصاديق كثيرة .

الكبر في الأفعال :

واما الكبر في الأفعال فمثاله أن يمشي الانسان مشية تكبر مع أن القرآن

(١) اصول الكافي - باب الفخر والكبر .

(٢) المصدر السابق ولاحظ كلام العلامة المجلسي في مرآة العقول ٢٩٠/١٠ .

(٣) مضمون بيت شعر .

يصرح ﴿ولا تمش في الارض مرحاً﴾ أو يخرج خادمه واتباعه في أثره ، يضع نفسه في مقدمة الأقران ، يجلس في صدر المجلس متعاضداً بذلك ، يتباعد عن الجالس بفرجه ، لا يؤاكل أحداً ، يجتنب مجالسة الفقراء والأكل معهم ، لا يزور ارحامه الفقراء ، يتوقع أن يبدأه غيره بالسلام ويتوقع قيام الناس اجلالاً له ، الى حد انه يصبح يريد أن يجلس هو ويقف الآخرون بين يديه ، وإذا كان له طلاب يفسو عليهم ، ويمن ويتوقع أن يخدموه ، وإذا قصرُوا في ذلك وبخهم الى حد أنه يصبح ينظر إلى الآخرين على أنهم حمقى . . . وكأنه هو الانسان ، والناس حيوانات ، وللكبر في الأفعال ايضاً مصاديق كثيرة وما ذكر نماذج منها .

وقد اشير في الروايات الى كل هذه الأفعال المنافية وذمها ، وايراد الروايات يستدعي الإطالة لذلك يكتفى ببعضها .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحب أن يتمثل له الناس أو الرجال (أي يقفون بين يديه) فليتبوء مقعده من النار^(٤) .

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يكن يحب أن يقف الناس له عند دخوله اجلالاً له .

قال الشهيد : هذا محمول على ما اذا أراد الشخص تكبراً أن يقف الناس له أو يقفوا بين يديه ونهَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الوقوف له تواضع منه صلى الله عليه وآله تعالى أي أنه يحب أن تظهر دائماً عظمة الله لا عظمته هو وبناءً عليه فإذا لم يكن الشخص متكبراً وكان عدم وقوف الناس له بحسب المتعارف في زمانه اهانة له وأحب أن لا يهان فلا ضرر في ذلك وعلى الناس أن يقفوا له حتى لا يكونوا قد أذلوه^(٥) .

(٤) قواعد الشهيد .

(٥) النص هنا بالمضمون .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مشى على الأرض اختيلاً لعنته الأرض من تحتها ومن فوقها^(٦) .

وقال صلى الله عليه وآله : اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم^(٧) .

أي انه يرى نفسه مبرءاً من العيوب فيهلك لعجبه وتكبره .

نموذج لتكبر الغني :

يقول الإمام الصادق عليه السلام : جاء رجل موسر الى رسول الله صلى الله عليه وآله نقي الثوب فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس الى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أخفت أن يمسك من فقره شيء قال : لا قال : فخفت أن يصيبه من غناك شيء قال : لا قال : فخفت أن يوسخ ثيابك قال : لا قال فما حملك على ما صنعت فقال : يا رسول الله إن لي قريناً يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي فقال رسول الله للمعسر اتقبل قال : لا فقال له الرجل ولم؟ قال : أخاف أن يدخلني ما دخلك^(٨) .

وستأتي بعض الروايات الأخرى . . .

حرمة الكبر :

مما تقدم يتضح جيداً معنى الكبر والتكبر . . أما حرمة التكبر فقد ثبت في

(٦) سفينة البحار ٢/ ٥٤١ .

(٧) نفس المصدر/ ٤٥٩ .

(٨) أصول الكافي ، فضل فقراء المؤمنين .

كتاب « الذنوب الكبيرة » أنه حرام ومن الكبائر كما ذكرت بالتفصيل الآيات والروايات في عقوبته وذمه وبيان درجاته وكيفية علاجه وتكرار ذلك هنا ليس مناسباً ، لأن موضوع البحث في هذا الكتاب هو الذنب القلبي فقط الذي هو الكبر أي أن من الواجب على كل مكلف أن لا يفسح للكبر مجالاً في قلبه . . فإذا أفسح له مجالاً فيجب عليه أن يطهر قلبه منه . ودليل هذا الحكم :

أولاً : جميع أدلة حرمة العجب فهي أدلة على حرمة الكبر أيضاً لأن حالة العجب والكبر - كما تقدم - هي ذلك الاعتقاد بالعظمة والخلو من العيب والنقص والحاجة ويعبر عن هذه الحالة أيضاً بالطغيان والأنانية والغرور وهناك تفاوت بين العجب والكبر وهو أنه إذا كان سبب وجود هذه الحالة هو ترجيح الشخص نفسه على آخر فهي كبر وإلا فهي عجب وبناءً عليه فالآيات والروايات الدالة على حرمة العجب تشمل حالة الكبر أيضاً .

ثانياً : لا يبعد إمكان الادعاء بأن جميع الأدلة التي ذكرت في كتاب « الذنوب الكبيرة » في بيان حرمة استعمال الكبر تدل كذلك على حرمة الكبر لأن الأعمال التي تتحقق عن كبر هي حرام بسبب حرمة حالة الكبر المقترنة بها بحيث أن هذه الأعمال لو لم تكن عن كبر لما كانت حراماً . . . مثلاً : الجلوس في صدر المجلس أو التقدم على الآخرين في المسير إذا كان كل منهما عن كبر فهو حرام أما إذا اجلسه صاحب المنزل في صدر المجلس أو لم يوجد متسع إلا في صدر المجلس أو قدمه الآخرون أو حصل تقدمه عليهم قهراً فليس ذلك حراماً .

وكذلك تركية النفس فهي حرام إذا كانت من منطلق كبرياء وإلا فليست حراماً كما تقدم في بحث العجب . . .

والخلاصة حيث أن الكبر ذنب قلبي فالقول أو الفعل الذي يصدر عن كبر

حرام ومعصية . . . ويتضح هذا جيداً لدى التأمل في الأدلة .

آيات الكبر :

ثالثاً : ذكر في الآيات والروايات عنوان الكبر القلبي ويشار الى بعضها :

١ - ﴿كذلك يطيع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ غافر ٣٥ .

وبناء على قراءة قلب بالتثنية يكون المعنى إن الله يغضب على كل قلب متكبر فيختمه بحيث لا يمكن أن يوجد فيه بعد ذلك نور الايمان والاخلاص والخشوع .

٢ - ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه (أي السبب الوحيد لجدهم في الحق الكبر الباطني ولذلك يريدون طمس الحق واظهار الباطل ولا يستطيعون ذلك لأن الله سيظهر الحق) فاستعد بالله انه هو السميع البصير﴾ غافر ٥٦ . كما استعاذ موسى عليه السلام :

﴿وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ غافر ٢٧ .

٣ - ﴿وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ الجاثية ٢٧ .

اذن . . اذا وجدت حالة الكبر في المخلوق الذي هو مملوك وذليل محتاج الى الله واعتبر نفسه غنياً وعظيماً ويستحق التعظيم فقد جعل نفسه شريكاً لله في صفته الخاصة به وفي الحقيقة يكون قد أنكر الربوبية الإلهية .

ويستفاد من هذه الآية الشريفة أن الكبرياء خاصة بالله وهي حرام على

المخلوق كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام : العز رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئاً منه اكبه الله في جهنم^(٩) .

والمراد بمن تناول منه شيئاً من اعتبر نفسه عزيزاً وكبيراً .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : الكبر رداء الله فمن نازع الله شيئاً من ذلك اكبه الله في النار^(١٠) .

العزیز والكبر المطلق :

السبب في أن العزة والكبرياء خاصتان بالله هو أن الله تعالى عين الوجود وكل الكمال وعالم الوجود بجواهره واعراضه كله منه سبحانه وحيث أنه لا سبيل لأي احتياج إليه فهو اذن العزيز المطلق والكبير بحق وكل ما سواه وأي مخلوق هو فقير مطلق ومحتاج بحق ﴿يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد﴾ فاطر ١٥ . بناءً عليه فإذا صدر عن جاهل ما يدلّ على أنه لا يعتبر نفسه عبداً ولم يأبه بنسبة مملوكيته ومربوبيته ومقهوريته الى الله فاعتبر نفسه غير محتاج وذا مرتبة عالية وعظيمة فقد جعل نفسه في الحقيقة ندأً لله وسواء علم ام لا فإن ادعى الربوبية ومثال ادعاء الربوبية عن علم فرعون حيث قال للمصريين ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات ٢٤ .

ومثال ادعائها دون العلم بذلك سائر أفراد البشر الذي توجد فيهم أحياناً حالة الكبر حتى اذا كانوا من الاشخاص الذين يقرون بالله فانهم بالكبر ينازعون الله حق الربوبية .

الكبر منشأ الصفات السيئة :

اذا تأملت ادركت أن منشأ جميع الصفات السيئة والطبائع القبيحة

(٩و١٠) اصول الكافي - باب الكبر .

الحيوانية والشيطانية التي تظهر في الانسان هو ادعاؤه لربوبيته وبعبارة أخرى إن حالة الكبر هي منشأ جميع الطبايع القبيحة .

مثلاً : الحسد الذي يوجد فيه ، سببه أنه لا يريد أن يكون شخص آخر أفضل منه في امر الدين او الدنيا .

والحق الذي هو اخفاء الغضب في الباطن من هنا ينشأ ، والعجب الذي هو رؤية نفسه كاملاً ، ايضاً ينشأ من ادعاء الربوبية هذا . . . والرياء سببه أنه يريد مدح الناس وثناءهم وهو من اللوازم العادية للربوبية ، الغضب الذي يسيطر على الانسان سببه حب السيطرة والاعتقاد بعلو مرتبته وذلك لازم الربوبية وكذلك سائر الطبايع غير الحميدة . . بناء عليه يجب لأجل الحيلولة دون كل طبع قبيح الحيلولة دون وجود حالة الكبر وطريق ذلك هو الاعتقاد (بالعبودية) دائماً . أي يجب أن تكون نصب عين الانسان دائماً نسبة مملوكيته ومربوبيته الى الله حتى يصبح ذلك ملكة له وعادة . فلا يوجد فيه ادعاء الربوبية أبداً ومن هنا تكرر الامر في القرآن الكريم بكثرة ذكر الله :

﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ الجمعة ١٠ .

ودوام ملاحظة الانسان نسبته الى الله التي هي المملوكية والمربوبية مانع قطعي من ظهور حالة الكبر فيه وادعائه للربوبية .

لا يريدون علواً في الارض :

في سورة القصص الآية ٨٣ يقول تعالى : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ .

ينبغي التأمل بدقة في موردين من هذه الآية الشريفة الأول : ﴿لا يريدون﴾ والثاني : ﴿علواً﴾ .

أما المورد الأول ﴿لا يريدون﴾ فهو بمعنى ارادة القلب أي انهم يجب أن يكونوا في قلوبهم لا يريدون العلو والتفضيل وهو حالة الكبر المذكورة . . بناء عليه اذا كان في قلب احد كبر فهو ملوث بذنب يمنع من دخول الجنة حتى اذا لم يظهر الكبر في اقواله وأفعاله ولا يستطيع أن يظهره لأنه لو كان المراد العمل الكبريائي الظاهري لقال تعالى « لا يعلون » وحيث أنه قال : ﴿لا يريدون﴾ فيعلم أن حالة الكبر الباطنية ذنب وتمنع من الحصول على السعادة .

وأما « العلو » وهو بمعنى التجبر والتكبر على عباد الله فهو بأن يكون الشخص في أي مرتبة كان ، يطلب العلو على الآخرين في تلك المرتبة التي هو فيها . . مثلاً : اذا كان يعمل في مجال الكسب والتجارة يريد أن تكون سلعته مقبولة ومرغوبة أكثر من سلع الآخرين ، أن يكون زبائنه أكثر ، وأن يكون هو الممدوح من قبل الناس وحسب . . .

واذا كان ثرياً يريد أن يكون في الثروة (والمكنة) فوق الجميع . . واذا كان صناعياً ومخترعاً يريد أن يكون هو فقط محط الانظار والذي تلهج اللسان بذكره ويعظمه الناس . . .

واذا كان طبيباً يريد أن يكون أستاذ الجميع ولا يرجع الناس إلا إليه ، واذا كان في مسار العلم الديني يريد ان يكون اعلم من الجميع ، مقدماً عليهم ، ويعرف الناس ذلك ولا يمدحون غيره ولا يطيعون إلا أمره .

والخلاصة : يجب على كل شخص أن يجتنب العلو في أي مجال كان .

علي عليه السلام في سوق الكوفة :

في مجمع البيان : وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يمشي في الاسواق وهو وال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبائع والبقال فيفتح

عليه القرآن ويقرأ ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ ويقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس .

وعنه عليه السلام أنه قال : ان الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية (١١) .

أي أن من يريد العلو على غيره بواسطة ما يملك حتى اذا كان ذلك شراك نعله ويتباهى بذلك فإن حالته هذه تحول بينه وبين سعادته لأنه من الذين يريدون علواً في الأرض .

وبعد معرفة معنى ارادة العلو في الأرض وكونه ذنباً نقول : من أنصف وبحث في احوال نفسه علم أنه قل يوم يمر على الانسان ولا توجد فيه هذه الحالة ولا أقل من ارادة العلو بالنسبة للزوجة والولد والعائلة والتلميذ ومن هم تحت يده وكذلك أقرانه ونظرائه من هنا فقد اثارت هذه الآية زفرات العظماء وتحرقهم ونحيبهم . . .

ذهبت الأمانى :

في تفسير القمي عن حفص بن غياث أن الإمام الصادق عليه السلام « تلا قوله : ﴿تلك الدار الآخرة﴾ الآية وجعل يبكي ويقول : ذهبت والله الأمانى عند هذه الآية ثم قال : فاز والله الابرار اندري من هم ؟ هم الذين لا يؤذون الذر كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً » (١٢) .

وفي كشف الاسرار: «إن سكان مقعد صدق والمقربين الى حضرة

(١١) نور الثقلين / ٤ / ١٤٤ .

(١٢) تفسير القمي ٢ / ١٤٦ .

الجبروت غداً هم الذين لا يطلبون في الدنيا التفضيل والاستعلاء ، والذين يرون أنهم دون أي شخص وأقل منه ولا ينظرون الى أنفسهم بعين الرضا كما قال فتى الطريقة الذي كان عائداً من موقف عرفات فسئل : كيف رأيت اهل الموقف قال : رأيت قوماً لولا أنني كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم .

فيا ايها الفتى لا تنظر الى نفسك بعين الرضا ولا تكن في طريق « أنا » فلم يستفد احدٌ من « أنا » شيئاً ابداً وما حل بابليس سببه « أنا » اذ قال : ﴿أنا خير﴾ .

رأى أحد عظماء الدين ابليس فقال له عظمي قال : لا تقل « انا » فتصبح مثلي ، (١٣) .

يقول سعدي :

« الكبير الذي يعتبر نفسه من الصغار يكون كبيراً في الدنيا والآخرة »
« تصبح عزيزاً عند الناس عندما لا تقيم لنفسك أي وزن » .

وحقا لم يكن باب التوبة مفتوحاً وبعض العبادات كالصلاة والحج إذا أدبت بشرائطها وأدابها فهي تطهر من الذنوب . . . لولا ذلك لكان الانسان يئأس من نفسه عند قراءة هذه الآية ولكانت نار الغصة تهلكه . . . لكن الشكر لله الكريم الذي يقبل التوبة ويمحو أدران عبده .

المأمول من كرمه أن يمن بالتوبة بعد حصول حالة الكبير ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ .

كيف يمنع الكبير من دخول الجنة :

ونسأل : كيف تمنع ارادة العلو من دخول الجنة ؟

(١٣) تفسير كشف الاسرار وعدة الابرار (فارسي) ج ٧ / ٣٥٩ .

والجواب : من أراد العلو فهو في حرب مع الله ونزاع^(١٤) . بالبيان المتقدم ومن كان في نزاع مع الله فكيف يستحق الجنة . . اللهم إلا أن يقلع عن هذا النزاع ويتوب من كبره ليصبح مهيناً للجنة . . .

ونقول أيضاً : من أراد العلو فهو جاهل حقيقي لم يتحلّ بعد بالفهم الانساني ليميز الحق من الباطل والباقي من الفاني . .

تتحقق منه ارادة الحق والباقي ويجتنب الباطل والفاني . . إنه لم يدرك بعد عدم اعتبار الحياة المادية وعدم ثباتها وضالة قيمتها ليتعلق قلبه بها وجاهل كهذا لا يستحق القرب من الله تعالى إلا اذا أصبح عالماً وتاب من جهالته .

وقد تسأل أيضاً : إن إرادة العلو امر قلبي وليس اختيارياً . . .

والجواب « ما هو غير اختياري هو الخطرات والوساوس ولا مؤاخذه عليها أما إرادة العلو فهي حالة ثابتة واختيارية للانسان لأنه يستطيع بواسطة التفكير فيما تقدم ذكره أن لا يدع هذه الحالة توجد فيه . . . وإذا وجدت فباستطاعته أن يزيلها وقد تقدم ذلك في بحث العجب .

الدين لا يمنع التقدم المادي :

وتسأل كذلك : اذا كانت ارادة العلو ذنباً يمنع السعادة فما يقوله الملحدون والمفرضون صحيح إذن . . . إنهم يقولون إن الدين يمنع الرقي والتقدم في الصناعات والاختراعات والوصول الى حياة أفضل .

والجواب : هذه مغالطة شيطانية لأن الدين لم ينه عن الرقي والتقدم في الحياة المادية البشرية بل أمر بهما كما هو الأمر في مجالات الزراعة والتجارة والصناعة والطب وعلم النبات وأمثال ذلك ، كما أوصى الإسلام بالتوسعة على

(١٤) اللفظ مأخوذ من الرواية « نازع الله رداءه » .

العيال وتأمين الحياة الأفضل لهم وما نهى الدين عنه هو التباهي وحب الظهور والأمانى العريضة والكبرياء فهي أمور تتسبب بالحسد والعداوة ومئات الفتن وأنواع الفساد .

مثلاً : نهى الإسلام عن طلب زيادة الثروة بهدف التعالي والتسلط والسيطرة ولكنه أمر بطلب الثروة بهدف إيصال الخير الى الآخرين قس سائر الموارد على هذا . . . وعلى كل حال فقد قدم الإسلام تعليمات للحياة الأفضل وقال بشكل عام « خير الناس من نفع الناس » .

وأما الروايات التي ورد فيها عنوان الكبر والنهي عنه فقد تقدم بعضها ويشار هنا الى بعضها الآخر .

ادنى درجات الالحاد :

عن « حكيم » قال : سألت أبا عبدالله (ع) عن ادنى الالحاد فقال (ع) : إن الكبر أدناه (١٥) .

والالحاد بمعنى الميل عن الحق أي الرجوع والاعراض عن الحق وهو على قسمين : إنكار الله وإثبات الشريك له ، والكبر - كما ذكر - حالة توجد في باطن الانسان فتجعله أحياناً يرى نفسه اكبر من آخر وأنه بحسب المرتبة اعلى منه وما في الرواية من أن الإمام عليه السلام اعتبر الكبر الحاداً فسببه أن لازم الكبر انكار الله أو اثبات الشريك له حتى اذا لم ينتبه المتكبر الى ذلك .

إن الكبرياء خاصٌ بمن هو بحسب الذات والصفات والأفعال كامل مطلق وليس فيه أي نقص واحتياج ولا يتصف بذلك غير الله تعالى فالمخلوقات ناقصة ومحتاجة في الأمور الثلاثة (الذات والصفات والأفعال) بالتفصيل المتقدم .

(١٥) أصول الكافي - الكبر .

بناءً عليه فالكبرياء صفة إلهية خاصة والشخص المتكبر إذن جعل نفسه - دون أن يعلم - شريكاً له وأيضاً انكر الله الواحد الذي لا شريك له ولأن هذا الإنكار أو هذا الشرك غير صحيح وهو من لوازم الكبر قال الإمام عليه السلام إنه ادنى الإلحاد .

المتكبر لا يدخل الجنة :

عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام : قالوا : لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر^(١٦) .

وقد ذكر العلماء وجوهاً في شرح هذا الحديث :

١ - أن المراد من الكبر الذي تمنع الذرة منه دخول الجنة هو الكبر مع انكار الربوبية الإلهية وهو أعلى مراتب الإلحاد ، لأن ادنى الإلحاد المذكور في الحديث السابق هو الكبر مع جهالة وغفلة عن ربوبية الله ومالكيته وأن الكبرياء خاصٌ بالله وهو بعدُ جعل الإنسان نفسه شريكاً لله دون أن يعلم .

والكبر مع الإنكار هو أن يرى نفسه مستقلاً وغير محتاج ولا يعتقد بأن له خالقاً يتولى تربية أموره وتديرها وهو مرتبط به . . وإذا مات الإنسان على هذه الحالة فقد مات كافراً والجنة حرام على الكافر وشاهد صحة هذا الشرح والتوجيه هو الحديث الآتي .

٢ - أن من مات وفي قلبه ذرة كبر وإن مات مؤمناً فلن يدخل الجنة ما دامت هذه القذارة فيه فلما إن يطهر في البرزخ أو عقبات المحشر أو يطهر بالنار ثم يدخل الجنة قال الشهيد عليه الرحمة الكبر معصية ثم أشار إلى الوجهين المذكورين^(١٧) .

(١٦) أصول الكافي - الكبر .

(١٧) مرآة العقول ١٠/ ١٨٤ .

٣ - قال بعض المحققين : « وانما صار (الكبير) حجاباً عن الجنة لأنه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعز النفس تغلق تلك الأبواب كلها»^(١٨) لأن من لوازم الكبير الحسد والحقد والغفلة والقسرة والرياء والعجب والبخل والحرص وامثال ذلك ويقابل ذلك الحرمان من التواضع والشجاعة والجود والرفق والحلم والاخلاص والمحبة والصبر والشكر والرضا وامثال ذلك .

٤ - المراد من الكبير الذي لا يدخل صاحبه الجنة بل لا يشم ريح الجنة كما في رواية أخرى هو الكبير الذاتي لا العرضي توضيح ذلك أن كل ذنب قلبي أو بدني يرتكبه الانسان على قسمين :

ذاتي بمعنى أنه مراد ذات الشخص وحقيقته ، ومن منطلق عدم التورع والطغيان وعدم الاعتناء بالله وغضبه وانتقامه وعقوبات الآخرة وباختصار من منطلق اعتبار المؤاخذه الإلهية وهماً .

واما عرضي بمعنى أن الذنب ليس مراد ذاته . . . وحيث أن في قلبه ايماناً بالله ويوم الجزاء فهو من الأصل لا يريد الذنب إلا أنه يذنب نتيجة الغفلة أو ضعف المقاومة للشيطان ومشتبهات النفس فيغلبه الهوى والشيطان .

وعلاوة كون الذنب ذاتياً أو عرضياً حالته بعد ارتكاب الذنب عندما ينتبه هو أو ينبهه غيره ويخوفه فإذا وجدت فيه حالة الندامة والحسرة والخجل من ربه علم أن ذنبه عرضي . . أما اذا لم توجد فيه هذه الحالة بل بالعكس اطمأن الى ذنبه وفرح به وسخر بمن يعظه فيعلم أن ذنبه ذاتي واذا مات على هذه الحال فذنبه لا يغتفر .

(١٨) نفس المصدر / ١٨٥

وبعد أن اتضح هذا نقول : من مات على كبر ذاتي لا يدخل الجنة أبداً ،
ومن مات على كبر عرضي ولم يتب فإن كان قد اجتنب جميع الكبائر ، أو أدى
بعض العبادات التي تظهر من الكبر فكبره هذا لا يمنع من دخول الجنة وإلا فإنه
بعد أن يعذب على ذلك الكبر سيكون من اهل الجنة طبعاً ، والأمل بالشفاعة
وفضل الله ورحمته قوي بطبيعة الحال .

التوبة قبل الموت :

ما ذكر من أن الكبر الذاتي ذنب لا يغتفر . . . وأن الكبر العرضي يمكن
أن يغتفر . . يتضح جيداً لدى التأمل في هاتين الآيتين :

١ - ﴿انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون عن
قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾ النساء ١٧ .

أي يعصون نتيجة غلبة النفس والشیطان لا من منطلق العناد والطغيان
بدليل انهم يتوبون مباشرة ويندمون ولو كان عصيانهم عناداً وطغياناً لما ندموا
ولما تابوا ، والله بعلمه يعلم ايمانهم واخلاصهم الذاتيين وبحكمته يقبل توبتهم
لأنه يعلم حال مخلوقه جيداً وأن ذنبه عرضي وسببه العجز في مقابل النفس
والشیطان .

٢ - ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات (ولا يتوبون) حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم
عذاباً أليماً﴾ النساء ١٨ .

والخلاصة إن من يعصي عناداً وتمرداً ولا يندم على ذلك حتى يحضره
الموت . . . عندها حيث لا مناص له وحيث انه شاهد آثار اعماله القبيحة
يقول بلسانه ﴿تبت﴾ لا قيمة لتوبته هذه لأن التوبة الصحيحة التي يمكن أن تقبل

هي أن يندم الشخص على تمرده على الله تعالى من كل قلبه ويصبح حاضراً للإطاعة حقيقة . . وما لم تكن التوبة كذلك فهي ككلام أهل النار ﴿وهم يصطرون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحاً﴾ فاطر ٣٧ .

بعبارة ثانية : التوبة الصحيحة هي وجود حالة العبودية والطاعة ، والندم حين الموت وحين مشاهدة الحقائق البرزخية وآثار القبائح ، أو الندم في النار ليس حالة عبودية أي أن حاله هي بحيث لو أنه ردّ الى الدنيا - وفرض المستحيل ليس مستحيلاً - لعاد الى طغيانه وتمرده وعصيانته تماماً كالمريض الذي ينهض طيب حاذق حنون عن أمور معينة ويأمره بالحمية ويخبره بأنه اذا لم يلتزم فسيتلى بمرض خطير كالسرطان مثلاً . . ولا يأبه المريض بأوامر الطبيب ويرى تعليماته غير ذات معنى ويهزأ بها وعندما يبطل بمرض السرطان ويعاني من ويلات آلامه ويتهدده الموت يندم لعدم التزامه بما قاله الطبيب . . فما نفع هذا الندم خاصة وأنه با يزال غير منقاد للطبيب ولا يعتبر اطاعته ضرورية بحيث أنه على فرض المحال - لو أراد الطبيب علاجه (وكان باستطاعته ذلك) فإنه ليس مستعداً للالتزام بما يقوله الطبيب له مجدداً .

الكبر المساوي لانكار الحق :

عن محمد بن مسلم عن أحد الصادقين عليهما السلام :

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر قال فاسترجعت فقال مالك تسترجع قلت لما سمعت منك فقال : ليس حيث تذهب إنما أعني الجحود ، إنما هو الجحود» (١٩) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(١٩) أصول الكافي - باب الكبر .

إن اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق قال قلت وما غمص الحق وسفه الحق قال : يجهل الحق ويطعن على أهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه^(٢٠) .

وعنه عليه السلام : «الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس (أي ليس الكبر محصوراً بالاثرياء والمعروفين بل قد يكون الانسان متكبراً وإن كان فقيراً) والكبر رداء الله فمن نازع الله عز وجل رداءه لم يزد الله إلا سفلاً إن رسول الله صلى الله عليه وآله مر في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين (الزبل) فقيل لها : تنحي عن طريق رسول الله فقالت إن الطريق لمعرض فهم بها بعض القوم أن يتناولها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله دعوها فإنها جبارة^(٢١) أي لانها متكبرة فإذا أثيرت فقد تقول كلاماً منافياً وتتسبب بما لا يناسب .

التكبر من ذلة النفس :

قال الإمام الصادق عليه السلام : ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه^(٢٢) .

يقول المجلسي عليه الرحمة في شرح هذا الحديث : « ويمكن أن يقال في الفرق بينهما (التكبر والتجبر) أن التجبر يدل على جبر الغير وقهره على ما أراد بخلاف التكبر فإنه جعل نفسه اكبر واعظم من غيره وإن كانا متلازمين غالباً » ثم نقل وجوهاً في معنى « إلا من ذلة وجدها في نفسه » وهي كما يلي :

الأول : أن يكون المراد أن التكبر ينشأ من دناءة النفس وخستها ورداءتها .

(٢٠) أصول الكافي - باب الكبر .

(٢٢) أصول الكافي - باب الكبر .

الثاني : أن يكون المعنى أن التكبر إنما يكون غالباً في من كان ذليلاً فعزّ وأما من نشأ في العزة فلا يتكبر غالباً بل شأنه التواضع .

الثالث : إن التكبر إنما يكون في من ليس له كمال واقعي فيتكبر لأظهار الكمال .

الرابع : أن يكون المراد المذلة عند الله أي من كان عزيزاً ذا قدر ومنزلة عند الله لا يتكبر .

الخامس : ما قيل من أن اللام لام العاقبة أي يصير ذليلاً بسبب التكبر وهو أبعد الوجوه^(٢٣) .

الكبر ونقص العقل :

قال الإمام الباقر عليه السلام : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قلّ ذلك أو كثر^(٢٤) .

أي بمقدار ما يكون الكبر الذي استقر في القلب يكون نقص عقل المتكبر وحقاً إن في كل متكبر نقصاً في عقله وهو نقص الايمان لأن العقل بمعنى ادراك الحقائق ومن كان فيه تكبر فهو لم يعرف الله بالعظمة والرفعة ونفسه بالحقارة والدناءة ولم يدرك ذلك وكلما كان الكبر في القلب أكثر كان هذا الادراك أقل ومن هنا كان المتكبر مجنوناً حقيقياً .

الجنون الحقيقي :

يقول جابر بن عبد الله ، مر رسول الله صلى الله عليه وآله برجل مصروع وقد اجتمع عليه الناس ينظرون إليه فقال صلى الله عليه وآله على ما اجتمع

(٢٣) مرآة العقول ج ١٠/ ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢٤) سفينة البحار - ج ٢/ ٤٦ .

هؤلاء فقيل له : على مجنون يصرع فقال ما هذا بمجنون ألا أخبركم بالمجنون حق المجنون قالوا بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (صلى الله عليه وآله) : إن المجنون حق المجنون المتبخر في مشيه الناظر في عطفه المحرك جنبيه بمنكيه فذاك المجنون وهذا المبلى (٢٥) .

مراتب الكبر :

للكبر درجات ومراتب أشدها أمران : أحدهما كبر الجحود أي إنكار الحق والثاني تحقير الخلق وفي الروايات المتقدمة تصريح بأنهما معاً أكبر درجات الكبر ، كذلك فإن العقوبات الشديدة التي ذكرت في الروايات للكبر ترتبط بهاتين المرتبتين . . وعليه فينبغي معرفة حقيقة هاتين المرتبتين ليأمن الانسان من التلوث بهما .

أما إنكار الحق فله ايضاً مراتب أشدها انكار الحقائق الدينية والامور الاعتقادية وهي كذلك درجات أشدها عدم الاعتقاد بالله وعدم اعتبار الشخص نفسه مملوكاً ومربوباً ومقهوراً وعدم الخشوع لله والتسليم له والتمرد على أوامره . . ككبر ابليس .

يأتي بعده انكار المعاد عن كبر، وذلك بأن يرى نفسه اكبر من أن يسأل في عالم ما بعد الموت عن عقائده وأقواله وأعماله ويؤاخذ على ذلك ويعذب ويحمل المسؤولية ويذل . ولا يكون مستعداً لقبول هذه الحقيقة والانقياد لها والخضوع أمامها .

بعد ذلك يأتي انكار الانبياء والأئمة بحق . . . وذلك بأن يراهم بشراً مثله ويرى أنه أكبر من أن يستسلم لهم ويخضع، وأكبر من أن يعتبرهم فوقه يطيع أوامرهم مع أن حقانيتهم واضحة له .

(٢٥) معاني الاخبار/ ٢٣٧ وبحار الانوار/ ٧٣/ ٢٣٤ .

فرق بين القاصر والمعاند :

وقد نقول : عندما يكون انكار هذه الحقائق ناتجاً عن عدم وضوح الحق له فليس ذلك مذموماً .

والجواب : تقدم في قسم العقائد أن الجاهل بهذه العقائد الذي يعيش الشك فيها اذا كان مقصراً أي يستطيع الخروج من حالة الشك الى الاطمئنان ولا يفعل ذلك فهو مذموم قطعاً ومعذب ، واذا كان قاصراً أي أنه واقعاً لا يستطيع تحصيل الايمان واليقين بتلك المرتبة فإنه وإن لم يكن مذموماً ومعذباً لكن ليس له حق الانكار والاستكبار والعناد - وفي الواقع إن الشخص الذي لا يعلم شيئاً ولا يعرفه إذا أنكره وعانده فليس من سبب يحمله على ذلك إلا الكبر و . . . أما اذا انكر الحق بعد معرفته فكبره أوضح .

ومن مراتب كبر انكار الحق إنكار الشخص للمؤمن الذي يعلم سلامته وصدقه في العقائد والسلوك أو على الأقل لم يثبت له عدم سلامته إلا أن حسن ظاهره يدل على ذلك . . .

إن انكار الشخص لمؤمن من هذا القبيل ونصب العداء له بحيث يستقر في قلبه بغضه وحسده ويتصدى باللسان الى الطعن فيه وغيبته . . . وهو أيضاً من مراتب انكار الحق الذي هو من أعظم مراتب الكبر ويستتبع عقوبات شديدة .

ومن مراتب انكار الحق أن يسمع كلاماً صحيحاً أو يرى عملاً سليماً من شخص . . ثم لا يقبله نتيجة الكبر الباطني بل يرفضه . . وهذا النوع من إنكار الحق شائع بين الناس وكثير . . . وتجب الاستعانة بالله من التلوث بهذا الذنب وسائر الذنوب .

ومن الجدير بالذكر أن مراتب انكار الحق المتقدمة بالإضافة الى كونها من موارد الكبر وحرام قطعي هي أيضاً من موارد الظلم والبغي وحرمتها بديهية .. وهي أيضاً من الموارد القطعية لعدم الانصاف يقول الإمام الصادق عليه السلام : ألا أخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه فذكر ثلاثة اشياء أولها انصاف الناس من نفسك (٢٦) .

تحقير الخلق :

تحقير الخلق يزيد على الكبر ... أي بالإضافة الى أنه يرى نفسه كبيراً وذا مرتبة سامية ، فهو يرى الآخر ذليلاً وحقيراً ولا قيمة له ومن هنا كان تحقير الخلق أعظم مراتب الكبر .

وللتحقير الذي هو بمعنى استصغار الآخر ورؤيته تافهاً مراتب تصل احياناً الى حد رؤية الآخر مستحقاً للإذلال والشتم والقدح ، ثم يعمل بما رآه أهلاً له ..

وكما أن للتحقير مراتب فإن لخلق الله (الذين قد يحقرون بفتح القاف) مراتب أيضاً بحسب مراتب الكفر والإسلام والايمان والتقوى .. الى أن يصل الأمر الى أن تحقير ولي الله (الذي يحبه سبحانه) بحكم الحرب على الله (٢٧) .

والخلاصة : أن كل مراتب الكبر والتحقير حرام ولكن كلما كان التحقير اشد كانت حرمة اشد .. كما أن الشخص المحقر (بالفتح) كلما كانت مرتبته

(٢٦) أصول الكافي / باب الإنصاف والعدل وفيه تسعة عشر حديثاً .

(٢٧) من أهان لي ولياً فقد أُرصد لمحاربتني ، وأنا أسرع شيء الى نصرة أوليائي - البحار / ١٥٨ / ٧٥ .

أعلى كانت حرمة تحقيره أشد .

احذر هذا الخطأ :

قد نقول : إن غير المؤمن المتقي من الناس لا حرمة له فكيف يكون تحقيره حراماً بل أمر الشرع بتحقيق الكافر والفاسق ونهى عن التواضع لهما .

ونقول في الجواب : أولاً : حرمة التواضع للكافر والفاسق ووجوب تحقيرهما ، لأجل النهي عن المنكر وبناءً عليه ، تجب مراعاة اجتماع شرائط النهي عن المنكر وتجب مراعاة مراتب ذلك أيضاً أي كلما كان التواضع لكافر أو فاسق سبباً في جرأته في الكفر أو الفسق والظلم فهو حرام . . . كما أنه إذا كان تحقيرهما سبباً ليقظتهما وتوبتهما من الكفر والذنوب فهو واجب . . . اما إذا كان العكس هو الصحيح أي إذا كان التواضع لكافر أو فاسق سبباً يقظته وتوبته فيصبح هذا التواضع واجباً كما أنه إذا كان تحقيرهما سبباً في زيادة الكفر والفسق فيصبح هذا التحقير حرام . ثانياً : جواز تحقير الكافر أو الفاسق ووجوبه في المورد المذكور إنما هو فيما إذا كان سببه فقط اطاعة أمر الشارع والنهي عن المنكر . . أي يحقره بهدف أن يقلع عن كفره أو فسقه . . . ولكن إذا كان سبب هذا التحقير هو الكبر وهوى النفس فهو حرام ، أي أن المكلف إذا نسي عظمة الله تعالى واثبت العظمة لنفسه ورأى نفسه في مقابل كافر أو فاسق عظيم المرتبة عالي الشأن ورآهما في مقابله وبالنسبة إليه تافهين حقيرين فحقيرهما فإن هذا التحقير حرام لأنه ناشئ عن الكبرياء النفسي . . . وقد تقدم مراراً أن الكبرياء خاصٌّ بالله وكل بني البشر مملوكون له سبحانه ولأنهم بحسب الخلق متساوون فلا يحق لأحد أن يتكبر على أحد .

درس من النبي موسى عليه السلام :

إن الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام : إذا جئت للمناجاة

فأصبح معك من تكون خيراً منه فجعل موسى لا يتعرض أحداً إلا وهو لا يجسر
أن يقول :

اني خير منه فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مرّ بكلب
أجرب فقال : اصحب هذا ، فجعل في عنقه حبلاً ثم مرّ به فلما كان في
بعض الطريق شمّر الكلب من الحبل وأرسله فلما جاء الى مناجاة الرب سبحانه
قال : يا موسى اين ما أمرتك به قال : يا رب لم اجده فقال : وعزتي وجلالي لو
أتيتني بأحد لمحتوك من ديوان النبوة^(٢٨) .

وبناءً على صحة الرواية نقول : كان الأمر المذكور اختبارياً . وقوله تعالى
له « لمحتوك من ديوان النبوة » سببه أن موسى لو كان يرى نفسه أفضل من
مخلوق آخر فذلك دليل بقاء جهله بحقيقة حاله والجاهل لا يستحق النبوة لأن
جميع مخلوقات الله في الواقع متساوون في كونهم مخلوقين لله ومملوكين
ومقهورين له تعالى وليس لهم من أنفسهم أي شيء . . وإذا كان لإنسان شرف
علم أو تقوى ليصل الى مقام النبوة فذاك ليس من ذاته وإنما هو عطاء إلهي وإذا
اعتبر ذلك منه وتباهى به ورأى نفسه ذاتاً (واستقلالاً) أفضل من مخلوق آخر
فهو جاهل بحقيقة حاله وجعل نفسه من حيث لا يعلم شريكاً لله بالتفصيل
المتقدم .

عطاء الله ليس سبباً للكبر :

وأما حيثية الايمان والتقوى التي هي سبب الشرف والمزية . . فحيث انها
عطاء إلهي فلا يحق للمؤمن أن يتكبر بها بل إن من لوازمها زيادة الخشوع

(٢٨) عدة الداعي/ ٢٢٦ والأنوار النعمانية/ ٣/ ٣٠ ط . الاعلمي .

والتواضع لأن الله تعالى اعطاه هو من بين عباده بدون استحقاق^(٢٩) وتكرم عليه .

ومن لوازم ذلك أيضاً الخوف من زوال النعمة بسبب كفرانها . . عندها يموت بدون ايمان ويتساوى مع الكافر .

وأما بالنسبة الى الفاسق فقد يموت الفاسق تائباً من ذنبه ، ويموت هذا المذنب (المتكبر) بدون توبة ، وقد يكون الفاسق اتى بأعمال خير قبلها الله تعالى وتكون هي سبب توفيقه للتوبة فيكون في النتيجة اكثر وجاهة عند الله من هذا الشخص (المتكبر) بناءً عليه كيف يمكن التكبر على الكافر أو الفاسق وقد ذكر مزيد ايضاح لهذه الشبهة في كتاب « الذنوب الكبيرة » .

والخلاصة إن التحقير من منطلق الكبر النفسي في مقابل أي فرد من افراد البشر حرام بالمراتب المذكورة ، والتحقير بداعي النهي عن المنكر في مقابل الكافر والفاسق جائز بل واجب مع اجتماع الشرائط كما تقدم .

حرمة تحقير الناس :

لأن تحقير الناس اشد مراتب الكبر كما علم فإن جميع ادلة حرمة الكبر التي ذكرت تكفي في اثبات حرمة وبالإضافة الى ذلك فالروايات في حرمة بالخصوص كثيرة ويشار الى بعضها .

قال الإمام الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تعالى من أهان لي ولياً فقد أَرُصد لمحاربتي^(٣٠) .

(٢٩) المراد أن ما جعله الله تعالى سبباً للاستحقاق يعود الفضل فيه إليه سبحانه ولذا يصح القول إن العطاء الإلهي يكون بدون استحقاق ، أي بدون استحقاق ذاتي . . لا بدون استحقاق على الإطلاق حتى لا ينافي العدل . (المترجم) .

(٣٠) اصول الكافي - باب من آذى المسلمين واحتقرهم ، وبحار الأنوار / ٧٥ / ١٥٨ .

وقد أورد في الكافي عدة روايات بهذا المضمون ، والمراد بولي الله من رأى نفسه مملوكاً لله وهو مستعد في مجال عبودية الله واطاعة أوامره أن يقوم بما يجب عليه من صميم قلبه في السر والعلن . . وبالإضافة الى ذلك صرف قلبه عن كل شخص وكل مكان وانقطع الى ربه فقط وتعلق قلبه به وحده . . وكل من أهان مثل هذا الشخص يكون قد أعلن الحرب على الله ، لأن الإعتداء على التابع للسلطان اعتداء على السلطان . . . ، ومن أهان مثل هذا الشخص يكون قد أذل من أعزه الله ووضع من رفعه الله .

ولأن ولي الله مشغول بمحبوبه وأوكل كل شيء إليه . . فمولاه ومحبوبه اذن سينصره وسيغضب له ومن استحق قهر رب العالمين وانتقامه فواضح كيف ستكون حاله .

بناءً عليه فأخطر الذنوب هو تحقير ولي الله . . . ولأن ولي الله ليس له عنوان وقد يتزى بأي زي ويمارس أي عمل فالواجب اذن اجتناب تحقير جميع المؤمنين صغيرهم وكبيرهم الثري والفقير ، القادر والعاجز كما روى الصدوق عليه الرحمة عن أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله أخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عباده فربما يكون وليه وانت لا تعلم (٣١) .

وقال الصادق عليه السلام : من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه (٣٢) .

ويجب العلم أن لإظهار التحقير مراتب لأنه إما أن يكون باللسان فقط أو بالاستهزاء والسخرية أو بالسب أو بالطعن أو بالضرب أو بترك القول أو الفعل المستلزم للاذلال .

(٣١) معاني الاخبار/ ١١٢ .

(٣٢) الكافي - من آذى المسلمين .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : من استذل مؤمناً واستحققه لقلّة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد(٣٣) .

صاعقة تقتل من حقر مؤمناً :

عن محمد بن سنان قال : كنت عند الرضا صلوات الله عليه فقال لي : يا محمد انه كان في زمن بني اسرائيل أربعة نفر من المؤمنين فأتى واحد منهم الثلاثة وهم مجتمعون في منزل احدهم في مناظرة بينهم فقرع الباب فخرج إليه الغلام فقال : اين مولاك فقال : ليس هو في البيت فرجع الرجل ودخل الغلام الى مولاة فقال له من كان الذي قرع الباب قال كان فلان فقلت له لست في المنزل فسكت ولم يكثر ولم يلم غلامه ولا اغتم احد منهم لرجوعه عن الباب واقبلوا في حديثهم فلما كان من الغد بكر اليهم الرجل فاصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة لبعضهم فسلم عليهم وقال : أنا معكم فقالوا له نعم ولم يعتذروا إليه وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال فلما كانوا في بعض الطريق اذا غمامة قد اظلمتهم فظنوا أنه مطر فبادروا فلما استوت الغمامة على رؤوسهم إذا مناد ينادي من جوف الغمامة ايتها النار خذهم وأنا جبرائيل رسول الله فإذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة والنفر وبقي الرجل مرعوباً يعجب مما نزل بالقوم ولا يدري ما السبب ، فرجع الى المدينة فلقى يوشع بن نون عليه السلام فأخبره الخبر وما رأى وما سمع ، فقال يوشع بن نون عليه السلام أما علمت أن الله سخط عليهم بعد أن كان عنهم راضياً وذلك بفعلهم بك فقال : وما فعلهم بي ؟ فحدثه يوشع فقال الرجل : فأنا اجعلهم في حل واعفو عنهم قال : لو كان هذا قبل لنفعهم فأما الساعة فلا وعسى أن ينفعهم من بعد(٣٤) .

(٣٣) أصول الكافي - باب من آذى المسلمين واحتقرهم .

(٣٤) أصول الكافي - من حجب اخاه المؤمن .

والروايات في هذا المجال كثيرة وفي ما ذكر كفاية .

العلم والقدرة ، والكبر :

الأمر الذي يمكن أن يوجد في الإنسان الكبر بسببها هي بشكل عام
أمران : العلم والقدرة .

أما العلم فإن الإنسان اذا علم شيئاً وفهمه تولد فيه حالة الكبر نتيجة الغفلة
عن آلاف احتياجاته الأخرى والغفلة عن هم فوقه واعلم منه . . إنه يصبح يرى
نفسه اعلم من الذي لا يعلم ذلك الشيء الذي تعلمه هو ويتكبر عليه مثلاً من
كان في المرحلة الثانوية من الدراسة يتكبر على من هو في المتوسطة ومن هو في
مرحلة « الليسانس » أو « الدكتوراه » يتكبر على من لم يصل الى المرحلة
الجامعية . . . ومن كان استاذاً في فن ما يتكبر على من لا يجيد ذلك الفن . . .
وأصعب من الجميع العلوم الدينية كعلم الكلام والتفسير والفقه والأصول الى
حد أنه قد يرى جاهل نفسه كبيراً بسبب تعلمه لمسألة دينية واحدة ويتكبر على
غيره لأنه لا يعرفها ويتوقع أن يعظمه الآخرون بل وأن يخدموه ويعتبر نفسه من
العلماء والخواص والآخرين من الجاهل والعوام . . . ويصل به الامر الى أن
يتخيل نفسه عزيزاً عند الله وصاحب مقام ويرى الآخرين محتاجين لشفاعته
لهم .

فإن قال له اجد : انك لم تفهم هذه المسألة جيداً والحق في هذه المسألة
كذا سوف لن يقبل منه حتى اذا علم بأن ما يقوله صحيح بل يطيل الجدل
والصراخ خاصة اذا كان في المجلس أفراد آخرون . . فإن نخوته وكبره يمنعانه
في هذه الحال من قبول الحق .

العلم كالطعام :

حقيقة الأمر أن علم أي شيء كمال نفسي وظهور لخاصية الإنسانية ،

وبعبارة أخرى العلم غذاء الروح وسبب تقويتها وكما أن الغذاء المقوي يقوي الانسان الذي يأكله اذا كان صحيح المزاج وتناول من الغذاء كماً وكيفاً ما يناسب وفي الوقت المناسب اما اذا لم يكن مزاجه صحيحاً سالماً بل كان مريضاً أو تناول الطعام في غير موقعه المناسب فإن ذلك الطعام المقوي يزيد في ضعف البدن واضطرابه وعجزه .

كذلك العلم الذي هو غذاء الروح كلما كان قلب الشخص سالماً وكان في طريق التواضع بالتفصيل الآتي فذلك العلم سبب قوة العقل وشدة تواضعه . . . اما اذا كان قلبه مريضاً وكان - من جراء الجهل بالحقيقة - في طريق الكبر يصبح ذلك العلم سبباً لضعف العقل وظهور حالة الكبر .

اعرف نفسك أولاً :

بناءً عليه يجب على كل انسان قبل العلم بأي شيء أن يعرف نفسه ويعلم الحقيقة ويبني سيره ومسلكه على التواضع حتى لا تكون المعارف سبباً لزيادة مرضه وحتى لا يبتلى بالنخوة والكبر .

أما معرفة النفس فقد تكرر ذكرها في هذا الكتاب وسيذكر السبيل إلى التواضع .

واما معرفة الحقيقة فلا شك في حسن العلم وكونه كمالاً للإنسان كما لا شك بشكل عام في أن العلم بأي شيء افضل من الجهل به ولكن يجب أن نرى هل هذه العلوم شيء يمكن أن يعتبر الانسان نفسه بسببه عظيماً وغير محتاج واعلى من غيره فيتباهى بنفسه ويفتخر على الآخرين .

فائدة العلم المادي مؤقتة :

سندرك بعد التدقيق أن جميع هذه العلوم ترتبط بالحياة الانسانية المادية

(أي من الساعة التي يخرج فيها من الرحم الى الساعة التي يخرج فيها الروح من الجسد) ونتيجة هذه العلوم وثمرتها في دائرة هذه الحياة المادية .

إذا كان الشخص طبيباً فقد فهم تشريح البدن وأمراضه وعلاجها ، وإذا كان مهندساً فقد حصل على العلم بالصناعات والبناء . . وإذا كان قد تعلم شيئاً في مجال الجيولوجيا والنبات والحيوان والنجوم وريادة الفضاء وأنواع الاختراعات والاكتشافات فكل ذلك مرتبط بأوضاع عالم المادة والطبيعة . . بل إن العلوم الدينية الكسبية هي أيضاً ترتبط بهذا العالم (مثلاً علم الفقه هو معرفة الوظائف العملية الدينية لكل انسان في مدة حياته الدنيوية) سواء كان هذا العلم عن اجتهاد (كعلوم الدراية والرجال والبيان ، والتفسير والقواعد الفقهية والأصولية) وما كان مقدمة لذلك كالمنطق والصرف والنحو والمعاني والبيان ، أم كان عن تقليد أي يريد الشخص أن يعرف تكليفه الشرعي في العبادات والمعاملات عن تقليد .

هذه الحياة لا قيمة لها :

بعد أن اتضح ما تقدم نقول أولاً : ما هي الحياة المادية للانسان حتى تكون العلوم المرتبطة بها سبباً للعظمة والنخوة والكبرياء ؟ انها حياة مزعجة ملوثة بالمشقات والصعوبة والخيبات لكل شخص . . وفي كل يوم يواجه بلاءً ومحنة . . . والأسوأ من ذلك أن الموت يتهدده في كل لحظة .

فهل يصح أن يغتر الانسان ويتكبر بعلوم مثل هذه الحياة التي لا قيمة لها الحافلة بالمنغصات ؟

ثانياً : حالة الانسان بعد الموت بالنسبة الى علومه هذه كحالة يقظته من الاحلام التي رآها . . كما أنه بعد الاستيقاظ يعلم أنه رأى في المنام كيت وكيت ويعلم كذلك ان ما رآه في نومه لا ينفعه في حالة يقظته بمقدار ذرة وبعد مدة

ينسى هذا الذي كان قد رآه .

كذلك كل عالم يدرك بعد الموت قيمة ادراكاته الدنيوية ويعلم انها جميعاً كانت للحياة المادية ولا تنفعه في حياته الخالدة بمقدار ذرة ولن يكون فرحاً مبتهجاً بادراكاته تلك . . وبعد مدة من بقاءه في البرزخ ينساها جميعاً كما قال بعض الحكماء . . . وينطبق هذا على العلوم الدينية أيضاً بالتفصيل الآتي .

ويل للعالم غير العاقل :

من اكتسب العلوم الدينية للوصول الى الثراء وزيادة الشهرة والرئاسة فليس له بعد الموت شيء غير الحسرة والندامة . . بل ستكون حاله أسوأ من سائر العلماء الدنيويين لأن هؤلاء سوف لن يعذبوا بسبب علومهم ولن يعانوا منها . . بل اذا كان هدف احدهم في اكتسابها إلهياً فقد ادى عبادة وسيستفيد من ذلك الثواب لا من العلوم نفسها . . .

اما العالم الديني الذي كان يعبد الدنيا فيسرى نفسه كحمار حمل اسفاراً (كتباً) وهو يعاني من ثقلها . . وما أشد الآلام التي يواجهها والعذاب الذي يحل به نتيجة جعله العلم وسيلة دنياه واهائه له وعدم العمل بما علم .

طبعاً : اذا كان قد اكتسب العلوم الدينية « لله » وعمل بها فحيث أن اكتساب العلم هذا هو في حد ذاته عبادة فيسنعّم بعد موته بنور عبادته العلمية والعملية وثواب ذلك . . . إلا أن نفس ادراكاته لا تنفعه بشيء لأن تلك الادراكات ترتبط بالحياة الدنيوية .

هذه العلوم مدعاة للفرح :

الادراك الوحيد الذي يرافق الانسان دائماً ولا ينفصل عنه في أي عالم ، ويبقى الانسان مسروراً مبتهجاً به هو العلم بالله وأسمائه وصفاته الجمالية

والجلالية ، والعلم بمقام النبي والامام ومعرفة الانسان معاده . . .

وبعبارة أخرى : الايمان بالحقائق والمعارف والعقائد الدينية . . وكلما كان هذا العلم أكثر وأعلى بحسب مراتب الايمان فالبهجة والسرور أكثر .

ومن نافلة القول أن الآثار الحتمية لليقين بالله زيادة التواضع لأن من عرف الله تعالى بالعظمة والكبرياء وعرف المخلوقين بالحقارة والمملوكية (بالنسبة الى الله) فلا يعقل ابداً أن توجد فيه حالة الكبر . . إن اليقين بالله والكبر كالريح والبعوض أي بمجرد أن يحصل اليقين تزول الذاتية والأنانية ومن هنا يقول سبحانه : ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ .

والخشية بمعنى التذلل أو الخوف من العظمة وهي من آثار العلم بعظمة الحق .

الخلاصة هي أن صاحب العلم اذا كان علمه باقياً وذاتياً وكان شيئاً بهجته ابدية وهو اليقين بالمعارف الإلهية فإن أثر هذا العلم - كما تقدم - هو التواضع لله لا الكبر .

وعلى هذا الاساس فإذا وجد الكبر في الانسان بسبب عمله بشيء فيعلم أنه لم يكتسب ذلك العلم لله بل لهدف نفسي . . وكل علم يكتسبه الانسان بهدف نفسي فنتيجته محدودة بحدود هذه الحياة الدنيوية ولا نفع له في الآخرة . . . وقد تقدم أنه ما قيمة الحياة الدنيا لتكون قيمة للعلم الذي تنحصر نتيجته بالحياة المادية ؟

ومن تكبر بعلم من هذا النوع يثبت أنه لم يفهم بعد فناء هذه الحياة الدنيوية وعدم قيمتها وعدم اعتبارها وهي أمور واضحة لا تخفى على عاقل .

بناءً على ما تقدم فإن الكبر بالعلم بشكل عام خلاف حكم العقل وقد

ذكرت حقيقة العلم بالتفصيل ليتأمل فيها القارئ العزيز بدقة ويدرك الحقيقة ولا يتبلى بالكبر بسبب العلم فإن العلم اعظم أسباب الكبر ولا ينجو من خطره أحد .

الكبر بالقدرة :

حيث أن الانسان ليس له بالذات إلا العدم والعجز والحاجة . . ومع ذلك فقد يتصور لنفسه نوعاً من القدرة بسبب القيام بأعمال يراها كبيرة كالعبادة واجتناب الحرام أو بسبب النسب والعلائق التي كانت له أو حصل عليها كالنسب والحسب والجمال الصوري والمال والأولاد والأتباع . . وتوجد فيه من جراء ذلك حالة الكبر ولذلك يتم ايضاح كل من هذه الأمور مع ذكر طرق الحيلولة دون الكبر بها على سبيل الاختصار .

١ - الكبر بالعبادة :

من الممكن أن يرى الانسان عمله مهماً نتيجة المواظبة على الطاعات والعبادات واجتناب المحرمات ويؤدي به ذلك الى أن يرى أنه عظيم وأسمى مرتبة من الآخرين ويتوقع منهم أن يعظموه بل يخدموه وينظر إليهم نظرة احتقار بل يراهم هلكى . . . ويستصغر كذلك عبادات غيره وطاعاته ويرى انها تافهة ويرى أنه ينبغي أن يتقدم على الجميع اثناء المشي الى مكان . . . وأن يتصدر المجالس واذا واجهه احد بإساءة أدب يقول : لمثلي يقول ذلك ؟! ثم يبقى منتظراً أن يهلكه الله ، في حين أنه هو يسيء الأدب الى الآخرين اكثر منه ولا ينتظر حلول غضب الله عليه . . . بل يرى نفسه اعظم من أن يؤاخذ الله وينتقم منه .

واذا وعظه أحد أو ذكره بخطأه غضب وقال : انت اصغر من أن تعظ مثلي .

واحياناً يقول : فلان ضعيف النفس لم يصبح مثلي بعد بحيث يستطيع السيطرة على هواه وترك الذنب ، أنا اشتغلت برياضة نفسي عدة سنوات ، تحملت مشقات ومشقات ! وحياناً يقول : لولا دعائي وتوجهي لكان حدث كذا وكذا ! وأشبه تلك الحالات والكمالات التي هي جميعاً شواهد الكبر الباطني .

وللحيلولة دون ذلك يجب الرجوع الى ما تقدم في بحث العجب من هذا الكتاب والتدقيق فيه ليعلم أن العجب والكبر يقضيان على أصل الطاعة والعبادة . . وعندما يعلم الشخص أن عبادته بسبب كبره هباء ، فلن توجد فيه بعدها حالة الكبر بل يتوب الى ربه ويندم على ماضيه بكل عجز وانكسار ويسعى بمدار استطاعته لإعادة ما مضى واصلاح حاله في ما يأتي .

٢ - الكبر بالنسب :

والمراد بالنسب هنا النسب الشريف واقعاً كسلالة السادات الجليلة فإذا افتخر سيد بنسبه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نتيجة اطلاعه على أخبار فضائل السادات ورأى أن على الآخرين أن يتواضعوا ويخضعوا له . . فهو عظيم واعلى من الآخرين . . . الذين هم وضيعون وبمنزلة عبيد له رغم انهم قد يكونون علماء وعملاً افضل منه يتصور ذلك غافلاً عن أن هؤلاء الآخرين بسبب خضوعهم وتواضعهم ومحبتهم له اكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله قد ينالون في القيامة القرب من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويكون هذا السيد المحترم محروماً من درجات المتواضعين ومقاماتهم .

ثم إن السادات وإن كانوا من اهل النجاة بشفاعه جدهم ولكن هل يحصلون على ثواب الاعمال الحسنة التي قصروا فيها ولم يؤدوها ؟ هل ينعمون بمقامات ودرجات اهل اليقين رغم انهم لم يبذلوا جهداً في هذا المجال لنستمع الى الجواب من الإمام الرضا عيه السلام .

زيد النار :

زيد النار هو أخ الإمام الرضا عليه السلام وقد خرج في البصرة وأحرق دور بني العباس فلقب بزيد النار وعندما القي القبض عليه وأرسل الى المأمون في خراسان وهبه للإمام الرضا عليه السلام .

عن الحسن (. . . .) البغدادي قال :

كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا عليه السلام في مجلسه وزيد بن موسى حاضر قد أقبل على جماعته في المجلس يفتخر عليهم ويقول : نحن ونحن وابو الحسن عليه السلام مقبل على قوم يحدثهم فسمع مقالة زيد فالتفت إليه فقال :

يا زيد اغرك قول ناقلي الكوفة أن فاطمة عليها السلام احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار فوالله ما ذاك إلا للحسن والحسين وولد بطنها خاصة فأما أن يكون موسى بن جعفر عليهما السلام يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله وتعصيه انت ثم تجيئان يوم القيامة سواء ، لأنت (إذن) اعز على الله عز وجل منه . إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقول : لمحسنا كفلان (ضعفان) من الأجر ولمسيئنا ضعفان من العذاب .

ثم التفت الي فقال لي : يا حسن كيف تقرؤون هذه الآية ﴿ قال يا نوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح ﴾ فقلت من الناس من يقرأ إنه عمل غير صالح ومنهم من يقرأ إنه عمل غير صالح فمن قال انه عمل غير صالح فقد نفاه عن أبيه فقال عليه السلام : كلا لقد كان ابنه ولكنه لما عصى الله عز وجل نفاه عن أبيه كذا من كان منا لم يطع الله عز وجل فليس منا وانت اذا اطعت الله عز

وجلّ فأنت منا أهل البيت^(٣٥) .

النسب الشريف ظاهراً :

أما الكبير بالنسب الشريف ظاهراً . فإذا كان الشريف واقعاً لا يحق له أن يتكبر بذلك كما مر فالشرافة الصورية الدنيوية التي ليست شيئاً غير الوهم أولى بأنه لا يحق لصاحبها أن يتكبر بها .

ومن كان يفتخر بنسب شريف ظاهراً . . لو لاحظ حالة اجساد آبائه تحت التراب وابتلاءات نفوسهم في البرزخ وذللّ موقفهم في الحساب لما افتخر بعظمتهم الموهومة التي كانت لهم لبضعة ايام في دنياهم .

٣ - الكبير بالجمال الصوري :

من كان يتمتع بجمال صوري : اذا كان يرى جماله مهما . . . فقد وجدت فيه حالة الكبير . . . وهو ينظر الى الآخرين باحتقار ، والكبير بالجمال تزيد نسبته بين النساء حيث أن قوة العاقلة فيهم ضعيفة^(٣٦) الى حد أن احداهن

(٣٥) عيون اخبار الرضا - باب ٥٨ ، وفي البحار ٢٣٠/٤٣ «يازيد اغرك قول بقالي الكوفة . . . » .

(٣٦) من النساء المؤمنات من يدركن أن جمال الظاهر لا يصلح أن يكون سبباً يعتمد عليه ويركن إليه فسرعان ما يزول . . وفي هامش الكتاب (الأصل) وردت هنا قصة أعرابية في البادية رواها الأصمعي وهذه خلاصتها :

بينا أنا أسير في البادية رأيت خيمة فخرجت منها امرأة كالشمس الطالعة أو القمر المائل من خلف السحاب . . .

ثم جاء أعرابي أسود اللون قبيح المنظر . . فهبت المرأة لاستقباله ومسحت العرق عن جبهته وقامت بخدمته كما تخدم الجارية مولاه .

وعندما سألتها عن سر تعلقها بزوجها مع جمالها وقبحه قالت :

سمعت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

الايمان نصفان نصفه الصبر ونصفه الشكر . الخ . .

ولا يخفى أن فضول الأصمعي غير مبرر على الإطلاق .

قد تتكبر على زوجها وترى نفسها اعظم من أن تكون في بيته فتتفصل عنه وتبتلى بأنواع القذارات والأوساخ وتمضي بضعة ايام عمرها بالفجائع . . . واحياناً تصل في النتيجة الى الهلاك الأبدي . . . ولو انها فكرت من الأول في بدء امرها ومنتهاه لرأت أن جمالها استعارة لا قيمة له ولأدركت باطن بدننها المليء بالأوساخ والاهم من ذلك كانت تدرك قبح نفسها التي اصبح لها نتيجة سوء اخلاقها اقبح الصور . . . لو أنها ادركت ذلك لما تكبرت بجمالها .

٤ - الكبر بالقوة والشجاعة :

من كان بهلواناً وقوياً . . . إذا نسي الله واهب القوة وغفل عن حالته الأولى والآخرة قد ترجد فيه حالة الكبر ويرى نفسه صاحب شخصية ومرتبة عالية بالنسبة الى من هم دونه أو هم عاجزون . . . ولو أنه ادرك أن قوته مستعارة ولا قيمة لها بحيث أن أقل مرض يفقده هذه القدرة لما كان يتكبر . . . ثم إن القوة ليست كمالاً للانسان ليرى نفسه كبيراً ويستصغر الآخرين بل هي كمال حيواني ومهما كان الانسان قوياً فهناك حيوانات أقوى منه .

٥ - الكبر بالاتباع :

المراد بالاتباع كالأولاد والأرحام والعشيرة أو الخدم والطلاب والمساعدين أو الإنتساب الى السلاطين والحكام . . . والكبر بذلك أن يرى نفسه اكبر من الآخرين ويفتخر على الناس بهذه العلائق ويتباهى بها . . . ولو أنه فكر بفناء هذه العلائق وعدم اعتبارها وكيف أن من الممكن أن يتلى بمرض أو بلاء آخر فيعجزون جميعاً عن تقديم أية مساعدة له . . . والأهم من ذلك حلول ساعة الموت التي لا تستطيع قدرة تأخيرها ولو أنه فكر أيضاً بأن هذه العلائق هي جميعاً خارج ذاته أي أنه بسببها لا يوجد كمال ذاتي فيه ، لو أنه فكر بذلك لما رأى نفسه كبيراً ولما تكبر على الآخرين .

٦ - الكبر بالثروة :

من كان في رفاهية من حيث المسكن والثياب ووسائل الحياة . . وكانت له ثروة طائلة ودخل وافر إذا نسي الله الذي رزقه الثروة ونسي فناء هذه الثروة وزوالها ورأى نفسه كبيراً بالنسبة الى الفقراء وغنياً وعالي الشأن والمقام . . في هذه الحال يمكن أن يوجد فيه الكبر الذي هو إغماء وسكر حقيقيان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : السكر أربع سكرات : سكر الشراب وسكر المال وسكر النوم وسكر الملك^(٣٧) فيصبح يرى الفقراء اذلاء فلا يجالسهم ، ويعرض عن صلاة الجماعة لأن أهلها غالباً من الفقراء . . . خاصة اذا كان من قبل فقيراً ثم استغنى فإن كبره يكون اشد وأصعب فيتباهى بثروته ويفتخر بها . . . يقول مثلاً : فلان وفلان مستعطيان (شحاذان) ما يصرفه فلان في سنة يصرف في بيتي في يوم واحد ، أنا اشتري فلاناً واعتقه . . جميع ثروة فلان لا تعادل ما عندي من سجاد في البيت .

ولو أن هذا المسكين أفاق من سكره وعلم أن ثروته ليست كمالاً ذاتياً للإنسان بل هي مجرد نسبة بين الانسان وما هو خارج وجوده . . وسرعان ما ينسب الى آخر وأنه لا اعتماد على بقاء الثروة . . فما اكثر الاشخاص الذين كانوا في الليل أثرياء وصاروا مع الصباح في عداد الفقراء . . لو أنه أدرك ذلك لما تكبر ابداً .

وحيث أنه تم بيان هذه الامور الموجبة للكبر في كتاب « الذنوب الكبيرة » وبحث العجب بالتفصيل فيكتفى هنا بهذا المقدار .

الكبر بغير ما تقدم :

ينبغي أن يضاف أيضاً أن بعض الاغبياء قد يتكبرون بغير العناوين

(٣٧) سفينة البحار ٢/ ٥٥٧ .

المتقدمة الى حد أنهم قد يرون النعمة نعمة وأفعالهم القبيحة أفعالاً حسنة ويرون انفسهم بها عظماء وفوق الآخرين فيقول قائلهم : إنني أشرب من الخمر اضعاف ما يشربه فلان أنا استاذ في القمار ، وأنا في الزنا كيت وكيت ، . . . مهارتي في السرقة لا تبارى . . . حقاً إن هذا الأحمق أسوأ من عامل مجارير يفترخ على زملائه فيقول : كان عندي الليلة من المجارير والمراحيض اكثر منكم جميعاً وقد نظفت ذلك كله وفعلت كذا وكذا وأنا متفوق عليكم جميعاً .

يجب استئصال الكبر :

ضمن بيان انواع الكبر واسبابه . . . تقدمت الاشارة الى علاج كل من مراتبه . . . إلا أن ما قيل اذا عمل به فهو نافع الى حد ما في الحيلولة من حصول الكبر ولكن قد تتجدد حالة الكبر هذه ، أو يبتلى الانسان بمرتبة اخرى من نفس السبب أو من سبب آخر وفي الحقيقة فإن العمل بما تقدم هو كاستعمال الأقراص المسكنة التي تسكن الألم في حدود . . . ولكن حيث أن أصل المرض باقٍ فإن الألم سيتجدد . . . والحل هو علاج اصل المرض واستئصال جذوره كذلك مرض الكبر الذي يهدد كل انسان ولا يوجد أحد بمأمن منه . . . فمن الواجب اقتلاع أصله وجذوره من القلب . . . والعلاج الوحيد الذي يستأصله هو ملكة التواضع .

ومعنى « الملكة » الطبع والعادة . . . اي يجب ان يبنى سلوكه وتصرفاته مع الله والخلق دائماً على اساس التواضع بالإيضاح الآتي . . . ليتمكنه بعد مدة أن يصبح التواضع خلقاً له لا يمكن أن يزول .

يجب أن يصبح التواضع ملكة :

التواضع بمعنى التنازل وانكسار النفس وحقيقته حالة في باطن الانسان تنشأ من التفكير الدقيق في حالته الأولى حيث كان نطفة . . . وحالته الأخيرة التي هي قبضة تراب . . . ومن التدبر في أجزاء بدنه وقواه والتفكير في نفسه وقواها

الإدراكية والحالات العارضة عليها وكذلك احتياجاته التي لا تحصى . . . إنه عندما يفكر في ذلك كله يدرك أنه محتاج إلى ربه سبحانه في كل لحظة مئات الاحتياجات ويدرك أيضاً نعم الله عليه التي لا تحصى كما يزن نسبته الى عالم الخلفة العظيم فإذا استقرت هذه المعارف في القلب أي تجاوزت الحواس الظاهرية واحتلت مكانها في القلب فإنه في النتيجة يرى نفسه صغيراً وتافهاً غريق الحاجة وعبداً مملوكاً . . وثمرة هذه المعرفة ظهور حالة الخضوع والخشوع والمحبة والخوف والرجاء والتسليم والانقياد الى ربه في سره وإعلانه والعطف والتواضع واداء الحقوق في مقابل المخلوقين . وحالة التواضع هذه التي هي ضد الكبر وهي العلاج القطعي له هناك آيات وروايات كثيرة في مدحها ويشار الى بعضها .

وما هو ضروري هو معرفة كيفية التواضع مع الله والخلق ويتم التذكير بها هنا على اساس الآيات والروايات ليعرفها القارئ العزيز ويطبق سلوكه معها ويتخلص في النتيجة من مرض الكبر وينعم بملكة التواضع الفاضلة ، ويصبح من عباد الله المرضيين والمحمودين .

التواضع مع الله :

بمقدار ما يرى الانسان في نفسه من الحقارة والذلة والعجز والحاجة . . يجب أن يرى في الله تعالى من العزة والرفعة والكبرياء والقدرة وعدم الحاجة (الغنى) والربوبية والاحاطة ولهذه المعرفة لوازم يشار الى كلياتها :

١ - أن لا يرى لنفسه حقاً على الله . . إذن لا يستصغر نعمه وعطاياه ولا يقول : أعطى الله فلاناً كذا وكذا ولم يعطني شيئاً .

٢ - أن يكون راضياً ومسلماً في مقابل ما أَرَادَهُ الله له وأجراه عليه سواء كان ملائماً لرغبته وميله أو مخالفاً . . . ولا يكون في قلبه وعلى لسانه أي إنكار لذلك .

٣ - أن يحب من كل قلبه وروحه خالقه ومربيه والمنعم عليه ولا يتعلق قلبه إلا به ولا يكون له أمل - في الوصول الى كل خير - سواه فهو وحده أمله ومصدر قوة قلبه ومعتمده . . وأن لا يضعف أمام أي خطر يواجهه أو حادثة تحل به ولا يرى نفسه وحيداً ولا يغيب عن قلبه انتظار المدد والعون منه سبحانه .

٤ - أن يكون دائماً بصدد إظهار عظمة ربه وجلاله ونعمه اللامتناهية . . . وبناءً عليه يجتنب الرياء والتظاهر في الأعمال العبادية والعادية بالتفصيل المتقدم في بحث الرياء وأن لا يكون أبداً في معرض طلب الكبر وإظهار نفسه وأن يحذر من التركيز على نفسه وتركيتها وأن يتصرف في جميع الحالات : الجلوس والقيام والمشي والحديث تصرف العبد ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ الفرقان ٦٣ .

نماذج من سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله :

« كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد وأجلس كما يجلس العبيد وما أكل متكئاً منذ بعثه الله عز وجل نبياً حتى قبضه الله إليه متواضعاً لله » (٣٨) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام :

مرت امرأة بذية برسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يأكل وهو جالس على الحضيض فقالت يا محمد والله انك لتأكل اكل العبد وتجلس جلوسه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحك أي عبد اعبد مني قالت ناولني لقمة من طعامك فناولها فقالت لا والله الا التي في فمك فأخرج رسول الله اللقمة من

(٣٨) سفينة البحار ٤١٧/١ وفي مناقب آل أبي طالب ما يشبه كونه خلاصة للنص الثاني وفيه انها كانت متبرزة وفيها وقاحة فصارت ذات حياء بعد ذلك مناقب / ١١٨/١ .

فمه فناولها فأكلتها قال أبو عبدالله عليه السلام فما أصابها داء حتى فارقت الدنيا روحها (٣٩) .

وكان صلى الله عليه وآله : لا يدع احداً يمشي معه اذا كان راكباً حتى يحمله معه فإن أبى قال تقدم أمامي وادركني في المكان الذي تريد (٤٠) وخرج صلى الله عليه وآله يريد حاجة فإذا بالفضل بن العباس فقال احملوا هذا الغلام خلفي قال فاعتنق رسول الله صلى الله عليه وآله بيده من خلفه الغلام ثم قال يا غلام خف الله تجده امامك يا غلام خف الله يكفك ما سواه وذكر المؤرخون أن الذين أرودهم النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة وثلاثون (٤١) .

وكان صلى الله عليه وآله في بيته في مهنة أهله ويقطع اللحم ويجلس على الطعام محقراً وكان يلطع اصابعه ولم يتجشأ قط يحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويطحن مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ويضع طهوره بالليل بيده ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين وناولهم بيده (٤٢) .

قال الإمام الصادق عليه السلام : أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا فقال هل من شراب فأتاه آوس بن خولي الأنصاري بعس مخيض بعسل فلما وضعه على فيه نحاه ثم قال : شرابان يكتفي بأحدهما من صاحبه لا اشربه ولا احرمه ولكن اتواضع لله فإن من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن اكثر ذكر الموت أحبه الله (٤٣) .

(٣٩) نفس المصدر السابق .

(٤٠) البحار ٢٣٦/١٦ .

(٤١) و (٤٢) سفينة البحار ٤١٧/٤١٨ .

(٤٣) أصول الكافي ٢/ التواضع، والبحار ٢٦٥/١٦ .

لماذا لم يشرب (ص) المخيض بعسل ؟

السبب في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشرب المخيض بالعسل تواضعاً هو أن الحظوظ النفسية (الرغبات) واللذات الحيوانية حتى اذا كانت حلالاً ولم يسرف الانسان فيها فإنها تقلل قهراً من التواضع والانكسار الى حد انها غالباً توجب زيادة طغيان النفس وتمردھا الامر الذي يزيل حالة العبودية التي هي اعلى المقامات . . ومن هنا كان الانبياء وعظماء الدين يجتنبون بشدة الرفاهية والدعة واللذائذ الحيوانية وأنواع التنعم بالماديات من المسكن واللباس والطعام حتى لا يؤثر ذلك على مقام العبودية لله الذي هو التواضع لله تعالى .
(النشأة المترفة الناعمة لا تجعل الطريق في متناول الصديق) .

احذر استماع التملق :

من أراد الحصول على ملكة التواضع لله . . فكما يجتنب تزكية نفسه بالتفصيل الذي تقدم في بحث العجب . . . فيجب أن يجتنب أيضاً استماع مدحه وثنائه على السنة المتملقين والمداحين وأن لا يفرح بذلك . . . أي اذا مدحه شخص وقال له انت كيت وكيت . . أنت صاحب كمالات . . . يجب أن لا يرضى بذلك ولا يفرح واذا امكنه فيجب أن يقطع حديثه لأن الموحّد يعلم انه ليس له من نفسه اي شيء واذا كان فيه كمال ما فهو كأصله من الله . وكما ينصرف الجهلة والمتكبرون الى مدح أنفسهم أو مخلوق مثلهم فينبغي أن ينصرف العالمون وعباد الله والمتواضعون الى مدح الله . . وعندما يلتقون يعددون نعم الله واحسانه ويحركون الستهم بحمد الله وثنائه واذا مدحهم أحد أو مدح نفسه أمامهم فينبغي أن ينزعجوا من ذلك بشدة . وفي الحقيقة اذا رضي الانسان بمدح غيره له وثنائه عليه وفرح بذلك فإنه يستحق غضب الله رغم أن الله

تعالى بحلمه يعفو عنه لأنه في تلك الحالة تماماً كغلام السلطان الذي مهما أعطى ولأي شخص كان فإن ذلك كله من خزينة السلطان وبإذن السلطان . . فإذا جاءه شخص وهو بين يدي السلطان ولم يأبه بالسلطان بل التفت الى الغلام وأخذ في مدحه والثناء عليه وقال له : انت صاحب الثروة الطائلة . . . أنت بحر الكرم ، انت حررتني من الفقر كما حررت غيري . . فإن الغلام اذا فرح بهذه المدائح يستحق غضب السلطان حتماً حتى اذا لم ير المادح السلطان ولم يعرفه . . . ولا شك أنه اذا كان الغلام عالماً فإنه لشدة خجله من السلطان يتمنى أن تنشق الأرض فتبتلعه .

ولاثبات هذه الحقيقة وفهم آداب العبودية والتواضع تذكر بعض الروايات :

احثوا في وجه المداحين التراب :

نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن المدح وقال احثوا في وجه المداحين التراب^(٤٤) . وقد قيل في معنى هذا الحديث إن من كانت عادتهم مدح الناس يتكسبون بذلك فلا تعطوهم شيئاً واحرموهم لتركوا عادتهم ويحتمل أن يكون المراد : رد المادح وقطع كلامه بأن لا يعطى شيئاً ليذهب قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعلموا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه وليس بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه^(٤٥) .

وفي وصية الإمام الصادق عليه السلام لعبدالله بن جندب : ولا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتتكبر وتتجبر وتعجب بعملك فإن افضل العمل العبادة والتواضع^(٤٦) .

(٤٤) سفينة البحار ٢/ ٥٢٨ .

(٤٥ و ٤٦) . سفينة البحار ٢/ ٥٢٨ .

عن الإمام الصادق عليه السلام قال : أتى النبي - صلى الله عليه وآله
اعرابي فقال له : أأست خيرنا أباً وأماً وأكثر منا عقباً ورئيساً في الجاهلية
والإسلام فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال : يا اعرابي كم دون لسانك من
حجاب ! قال اثنان شفتان وأسنان فقال صلى الله عليه وآله أما كان في أحد
هذين ما يرد عنا غرب لسانك هذا (أي حد لسانك) أما إنه لم يعط أحد في
دنياه شيئاً هو أضر له في آخرته من طلاقة لسانه ، يا علي قم فاقطع لسانه فظن
الناس انه يقطع لسانه فاعطاه دراهم (٤٧) .

وقال رجل للرضا عليه السلام (٤٨) : والله ما على وجه الأرض اشرف منك
أباً فقال : التفوى شرفتهم وطاعة الله احظتهم فقال له آخر : انت والله خير
الناس فقال له : لا تحلف يا هذا خير مني من كان اتقى الله وأطوع له ، والله
ما نسخت هذه الآية ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ إن أكرمكم عند الله
أتقاكم ﴿الحجرات ١٣﴾ .

بين الشكر والتعلق :

يجب الالتفات الى أن مدح الناس لبعضهم إن لم يكن على وجه
الاستقلال . . أي اذا لوحظ في المدح أن أصل الكمال من الله . . وما في كل
انسان منه فهو عطاؤه سبحانه . ولم يكن المدح عن تعلق وتزلف وطمع ولم يكن
سبباً للعجب والكبر في السامع . . فلا ضرر فيه . . خاصة اذا كان بهدف شكر
المخلوق على إيصال نعمة الله . . فذلك قد ورد الامر به بالتفصيل الذي تقدم
في باب الشرك في الأفعال .

(٤٧) البحار ٨٦/٢٢ .

(٤٨) عيون أخبار الرضا باب ٢٣٨/٥٨ .

٧ - شكر النعمة وقصة النجاشي :

من سلك طريق العبودية والتواضع لله . . إذا استجدت لله نعمة من الله فهو لا يستصغرها بل يكبرها لأنها عطاء الله وتزيد في خشوعه وتواضعه ويؤدي شكرها بأعلى درجات التواضع التي هي وضع الجبهة على التراب .

قال الإمام الصادق عليه السلام : أرسل النجاشي (ملك الحبشة) الى جعفر بن أبي طالب وأصحابه (وكانوا قد هاجروا من مكة بسبب أذى قريش) فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال : فقال جعفر عليه السلام فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى منا تغير وجوهنا قال : الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه ألا أبشركم فقلت بلى ايها الملك فقال إنه جاءني الساعة من نحو ارضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وفلان التقوا بوادٍ يقال بدر كثير الأراك (شجر) لكأني أنظر إليه حيث كنت ارعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر : ايها الملك مالي أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان فقال له : يا جعفر انا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام ان من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله عز وجل نعمة بمحمد صلى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن العفو يزيد صاحبه عزاً فاعفوا يعزكم الله (٤٩) .

(٤٩) اصول الكافي / ٢ / التواضع .

السجود عند النعمة المحدثه :

وردت روايات كثيرة في استحباب سجدة الشكر عند النعمة المحدثه أو تذكر نعمة سابقة^(٥٠) من ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له إذ نزل فسجد خمس سجديات فلما ركب قالوا : يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه فقال : نعم استقبلني جبرئيل فبشرني ببشارات من الله عز وجل فسجدت شكراً لله لكل بشري سجدة .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : إذ ذكر احدكم نعمة الله عز وجل فليضع خده على التراب شكراً لله ، وإن كان راكباً فلينزل فليضع خده على التراب وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربة فإن لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : إن ابي علي بن الحسين ما ذكر لله عز وجل نعمة عليه إلا سجد ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود (واجب أو مستحب) إلا سجد ولا دفع الله عنه سوء يخشاه أو كيد كائد إلا سجد ، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد وكان اثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمي السجاد لذلك^(٥١) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام أن : يا موسى أتدري لم اصطفيك بكلامي دون خلقي ؟ قال : يا رب ولم ذاك قال : فأوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا موسى اني قلبت عبادي ظهراً

(٥٠) وسائل الشيعة ٤/ ١٠٨٠ .

(٥١) البحار ٤٦/ ٦ .

لبطن فلم اجد فيهم أحداً اذل لي نفساً منك يا موسى إنك اذا صليت وضعت
خذك على التراب أو قال على الأرض (٥٢) .

٨ - كثرة الدعاء :

الانسان العاقل الذي يرى احتياجاته التي لا تحصى ليس فقط لحياته
الابدية بعد موته بل هو في كل لحظة يرى نفسه محتاجاً في الشئتين (الدنيا
والآخرة) من جهات عديدة ويعلم أيضاً أنه ما من أحد غير الله ، تعالى يمكنه أن
يسد احتياجاته . . لا بد وأن يكون - هذا الانسان العاقل - متوجهاً الى الله في
كل حال يدعو ويطلب منه احتياجاته تماماً كما كان في سن الطفولة لا يعرف
احداً غير أمه . . . وكان يدعوها في كل حال اذا عطش وجاع ناداها . . واذا
تعب أو عجز عن شيء أو كان مريضاً أو آلمه شيء أو خاف من شيء ألقى بنفسه
في حضنها . . واذا اساء إليه احد شكى الى أمه . . وإذا أحسن إليه أحد أخبر
أمه ولسان حاله يطلب من امه أن تشكر من احسن إليه . . الى حد أنه لم يكن
وقت النوم يرضى ان يكون بعيداً عنها .

فكذلك ينبغي - بعد أن يكبر ويصل الى الرشد العقلي ومعرفة الله عزَّ
وجلَّ - أن يكون مع ربه اكثر مما كان مع امه بعدة أضعاف . . يطلب منه أي
شيء احتاجه وفي أية حال . . ويكون اتباعه لأي سبب لرفع احتياجه بداعي
اطاعة امره تعالى ويطلب منه سبحانه تأثير أي سبب مثلاً : اذا كان مريضاً
فيطلب الشفاء من الله ويطلب منه ايضاً نفع الطبيب والدواء واذا كان معافى
فيطلب دوام ذلك من الله ، اذا كان فقيراً يطلب الثروة من الله أو كان ثرياً فيطلب دوام ذلك
والتوفيق في أداء الحقوق منه سبحانه إذا رأى من أحد أذية وازعاجاً فليشتك
الى الله واذا أراد الاقتصاد فليكن ذلك امثالاً لأمره تعالى واذا احسن إليه احد

(٥٢) اصول الكافي / ٢ / التواضع وفي هامش الحديث : التردد من الراوي .

فليطلب من الله تعالى تعويض ذلك . .

الى حد يصبح ينام ويستيقظ ذاكراً لله مؤملاً له وحقاً إن من لم يكن حاله مع الله كذلك أي أنه لا يتذكر الله تعالى عند احتياجاته ولا يطلبها منه ولا يكون امله إلا في نفسه والاسباب . . فهو معجب بنفسه مغرور بها متكبر على ربه . .
﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ .

أفضل العبادة ، الدعاء :

عن سدير قال قلت لابي جعفر عليه السلام : أي العبادة أفضل ؟ فقال عليه السلام : ما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يُسأل ويطلب مما عنده ، وما أحد أبغض الى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : إن الله عز وجل كره الحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة واحب ذلك لنفسه إن الله عز وجل يحب أن يسأل ويطلب ما عنده وقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد اذا دعاه ولكنه يحب أن تبث إليه الحوائج فإذا دعوت فسم حاجتك^(٥٣) .

٩ - التواضع لدين الله :

الدين الإلهي أي أوامر الله ونواهيه التي ابلغها الخلق بواسطة النبي والإمام وهي على قسمين :

احدهما ما هو راجع الى الامور القلبية التي منها العقائد والثاني الوظائف العملية ، فمجموع العقائد والوظائف العملية هو دين الله . . ومن عرف عظمة

(٥٣) اصول الكافي - كتاب الدعاء .

الله وكبرياءه فيجب أيضاً أن يرى دينه عظيماً وعزيراً ويهتم به بحيث أنه اذا فقد كل شيء ولكن سلم له دينه فلا يحزنه ذلك . . وإذا بقي له كل شيء ونقص دينه فيجب أن يعلم أنه لم يبق له شيء وينبغي أن يحزنه ذلك جداً .

عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام :
« كآني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث اشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر
ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني
فقال صلى الله عليه وآله : في سلامة من دينك » (٥٤) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ذلك « من مواطن البشري
والشكر » (٥٥) .

وكما أن دين الله عظيم فكل أمر من أوامره كذلك فيجب تقديمه على كل
شيء . . . ويجب أن يكون المكلف أثناء أدائه خائفاً من أن يكون لا يؤديه كما
ينبغي أو أن لا يقبله منه الله تعالى .

قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فإذا
حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه (٥٦) .

وقد ورد في سيرة الإمام الحسن والإمام الحسين والإمام السجاد عليهم
السلام أنهم كانت تتغير ألوانهم عندما تحين الصلاة وترتجف أبدانهم وعندما
سئلوا عن ذلك قالوا : أريد أن أؤدي الصلاة التي هي أمانة الله (٥٧) .

(٥٤ و ٥٥) جمع بين نصين . البحار ١٩٠/٤١ وميزان الحكمة ١٩٠/٥ .

(٥٦) ميزان الحكمة ٣٨١/٥ .

(٥٧) تجد بعض التفاصيل حول ذلك في المصدر السابق كما تجد النص حول كون الصلاة
أمانة الله تعالى .

والخلاصة إن امر الله عظيم بنفس نسبة عظمة الله تعالى .

الاعتراض ينافي العبودية :

ويجب أيضاً كامل الانقياد والتسليم في مقابل الأوامر الإلهية ، أي إذا لم يدرك العقل الناقص حكمة بعض الأوامر ومصلحتها فلا يصح أن يكون الإنسان فضولياً بحيث يتساهل في أداء تلك الأوامر ويجب أن يعلم أن الله اعلم بمصلحه وإذا أطاع فسيوضح له ذلك . . .

والخلاصة إن الاعتراض في الدين الإلهي كبر على الله وضد العبودية .

نعم . . معرفة بعض حكم أوامر الله أو السؤال عنها بقصد زيادة البصيرة ليس مضراً بشرط أن يعلم أن حكم أوامر الله اكبر واسمى من ادراك عقول البشر الجزئية .

عبادة الله ، لله فقط :

ويجب أن لا يكون للإنسان هدف في امتثاله للأوامر الإلهية غير الامتثال فلا يكون نظره الى الفوائد والمنافع الدنيوية والثواب الأخروي . . أي يكون حاله بحيث إذا فرض أنه لا يعطى أي ثواب وليس له أي نفع من امتثاله للأوامر الإلهية فإنه رغم ذلك يطيع أمر الله أي يعتبر أن الله اهل للإطاعة والعبادة ولا يرى لامثاله لأوامره أي حق وقيمة ولا يرى نفسه مستحقاً للجزاء والثواب ويعلم موقناً أن ما يعطيه الله له فهو من باب التفضل وانجاز الوعد الإلهي وقد تقدم بيان ذلك في بحث النية .

التواضع للنبي والإمام :

بنفس النسبة التي يعرف فيها الله تعالى بالعظمة والكبرياء يجب أن يعرف

أن ممثلي الله والمقربين الى ساحته الذين هم وسائط ايصال أوامره . . هم أيضاً عظماء فيخضع ويتواضع لهم كما لو أن سلطاناً اختار احد عبيده وشمله بالطفاه الخاصة ثم جعله واسطة إيصال أوامره الى سائر العبيد وأوجب اطاعته على الجميع . . فلو أن أحد العبيد في مثل هذه الحال حسد هذا العبد وتكبر ورأى أنه يساويه فهو مستحق لغضب السلطان .

ومن الواضح أن التواضع لممثلي الله تواضع لله كما أن التكبر عليهم تكبر على الله وبالإضافة الى حكم العقل بلزوم التواضع للنبي والإمام فإن الآيات والروايات في ذلك كثيرة ونقلها يستدعي الإطالة فيكتفي فقط برواية واحدة .

نموذج من تواضع الشيعة :

قيل للصادق عليه السلام : إن عماراً الدهني شهد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة فقال له القاضي : قم يا عمار فقد عرفناك لا تقبل شهادتك لأنك رافضي فقام عمار وقد ارتعدت فرائضه واستفرغه البكاء فقال له ابن أبي ليلى : انت رجل من اهل العلم والحديث إن كان يسوؤك أن يقال لك رافضي فتبرأ من الرفض فأنت من اخواننا فقال له عمار يا هذا ما ذهب والله حيث ذهب ولكن بكيت علي وعليك ، أما بكائي على نفسي ، فإنك نسبتني الى رتبة شريفة ، لست من أهلها ، زعمت اني رافضي ، ويحك لقد حدثني الصادق عليه السلام ، أن أول من سمي الرفضة السحرة الذين لما شاهدوا آية موسى في عصاه آمنوا به واتبعوه ، ورفضوا امر فرعون واستسلموا لكل ما نزل بهم فسماهم فرعون الرفضة لما رفضوا دينه ، فالرفض كل من رفض جميع ما كره الله ، وفعل كل ما أمره الله ، فأين في هذا الزمان مثل هذا ؟ وإن ما بكيت على نفسي خشيت ان يطلع الله عز وجل على قلبي وقد تلقت هذا الاسم الشريف على نفسي فيعاتبني ربي عز وجل ويقول يا عمار اكن رافضاً للأباطيل عاملاً بالطاعات كما قال لك فيكون ذلك بي مقصراً في الدرجات إن سامحني وموجباً

لشديد العقاب إن ناقشني إلا أن يتداركني موالِيّ بشفاعتهم .

وأما بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله أن صرفت اشرف الاسماء إليّ وإن جعلته من ارذلها كيف يصبر بدنك على عذاب كلمتك هذه .

فقال الصادق عليه السلام : لو أن على عمار من الذنوب ما هو اعظم من السماوات والارض لمحبت عنه بهذه الكلمات وإنها لتزيد في حسناته عند ربه عزّ وجلّ حتى يجعل كل خردلة منها اعظم من الدنيا ألف مرة^(٥٨) .

ومن اجل مزيد من البصيرة تنقل هنا قصة من دار السلام للنوري .

العشار يتشيع :

كان احد زوار أمير المؤمنين عليه السلام ماراً في منطقة الرّماحية في طريقه الى النجف فاعترضه « عشار » (جمركي) وأهانته وآذاه كثيراً وضربه ضرباً مبرحاً بحيث يئس من الحياة وقال للعشار : أذهب الى النجف . وأشكوك إلى أمير المؤمنين عليه السلام : فقال العشار قل له ما تريد فإن ذلك لا يخيفني .

وعندما وصل الزائر الى النجف وزار حرم أمير المؤمنين عليه السلام بكى ، وشكى اليه ما صنع به العشار وكان مما قاله : أنا زائرٌ وحق على المزور أن يحمي زائره وعلى المسؤول اجابة سائله والمشتكى له أن يأخذ حق المشتكى إليه وأنا اشكو إليك من ظلمي وهو فلان بن فلان العشار في الرماحية فخذ حقى منه الساعة يا سيدي ثم قال : إلهي فانتقم لي ممن ظلمني بحق صاحب هذا القبر ، فلما فرغ من دعائه آمن من كان معه من الزوار وكان الرجل

(٥٨) بحار الانوار ٦٨ / ١٥٦ - ١٥٧ .

من الصلحاء وكان هذا صباحاً فلما كان وقت الظهر جاء الى الروضة المقدسة وقال مثل مقالته صباحاً وأمن الزوار على دعائه ، وكرر ذلك ايضاً عند المساء وفي تلك الليلة رأى في المنام شخصاً على فرس بيضاء ، ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وقد اشرفت الأرض بنور وجهه ، فناداه الفارس باسمه وكنيته كما يناديه من هو من اهل بيته ، فقال الزائر : من أنت يا سيدي فقال : أنت زائري وسائلي والمشتكي الى الله والي ولن تعرفني حتى اعرفك بنفسي . . . أنا علي ابن أبي طالب ، أنا صاحب الكمالات أنا كاشف الكربات أنا صاحب الآيات والمعجزات انا الذي اذهبت وكشفت الكرب عن وجه ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا وصيه وناصره وقاضي دينه فهمت أن اقبل يده ورجله فقال : قف مكانك فوقفت متحيراً ولم أكن استطيع أن اقترب منه فقال : تشكو فلاناً العشار فقلت نعم يا سيدي لقد آذاني لمحبتني اياك فلست أعفو عنه وارجو من حضرتك أن تأخذ حقي منه فقال تجاوز عنه لأجلنا فقلت لا أعفو عنه وكرر ذلك ثلاثاً ، فلم أقبل منه ، ثم لم اعد أراه . . واستيقظت فقصصت رؤيائي على الزوار فبكوا وألحوا علي أن أطيع أمر مولاي وكنت أقول لهم : لا أعفو عنه ، فذهبت الى الروضة الشريفة وكررت شكايتي ، كما فعلت بالأمس وعندما نمت رأيت نفس ما رأيته في الليلة السابقة وكررت كذلك ما فعلته في الحرم في اليومين السابقين ثم رأيته عليه السلام في الليلة الثالثة فقال لي : اعف عنه فإنني اريد أن اكافئه على حسنة صدرت منه فقلت يا سيدي ماذا صدر منه ؟ فقال مر على مشهدي (مزاري) فتزل عن فرسه وتواضع لي من بين سائر قومه وأريد أن أجازيه بالعفو عنه فاعف عنه فعما قريب يصبح من موالينا ثم أخبرني بالشهر الذي تواضع له فيه واليوم والساعة وانهم كانوا في طريقهم الى بغداد ثم قال عليه السلام : اعف عنه فاني اضمن لك في القيامة عوضاً عن أذيته لك . فلما انتهت سجدت شكراً لله وعندما مررت به في طريق العودة قال لي :

شكوتني الى مولاك فلم يقبل شكواك فقلت له لم يقضِ بيننا ولكنه عفى عنك لحسنة صدرت منك في الشهر الفلاني واليوم والساعة كذا عندما كنت مع جماعة من العسكر متوجهين الى بغداد من السماوة فلما نظرت الى قبه من بعيد نزلت عن فرسك ومشيت حافياً الى أن غابت القبة عن نظرك فلك أجز هذا العمل وثوابه وقال عليه السلام : انك فلان بن فلان إلى أن بلغ احد اجدادك وقال عليه السلام هو من كبار أصحابنا فلما سمع العشار ذلك أطرق ملياً فتبين له صحة ما أخبرته به ومع ذلك نظر في نسب اجداده وكان معه فكان كما قال عليه السلام من غير زيادة ونقصان فقام وقبل يدي ورجلي ورأسي وقال : ما قاله عليه السلام حق وصواب وليس فيه أي شك ثم تبرأ من دينه الباطل واستضاف جميع الزوار ثلاثة أيام ثم مشى مع الزوار الى المشهد الغروي وزار وصلى ودعا وقسم على الزوار ألف دينار فسطعت من القبة انوار وظهرت وانتشرت كأنها أمطار حتى رآها جميع اهل البلد والحمد لله رب العالمين^(٥٩) .

والهدف من نقل هذه القصة بيان أثر التواضع للنبي والإمام عليهما السلام حتى اذا كان بهذا المقدار القليل وأنه سبب في النتيجة لتوفيق الشخص للتوبة وحسن العاقبة .

١٠ - التواضع للخلق :

من لوازم التواضع لله عدم التكبر على مخلوقاته ويجب أن يرى الانسان نفسه والجميع في المملوكية لله سواء أي أن أفراد الحيوان والانسان والمؤمن والكافر والفاسق أو العادل كلهم سواسية في المخلوقية والمربوبية وليس لأي فرد حق التكبر على آخر لما تقدم في أول بحث الكبر من أن الكبرياء خاصة بالله واذا جعل احد نفسه اكبر واسمى من آخر فهو كغلام السلطان الذي يلبس ثياب

(٥٩) دار السلام - ٥٤/٢ - ٥٥ بتصرف .

السلطنة ويفتخر بها على سائر الغلمان .

بناءً عليه ليس للانسان حق أن يرى نفسه أعظم من حيوان واكبر ويتكبر عليه لأن الاثنين معاً ليس لهما من ذاتهما شيء على الإطلاق وأصل وجودهما معاً من الله وإذا كان الانسان قد حصل على فرية وشرافة وكمال فذلك عطاء إلهي وليس من ذاته ليتكبر به^(٦٠) وكذلك ليس للمؤمن الحق في أن يتكبر على الكافر لأنهما معاً مخلوقان لله والايمان الذي يتحلى به المؤمن موهبة من الله ولازمها التواضع لا التكبر بالتفصيل الذي مر .

والخلاصة لا يجوز الكبر في مقابل أي مخلوق بل هو حرام أما التواضع للمخلوقين فكما يلي :

لا ينبغي التواضع للمتكبر :

كل من تكبر على الله عز وجل وخالف أوامره وتمرد على طاعته فلا يجوز التواضع له .. إنه كغلام خالف أمر السلطان واعتبر نفسه مستقلاً بل ادعى السلطنة والولاية... فلا ينبغي لعبيد السلطان الآخرين أن يحبوه ويتصاغروا أمامه .. وفي الحقيقة فإن التواضع له هو عين التكبر على السلطان والخروج عن طاعته ... بناءً عليه فكل كافر ينكر ألوهية خالق العالم وربوبيته تكبراً ، أو كل مسلم في الظاهر إلا أنه يتكبر على الله وقد مزق ستار الحياء وتمرد على الأمر

(٦٠) من بعض كتب المناقب المعتبرة بإسناده عن نجيج قال : رأيت الحسن بن علي عليهما السلام يأكل وبين يديه كلب كلما أكل لقمة طرح للكلب مثلها فقلت له يا ابن رسول الله ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك قال دعه اني لأستحي من الله عز وجل أن يكون ذوروج ينظر في وجهي وأنا أكل ثم لا أطعمه . بحار ٣٥٢/٤٣ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ إذ لاذ به هر البيت وعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أنه عطشان فأصغى إليه الإناء حتى شرب منه الهر وتوضأ بفضلته . سفينة البحار ١/ ٤١٧ .

الإلهي ويعصي الله جهاراً ولا يجوز التواضع له .

وكذلك كل متكبر يكون التواضع له سبباً في ازدياد كبره ونخوته . . فإن التواضع له لا يجوز .

كما لا يجوز أيضاً التواضع في مقابل المال والجاه لأنه في الحقيقة عبادة للمال والجاه وهو شرك بالله ، نعم لا مانع من التواضع للمؤمن الثري أو صاحب الموقع الاجتماعي لإيمانهما .

إذا لم يترتب ضرر :

من الجدير بالذكر أن الموارد التي تقدم أن التواضع فيها لا يجوز . . إنما يختص ذلك بما إذا لم يترتب على ترك التواضع ضرر مالي أو بدني أو حقوقي وإلا فالتواضع جائز بل في بعض الموارد يصبح واجباً كما إذا كان المتكبر صاحب سلطة وإذا لم يتواضع له شخص ما آذاه وأضر به .

وباختصار فإن التواضع جائز لكل مسلم غير متكبر وغير متجاهر بالفسق وفي كل مورد يكون ترك التواضع سبباً للإهانة والإذلال والإساءة يصبح التواضع واجباً كالتواضع في مقابل القائد الديني والأب والأم والأستاذ وكل كبير من الأرحام أو غيرهم ممن يعتبر عدم التواضع لهم إهانة . . . ومن الطبيعي أن تحديد الموارد يعود إلى العرف . . إذن كل مورد يرى العرف أن ترك التواضع فيه تحقير وإهانة يكون التواضع فيه واجباً وإذا لم يكن تحقيراً وإهانة يصبح التواضع مستحباً مع مراعاة موارده ومراتبه التي ذكرت بالتفصيل في كتاب الذنوب الكبيرة .

ما ينبغي مراعاته :

للحصول على صفة « التواضع مع الناس » الحميدة تجب مراعاة عدة

أمور :

١ - الابتداء بالسلام : ينبغي أن يسلم الانسان على كل من يلقاه غنياً وفقيراً ، كبيراً أو صغيراً ، شريفاً أو وضيعاً ولا يفرق في السلام بين احد وغيره قال الإمام الصادق عليه والسلام : من التواضع أن تسلم على من لقيت^(٦١) . وقال عليه السلام : إن الله عز وجل قال : إن البخيل من يبخل بالسلام^(٦٢) .

- وقال الإمام الباقر عليه السلام : إن الله يحب افشاء السلام^(٦٣) . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : السلام تطوع والرد فريضة^(٦٤) . وفي وصية النبي لعلي : يا علي ثلاث كفارات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام^(٦٥) .

وقال صلى الله عليه وآله : خمس لا ادعهنّ حتى الممات الأكل على الحضيض (الأرض من غير خوان (سفرة)) وركوبي الحمار موكفاً (عليه الجل) وحلي العنز بيدي ولبس الصوف والتسليم على الصبيان^(٦٦) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : من لقي فقيراً فسلم عليه بخلاف سلامه على الغني لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان^(٦٧) .

وقد ورد في عدة روايات عن الإمام الصادق عليه السلام أن يبدأ الصغير بالسلام الكبير والمار يبدأ الجالس والراكب يبدأ الماشي والجماعة القليلة تبدأ الجماعة الكثيرة وكذلك الداخل الى المجلس يبدأ اهل المجلس بالسلام .

٢ - أن يكون خادماً لا مخدوماً :

من الامور التي تنجي الشخص من مرض الكبر وتجعله متواضعاً أن لا

(٦١) و٦٢ و٦٣ و٦٤) أصول الكافي / باب التسليم .

(٦٥) و٦٦ و٦٧) وسائل الشيعة / احكام العشرة والبحار ٢١٥ / ١٦ .

يصدر الأوامر الى غيره في قضاء حوائجه الشخصية وأن لا يتوقع من غيره أن يخدمه وأن يقضي هو حوائج نفسه . . . وأيضاً يسعى في تعامله مع اهل بيته وكل من يعاشرهم أن يتحمل مشقاتهم ويقضي حوائجهم ويكون خادماً لهم . . . وإذا كان له خادم فلا يطلب منه شيئاً بلهجة الأمر . . . بل يطلب منه ذلك بلهجة المحتاج الى خدمته . . . وإذا خالف سلوك الشخص ما ذكر فإنه مبتلى حتماً بالكبر القلبي بل سيصبح متكبراً ولكي نعرف طريقة عظماء الدين يشار الى بعض الروايات :

المصطفى مع خادمه :

عن أنس قال : خدمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون عليه فما قال لي : أف فيها قط وما قال لي : لم فعلت هذا وإلا فعلت هذا^(٦٨) .

وقال انس أيضاً : كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله شربة يفطر عليها وشربة للسحر وربما كانت واحدة وربما كانت لبناً وربما كانت الشربة خبزاً يماث فهيأتها له صلى الله عليه وآله ذات ليلة فاحتبس النبي صلى الله عليه وآله (أي تأخر) فظننت أن بعض اصحابه دعاه فشربتها حين احتبس فجاء صلى الله عليه وآله بعد الصلاة بساعة فسألت بعض من كان معه هل كان النبي صلى الله عليه وآله أفطر في مكان أو دعاه احد فقال لا فبت بليلة لا يعلمها إلا الله من غم أن يطلبها مني النبي صلى الله عليه وآله ولا يجدها فيبيت جائعاً فأصبح صائماً وما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة^(٦٩) .

(٦٨) روي ذلك بألفاظ شتى واختلاف يسير راجع تاريخ الخميس ٢١١/١ وسنن المصطفى للعلامة الطباطبائي ٥٢/ ومجموعة ورام ج ١/ ٥٧ .
(٦٩) بحار الأنوار ٢٤٧/ ٨٦ ومكارم الأخلاق / ٣٢ .

يكره الامتياز :

وكان صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فأمر بإصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال آخر عليّ سلخها وقال آخر علي طبخها فقال صلى الله عليه وآله وسلم : عليّ جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك فقال قد علمت أنكم تكفوني لكني اكره أن اتميز عنكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين اصحابه فجمع الحطب^(٧٠) .

وروي أنه خرج صلى الله عليه وآله الى بئر فاغتسل فأمسك حذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وستره به حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله الثوب وقام يستر حذيفة فأبى حذيفة فقال بأبي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل وقال ما اصطحب اثنان قط إلا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه^(٧١) ورأى جارية تخاف أن تذهب الى بيتها لأنهم ارسلوها في حاجة فأبطأت عليهم فمضى صلى الله عليه وآله معها الى البيت ليصفح مولاها عنها فأعتقها إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله^(٧٢) .

مع الأطفال ...

وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له صلى الله عليه وآله ويسميه فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله فربما بال الصبي على ثيابه فيصيح بعض من رآه

(٧٠) تاريخ الخميس ٢١١/١ والبحار ج/٧٦/ ٢٧٣ .

(٧١) سفينة البحار ٤١٦/١ .

(٧٢) جاء ذلك في حديث طويل في البحار ٢١٤/١٦ .

فيقول صلى الله عليه وآله لا تزرعوا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته فيبلغ سرور أهله فيه ولا يرون أن يتأذى ببول صبيهم فإذا انصرفوا غسل ثوبه^(٧٣) .

وكان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله اذا صلى الغداة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك^(٧٤) والروايات في تواضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيرة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا اعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة^(٧٥) .

تواضع أمير المؤمنين عليه السلام :

ذكر الكوفيون أن سعيد بن قيس الهمداني رآه يوماً (في شدة الحر) في فناء حائط فقال يا أمير المؤمنين : بهذه الساعة ؟ قال ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو اغيث ملهوفاً فيينا هو كذلك اذ أته امرأة قد خلع قلبها لا تدري اين تأخذ من الدنيا حتى وقفت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين : ظلمني زوجي وتعدى علي وحلف ليضربني فاذهب معي إليه فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول : حتى يؤخذ للمظلوم حقه غير متع (غير مكره فيتع أي يتردد في الكلام) وأين منزلك قالت في موضع كذا وكذا فانطلق معها حتى انتهت الى

(٧٣) سفينة البحار ١/ ٤١٦ .

(٧٤) سفينة البحار ١/ ٤١٦ .

(٧٥) سفينة البحار ١/ ٣٨١ وفيها بعد الحديث : قيل في قوله عليه السلام إلا اعطاه الله

الاستثناء من مقدر اي ما فعل ذلك إلا اعطاه الله او هي زائدة .

منزلها (. . .) قال فسلم فخرج شاب عليه إزار ملونة فقال عليه السلام اتق الله فقد اخفت زوجتك فقال وما أنت وذاك والله لأحرقنّها بالنار لكلامك قال وكان اذا ذهب الى مكان أخذ الدرة بيده والسيف معلق تحت يده فمن حل عليه حكم بالدرة ضربه ومن حل عليه حكم بالسيف عاجله فلم يعلم الشاب الا وقد أصلت السياف وقال له أمرك بالمعروف وانهاك عن المنكر وترد المعروف ؟ تب وإلا قتلتك قال واقبل الناس من السكك يسألون عن أمير المؤمنين حتى وقفوا عليه (فعرفه الشاب حينئذ) فاسقط في يده وقال يا أمير المؤمنين أعف عني عفا الله عنك والله لأكوننّ لها أرضاً تطأني فأمرها بالدخول الى منزلها وانكفاً وهو يقول لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة او معروف أو اصلاح بين الناس الحمد لله الذي اصلح بي بين امرأة وزوجها^(٧٦) .

التواضع للأيتام والأرامل :

ونظر علي عليه السلام الى امرأة على كتفها قربة ماء فأخذ منها القربة فحملها الى موضعها وسألها عن حالها فقالت بعث علي بن أبي طالب صاحبي الى بعض الثغور فقتل وترك علي صبيانا يتامى وليس عندي شيء فقد ألجأتني الضرورة الى خدمة الناس فانصرف وبات ليلته قلقاً فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام فقال بعضهم أعطني حتى احملة عنك فقال : من يحمل وزري عني يوم القيامة فأتى وقرع الباب فقالت من هذا قال انا ذلك العبد الذي حمل معك القربة فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان فقالت : رضي الله عنكم وحكم بيني وبين علي بن ابي طالب فدخل وقال اني احببت اكتساب الثواب فاختاري بين أن تعجنين وتخزين وبين أن تعللين (كذا) الصبيان لأخبز أنا فقالت أنا بالخبز ابصر وعليه أقدر ولكن شأنك والصبيان فعللهم حتى افرغ من الخبز قال

(٧٦) بحار الانوار / ٤٠ / ١١٣

فعمدت الى الدقيق فقعجته وعمد علي الى اللحم فطبخه وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له : يا بني اجعل علي بن ابي طالب في حل مما في أمرك فلما اختمر العجين قالت : يا عبدالله اسجر التنور فبادر لسجره فلما اشعله ولفح في وجهه جعل يقول : ذق يا علي هذا جزاء من ضيّع الأرامل واليتامى فرأته امرأة تعرفه فقالت : ويحك هذا أمير المؤمنين قالت فبادرت المرأة وهي تقول : واحيائي منك يا أمير المؤمنين فقال : بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك^(٧٧) .

الإمام السجاد يخدم المسافرين معه :

قال الإمام الصادق عليه السلام : كان علي بن الحسين عليهما السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدام الرفقة فيما يحتاجون إليه فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه فقال لهم أتدرون من هذا قالوا لا قال هذا علي بن الحسين عليه السلام فوثبوا إليه فقبلوا يديه ورجليه فقالوا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان أما كنا هلكنا آخر الدهر فما الذي حملك على هذا فقال عليه السلام : اني كنت سافرت مرة مع قوم فأعطوني برسول الله ما لا استحق فأخاف أن تعطوني مثل ذلك فصار كتمان أمري احب الي^(٧٨) .

وسلوكة عليه السلام مع اهل بيته وغلمانه وجواريه مدونة تفاصيله في الجزء السادس والأربعين من البحار وذكرها يستدعي الإطالة .

٣ - اجتناب صدر المجلس :

أي أن لا يريد الشخص - في أي مجلس دخل إليه - أن يجلس في أعلى

(٧٧) بحار الانوار ٥٢/٤١ والمناقب ١١٦/٢ .

(٧٨) سفينة البحار ٣٨٢/١ .

مكان منه أو حيث يكون أعلى من غيره . . إلا إذا لم يكن متسع آخر غير ذلك المكان ، أو أن يجلسه صاحب المنزل هناك والروايات في هذا المجال كثيرة يشار إلى بعضها :

قال الإمام الصادق عليه السلام : من رضي بدون الشرف (المكان العالي) من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه^(٧٩) .

وقال عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل^(٨٠) .

وقال أيضاً : من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس^(٨١) .

وقال : من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه^(٨٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا أتى أحدكم مجلساً فليجلس حيثما انتهى مجلسه^(٨٣) .

وقيل للإمام الصادق عليه السلام : أترى هذا الخلق كلهم من الناس قال عليه السلام : إلتق منهم التارك للسواك المتربع في موضع الضيق^(٨٤) .

حسن المعاشرة :

وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام تعاليم في آداب المعاشرة ومن الضروري لطالب النجاة والسعادة معرفتها والعمل بها وليراجع للاطلاع عليها كتاب الحج من وسائل الشيعة ، احكام العشرة في

(٧٩) أصول الكافي : باب الجلوس والتواضع .

(٨٠) و ٨١ و ٨٢) أصول الكافي : باب الجلوس والتواضع .

(٨٣) و ٨٤) سفينة البحار ج ١/ ١٦٩ والمعنى : يسأل الرواي هل هذه المخلوقات كلها ينطبق

عليها اسم الناس فقال (ع) : استثن منهم الخ

السفر والحضر حيث أورد ضمن ١٦٦ باباً آداب المعاشرة المروية عن الأئمة عليهم السلام ويكتفى هنا بإيراد عدة روايات في خصوص التواضع مع الخلق .
قال الإمام الرضا عليه السلام : التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه (أي تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك) .

وفي حديث آخر قال : قلت ما حد التواضع الذي اذا فعله العبد كان متواضعاً فقال : التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب أن يأتي الى احد إلا مثل ما يؤتى إليه إن رأى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عافٍ عن الناس والله يحب المحسنين^(٨٥) .

ادفع بالتّي هي احسن :

تأمل ايها القارئ العزيز في جملة « إن رأى سيئة درأها » من كلام الإمام عليه السلام . . وانظر هل فعلت ذلك طيلة عمرك . . أي يسيء إليك شخص فتحسن إليه . . مع أن القرآن المجيد يأمر بهذا الخلق ومن كانت فيه هذه الخصلة فقد حظي بنصيب وافر من مقام الانسانية والعلم والايمان ﴿ويدروون بالحسنة السيئة﴾ الرعد ٢٢ ﴿ادفع بالتّي هي احسن السيئة﴾ المؤمنون ٩٦ .

أي احسن لأن العفو حسن والاحسان احسن ويقول تعالى : ﴿لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتّي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴿ فصلت ٣٤ - ٣٥ .

اي سكّن الغضب بالحلم والذنب بالعفو واللغو بالتغافل والحديث الباطل بحديث الحق .

(٨٥) أصول الكافي / ٢ / باب التواضع .

اربعة من التواضع :

قال الإمام الصادق عليه السلام : من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس وأن تسلم على من تلقى وأن تترك المراء وإن كنت محقاً وأن لا تحب أن تحمد على التقوى^(٨٦) .

وفي هذا الحديث يعتبر الإمام أن من التواضع اربعة امور عدم حب الجلوس في صدر المجلس والابتداء بالسلام وترك المراء (الجدل) وعدم حب المدح وقد تقدم شرح هذه الامور ما عدا المراء ولأن معرفته ضرورية لأنه سبب للشقاء الدنيوي والأخروي وتركه سبب لسعادة الدارين . . لذلك يتم بيان المراء باختصار .

المراء ، النقاش والجدل :

المراء هو الاشكال على كلام آخر والاعتراض عليه والطعن فيه وتارة يكون المراء منصّباً على لفظ ذلك الكلام وطوراً يكون منصّباً على معناه، بهدف إذلال المتكلم والاستخفاف به واظهار علم المماري وفطنته . . ثم إنه - بسبب الكبر الموجود فيه - يعتمد اللجاجة في اعتراضه ولا يرجع عن رأيه ويحاول عن أي طريق أن يثبت صحته سواء كان ذلك في مسألة علمية دينية أو غير دينية أو خيراً عن الوقائع العادية والموضوعات الجزئية كأن يقول قائل : المسافة بين شيراز وأصفهان ثمانون فرسخاً فيتصدى له شخص لإظهار معلوماته هو وتحقير الطرف الآخر واظهار جهله فيقول : كلا . . ليس الأمر كما قلت بل المسافة تسعون فرسخاً أو يقول قائل : عدد سكان المدينة الفلانية كذا فيعترض عليه معترض ويقول انت لا تعرف شيئاً . . انا الخبير في التاريخ والجغرافيا وأنا

(٨٦) اصول الكافي : باب التواضع .

الخبير بعدد سكان المدن .

إن التأمل في احوال الناس يكشف أن اكثر النزاعات داخل العوائل ونزاعات الناس فيما بينهم والعداوات والتفرقة يرجع اكثرها الى المراء . . أي أننا اذا تفحصنا السبب الأصلي في أي نزاع فغالباً ما نجد أنه حديث دار بينهما أوجب كدورة وحساسية حتى وصل الى ما هو عليه الآن . كما نجد أن المراء كان على أمور موهومة مثل شخص كان اسمه عمرو ودخل الى المدرسة فسمع الاستاذ يقول : ضرب زيدٌ عمرواً فغضب (عمرو) وصرخ وهل يجروُ زيد أن يضربني ثم هجم على الاستاذ . . وعرف الاستاذ أنه أحق فقال لقد اخطأت يا رجل يجب أن نقول : اعطى زيدٌ عمرواً درهماً فخذ درهماً عوضاً عن خطأي واذهب أي واجه كلاماً بكلام . . فرضي ذلك الجاهل ومضى .

لا شك في حرمة المراء :

الواقع أن من يصبح المراء عادة له وطبعاً . . يصبح كالكلب العقور يتناول بأنياه ثوب ورجل كل من يمر به .

وحرمة المراء شرعاً مسلمة اذ بالاضافة الى الروايات المتعددة التي تنهى عنه يكفي كل من عناوين اىذاء المؤمن واهانته وتحقير الغير وتزكية النفس لاثبات حرمة . ومن هذا يعلم أنه لا فرق في حرمة المراء بين أن يكون المماري محقاً أو مبطلاً لأن مراءه في الحالتين يكون اهانة واىذاء ، وقد اورد في الكافي اثني عشر حديثاً حول هذا يكتفي هنا بحديثين منها :

المراء يمرض القلب :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الاخوان وينبت عليهما النفاق^(٨٧) .

(٨٧) أصول الكافي - باب المراء والخصومة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثلاث من لقي الله عز وجل بهنّ دخل الجنة من أي باب شاء من حسن خلقه وخشي الله في المغيب والمحضر وترك المراء وإن كان محققاً^(٨٨) .

الجدال لا عن تظاهر :

عندما يكون الجدال في مسألة دينية اعتقادية أو فرعية ولا يكون الهدف من الجدال التظاهر وإظهار فضيلة النفس وإهانة الآخر وتحقيره . . ويكون الهدف فقط اثبات الحق ونصرة الحقيقة وإرشاد الخلق وهدايتهم . . فلا ضرر فيه بل قد يصبح واجباً أحياناً وهذا هو الجدال الذي أمر به القرآن المجيد^(٨٩) .

الجدال في طلب الحق :

اما الجدال والمخاصمة في المطالبة بحق ما . . . فإذا كان الشخص أولاً موقناً بأنه صاحب حق وأنه مظلوم . وثانياً : يجادل للوصول الى حقه لا عن عناد وعداوة وثالثاً : أن يجادل بالمقدار اللازم ورابعاً : أن لا يرتكب حراماً أثناء كلامه أو فعله عندها يكون الجدال في طلب الحق جائزاً .

اذن عندما يكون شاكاً في أنه محق أو يكون هدفه من الجدال العناد والعداء لا الوصول الى الحق . . . وأحياناً يصرح بذلك فيقول : أنا أريد اذية فلان أريد أن امرغ انفه بالتراب ولست مهتما بحقي عنده فإذا تمكنت من اذلاله واخذت مالي منه سوف ألقيه في البحر .

او يعتمد الى شتم الآخر وضربه او يجادل أكثر مما يلزم ويسبب ضيقاً للطرف الآخر . . ففي جميع هذه الموارد يكون الجدال حراماً حتى اذا كان

(٨٨) أصول الكافي - باب المراء والخصومة .

(٨٩) ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل ١٢٥ .

المجادل محقاً والحكم المذكور منطبق على المحامي في المرافعة والمخاصمة أي اذا لم يتيقن أن موكله محق فلا يمكنه اثبات دعواه واذا فعل فقد قام بعمل باطل وحرام واخذ المال من موكله حرام . . واذا تيقن أن موكله محق فلا مانع من المرافعة عنه بشرط رعاية الشروط الاربعة المتقدمة .

وحيث أن عدم تجاوز الحد في المطالبة بالحق صعب جداً فإذا صرف الانسان العاقل النظر عن أصل المجادلة في طلب حقه فسيكون بمأمن من ذلك اللهم إلا في الموارد التي تصبح المطالبة بالحق فيها واجبة عقلاً أو شرعاً . . . عندها يجب أن تراعى الشروط الأربعة المذكورة .

التواضع للمنبوذين :

قال الإمام الصادق عليه السلام : مر علي بن الحسين صلوات الله عليهما على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال أما اني لولا أنني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر أن يتنوقوا فيه (أي يكون طعاماً لذيذاً) ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم^(٩٠) .

يستفاد من الروايات أنه حيثما كانت مسكنة وكان انكسار فذلك محل رحمة أرحم الراحمين . . وكلما كان الانسان في هذه المواضع اكثر تواضعاً وانكساراً فستصبح امكانية شمول الرحمة الإلهية له اكثر ، وبناءً عليه فيجب التواضع والانكسار في مقابل المرضى والمصابين والفقراء ومواساتهم واذا امكن ادخال السرور على قلوبهم فإن في ذلك اجراً عظيماً .

من هنا وردت روايات كثيرة في فضل عيادة المريض ولزومها وأن تحمل هدية إليه وأن لا يجلس عنده بحالة طابعها الحزن وأن يصغي الى حديثه ويطلب منه الدعاء .

(٩٠) اصول الكافي - باب التواضع .

حيث كان علي يتواضع :

« إن علياً عليه السلام كان يمشي في خمسة حافياً ويعلق نعله بيده اليسرى ، يوم الفطر والنحر والجمعة وعند العيادة وتشيع الجنازة ويقول إنها مواضع الله وأحب أن أكون فيها حافياً » .

وقد نقل في الكافي خمسة عشر حديثاً في باب إدخال السرور على المؤمن يكتفي بنقل واحد منها .

من آثار التواضع :

قال الإمام الباقر عليه السلام : تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة وصرف القذى عنه حسنة وما عبد الله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن (٩١) .

والمراد بصرف القذى عنه إزالة كل ما يعاني منه المؤمن من الألم والمشقة والصعوبة ويدخل السرور على قلبه مثلاً إذا كان مريضاً يمرضه ويعالجه أو مديناً فيؤدي دينه أو مظلوماً فينتصف له أو فقيراً فيساعد على الثراء والخلاصة إن ادخال السرور على المؤمن أحب الاعمال الى الله ويبعث الله هذا العمل في احسن صورة ويتجلى لصاحبه ساعة الموت فيبشره بالكرامة الإلهية ولا يفارقه حتى القبر حيث يبشره . . كما يبشره في المحشر وعند الخوف والهول ويبقى معه الى الجنة ، وهذا مضمون العديد من الروايات والخلاصة إن هذه الاعمال تواضع للخلق من اجل الله وهي ضد التكبر وقد ذكرت آثارها العظيمة سابقاً .

التواضع للذمي :

عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين

(٩١) اصول الكافي - باب ادخال السرور على المؤمنين .

عليه السلام صاحب رجلاً ذمياً (يهودياً أو نصرانياً) فقال له الذمي اين تريد يا عبدالله فقال أريد الكوفة فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الذمي الست زعمت أنك تريد الكوفة فقال له بلى فقال له الذمي فقد تركت الطريق فقال له علمت قال فلم عدلت معي وقد علمت ذلك فقال له أمير المؤمنين عليه السلام هذا تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا صلى الله عليه وآله فقال له الذمي هكذا قال ، قال نعم ، قال الذمي لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة فأنا أشهدك أنني على دينك ورجع الذمي مع أمير المؤمنين فلما عرفه أسلم^(٩٢) .

يعلم من هذا الحديث أن تواضع أمير المؤمنين عليه السلام كان السبب في اسلام ذلك الذمي ويعلم أيضاً أن حق الصاحب في السفر مطلق أي يشمل الرفيق من أي دين ومعتقد . . فيجب التواضع له وأداء حق الصحبة حتى اذا لم يكن مسلماً كما هو الأمر في الوالدين فإن التواضع لهما وأداء حقهما واجبٌ مهما كانت عقيدتهما .

وكذلك الجار الذي تجب رعاية حقه حتى اذا لم يكن مسلماً وكذلك ايضاً الأكبر سناً وعزيز كل قوم فإنه ينبغي اكرامهما والتواضع لهما من أي دين كانا ولقد كان عدي بن حاتم قبل أن يسلم كبير قبيلة طيء ووفد على رسول الله ففرش له صلى الله عليه وآله له رداءه حتى لا يجلس على التراب وتأدب عدي ولم يجلس على رداء المصطفى ، وكان هذا التواضع من رسول الله صلى الله عليه وآله سبباً في إسلامه .

(٩٢) المصدر السابق - باب حسن الصحابة وحق الصاحب في السفر .

التواضع في خدمة العائلة :

« نظر أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام الى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحيى منه فقال أبو عبد الله عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته إليهم أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشتري لعيالي الشيء ثم أحمله إليهم^(٩٣) يعلم من هذا الحديث أن شراء لوازم الحياة من السوق وحملها الى البيت يزيد التواضع وقد أمر به في رواية أخرى وكان الإمام عليه السلام يحبه إلا أنه كان يجتنبه حيث أنه كان مستهجنًا لدى العرف آنذاك .

التواضع في نوعية اللباس :

مثال ذلك ارتداء الثياب الخشنه والرخيصة الذي ينفع في زيادة التواضع وكان الائمة عليهم السلام يحبون ذلك ولكن لانه بحسب وضع زمانهم لم يكن مناسباً لهم كانوا يتركونه .

في كتاب « كشف الغمة » قال سفيان الثوري دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز دُكْناء وكساء خز فجعلت انظر إليه متعجباً فقال لي : يا ثوري مالك تنظر إلينا لعلك تعجب مما ترى فقلت له يا بن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك . قال : يا ثوري كان ذلك زمان إقتار وافتقار وكانوا يعملون على قدر إقتاره وافتقاره ، وهذا زمان قد اسبل كل شيء عز اليه ثم حسر ردن جبتة فإذا تحتها جبة صوف بياض يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن وقال : يا ثوري لبسنا هذا الله تعالى وهذا لكم فما كان الله اخفيناه ، وما كان لكم أبديناه^(٩٤) .

(٩٣) اصول الكافي - باب التواضع .

(٩٤) كشف الغمة ٣٦٩/٢ .

تواضع عيسى (ع) للحواريين :

قال عيسى يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي قالوا قضيت حاجتك يا روح الله فقام فقبل (وفي نسخة فغسل) أقدامهم فقالوا كنا نحن احق بهذا يا روح الله فقال عليه السلام إن احق الناس بالخدمة العالم انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ثم قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمم الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل يثبت الزرع لا في الجبل (٩٥) .

العلماء احق بالتواضع :

دقق في هذا الحديث وانظر كيف أن عيسى عليه السلام وهو نبي الله وافضل أفراد بني البشر آنذاك تواضع بما لا مزيد عليه ولا يتصور اكثر منه . . وهو تقبيل أو غسل أرجل أصحابه وأتباعه ومن هم دونه . . ولم يبادر الى ذلك بل استأذنهم وجعل ذلك حاجته . . وعندما قال له الحواريون كان ينبغي أن نفعل ذلك نحن لا أنت قال عليه السلام في جوابهم :

إن العالم أحق من جميع الناس بالتواضع وما قاله عليه السلام من أن العالم احق بالتواضع له عدة اسباب :

الأول : أن العالم الذي انكشفت له حقيقة الأمر وعرف نفسه والجميع بالفناء والفقر الذاتي وعرف الله بأنه الوجود وعين الكمال والغنى . . سيكون تواضعه طبعاً اكثر من الآخرين ومن هنا كان من صفات الإمام عليه السلام كون تواضعه اكثر من سائر الناس ويبلغ تواضع الإمام عليه السلام الى حد انه يقول : « وأنا يا رب بعد اقل الأقلين وأذل الأذلين ومثل الذرة أو دونها » .

(٩٥) الكافي - باب صفة العلماء .

والثاني : أن العالم يعلم أنه ببركة المتعلمين وأتباعه سيصل الى الدرجات العالية وثواب ارشاده وهدايته .. ولهذا يتواضع لهم .

وايضاً حيث أن عمل العالم قدوة لاتباعه فيجب أن يكون متواضعاً ليتعلم أتباعه ذلك منه ويتصفون هم أيضاً بهذه الصفة الحميدة كما قال المسيح عليه السلام للحواريين : «إنما تواضعت لكم لكيما تتواضعوا بعدي في الناس » .

وما قاله عليه السلام « بالتواضع تعمر الحكمة » اشارة الى أن العلم الحقيقي الذي قد يناله الانسان هو الذي يصقل مرآة قلب الانسان من كدورة وظلمة العجب والأنانية والكبر والنخوة وأمثالها وينيرها بدلاً من ذلك بالتواضع والانكسار واللين وأمثالها لترسم فيها الحكمة .

التلميذ يجب أن يكون متواضعاً :

ومن الجدير بالذكر كما أن العالم يجب أن يكون متواضعاً للحشيات المتقدمة ، فكذلك المتعلم يجب أن يكون متواضعاً في مقابل العالم لمقام العلم الذي عظمه الله تعالى ويؤدي عن هذا الطريق حق العالم .. يجب أن يعرف كل واجبه ويعمل بتكليفه .

يقول الشعبي^(٩٦) صلى زيد بن ثابت على جنازة ولما قدمت له بغلته ليركب ويرجع امسك ابن عباس له ركابه فقال زيد لا تفعل ذلك يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابن عباس أمرنا أن نتواضع لعلمائنا وكبارنا فقبل زيد ابن عباس وقال : ونحن أمرنا أن نتواضع لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

والخلاصة واجب كل عالم أن يعلم أن علمه عطاء إلهي أعطي له بدون

(٩٦) عامر بن شراحيل الكوفي من التابعين مات سنة ١٠٤ بالكوفة .

استحقاق فيجب اذن أن يتواضع في مقابل الجاهل ويرحمه ويشفق عليه ويبذل جهده ليصبح عالماً كما أن واجب الجاهل الخضوع والانكسار والقبول من العالم حتى اذا لم يكن العالم بحسب الظاهر ذا شهرة وعنوان ومقام . . فيتواضع له لعلمه .

الحسان يعلمان شيئاً الوضوء :

والحسان عليهما السلام مراعى شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء فقالا : أيها الشيخ كن حكماً بيننا يتوضأ كل واحد منا فتوضأ ثم قالوا اينما يحسن ؟ قال كلاكما تحسان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن الوضوء وقد تعلم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما^(٩٧) .

من نال منه رفعه لا يتضع :

قال الإمام الصادق عليه السلام : إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه^(٩٨) .

ولكي يختتم البحث بذكر سيد الشهداء عليه السلام ليتأمل القارئ العزيز في احوال اصحابه عليه السلام وان سبب تواضعهم في مقابله سلام الله عليه جعلهم سادة الشهداء الاولين والآخرين وللتذكر يشار هنا الى تواضع اثنين منهم .

أدب الحر مع الإمام الحسين عليه السلام :

منذ التقى الحر بالإمام الحسين عليه السلام كان مؤدباً معه . . سلم عليه وبعد ساعة من الحوار حلّ وقت الصلاة فقال الحسين للحر أتصلي بأصحابك قال لا بل نصلي جميعاً بصلاتك فصلّى بهم الحسين .

(٩٧) البحار ٤٣/٣١٩ .

(٩٨) أصول الكافي - باب التواضع .

وأراد الحسين عليه السلام الانصراف الى المدينة « فحال الحر بينهم وبين ذلك فقال الحسين للحر ثكلتك امك ما تريد منا .

قال الحر : اما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذا الحال ما تركت ذكر أمه بالثكل كائناً من كان والله مالي الى ذكر امك من سبيل الا بأحسن ما نقدر عليه(٩٩) .

الخلاصة أن هذه النماذج من التواضع كانت سبب حسن عاقبة الحر اذ أنجاه الله تعالى يوم عاشوراء من حفرة الهلاك الابدي وأخذ بيده ووضع مع الإمام الحسين عليه السلام ووقفه الى التوبة .

جاء الى الحسين مستغيثاً مرتجفاً منكساً رأسه خجلاً ووقع على قدميه عليه السلام قال له ارفع رأسك من انت « قال جعلت فداك يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في الطريق وجعجت بك في هذا المكان وما كنت أظن أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ولا يبلغون منك هذه المنزلة والله لو علمت انهم يتتهون بك الى ما أرى ما ركبت منك الذي ركبت واني تائب الى الله مما صنعت فترى لي في ذلك توبة »(١٠٠) .

وتواضع له الإمام عليه السلام مقابل تواضعه وبشره بقبول توبته والمهم أن تواضعه السابق وفقه للتوبة . . إن تواضعه لساعة في يوم عاشوراء طهره من جميع ذنوبه وأوصله الى درجة اصحاب سيد الشهداء(١٠١).

(٩٩) مقتل الحسين للمقرم/ ١٨٤ .

(١٠٠) نفس المهموم للقمي/ ٢٥٥ .

(١٠١) واستيقظ الوجدان في اعماقه بعد السبات وعادت الافكار نحو الحسين وكله اصرار ناداه يا بن المصطفى انا تائب مما جنيت وانتم الاطهار أفهل ترى لي توبة ارجو بها عفواً يجرود به الغفار =

والواقع أن قصة الحر وعمر بن سعد مع الإمام الحسين عليه السلام هي قصة آدم وإبليس مع الأمر الإلهي فإبليس أبطل بتكبر ساعة على أمر الحق عبادة ستة آلاف سنة كان عبدالله فيها وأصبح مطروداً ملعوناً . . وآدم وصل بتواضعه وتوبته الى درجة الاصطفاء والنبوة .

« العرق عرق وهذا الماء العذب والماء الأجاج يجريان في الخلائق حتى ينفخ في الصور » .

العبد الأسود الوفي :

كان جون بن مالك مولى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عبداً اسوداً قال له الحسين عليه السلام انت في إذن مني فإنما تبعنا طلباً للعافية فقال : يا بن رسول الله انا في الرخاء الحسن قصاعكم وفي الشدة أخطلكم والله إن ريحي لنتن وإن حسبي للثيم ولوني لأسود فتنفس علي بالجنة فيطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الاسود مع دمائكم (١٠٢) .

بعد هذا التواضع والاصرار أذن له الإمام الحسين عليه السلام بالجهاد فقتل خمساً وعشرين وقتل فأصبح في عداد شهداء كربلاء فوقف عليه الحسين وقال :

= فأجابه من تاب افلح سعيه مهما عليه تراكمت اوزار
والله يمحو عنه كل ذنوبه من اجلنا وله النعيم قرار
من ملحمة كربلاء للعسيلي بدلاً من ابيات فارسية .

(١٠٢) نفس المهموم للمحدث القمي ٢٩٠ - ٢٩١ وللإطلاع على تواضع سائر اصحاب الامام الحسين عليه السلام يراجع الكتاب المذكور ولمعرفة الخضوع التكويني لأرض كربلاء تراجع سفينة البحار ج٢/ ٤٧٥ وراجع كذلك أصول الكافي باب التواضع حول تواضع جبل الحديدي (الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام) وحيث أن الكلام طال في بحث التواضع فقد اكتفي بالإشارة الى هذه الموارد .

اللهم بَيِّض وجهه وطيب ريحه واحشره مع الابرار وعرف بينه وبين محمد وآل محمد (١٠٣) .

وروي عن الإمام الباقر عن الإمام السجاد عليهما السلام أن الناس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلى فوجدوا جون بعد عشرة ايام تفوح منه رائحة المسك رضوان الله عليه (١٠٤) .

« سقطت قطرة مطر من غيمة وعندما رأت البحر الزخار لفها الخجل » .
« قالت حيث يكون البحر ماذا اشكل أنا إن كان هو موجوداً فلست من عالم الوجود » .

« ولأنها تواضعت واحتقرت نفسها أنشأ الصدف بقربها إكراماً لها » .
« متى اتضع من نال رفعة منه إنه يندك في الفناء حتى يصبح موجوداً » .
التواضع يزيدك علواً ورفعة والتكبر يهوي بك الى الدرك الاسفل (١٠٥) .

(١٠٣) نفس المصدر السابق .

(١٠٤) المصدر السابق/ نفس المهموم .

(١٠٥) مضمون ابيات ، وقد وردت في هامش الكتاب أبيات بالفارسية في وصف موقف جون رضوان الله عليه وهذه ابيات بدلاً منها :

وأراد سبط المصطفى أن نعلما	من فضل جون ما تخفى ونفهما
ناداه اذهب حيث تهوى سالما	ودع القتال فقد اتيت لتخدما
فهوى على قدم الإمام متمما	والدمع منهمر يحاكي العندما
أيطيب في السراء اكل طعامكم	وأفر عنكم إن زمان أظلما
مولاي ريحي ريح عبد متئن	وترى سوادي والاصول الألاما
هذي صفات جهنم يا سيدي	حاشاك ترضى أن اظل جهنما
ولأنتم الفردوس اكرموني بها	وائذن لعبدك ان يموت مكرما
سيطيب ريحي إن قبلت شهادتي	ويطاول الحسب الوضع الأنجما =

اللهم بحق الحسين وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه وأصحابه ومواليه
صلواتك عليهم اجمعين اجعلنا من الخاضعين الخاشعين المتواضعين لك
ولأوليائك اجمعين .

حاشا يضاهي نوره قمر السما
قبل اختلاط دمي بهاتيك الدما
يزهو ويرتجز القصيد ترنما
قد كان جون عاشقاً ومتيماً
حتى غدا بين العباد معلماً
كولائه هيهات أن يتثلماً
فأجابها والروح طوعاً أسلماً
ويشير للأجيال زوروا مثلماً
سوداً وتكسو بالضياء المعتما
لحييه الرحمن اضحى محرماً
يوم القيامة كالحنادس مظلماً
طيبب إلهي ريحه ليكرماً
مع خير الورى والآل يا رب السما
كدنا لطيب عبيره أن نزكماً
لمودة القربى الكرام قد انتمى

= ويباض وجهي في المعاد بفضلكم
قسماً بربي لا أفارق جمعكم
ومضى الى الهيجاء ليث عقيدة
أرأيت صباً كيف ينتظر اللقاء
أفديه من عبد تعاظم شأنه
خمساً وعشريناً أباد وسيفه
واشتاقت الأفلاك قرب جواره
فمشى لمصرعه الحسين يزوره
هاتيكم التقوى تبيض أوجهاً
ما ضرّ جوناً لونه وفؤاده
أو ينفع المبيض وجهاً أن يرى
ودعا الحسين له وقال مؤبناً
بيض إلهي وجهه واحشره
قال الرواة عن المباشر دفنه
ولم التعجب والتعجب توضع

* * *

٧ - سو. الظن

سوء الظن من الذنوب القلبية والأمراض النفسية وهو سبب كثير من الذنوب ويندر من لا يتلوث به والأصعب أنه لا يلتفت الى أنه ذنب . . . وحيث أنه لا يعتبر ذنباً فلا يتندم صاحبه لأجله ولا يتركه وبالأصرار عليه يصبح - على فرض كونه صغيرة - من الكبائر . . . وإذا كان مشمولاً لأدلة العفو قبل أن يصبح كبيرة فإنه بواسطة الاصرار والاستخفاف به يصبح ذنباً لا يغتفر .

ومن الواجب على كل مسلم أن يعرف حرمة سوء الظن وأن لا يلوث نفسه به وإذا كان ملوثاً به أن يتوب منه فوراً لأن التوبة واجب فوري وبناءً عليه فيجب أن يذكر معنى سوء الظن وأنواعه ودليل حرمة وطريق العلاج منه .

معنى سوء الظن :

كل قول وفعل يصدر من شخص فهو على قسمين :

١ - تارة يكون حسن ذلك الفعل والقول وسلامة نية صاحبه أو عدم سلامتها واضحاً تماماً و يقينياً بحيث لا يحتمل خلاف ذلك كأن يرى انسان بأم عينه شخصاً آخر يشرب زجاجة ويتيقن أن ما فيها خمر وهو يشربه مختاراً دون

أي اكراه أو اضطرار أو أن يبقى شخص مع آخر من الظهر الى الغروب ويذكره بالصلاة ثم لا يصلي ، أو أن يخبر جماعة يرى العقل استحالة اتفاقهم على الكذب أنهم رأوا فلاناً قتل فلاناً . . . ويشكل عام كلما كان قبج قول الشخص أو عمله وسوء نيته واضحين تماماً ولا مجال أبداً لاحتمال الحسن والصحة فيجوز لآخر أن يسيء الظن به ويوسع في قلبه مكاناً للاعتقاد بسوئه .

٢ - وتارة يكون القول أو الفعل الصادر من شخص بحيث لا يمكن اليقين لا بحسن فعله أو قبجه ولا بحسن نيته أو سوئها . . وكل من الحسن والسوء محتمل . . مثلاً :

شممنا رائحة الخمر من فم شخص فهنا يحتمل أن يكون شرب الخمر عالماً عامداً ويحتمل أن يكون شربه نسياناً أو جهلاً بأنه خمر أو أن شخصاً أجبره على شربه ومثل ذلك ما إذا كنا مع شخص من الظهر الى الغروب ولم يصل واحتملنا أنه لم يصل عمداً . . واحتملنا كذلك أنه لم يصل نسياناً وكذلك إن رأينا شخصاً خارجاً من منزل امرأة سيئة اذ يحتمل أنه ذهب بهدف فعل قبج . . كما يحتمل أنه ذهب خطأ أو لعمل آخر لرؤية شخص في ذلك البيت أو لشراء البيت أو استجاره .

وكذلك ما إذا قال جماعة إن فلاناً ارتكب فعلاً قبيحاً فيحتمل أن يكون كلامهم صحيحاً ، ويحتمل أيضاً أن يكون خطأ ، أو أنهم سمعوا ذلك من شخص مغرض وصدقوه ونقلوه . .

ويشكل عام ، كل قول وفعل يصدر من مسلم فنراه أو نسمع به ويحتمل أن يكون صحيحاً فحملة على الفساد والاعتقاد بذلك حرام . . . الى حد انه لو أخبر شخص عادل بقبح فعل شخص آخر فلا ينبغي قبول ذلك والاعتقاد به بل

يجب أن تقول لعله الامر اشتبه عليه أو سمعه من جماعة فحصل له العلم من كلامهم .

والخلاصة لا يصح أن يكون كلام العادل سبباً لإساءة الظن بمسلم ولا يصح كذلك أن يساء الظن بالعادل ويُفسق بحجة أنه اغتاب مسلماً بل تحمل غيبته على مورد من موارد جواز الغيبة الاستثنائية إلا إذا كان كلامه لا يمكن أن يحمل على شيء من هذه الموارد عندها يجب حمله على التوبة .

وكذلك مثل ما اذا رأيت عبادة كالصلاة ، الصيام ، الحج ، والانفاق أو سمعت بذلك واحتملت أن يكون ذلك عن رياء وتظاهر . . فما دام احتمال أن يكون ذلك عن اخلاص احتمالاً موجوداً فإن ترك الاحتمال الثاني والاعتقاد بالاحتمال الأول اساءة الظن بمسلم وذلك حرام كما سيأتي .

وما تقدم هو سوء الظن بالخلق في الأمور العبادية والحسن والقبح الشرعيين وأما سوء الظن في العادات فهو كما يلي :

الحمل على الفساد في الامور العادية :

وذلك بأن يُحمل قول الشخص الآخر أو فعله العاديان على الفساد وعدم الصحة . . مثلاً : يرى شخص رجلاً مع امرأة فيحمل ذلك على الفساد أو أنه لا يجد إمرأته أو يراها تتحدث مع شخص آخر أجنبي فيسيء الظن بها دون أي تحقيق أو يقول الطفل في البيت شيئاً فيحمله ذلك على سوء الظن أو يرى اثنين يتحدثان سراً فيتخيل انهما يتحدثان عنه فيسيء الظن بهما أو يحتمل لدى حديث شخص أنه يلمح إليه ويكني عنه وهدفه من هذا الحديث الطعن فيه فيسيء الظن بهذا الشخص .

وموارد سوء الظن في الأمور العادية كثيرة ويذكر هنا مورد مهم منها هو محل ابتلاء بشكل عام .

ما يخالف التوقع ليس سيئاً لسوء الظن :

من يتوقع من شخص آخر أن لا يصدر منه خلاف رغبته قد يسيء الظن به - إذا صدر منه خلاف ما يتوقع - فيبتلى بذنب سوء الظن . . وغالباً ما يكون سوء الظن سيئاً للعداوة والحقد والحسد والذنوب الأخرى . مثلاً شخص يتوقع من آخر أن يحسن إليه ولم يعطه شيئاً أو أنه لم يعطه بمقدار ما كان يتوقع فيفسر ذلك بالبخل أو بهدف شيطاني آخر ويسيء الظن به أو طلب منه قرضاً واستعارة شيء فلم يعطه فيسيء الظن به لذلك أو طلب نصرته في امر فلم ينصره رغم استطاعته فأساء الظن به واعتبره انساناً سيئاً مع أنه كان باستطاعته أن يحمله على الصحة ويقول : لعله واقعاً لا يستطيع وأنا لا أعلم . . أو أنه توقع من شخص أن يحترمه ويكرمه ولم يفعل مثلاً لم يبتدئه بالسلام أو لم يقم له اجلاً أو لم يمدحه فيسيء الظن به مع أن من المحتمل أن لا يكون ملتفتاً أو أنه سلم ولم تسمع أنت أو أن توقعك هذا هو من الأساس في غير محله .

والسبب الأصلي لهذا النوع من سوء الظن هو حب الدنيا والعلاقة الشديدة بالشهوات وشؤون الحياة المادية .

وحيث أن أكثر الناس لا علاقة لهم بغير الدنيا وشؤونها . . وأكثر أولئك الذين لهم علاقة بالآخرة فإن حب الدنيا في قلوبهم أكثر . . فلذلك نجد أن سوء الظن هذا شائع بين الناس بل يندر شخص يكون بمأمن من هذا الذنب .

ومنهم من يلمزك في الصدقات :

ومن هنا جاء في الحديث أن الإمام الصادق عليه السلام يقول إن أكثر من ثلثي الناس مبتلون بهذا الذنب كما سيأتي وقد اشير الى هذا النوع من سوء الظن في القرآن المجيد حيث يقول تعالى :

﴿ومنها﴾ (المنافقين) من يلمزك (يا رسول الله صلى الله عليه وآله) في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون﴾ التوبة ٥٨ .

بعض المسلمين بحسب الظاهر إما لأنهم ليسوا مستحقين مالياً أو لأسباب أخرى لم يعطهم الرسول صلى الله عليه وآله شيئاً من الصدقات وكان ذلك خلاف توقعهم ورجبتهم فأساؤوا الظن برسول الله صلى الله عليه وآله وغضبوا منه واعتبروا أن عمله ليس مناسباً . . . والحال لو أنهم رأوا أن توقعهم في غير محله وليس مناسباً ورضوا بما أعطاهم الله لقنعوا وما سخطوا من تقسيم رسول الله صلى الله عليه وآله ولما ابتلوا بهذا الذنب الكبير كما يقول تعالى في الآية التالية : ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله (من الغنى أو الفقر والولد أو عدم الولد والعزة أو الذلة والسلامة أو المرض والأمن أو الخوف) ورسوله (من الصدقات التي قسمت) وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله (من احسانه) إنا إلى الله راغبون﴾ التوبة ٥٩ .

والخلاصة أن هؤلاء المسلمين كان يجب عليهم بدل اساءة الظن برسول الله أن يصرفوا النظر عن ميلهم النفسي ويرضوا بعطاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ويعتبروا أن الله كافيههم وحسبهم ويأملوا كرمه وكرم رسوله .
نحن ايضا اهل هذه الآية :

يقول اسحاق بن غالب : قال لي الإمام الصادق عليه السلام : كم ترى أهل هذه الآية ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون﴾ قال ثم قال :

هم اكثر من ثلثي الناس^(١) .

(١) اصول الكافي - باب المؤلفة قلوبهم .

أيها القارئ العزيز . . . ولأجل تصديق كلام الإمام عليه السلام تأمل قليلاً في حالك وحال سائر المسلمين لترى أننا جميعاً كذلك أي أننا نرضى عن الله حين يعطينا وفق رغباتنا النفسية ، أما إذا لم ير مصلحتنا في ذلك ولم يعطنا أو رأى مصلحتنا في البلاء وما لا يريح النفس فعندها نغضب .

وايضاً : نرضى عن الناس عندما يعاملوننا بما يطابق رغباتنا وإذا صدر منهم ما يخالف ذلك نسيء الظن بهم ونسخط . .

والخلاصة : حيث أن علاقتنا بالشهوات النفسية والرغبات الدنيوية شديدة . . وحيث أنه لم يستطع أي انسان على الاطلاق أن يحقق رغباته في الدنيا - ولن يصل - فلذلك نحن نسيء الظن دائماً بالله والناس ونظل نعتب عليهما ونشكوهما .

وعدم الرضا عن الناس يوجب التعب والمشقة في الحياة الدنيوية كما أن عدم الرضا عن الله موجب للشقاء والحرمان في الحياة الخالدة ﴿خسر الدنيا والأخرة . . ذلك هو الخسران المبين﴾ الحج ١١ .

بناءً على هذا يجب اعتبار سوء الظن ذنباً كبيراً ومرضاً نفسياً خطيراً وإذا تساهل الانسان في علاجه فإنه سيؤدي الى الهلاك والشقاء في الدارين .

سوء الظن بصفات الله وأفعاله :

ما تقدم يرتبط بسوء الظن بالناس أما سوء الظن بالله في صفاته سبحانه وأفعاله . فالكفار الذين يقولون لا وجود لرب العالمين أو أولئك الذين يقولون إنه ليس عالماً بالامور الجزئية أو بالاعمال التي يؤديها الناس سرراً أو الخواطر الباطنية . . .

وكذلك مثل المسلم الذي يقول باللسان فقط إن الله بكل شيء عليم لكنه

في تصرفاته كالكفار لا فرق ، مثلاً في السر لا يعتبر أن الله حاضر وناظر ويتجراً على الذنب وقد اشير في القرآن المجيد الى هذا النوع من سوء الظن قال تعالى : ﴿حتى اذا جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعبدوا فما هم من المعتبين ﴿ فصلت ٢٠ - ٢٤ .

الاعتقاد بأن عالم الوجود عبث :

ويدخل في سوء الظن بالله تعالى إنكار كل غير عاقل ينكر الحكمة الإلهية في عالم الوجود أي أن من لا يفهم أصغر جزئية من أجزاء عالم الوجود واعتبر ذلك لغواً واعتقد به فقد اساء الظن بالله الحكيم ، وهكذا الى أن نصل الى الجاهل المغرور الذي يرى جميع عالم الوجود العظيم لغواً ولا حكمة في خلقه ويظن أنه لا حياة أخرى للبشر بعد هذا العالم يصلون فيها الى كل سعادتهم . . .

والخلاصة إن كل منكر للمعاد يسيء الظن بالله خالق الكون سبحانه ويعتبر أن عمله عبث وقد اشار القرآن المجيد الى هذا في عدة مواضع ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار ﴾ ص ٢٧ - ٢٨ .

إن من يرفض أن الانسان يثاب على أعماله أو يعاقب ويظن أنه لا وجود

للعالم الجزائري (الذي يجزى فيه الانسان) فقد اساء الظن بالله ونسب إليه ما لا يليق (الظلم وعدم الحكمة) .

﴿ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وسواء محياتهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ الجاثية ٢١ .

منكرو النبوة والمعتضون على القضاء :

ومن جملة مصاديق سوء الظن إنكار النبوة والكتب السماوية أي الظن بأن الله لم يعرف الانسان مبدأه ومعاده ولم يرشده الى طريق سعادته وبخل في ارسال الدليل . . . وحقاً إنه ظن سيء ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ الانعام ٩١ .

ومثل اصحاب هذا الظن أولئك الذين يواجهون حادثة مؤلمة فيعتبرونها خالية من الحكمة والمصلحة ولهذا يسيئون الظن بربهم فتظهر فيهم حالة غيظ واعتراض على القضاء والقدر الإلهيين وكأن الله ظلمهم .

واصعب من هؤلاء من يصرف قلبه عن الله ولا يأمل الفرج منه مثلاً : شخص يتعرض لضغط الحياة ويصبح فقيراً من جراء الإسراف والتبذير وجهله أو نتيجة امتحان إلهي ، أو أنه نظر إلى من فوقه وهم بحسب الظاهر منعمون . . فتألم وأساء الظن بالله . . كأن له على الله حقاً وله عليه دين ﴿فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمنى*وأما اذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربي أهاننى﴾ الفجر ١٥ - ١٦ .

يتوقع الرفاهية لأنه أسلم :

او شخص جاهل لأنه اعتنق الإسلام وعمل بأحكامه فهو يتوقع أن يكون في حياته الدنيوية مرفهاً دائماً ومرتاحاً وأن لا تواجهه أية حادثة مؤلمة وأن يكون

مسلطاً على عدوه منتصراً عليه باستمرار . . باختصار : يريد أن يجري جهاز الوجود وفق ميله النفسي وإذا دارت دورة الفلك بخلاف ميله فإنه يسيء الظن بالله ويتلى بالشك في دين الحق .

هذا الجاهل بدل اساءة الظن بالله ينبغي أن يسيء الظن بنفسه وتوقعه الذي هو في غير محله وأن يعلم أن التدين هو لتأمين الحياة الخالدة والسعادة في عالم ما بعد الموت أما الحياة المادية الدنيوية فإنها محكومة لسلسلة من العلل والاسباب وضعها الخالق الحكيم جل جلاله ويتساوى فيها المؤمن والكافر والصالح والطالح .

ثم إنه إذا كان من المفروض أن يكون كل متدين مرفهاً في الدنيا دائماً محققاً لأمنيته ولا يقع في العالم إلا ما يسعده فسيفقد أولاً استحقاقه للثواب والجزاء في عالم الآخرة لأنه نال جزاءه في الدنيا .

وثانياً سيصبح كل الناس عندها متدينين طمعاً في تحقيق آمالهم الدنيوية . . . وعندما يكون منطلق التدين هو الطمع المادي فإنه لا يمكنه ابداً أن يحقق سعادة البشر . . . وحيث أن بيان ذلك يستدعي الاطالة فإنه يترك الى مقام أكثر مناسبة .

وقد اشير الى هذه المرتبة من سوء الظن بالله تعالى في عدة مواضع من القرآن المجيد من جملة ذلك في قصة أحد حيث واجه المسلمون الهزيمة بسبب عصيانهم ومخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل جماعة وجرح آخرون . . بعض المسلمين اساءوا الظن بالله آنذاك لأنهم كانوا يتوقعون أن ينصر الله المسلمين على كل حال ويسلطهم على اعدائهم في حين أن السبب الوحيد لهذا التوقع هو حب الدنيا والعلائق بالمفرحات الدنيوية وليس اعلاء الحق . . ثم إن سبب هزيمة المسلمين هو - كما تقدم - مخالفتهم لأمر

النبي صلى الله عليه وآله .

بناءً عليه كان يجب عليهم أن يسيئوا الظن بأنفسهم لا بالله وقد اشير الى هذا في القرآن المجيد قال تعالى : ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ آل عمران ١٥٤ .

ومن الجدير بالذكر أنه كلما توقف بقاء الحق على الاسباب غير العادية بحيث اذا لم يمد الله المسلمين بالنصر يقضى على الإسلام نهائياً فإن الله تعالى ينصر دينه كما في غزوة بدر حيث أرسل سبحانه خمسة آلاف من الملائكة وتحققت هزيمة الكافرين^(٢) .

توقع استجابة الدعاء فوراً :

ومن مصاديق سوء الظن بالله تعالى : مسلم يدعو الله ويطلب منه حاجته ولأنه يتوقع استجابة دعائه فوراً فإذا لم تتحقق رغبته يسخط على الله ويعتبر ذلك اخلافاً بالوعدوسيء الظن بالله . . في حين لو أنه تنبه الى شرائط الاستجابة التي من جملتها كون ذلك مصلحة . . وما اكثر الطلبات التي يطلبها الانسان ولكنها في الواقع مضرّة له وهو لا يعلم . . لو أنه تنبه لذلك لأساء الظن بنفسه بدلاً من اساءة الظن بالله ولأدرك أن توقعه في غير محله .

الظنون الخاطئة سوء ظن بالله :

وايضاً الجاهل الذي يظن أن العبد المطيع والعاصي سواء عند الله وليس للعبادة أي أثر أو يظن أن توبة العاصي لا تقبل وهي لغو . . أو يظن أنه لا أثر للدعاء والتضرع الى الله وأيضاً مثل الثري الذي يظن أنه اذا أنفق شيئاً من ثروته

(٢) راجع تفسير الآية ١٢٥ من سورة آل عمران وراجع تفسير الآيات حول « اُحد » في تفسير الميزان .

فقد أتلفه وأن الله لن يعرض عليه ولن يعطيه أفضل منه ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام : البخل في الانفاق سوء ظن بالله^(٣) .

سوء الظن بالله من الكبائر :

إذا كان سوء الظن بالله ناشئاً من انكار علم الله وقدرته وحكمته وعدالته فهو كفر وصاحبه مرتد لأن وجوب الاعتقاد بهذه الصفات الإلهية من ضروريات الإسلام أي اذا اعتبر شخص أن الله جاهل وعاجز وظالم ويفعل اللغو والعبث فقد خرج من دين الإسلام .

ثم إن هذا النوع من سوء الظن بالله متحد مع إنكار التوحيد أو النبوة أو المعاد^(٤) .

اما إذا لم يكن سوء الظن بالله ناشئاً من انكار الصفات الإلهية بل هو بسبب العلاقة بمشتبهات النفس وعدم الوصول الى الأمنيات وضغط البليات والمنغصات ومواجهة المصائب . . . إنه لذلك اساء الظن بالله فرغم أنه لا يكون عندها كافراً ومرتداً إلا أن هذه الحالة من سوء الظن حرام قطعاً ومن الكبائر والتخلص منها والتوبة منها واجب فوري لأن حالة سوء الظن بالله هي .النفور من الله وبغضه والاعتراض عليه والتمرد على طاعته وعدم الانقياد له على حد سواء وبعبارة أخرى : حالة سوء الظن بالله ضد الايمان .

وهذه الحالة غالباً ما تقترون بالقنوط واليأس من رحمة الله . . وقد ثبت في كتاب « الذنوب الكبيرة » أن عدم الأمل بالله من الكبائر .

(٣) بهذا المضمون عدة احاديث في ميزان الحكمة - الظن .

(٤) انكار علم الله وقدرته انكار للتوحيد ، وانكار حكمته انكار لارسل الرسل لأنه دليل حكمة وانكار العدل الإلهي انكار للمعاد لأنه مظهر العدل الإلهي .

وقد ورد النهي الأكيد عنها في الآيات والروايات والوعد عليها بالعذاب ويكتفي بنقل آية واحدة ورواية :

قال تعالى : ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً﴾ الفتح ٦ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين^(٥) .

علاج سوء الظن بالله :

إن نور العقل والتدبر في القرآن المجيد يوصلان إلى الاعتقاد بأن الله عالم قادر حكيم وعادل . . بالتفصيل الذي مر في قسم العقائد . . .

وهذا الاعتقاد هو الذي يجعل الانسان لا يسيء الظن بالنبوة والمعاد ويعصم صاحبه من أن يظن أن المطيع والعاصي سواء ويجعله كذلك يرى نفسه مخلوقاً وعبداً ليس له حق الاعتراض . . كما يرى نفسه غريق نعم الله وإحسانه فلا يسخط عليه أو ينصرف عنه ويأس منه . .

كما أن على الانسان أن يعتبر نفسه عاجزاً عن تشخيص ما فيه صلاحه حتى لا يتورط في تحديد أمورٍ والجزم بأنها مصلحة له وإذا لم تتحقق يصبح معرضاً لسوء الظن بالله تعالى . . وعلى الانسان أيضاً أن يقصر من آماله في الدنيا حتى لا يسيء الظن بالله تعالى بسبب عدم تحققها وليبعد كذلك من ذهنه توقع الراحة الدائمة والسلامة من الابتلاءات والمصائب وليعلم أن الحياة المادية

(٥) الكافي - باب حسن الظن بالله .

للشئ مبنية على اساس التضاد والتزاحم ولذا فلن يكون انسان بمنجى من مواجهة المنغصات كالاحتياجات والأمراض والعداوات وانواع الحسد وفي النهاية الموت فإن ذلك من لوازم الحياة المادية ولا يستطيع اي انسان أن يهرب منها وليس له إلا الصبر وانتظار نهاية هذه الحياة المملة والوصول الى الحياة الأفضل في عالم ما بعد الموت .

« فليمضِ هذا الدهر الذي هو أمر من السم ليأتي مرة أخرى دهر كالسكر »^(٦) .

على الإنسان أن يعلم أنه اذا واجه أي مصيبة واعتصم بقوة الايمان فسيعوّض بدلاً من ذلك في عالم الجزاء ويجزيه الله تعالى جزاءً عظيماً وهكذا يمكنه أن يصمد أمام الحوادث المختلفة ولا يسيء الظن بالله ولا يقطع أمله به خصوصاً اذا علم أنه مهما كان بلاؤه فإن هناك مبتلون ببلاءات اشد . . ورؤيتهم تبعث في نفسه الاستقرار .

وعلى الانسان كذلك أن يعلم أن الله غفور رحيم وعطوف حتى لا يئأس من قبول التوبة واستجابة الدعاء .

الدنيا مزرعة والله صادق الوعد :

وأن يعتبر أيضاً أن الحياة المادية الدنيوية هي فقط محل الزرع اي تحصيل الايمان والعمل الصالح وأن الحياة بعد الموت هي محل الحصاد أي الوصول الى جزاء الايمان والعمل حتى لا يتوقع الجزاء في الدنيا فيقول اذا اصابه بلاء : أنا مؤمن ومن العاملين (من اهل العبادة) فلماذا ابتليت . . ثم يسيء الظن بربه .

(٦) مضمون بيت .

وإذا تأخرت استجابة دعائه يحتمل أن ما طلبه لم يكن مصلحة أو أن شرطاً من شروط الاجابة لم يتوفر في دعائه حتى لا يتهم الله بخلف الوعد .

ويعتبر أيضاً ان الله صادق الوعد وأن وعده بالتعويض والأجر هو اضعاف الانفاق في سبيله حتى لا يخشى أن ينقص ماله بسبب الانفاق في سبيل الله ولا يسيء الظن بربه . . وأيضاً ليكون في مقابل كل حادث يواجهه معتمداً على الوعد الإلهي الحتمي حيث يقول سبحانه : ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع العسر يسراً ﴿ الانشراح ٥ - ٦ فلا يسيء الظن كذلك بالله بل يحسن الظن به سبحانه ويتنظر الفرج .

الإمام الصادق والتاجر المفلس :

كان احد التجار يتردد الى الإمام الصادق عليه السلام وذات يوم خسر جميع ثروته وعندما تشرف بخدمة الإمام وشكى له حاله أنشأ عليه السلام ثلاثة ابيات هي :

فلا تجزع اذا اعسرت يوماً فقد ايسرت في الدهر الطويل
ولا تياس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل^(٧)

والكلمات القصار التي قيلت في بيان الظن بالله قد تم شرحها في ابحات هذا الكتاب وينبغي أن يفكر القارئ العزيز فيها بدقة .

حسن الظن بالله :

حسن الظن بالله من لوازم الايمان بل هو حقيقة الايمان لأن الايمان بمعنى الاعتقاد . . أي بعد معرفة أن الله يتصف بالرحمانية والربوبية والتعهد

(٧) المجالس السنية للمرحوم السيد الأمين .

لكل ذرة في هذا الكون والرعاية لعبده بما يصلحه ، وبعد معرفة سلامة افعاله تعالى وصحتها وكذلك سائر صفاته الكمالية . . بعد معرفة ذلك كله والاعتقاد به عندها يعتقد العبد بالله تعالى ، أي يعتقد أنه عظيم ويحبه ويتعلق قلبه به ويتعلق آماله عليه ويتذلل له وينقاد ويأمل الوصول الى أي خير عن طريقه ومنه . . هذا معنى الاعتقاد بالله . . .

إن كل من كانت فيه حالة سوء الظن بالله فقد انقطع عن ربه وابتعد عنه واصبح لا يحبه وهذا معنى عدم الايمان . .

بناءً على هذا فحسن الظن بالله على كل حال ، واجب والآيات والروايات في الأمر بذلك ومدحه كثيرة ويكتفى-رعاية للاختصار-بذكر حديث واحد من أصول الكافي :

عن أبي جعفر عليه السلام : وجدنا في كتاب علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره : والذي لا إله إلا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين .

والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظنَّ عبده مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا الظن بالله وارغبوا إليه .

قال المجلسي عليه الرحمة في شرح هذا الحديث :

قوله « إلا بحسن ظنه » قيل : معناه :

١ - حسن ظنه بالغفران إذا ظنه (أي الغفران) حين يستغفر .

٢ - وبالقبول اذا ظنه حين يتوب .

٣ - وبالإجابة إذا ظنها حين يدعو .

٤ - وبالكفاية اذا ظنها حين يستكفي .

لأن هذه الصفات لا تظهر إلا إذ حسن ظنه بالله .

٥ - وكذلك تحسين الظن بقبول العمل عند فعله إياه فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالإجابة بوعد الله الصادق فإن الله تعالى وعد بقبول التوبة الصادقة والأعمال الصالحة وأما لو فعل هذه الأشياء وهو يظن أنها لا تقبل ولا تنفعه فذلك قنوط من رحمة الله والقنوط كبيرة مهلكة وأما ظن المغفرة مع الاصرار وظن الثواب مع ترك الأعمال فذلك جهل وغرور (. . .) فإن الظن هو ترجيح احد الجانبين بسبب يقتضي الترجيح فإذا خلا عن سبب فإنما هو غرور وتمنّ للمحال^(٨) .

حسن الظن بالله حين الموت :

يجب العلم أن حسن الظن بالله وإن كان واجباً في كل حال إلا أنه قد امر به في ساعة العمر الأخيرة بالخصوص ليموت الانسان وهو محسن الظن بربه أي يكون سعيداً بالله وأنه ينقله الى مكان أفضل وكما كان في الدنيا يعيش على فئات مائدته فسيكون الآن ايضاً على مائدته في عالم البرزخ والعوالم الأرقى وسيمن الله عليه مقابل عقائده وأعماله التي لا تذكر بنعم والطفاء جلّى .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يموتنّ احدكم حتى يحسن ظنه

(٨) مراة العقول ٤٤/٨ والبحار ٣٦٦/٧٠ بتصرف يسير والترقيم ليس موجوداً في الأصل في كلام العلامة المجلسي ولكن هكذا أورده المؤلف نقلاً عن أصول الكافي المترجم الى الفارسية .

بالله عزَّ وجلَّ فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة^(٩) .

« وسأل الصادق عن بعض اهل مجلسه ف قيل عليل فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دنفاً فقال : أحسن ظنك بالله فقال : اما ظني بالله فحسن »^(١٠) .

يتضح من هذا الحديث والروايات الأخرى أنه يستحب تلقين المحتضر حسن الظن بالله كاستحباب تلقين الشهادتين والتوبة والاستغفار .

« ومرض رجل من الانصار فأتاه النبي صلى الله عليه وآله يعودُه فوافقه وهو في الموت فقال كيف تجدك قال اجدني ارجو رحمة ربي وأتخوف من ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما اجتمعَا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا اعطاه الله رجاءه وآمنه ما يخافه »^(١١) .

الخاطرة ليست سوء ظن :

من الجدير بالذكر ما ذكر من أن بعض مراتب سوء الظن بالله كفر وارتداد وبعض مراتبه الأخرى من الكبائر إنما هو فيما اذا تركه الانسان يستقر في قلبه وأفسح له مكاناً فيه . . أما اذا كان وسوسة شيطانية وخاطرة نفسية عابرة تخطر بالبال ويستاء الانسان منها فليس على الانسان منها شيء ولأنها غير اختيارية فلا يؤاخذ عليها وهي معفو عنها وقد تقدم بيان ذلك في قسم العقائد .

وكذلك سوء الظن بالخلق . . فإنه اذا كان وسوسة وخاطرة فليس ذنباً . . أما اذا استقر في القلب فهو ذنب . . وجميع الذنوب القلبية كذلك كما أشير الى كل منها في محله .

(٩ و ١٠ و ١١) وسائل الشيعة - الاحتضار - باب ٣٠ .

سوء الظن بالمسلم حرام :

كل قول لمسلم أو فعل يمكن حمله على الصحة والحسن اذا حمله آخر على الخطأ والقبح واعتقد بذلك ، فقد أساء الظن بمسلم وذلك حرام طبقاً للآيات والروايات التي يذكر هنا بعضها ، أما الآيات :

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ الاسراء ٣٦ .

في هذه الآية الشريفة نهى عن اتباع الانسان ما لا يعلمه سواء في الأعمال البدنية أو الأمور القلبية والمعتقدات . . أي لا تفصح مجالاً في قلبك لشيء لا تتيقن صحته ، ولا تعتقد به وكذلك :

لا تلتفظ بشيء ليس يقينياً عندك . . ولا تقم بأي عمل لا تتيقن صحته . .

وبعبارة اخرى : الاعتقاد بشيء ليس يقينياً حرام كما أن الاقدام على عمل ليست صحته يقينية حرام .

والخلاصة : إن الله يحرم في هذه الآية اتباع الظن ومن اساء الظن بمسلم الذي يظن بسوئه أي لا يقين له بسوئه بل يحتمل سلامته وصحته . . فإذا جعل ظن السوء بهذا المسلم يستقر في قلبه واعتقد به فقد اتبع الظن وهو مورد نهى الله ومن جملة الشهادات التي يؤديها القلب يوم القيامة الشهادة بالظنون السيئة التي أقرها الانسان في قلبه وافصح لها مكاناً فيه كما اشير الى ذلك في كلمة « والفؤاد » .

لماذا لم تحسنوا الظن بالمؤمنين :

﴿لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين﴾ النور ١٢ .

في هذه الآية يوبخ الله ذلك المؤمن الذي سمع كلاماً منافياً حول مؤمن آخر فصدقه وأساء الظن به ويأمر تعالى أن المؤمن ينبغي أن يحسن الظن بالمؤمن ويعتبر أن هذا الكلام كذب وافتراء وحيث أن جميع المؤمنين بمنزلة نفس واحدة . . فعلى المؤمن أن يرى هذا الكذب الذي سمعه كالكذب والافتراء عليه شخصياً وينبغي أن يتألم ويدافع عن أخيه المؤمن تماماً كما يتألم ويدافع حين يكون هو المستهدف بالكذب والافتراء^(١٢) .

إن بعض الظن اثم :

﴿يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ايحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ الحجرات ١٢ .

وقد ذكرت احتمالات في معنى ﴿كثيراً من الظن﴾ :

١ - انه اشارة الى كثرة سوء الظن اي أن الآية تريد أن تقول إن الظن على قسمين :

الظن الذي هو اثم ، وهو الظن السيء والظن الذي ليس اثماً ، وهو الظن الحسن . . . ولكن ما هو اثم - اي الظن السيء - اكثر ويجب اجتنابه .

(١٢) ذكرت في كتاب « الذنوب الكبيرة » قصة الافك ونزول عشرين آية فيها من جملتها هذه الآية .

٢ - أن هذه الجملة ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ امر بالاحتياط في كثير من الظنون لأن بعضها اثم وحرام وهو الظن السيء وبعبارة اخرى : الظن تارة يكون اتباعه واجباً كحسن الظن بالله والمؤمنين والظن بالاحكام حيث تكون الوظيفة الشرعية ذلك وتارة يكون حراماً كسوء الظن بالله والمؤمنين واتباع الظن حيث يكون تحصيل اليقين ممكناً ولم يجز الشرع العمل بالظن .

وتارة يكون مباحاً وذلك هو اتباع الظن في الأمور العادية وأمور المعاش .

بناءً عليه يجب اجتناب كثير من الظنون والتفكير فيها انها من اي قسم وما لم يتيقن الانسان انها من القسم الواجب أو المباح فينبغي أن لا يفسح لها مجالاً لتستقر في قلبه ولا يرتب الأثر عليها .

ضع امر اخيك على احسنه :

عن أبي عبدالله (ع) قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءاً وانت تجد لها في الخير محملاً^(١٣) .

قال المجلسي في شرح هذا الحديث :

« اي احمل ما صدر من أخيك من قول أو فعل على أحسن احتملاته وإن كان مرجوحاً من غير تجسس حتى يأتيك ما يغلبك منه امر لا يمكنك تأويله فإن الظن قد يخطيء والتجسس منهى عنه كما قال تعالى : ﴿إن بعض الظن اثم﴾ وقال ﴿ولا تجسسوا﴾^(١٤) .

وقد نقلت جملة « ولا تظنن الخ » عنه عليه السلام في نهج البلاغة

(١٣) اصول الكافي - باب التهمة وسوء الظن .

(١٤) مرآة العقول ١٥/١١ .

وحاصل المراد بها أن كل كلمة صدرت من أخيك ولها احتمالان فإن عليك أن تأخذ بالاحتمال الايجابي الحسن حتى وإن كان هذا الاحتمال هو المعنى المجازي لكلامه أو أنه يدل عليه بالكناية والتورية ولا وجود للقرينة . . خاصة إذا ادعى هو أنه أراد ذلك المعنى .

امثلة على ذلك :

لتوضيح ذلك تذكر هنا عدة امثلة :

إذا مدح شاعرُ اهل البيت عليهم السلام وكان ظاهر شعره الغلو . . أي نسبة الألوهية اليهم - والعياذ بالله - فلا يجوز الحكم بكفر ذلك الشاعر لأن من المحتمل أنه أراد معنى مجازياً صحيحاً ويكون مراده الحقيقي أن آل محمد هم بإذن الله والقدرة التي اعطاهم إياها الله قادرون على كذا وكذا . .

قد يكون ذلك مراده حتى إذا لم يذكره في شعره .

وكذلك إذا أورد شاعر مسلم اسم الخمر وآلات الطرب وأمثال ذلك في شعره وأظهر صبابته بها فلا يجوز الحكم عليه بالفسق لأن من المحتمل أن يكون مراده من الخمر السكر في مقام المحبة أو أنه لم يرد العشق المجازي والحيواني بل اراد الحقيقي والروحاني .

وكذلك إذا مدح شخص ظالماً فيجب القول لعل ذلك من باب التقية والاضطرار وأيضاً ، إذا اورد عالم كلاماً من كلام الصوفيين أو الفرق الأخرى وتبناه فلا يجوز أن ينسب إليهم ويحكم بكفره أو فسقه لأن من المحتمل أنه لا يؤيدهم إلا في هذه المسألة وأنه يرفض سائر معتقداتهم الباطلة . . ونقله لكلامهم هو من قبيل نقل رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام شعراً أو حكمة عن كافر أو عن اشخاص من الفرق الباطلة .

والخلاصة : كلما كان ظاهر كلام المسلم منافياً فيجب حمله على الوجه الحسن . . بل لو أن مسلماً أقرّ اقراراً صريحاً بذنبه . . كالزنا مثلاً فما دام هناك ادنى احتمال يخالف وجوب إقامة الحد عليه فلا تنبغي إقامة الحد عليه ومن الواضح أنه في الزنا نفسه لا يقام عليه الحد ما لم يقر بذلك إقراراً صريحاً والأحوط أن يسمع منه اقراراه في أربعة مجالس وبعدها يقام الحد عليه .

توبة ماعز بن مالك :

اتى ماعز بن مالك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني ، فردّه ، فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله إني قد زينت فردّه الثانية والثالثة فلما كان في الرابعة أمر به فحفر له حفيرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك والله واحاطت به خطيئته ، وقائل يقول : «ما توبة افضل من توبة ماعز » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم ^(١٥) .

سوء الظن اصل كل فساد :

إذا فكر القارئ العزيز بدقة سيجد أن السبب المهم للفرقة بين المسلمين والعداوات بينهم والتكفير والتفسيق واراقة الدماء خصوصاً من قبل الحكومات الإسلامية هو عدم رعاية هذه القاعدة الحمل على الصحة التي هي من أحكام الإسلام البديهية . . . وقد بلغ الأمر من التنكر لهذه القاعدة بحيث ان معاوية أمر عماله في المدن اقتلوا من ظننتم انه من شيعة علي - وقبل عدة سنوات تقياً السيد

(١٥) المحجة البيضاء ٦٧/٧ .

ابو طالب اليزدي في المسجد الحرام قهراً وبلا اختيار فوجهت إليه تهمة أنه فعل ذلك عمداً وقطع رأسه .

ما زال (فريق من) السنة يكفرون الشيعة ويعتبرونهم مشركين وذنبيهم انهم يقولون يا محمد يا علي يا حسين ويقولون علي ولي الله ويسجدون على التربة (تقدم الجواب على هذه الشبهة في بحث الشرك) واذا أردنا استقصاء مفسد عدم رعاية هذا الحكم الاسلامي فسيطول بنا الكلام ولذا يترك لفطنة القارئ ودقته . وينبغي الانتباه الى قاعدة الحمل على الأحسن انما تجري في افعال وأقوال المسلم التي يبدو ظاهرها منافياً اما في غير ذلك من الاقرارات والمعاملات والاختبارات فإذا لم يكن المسلم فاسقاً فظاهر كلامه حجة ويجب ترتيب الأثر عليه بالبيان المذكور في كتب الفقه .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً . وقال عليه السلام : اطرحوا سوء الظن بينكم فإن الله تعالى نهى عن ذلك (١٦) .

لا تسمعن في أخيك أقاويل الناس :

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ايضاً : ايها الناس من عرف أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الناس ، اما أنه قد يرمي الرامي وتخطيء السهام ويحكى الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع شهيد ، أما انه ليس بين الحق والباطل إلا اربع اصابع فجمع اصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال (ع) : الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت (١٧) .

(١٦) الخصال للصدوق .

(١٧) نهج البلاغة - خ/ ١٦٨ .

ومرادده عليه السلام بقوله « الباطل أن تقول سمعت » هو الكلام الباطل الذي تسمعه حول شخص تعرف ايمانه .. فيجب على السامع في مثل هذا الحال أن يعتبر ذلك باطلاً ولا يقبله وما لم يرَ ذلك السوء بعينه ويكون مع ذلك لا يمكن حمله على الصحة فلا ينبغي له التصديق به .

الخلاصة إن سوء الاخ في الدين على قسمين : تارة يسمعه الانسان بأذنه فهو باطل ولا يمكن قبوله ، وتارة يراه بعينه بحيث لا يمكن حمله على الصحة فهو حق وصحيح .

اما الكلام الآخر الذي لا يتضمن نقل عيب مؤمن فإذا كان متواتراً^(١٨) أو كان المخبر عادلاً فيجب قبوله أما اذا كان المخبر فاسقاً فلا يمكن قبوله بدون تحقيق وثبت .

كذب سمعك وبصرك :

عن محمد بن الفضيل قال قلت له (الإمام الكاظم عليه السلام) جعلت فداك الرجل من اخواني بلغني عنه الشيء الذي اكره فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقة فقال لي يا محمد كذب سمعك وبصرك عن اخيك وإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم ولا تزيعنَّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروته فتكون من الذين قال الله : ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾^(١٩) .

الجمع بين الروایتين :

في هذا الحديث يقول الإمام عليه السلام : كذب سمعك وبصرك عن اخيك وفي الحديث السابق قال الإمام علي عليه السلام : والحق أن تقول

(١٨) أي نقله جماعة كثيرون يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة .

(١٩) عقاب الاعمال للصدوق .

رأيت . . وهذان المعنيان متنافيان . . .

والجواب : إن الحديث الأول بيان لتكليف الانسان تجاه ما سمع من عيب اخيه فإن تكليفه إذا سمع شيئاً أن لا يصدقه إلا إذا رآه بعينه . . أي لا يتيقن ذلك ولا يقبله .

والحديث الثاني بيان لتكليف الانسان تجاه ما يراه من عيب اخيه في حين أنه يحتمل كون بصره مخطئاً أي أنه ليس متيقناً فإن تكليفه أن يقول : لعل عيني أخطأت وخطأ العين كثير . . . مثلاً يرى شخص زيداً يعمل عملاً ما فيتبين انه ليس زيد بل هو عمرو . . أو يرى بعينه أنه يشرب خمرأ فيتبين أنه ليس خمرأ . . والخلاصة : يجب أن يكذب بصره عن طريق احتمال الخطأ ولا يقبل ما تبادر الى ذهنه من عيب أخيه .

اما اذا تيقن واقعاً بصحة ما رأى ولم يكن يحتمل الخطأ ابداً فما رآه حق كما تنص على ذلك الرواية الأولى إلا أن تكليفه وواجبه أن لا يحدث احداً بذلك العيب إلا في موارد الضرورة والوجوب الشرعي وقد ذكر تفصيل ذلك في مستثنيات الغيبة من « الذنوب الكبيرة » .

هل ينسجم حسن الظن مع تكذيب الآخرين :

السؤال الآخر هنا هو أن الإمام عليه السلام قال في هذا الحديث : « وإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم » والحال أن تكذيب المؤمن حرام لأنه سوء ظن به فكيف نسيء الظن بعددين لندفع سوء الظن عن شخص .

والجواب : إن المراد بتكذيب المخبر هو عدم اعتبار خبره دليلاً على صحة وواقعية ما قال بل يقول السامع إن هذا المخبر شهد طبق ما فهمه لكنه أخطأ ، وبناءً عليه لا ينبغي ترتيب الأثر على خبره . . دون أن يسيء الظن

بالمخبر بل يحمله على الصحة أي يقول : ما يقوله صحيح بحسب اعتقاده إلا أنه اساء الفهم وأخطأ .

التهمة نزيل الايمان :

قال الإمام الصادق عليه السلام : اذا اتهم المؤمن أخاه انما اتهم الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء (٢٠) أي أن البهتان وسوء الظن يزيل الايمان .
ضمناً يجب العلم انه يصدق على سوء الظن في النفس ودون اظهاره باللسان ابداً ، أنه تهمة وفي الكافي أورد سوء الظن والتهمة في باب واحد .

درس من الإمام الكاظم عليه السلام :

في الاحتجاج للطبرسي عن الإمام ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام قال : قال رجل من الشيعة لموسى بن جعفر عليه السلام وهو يرتعد بعدما خلا به : يا بن رسول الله (ص) ما اخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافك في اظهاره اعتقاد وصيتك وامامتك فقال موسى عليه السلام : وكيف ذاك .

قال : لأنني حضرت معه اليوم في مجلس فلان ، وكان معه رجل من كبار اهل بغداد فقال له صاحب المجلس أنت تزعم أن صاحبك موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره (أي هارون الرشيد) .

قال له صاحبك هذا : ما أقول هذا بل ازعم أن موسى بن جعفر غير امام وإن لم أكن اعتقد أنه غير امام فعلي وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فقال له صاحب المجلس جزاك الله خيراً ولعن من وشى بك الي .

(٢٠) اصول الكافي - باب التهمة وسوء الظن .

فقال له موسى بن جعفر عليه السلام : ليس كما ظننت ، ولكن صاحبك افقه منك انما قال موسى غير امام اي إن الذي هو غير امام فموسى غيره فهو اذاً امام انما اثبت بقوله هذا امامتي ونفى امامة غيري^(٢١) يا عبدالله متى يزول عنك هذا الذي ظننته بأخيك هذا من النفاق تب الى الله ففهم الرجل ما قال واغتم ثم قال : يا بن رسول الله ما لي مال فأرضيه به ولكن قد وهبت له شطر عملي كله من تعبدي وصلاتي عليكم أهل البيت ومن لعنتي لاعدائكم قال موسى (ع) : الآن خرجت من النار .

سوء الظن عدم انصاف :

امر الله تعالى المسلمين في القرآن المجيد بالعدل فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل ٩٠ .

وقال تعالى : ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ المائدة ٨ .

وفي « معاني الاخبار » يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن العدل بمعنى الانصاف والاحسان بمعنى التفضل ويقول عليه السلام في بيان العدل والانصاف :

« واجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك وأحب له ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها واحسن كما تحب أن يحسن إليك ولا تظلم كما تحب أن لا تظلم^(٢٢) .

(٢١) توضيح ذلك : انك يا صاحب هارون تعتبر هارون اماماً وعلى هذا فموسى غير امام أي امام من نوع آخر لأن هارون إمام ضلال وموسى إمام حق (عليه صلوات الله وسلامه) .

ولذلك لم يقل « ليس إماماً » ويبدو أن التعبير في هذا المورد « بغير » كان متداولاً / الاحتجاج/ ٣٩٤ - ٣٩٥ ولاحظ الهامش .
(٢٢) غرر الحكم للآمدي .

وفي اصول الكافي باب الانصاف والعدل عشرون حديثاً ذكرها يستدعي الاطالة ، وفي باب حق المؤمن ستة عشر حديثاً ذكر فيها الانصاف من حقوق المؤمن على المؤمن وفي الحديث الثالث منها يقول الإمام الصادق عليه السلام :

« .. إن من اشد ما افترض على خلقه ثلاثاً : انصاف المرء من نفسه حتى لا يرضى لأخيه من نفسه إلا بما يرضى لنفسه .. » .

بعد أن اتضح هذا نقول : كل من احب أن يحسن الناس الظن به وأن يحملوا أفعاله على الصحة فإن من عدم الانصاف وعدم العدالة ان يريد ذلك من الناس لنفسه ويكون هو سيء الظن بهم ويحملهم على الأسوأ .. ألا ينبغي بعد هذه الاوامر الأكيدة من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام حول الانصاف أن يعتبر مثل هذا الشخص نفسه بين يدي الله تعالى مذنباً وخجلاً .. ثم يتوب من ذنبه الكبير (عدم الانصاف) .

ويعتبر أن توقع حسن الظن به من الناس هو في غير محله وحقاً إن لسان حال مثل هذا الشخص كمن يقول :

ايها الناس إن الله حرم فقط سوء ظنكم بي أما سوء ظني بكم وسوء ظن بعضكم ببعض الآخر فكله حلال .

وتسرق مال المسلم وعندما يسرقون مالك تصيح وتصرخ : لم يبق مسلم « (٢٣) » .

ومن هنا يعلم أن الشخص السيء الظن انسان سيء ولأنه منحرف عن طريق الصلاح والساداد فإنه يرى الآخرين منحرفين ، ولأنه ليس فيه أي جهة

(٢٣) مضمون بيت .

حسن ، فإنه لا يرى في الآخرين أي حسن .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : الشرير لا يظن بأحد خيراً لأنه لا يراه إلا بطبع نفسه^(٢٤) .

أي انه يظن أن جميع الناس مثله وطباعهم وخصالهم كطباعه وخصاله
فلذلك لا يرى في أحد أي خير .

مع الشهيد الثاني رحمه الله :

ذكر الشهيد الثاني عليه الرحمة في كشف الريبة مطالب مفيدة حول سوء
الظن ولمزيد الاطلاع تذكر هنا :

« واعلم أنه كما يحرم على الانسان سوء القول في المؤمن وأن يحدث
غيره بلسانه بمساويء الغير كذلك يحرم عليه سوء الظن ، وأن يحدث نفسه
بذلك ، والمراد من سوء الظن المحرم عقد القلب وحكمه عليه بالسوء من غير
يقين به .

وأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه ، كما أن الشك أيضاً معفو عنه
قال الله تعالى : ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم﴾ فليس لك أن
تعتقد في غيرك سوءاً إلا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل ، وما لم تعلمه
ثم وقع في قلبك فالشيطان يلقيه إليك ، فينبغي أن تكذبه ، فإنه افسق الفساق
وقد قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا
قوماً بجهالة﴾ فلا يجوز تصديق ابليس .

ومن هنا جاء في الشرع : أن من علمت في فيه رائحة الخمر ، لا يجوز
أن تحكم عليه بشربها ولا تحده عليه ، لإمكان أن يكون تمضمض به ومجهز أو

(٢٤) غرر الحكم للأمدى .

حمل عليه قهراً وذلك امرٌ ممكن فلا يجوز اساءة الظن بالمسلم .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله «إن الله تعالى حرّم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء» فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به الدم والمال وهو تيقن مشاهدة أو بينة عادلة أو ما جرى مجراها من الامور المفيدة لليقين أو الثبوت الشرعي .

(. . .) وطريق معرفة ما يخطر في القلب من ذلك هل هو ظن سوء أو اختلاج وشكّ أن تختبر نفسك فإن كانت قد تغيّرت ونفرت قلبك عنه نفوراً واستثقله وفتر عن مراعاته وتفقدته واکرامه والاهتمام بحاله والاعتماد بسببه غير ما كان أولاً فهو أمانة عقد الظن .

وقد قال صلى الله عليه وآله: «ثلاثة في المؤمن وله منها مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه» أي لا يحققه في نفسه بعقد ، ولا فعل ، لا في القلب ولا في الجوارح . أما في القلب فبتغيّره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والذي ينبغي فعله عند خطور خاطر سوء على المؤمن أن يزيد في مراعاته ويدعوله بالخير فإن ذلك يقنط الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك بعد ذلك خاطر سوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة وهو ضد مقصوده .

ومهما (وكلما) عرفت هفوة من مؤمن فانصحه في السر ولا يخدعك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتتنظر إليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ بل ليكن قصدك تخليصه من الائم وانت حزين كما تحزن على نفسك ، اذا دخل عليك نقصان .

وينبغي أن يخطر بقلبك أن تركه ذلك من غير نصيحتك احب إليك من

تركه بالنصيحة فإذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته واجر الإعانة له على دينه» (٢٥) .

سوء الظن خاطرة ثابتة :

اتضح جيداً مما تقدم أن سوء الظن بمسلم اذا كان خاطرة وحديث نفس عابراً فلأنه ليس اختيارياً فلا مؤاخذه عليه وهو معفو عنه . . اما اذا كان ثابتاً اي لا يحمل من ظن به على الصحة ويفسخ مجالاً في قلبه لسوء الظن به ويعتقد به فهو حرام والتوبة منه واجب فوري . . . وما قاله الفقهاء (رضوان الله عليهم) من أن الذنب القلبي ما لم يصل الى مرحلة العمل فلا شيء عليه فمرادهم الذنب البدني . . . وسوء الظن ذنب قلبي . . اي إن محله الباطن وقد تقدمت الاشارة لذلك مراراً . . وهذا تذكير بمضار سوء الظن :

١ - انعدام الأمن :

سوء الظن حالة انحراف ، ومرض نفسي لا ينظر صاحبه الى الآخر باحترام ولا يعترف بتقواه وطهارته ويرى أنه هو فقط سليم النية طاهر السريرة والطوية . . إن المتصفين بسوء الظن لا يرون النقاط المضيئة في حياة الناس الآخرين ولا ينظرون إلا الى نقاط الضعف المبهمة والمظلمة .

سيء الظن يعتدي على حريم شخصية المسلمين وطهارتهم وسلوكه هذا تحد واضح لما أمر به القرآن المجيد .

وكما يقول احد العلماء إن حدود الأمن التي حددها الإسلام للمجتمع لا تنحصر بالروح والمال والكرامة (ماء الوجه) بل هناك بالاضافة الى حدود الأمن الثلاثة هذه حدٌ رابع وهو تحصين المسلم من احكام الآخرين الذهنية ليتم

(٢٥) كشف الريبة ٦٥ - ٦٨ .

تحصين المجتمع كله عبر ذلك أي أنه لا يحق لأحد أن يهاجم في محيطه الفكري شخصاً آخر ويصدر عليه احكاماً قاسية ليست مبنية على اليقين . . وهذا يعني أن احترام شخصية الشخص تتعدى حدود مرحلة العمل و« الخارج » لتشمل محيط تفكير الآخرين .

إن الإسلام يحرم أي نوع من أنواع سوء الظن الذي يؤدي الى تلويث المظنون به في محيط الفكر . . ويريد الإسلام أن يجتنب المجتمع الإسلامي كل مفردات سوء الظن .

وقد نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض رواثه على حدود الأمن الاربعة هذه فقال: «إن الله حرم على المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن سوء » .

وإذا كان حفظ الحدود الثلاثة الأولى يتم عبر الحكومات المادية والمؤسسات الادارية فإن حفظ حد الأمن الرابع لا يمكن أن يتم ويتحقق إلا في ظل الايمان بالله تعالى لأن دائرة عمل الحكومات المادية تنحصر بالظواهر ، والحيلولة دون تجاوزات الباطن خارج نطاق الظواهر وخارج نطاق عمل تلك الحكومات .

إنه الايمان بالله فقط الذي يمكنه أن يحول دون هذا النوع من التجاوزات والاعتداءات لأننا نؤمن أن الله تعالى محيط بأعمالنا الظاهرة والباطنة .

٢ - تتبع عثرات الآخرين الباطنية :

من اساء الظن بآخر لا يكتفي بذلك بل يحاول التجسس عليه ليجد شواهد على سوء ظنه وهكذا يسلب مسلماً حريته لأن لكل انسان سلسلة من الاعمال يبيحها الشرع ولا يمنعها إلا أن الانسان لا يؤدي هذه الاعمال عادة امام

الانظار وبمرأى من الناس ومسمع ولا يرضى أن يطلع الآخرون عليه وهو يقوم بها . . وإذا خضع انسان لمراقبة الآخرين وتابعوا خصوصيات حياته فسيسلب لذة الحرية في العمل ويصبح في جو من المشقة والأذى وانعدام الامن .

سيؤو الظن الفضوليون الذين يدققون في حياة الناس الخاصة ليسوا في نظر نبي الاسلام مسلمين حقيقيين ومؤمنين واقعيين . .

ينقل الإمام الصادق عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله : يا معشر من اسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تدموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته (٢٦) .

في هذا الحديث اعتبر تتبع عيوب المسلمين دليلاً على عدم صفاء الايمان القلبي وخلوصه من الشوائب ولعله اشارة إلى ان هذه الخصلة السيئة من آثار الكفر بالله ويوم الجزاء لأن الشخص اذا كان يعتقد أن الله تعالى في كل حال حاضر وناظر وكان ايضاً يعتقد بيوم الجزاء لما تجرأ على هذا العمل القبيح .
والمراد من تتبع الله عيبه أنه سبحانه يظهر عيبه للناس .

اقرب ما يكون العبد الى الكفر :

قال الصادقان عليهما السلام : أقرب ما يكون العبد الى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدين فيحصى عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما (٢٧) .

في هذا الحديث - كما ترى - اعتبر حفظ زلات المسلم ودون اظهارها والاخبار بها ذنباً قليلاً ، ويكفي في خطورة هذا الذنب أن مرتكبه أقرب ما يكون

(٢٦) اصول الكافي / ٢ / من طلب عورات المؤمنين وعثراتهم .

(٢٧) المصدر السابق .

الى الكفر . . وفي بعض الروايات الأخرى أن هذه الحالة هي ابعد حالات
الانسان عن الله تعالى .

٣- الغيبة والفضيحة نتيجتان :

وأيضاً فإن سيء الظن بالناس والفضولي المراقب لأوضاع الناس الداخلية
لا يمكنه عادة أن يمنع نفسه من افشاء اسرارهم فيفضيها ويغتابهم ويهتك
حرماتهم ويفضحهم . . واهمية حيثة المؤمن وكرامته وماء وجهه عند الله تعالى
كأهمية روحه ودمه . . وهي تتعرض للسحق والهتك من جراء اشاعة سره
للآخرين . . . ومن لوازم الايمان بالله أن يمتنع الانسان من اسقاط شخصية
اخوته في الدين وإراقة ماء وجوههم وفضحهم عبر التتبع لعثراتهم^(٢٨) .

٤ - سوء الظن يفسد العبادة :

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : اياك أن تسيء الظن فإن سوء الظن
يفسد العبادة ويعظم الوزر^(٢٩) .

إن كون سوء الظن بالله يفسد العبادة ويعظم الوزر واضح من خلال ما
تقدم . . أما سوء الظن بالناس فلأنه متحد مع العجب بالنفس أي أن من اساء
الظن فهو قهراً وحتماً معجب بنفسه . . فإذا ادى عبادة في مثل هذه الحال فلأنها
عبادة حال العجب فهي باطلة بالتفصيل الذي مر في بحث العجب ثم إنه في
حال العجب بنفسه يستصغر حتماً ذنبه وقد ذكر في كتاب الذنوب الكبيرة أن كل
ذنب يستخف به صاحبه يصبح كبيرة من الكبائر^(٣٠) .

(٢٨) لأن المؤمن من أمن الناس غوائله وبوائقه .

(٢٩) غرر الحكم للأمدى .

(٣٠) إن لي شيخاً جليلاً مرشداً نصحني نصيحتين لم أوفق للعمل بهما احدهما لا تحسن
الظن بنفسك والثانية لا تسيء الظن بالناس . (مضمون بيتين لسعدي) .

٥ - سوء ظن الانسان ينسبه عيه :

من يصبح سوء الظن بالخلق طبعاً له فإنه لا يرى ابداً عيوبه ونقائصه .
حتى يكون بصدد علاجها وتزداد عيوبه في كل يوم حتى تهلكه . . .
يقول أمير المؤمنين عليه السلام : سوء الظن يردي صاحبه وينجي مجانبه
ويقول أيضاً : اشتغالك بمعايب نفسك يكفيك العار^(٣١) .
إن العيوب اليقينية موجودة فيه وهو لا يراها ويرى عيوب الآخرين المظنونة
والموهومة ويسيء الظن بهم وهذا عار كبير له . . وإذا اشتغل بعيوب نفسه
فسينصرف قهراً عن الاشتغال بعيوب الآخرين وهكذا ينجو من العار .
وقال عليه السلام أيضاً : تتبع العورات من اعظم السوءات^(٣٢) .
وقال ايضاً : تتبع العيوب من اقبح العيب وشر السيئات^(٣٣) .
وقال عليه السلام : اكبر العيوب أن تعيب ما فيك مثله^(٣٤) .
وقال عليه صلوات الله وسلامه : الذين يتتبعون عيوب الآخرين ويتحدثون
بها ولا يذكرون محاسنهم كالذباب يبحث عن الاماكن الفاسدة والقذرة في بدن
الانسان ولا شغل له بالاماكن السليمة منه^(٣٥) .
« رؤية عيوب الخلق دوماً ليست مروءة ولا رجولة » .
« انظر الى ذاتك ففبك كل المعاصي » .
« طريق طالبي الآخرة الكرم والفضل والاحسان » .

(٣١) غرر الحكم للآمدي .

(٣٢) ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ غرر الحكم للآمدي والنص الرابع بالمضمون .

« فماذا لك من علائم الرجولة غير القبة » .

« حاسب نفسك لا تحاسب الخلق يا سعدي » .

« فالبضاعة التي تحملها الى القيامة هي عمل الفساد » (٣٦) .

المؤمن سيء الظن بنفسه :

قال امير المؤمنين عليه السلام : « واعلموا عباد الله أن المؤمن لا يسمي ولا يصبح إلا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها الى أن يقول : يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » (٣٧) .

« ارفع بصرك عن عيب الآخرين وانظر في نفسك وأصلح عيبتها » (٣٨) .

٦ - سيء الظن في عذاب دائم :

حيث أن سيئي الظن لا يستطيعون أن يتصوروا أن اعمال الآخرين خالية من الاغراض والتلوث فإنهم يعيشون دائماً في عذاب روحي وألم نفسي ، يعانون من نيران خيالاتهم وظنونهم المضطربة وسوء الظن لا يترك اثره على روح الانسان فقط بل إنه بسبب الارتباط بين الروح والجسد فإن الجسد أيضاً لا يبقى سليماً ويؤثر سوء الظن على الجهاز العصبي (سمياتيك) والغدد الداخلية وكثيراً ما يكون سبباً للاختلالات العملية بل العضوية .

وإن قيل إن سيء الظن محروم من السعادة في الحياة الدنيوية والأخروية فهو كلام صحيح ومطابق للواقع «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين» .

(٣٦) مضمون أبيات لسعدي .

(٣٧) نهج البلاغة خ ١٧٦

(٣٨) مضمون بيت .

٧ - غربة سيء الظن :

من كان سيء الظن بالآخرين ويعتبرهم خونة لا يستقيمون في الصداقة ولا يخلصون يضطر الى قطع كل علاقاته بهم .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : من غلب عليه سوء الظن لم يترك بينه وبين خليله صلحاً^(٣٩) .

ثم انه نتيجة خوفه من شر الآخرين وضررهم يصبح ميالاً الى الفرار من الناس ولا يأنس بأحد .

يقول عليه السلام : من لم يحسن ظنه استوحش من كل أحد^(٤٠) .

ولذلك فإنه سيحرم من كل الخيرات والبركات التي تترتب على تآلف المسلمين وقربهم من بعضهم .

٨ - سوء الظن مرض مسر :

كما أن بعض الأمراض مسرية بحيث اذا جاور الصحيح المريض مرض ، فسوء الظن كذلك ، إنه نوع مرض نفسي مسر ، يجعل المجاور يسيء الظن ويصل الأمر به الى أن يصبح ذلك طبعاً له .

يقول امير المؤمنين عليه السلام : « إياك ومعاشرة متبعي عيوب الناس فإنه لم يسلم مصاحبهم منهم »^(٤١) أي إن مصاحبهم سيبتلى مثلهم بسوء الظن وتتبع عثرات الآخرين وعيوبهم ، ولعل المراد أن مصاحبهم سيبتلى ايضاً بسوء ظنهم به ، ولن يسلم من شرهم .

(٣٩) غرر الحكم للآمدي .

(٤٠ و ٤١) غرر الحكم للآمدي .

سوء الظن سبب للخيانة :

سوء الظن غير المبرر بالزوجة أو الخادم أو الأجير والعامل سبب في حملهم على الخيانة لأن كثرة الأمور التي يثيرها الزوج كبير البيت أو صاحب العمل تذكرهم بالخيانة وتلقي في قلوبهم التفكير بها يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

إياك والتفاير في غير موضع غيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب^(٤٢) .

ولعل المراد من السقم هو ذكر التعب والعذاب الناشئ عن التعصب والغيرة في غير (محلها) ، أو المرض الحاصل من الأذى والغصة أو المرض الروحي والهلاك الأخروي الذي يترتب على مثل هذا التعصب حيث لا ينبغي .

والخلاصة : إن واجب كل عاقل قبل كل شيء أن يختبر زوجته وخادمه وشريكه وبشكل عام كل شخص يريد أن يجعله محل اسراره لأن « الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار من قصور العقل »^(٤٣) .

فإذا علم صلاحه فينبغي أن لا يسيء الظن به أي اذا رأى او سمع ما يحتمل فيه الحسن والسوء فلا يحمل ذلك على الأسوأ ولا يتصدى للبحث والفحص والعقاب .

علاج سوء الظن :

يجب العلم أن سوء الظن أحد آثار نقص العقل وضالته ، كما أن من آثار

(٤٢) نهج البلاغة / مكتوب / ٣٤ .

(٤٣) النص لمولى المتقين عليه السلام / - غرر الحكم .

كمال العقل ورشده عدم الاعتناء بكل ظن وخيال . . وما لم يصبح الأمر يقينياً لا يحتمل فيه الخطأ أبداً فلا يعتقد به ولا يتبعه ورشد العقل مرتبط بكسب الانسان (وسعيه الى ذلك) أي اذا بنى انسان أمره على اتباع أي ظن فسيبقى عقله كما كان في طفولته صغيراً ولا يكاد يُذكر . . . ومثل هذا الانسان سيكون محروماً من كل خير وسعادة ، مبتلى بكل شر ، لأن من يرى عيب غيره ونقصه فقط فهو لا يرى نقصه ليحاول التخلص منه ويصل الى شيء من مقومات الكمال إنه لا يرى في نفسه عيباً وشرّاً ليحاول اصلاحها . . وهو باختصار لا يرى عيبه اليقيني ويرى عيوب الآخرين المشكوكة . . . ولذا فهو يرى نفسه فوق الآخرين . . ورؤية الشخص نفسه مبرأً من العيوب دليل صغر عقله وشقائه وحرمانه من سعادة الدنيا والآخرة .

لا تحدثن نفسك أنك فوق أحد من الناس :

قال الإمام الصادق عليه السلام : فإن اردت أن تقر عينك وتنازل خير الدنيا والآخرة فاقطع الطمع مما في ايدي الناس ، وعد نفسك في الموتى ولا تحدثن نفسك انك فوق احد من الناس .

واحزن لسانك كما تحزن مالك^(٤٤) .

« روي أن عابداً من بني اسرائيل كان يأوي الى جبل فقيل له في النوم : إيت فلاناً الاسكافي فاسأله ان يدعوك فاتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول : إن هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فأتي في المنام ثانياً وقيل له :

إيت الاسكافي وقل له : ما هذا الصفاء بوجهك فاتاه فسأله فقال له : ما

(٤٤) معالم العبر نقلاً عن الخصال .

رأيت احداً من الناس إلا وقع لي (خطر بيالي) أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد : هذه «(٤٥)» .

الحمل على الصحة ما أمكن :

لا ينبغي للانسان العاقل اذا رأى - أو سمع - عملاً منافياً من شخص أن يعتبره فوراً شخصاً سيئاً فيكون بذلك كالطفل الذي يصدق كل ما يواجهه . . بل ينبغي أن يبحث عن الاحتمالات العقلية الممكنة يقول مثلاً : لعلني مخطيء في اعتباري هذا العمل منافياً وغير صحيح ، لعل ذلك الشخص قام به سهواً أو جهلاً بالحكم أو الموضوع ومن هنا فإن الانسان اذا رأى من مسلم منكراً فلا يمكنه فوراً أن ينهيه ويزجره لأنه قد يكون فعله عن جهل وعدم اطلاع على حكم الله والنهي في هذه الحال لا يجوز بل يجب إرشاده وتعليمه .

مثلاً يرى شخصاً يبول تجاه القبلة ويحتمل أنه لا يعرف القبلة أو أنه لم يعرف هذا الحكم فيجب إرشاده الى الحكم أو الموضوع لا نهيه وزجره والاعتقاد بسوئه . ولو فرض أن من فعل المنافي يعرف كونه منافياً فلعله سيتوب منه أو يأتي بعمل حسن يعوض قبح ما فعله ولعل خاتمته السعادة . . هكذا ينبغي أن يبحث العاقل في الاحتمالات العقلية ليمنع نفسه من اساءة الظن بالآخرين .

ثم إن هذا الشخص الذي يبدو سيئاً لعله واقعاً ولي من أولياء الله وسوء الظن به واهائه بمثابة اعلان الحرب على الله كما تقدم في الابحاث السابقة ، ولا ثبات هذا يكتفى برواية واحدة .

الإمام الكاظم وشقيق البلخي :

في كشف الغمة عن شقيق البلخي قال : خرجت حاجاً سنة تسع واربعين ومائة فنزلنا القادسية فبينما أنا أنظر الى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت الى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف فوق ثيابه ثوب من صوف ، مشتمل بشملة ، في رجليه نعلان ، وقد جلس منفرداً ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية ، يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم ، والله لأمضين إليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رأيته مقبلاً قال : يا شقيق ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم﴾ ثم تركني ومضى فقلت في نفسي : إن هذا الأمر عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي وما هذا إلا عبد صالح للحق ولا سأله أن يحالني (يسامحني) فأسرعت في اثره فلم الحقه وغاب عن عيني .

فلما نزلنا واقصة واذا به يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري ، فقلت هذا صاحبي أمضي إليه فاستحله فصبرت حتى جلس واقبلت نحوه فلما رأيته مقبلاً قال : يا شقيق اتل ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ ثم تركني ومضى فقلت : إن هذا الفتى لمن الابدال لقد تكلم على سري مرتين .

فلما نزلنا زباله اذا بالفتى قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماءً فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا انظر إليه ، فرأيت قد رمق السماء وسمعته يقول :

« أنت ربِّي إذا ظممت إلى الماء وقوتي إذا أردت الطعاما » .

اللهم سيدي مالي غيرها فلا تعدمنيها ، قال شقيق فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده واخذ الركوة وملؤها ماء ، فتوضأ وصلى أربع ركعات ، ثم مال الى كتيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب

فأقبلت عليه وسلمت عليه فرد سلي السلام فقلت : اطعمني من فضل ما انعم الله عليك فقال : يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت قط الذ ولا أطيب ريحاً ، فشبت ورويت وبقيت أياماً لا اشتهي طعاماً ولا شرباً ثم إني لم أره حتى دخلنا مكة فرأيت ليلة جنب قبة الشراب في نفس الليلة قائماً يصلي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل ، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت اسبوعاً (سبعة اشواط) فخرج فتبعته وإذا له حاشية وموالٍ وهو على خلاف ما رأيت في الطريق ، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه ، فقلت لبعض من رأيت يقرب منه : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد^(٤٦) .

تدريباً ، يصبح حسن الظن عادة :

علاج العجب هو : أن يدقق القارئ في ما ذكر في هذا البحث ويتذكره وإذا وردت على قلبه خاطرة سوء ظن بمؤمن فليحمله فوراً على الصحة ويجعل حسن الظن به يستقر في قلبه ويحسن تعامله مع ذلك المؤمن ومهما تكن هذه الروية والطريقة صعبة على النفس في البداية فبعد المداومة عليها لمدة يصبح حسن الظن طبعاً له وخصلة من خصاله . . بحيث لا تعود تخطر في قلبه خاطرة سيئة لأن الخاطرة السيئة من الشيطان - كما تقدم - وهو يريد أن يوقع الانسان في المعصية وعندما يرى انه يفعل العكس أي يحسن الظن ويحسن سلوكه ويحصل بسبب ذلك على الثواب اكثر فإنه لن يلقي في خاطره الخواطر السيئة بعد ذلك .

(٤٦) كشف الغمة / ٣/ ٣ - ٤ - ٥ ودلائل الامامة للطبري / ١٥٥ وصحيفة الابرار ٢/ ٢١٣ .

وحقاً اذا اصبح حسن الظن عادة للشخص فعندها يتذوق طعم لذة السعادة الدنيوية والأخروية ويتخلص من الآلام والأحزان النفسية المدمرة .

لا تساعد الآخرين في سوء الظن :

في ختام بحث سوء الظن يتم التذكير بأمرين مهمين :

١ - حيث أن أكثر الناس بسبب ضعف الايمان واتباع النفس والشيطان لا يتركون سوء الظن ويبتلون بهذا الذنب الكبير فإن واجب كل متدين أن لا تكون اقواله وافعاله بطريقة تسبب سوء الظن والتهمة والافتراء أي يتصرف بحيث لا يعرض الناس للابتلاء بهذا الذنب ولا يساعدهم ويعينهم عليه ﴿ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾ المائدة ٢ .

ومساعدة الناس على سوء الظن حرام في حالتين :

احدهما أن يقصد أن يسيء الناس الظن به فيعمل عملاً صالحاً ظاهره سيء وصحته غير واضحة ، وهذا - بالاضافة الى أنه مساعدة على اساءة ظن الناس به لا شك في حرمة لانه اهانة للنفس وارقة لماء الوجه .

وثانيهما أن لا يعتمد أن يسيء الناس الظن به إلا أنه يعلم علم اليقين أنه اذا فعل هذا الفعل فإن الناس سيئون الظن به حتماً ، هنا يعتبر هذا الفعل حراماً لأنه مساعدة على اساءة الناس الظن به .

أما الاعمال التي ليست سبباً يقينياً لاساءة الناس الظن ، ولا تؤدي بهذا القصد فرغم انها ليست حراماً إلا أن الاحوط تركها .

ثم إن الشخص المتدين يجب أن يرحم عباد الله ويعتبرهم أخوته في الدين وكما أنه لا يرضى لنفسه أن تتلوث بالذنوب ويذل كل جهده كي يبقى مصوناً منه . . فيجب أن يكون بالنسبة للآخرين كذلك وللارشاد الى هذه

الحقيقة قال رسول الله صلى الله عليه وآله « اتقوا مواقع التهم » (٤٧) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء الظن به (٤٨) .

مثال من سيرة المصطفى (ص) :

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتكفاً في المسجد فذهبت زوجته صفية لزيارته ، ولدى رجوعها مشى معها رسول الله (صلى الله عليه وآله) قليلاً « فمر به رجل من الانصار فدعاه رسول الله وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله : أفنظن بك إلا خيراً قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فخشيت أن يدخل عليك » (٤٩) .

إن الشخص العاقل المتدين لا يصح أن يطمئن الى تصور أن كل الناس يحسنون الظن به ويحملون كل اعماله على الأحسن . . . ولا يجتنب - لذلك - مواطن التهم .. وعندما يكون رسول الله صلى الله عليه وآله يجتنب مواطن التهم فإن تكليف الآخرين يصبح واضحاً .

لا استثناء في حرمة سوء الظن :

٢ - حكم حرمة سوء الظن بالتفصيل الذي مر عام . . أي أن سوء الظن بكل مسلم في كل حين وزمان حرام ولا استثناء فيه ، اما التجسس اي البحث عن امور الآخرين السرية وخصوصياتهم وعيوبهم فهو أيضاً حرام إلا عند الضرورة وبالمقدار اللازم .

مثلاً : يريد شخص أن يوقع معاملة مع شخص آخر فإذا بحث حوله قبل إيقاعها ليطمئن إليه فهذا حلال خصوصاً إذا وقع ذلك في زمان ترك أكثر الناس

فيه طريق الصلاح والتقوى ومالوا الى الفساد بحيث أنه إذا أوقع المعاملة بدون تأكد وتثبت فإنه يحتمل احتمالاً قوياً أن يتلى بخسارة وضرر بل في مثل هذه الحالة لا ينبغي ترك البحث والتأكد .
وفي بعض الموارد يكون ذلك واجباً^(٥٠) مثلاً يريد الشخص اختيار زوجة فينبغي أن يعرف دينها وأخلاقها ليتمكن العيش معها . . أو يريد مشاركة شخص فيريد ان يعرف دينه وتقواه ليتمكن ذلك .

والخلاصة : إن سوء الظن بأي مسلم في كل زمان حرام ولكن حسن الظن في المعاملات والتعامل بدون فحص وتثبت مكروه خصوصاً في زمن غلبة الفساد على اكثر الناس^(٥١) .

وفي الموارد التي يكون فيها الاقدام على التعامل فيها مع ترك الفحص خطراً عند العقلاء ويعرض صاحبه للضرر فإن الفحص لازم ولا يجوز تركه .

وهكذا يعلم جيداً أن عدم اساءة الظن بالمسلم لا ينافي الفحص عن حاله اثناء المعاملة ، ولمزيد من الايضاح تذكر عدة روايات :

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

إذا استولى الصلاح على الزمان واهله ثم اساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم وإذا استولى الفساد على الزمان واهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر^(٥٢) أي لا ينبغي التعامل بحسن الظن عندما يغلب الفساد ، ولا

(٥٠) في الأصل « جائزاً » والظاهر انه سهو .

(٥١) وليس هذا استثناء لحكم حرمة سوء الظن فإن من يريد ايقاع معاملة مع شخص لا يحق له أن يسيء الظن به وإذا سأل عنه ولم يسمع ما يشجعه على التعامل معه أو سمع تحذيراً قدحاً . . فعليه أن لا يسيء الظن به أيضاً . . بل يجتنب المعاملة ويقول : لعل ما سمعته ليس صحيحاً . (المترجم) .

(٥٢) ميزان الحكمة / ٥ / ٦٢٨

ينبغي ترك الفحص بالمقدار الذي يرى العقل لزومه . . وليس المراد انه اذا غلب الفساد فإن سوء الظن يصبح مبرراً لأن سوء الظن بمسلم في زمان غلبة الصلاح وزمان غلبة الفساد هو بشكل عام حرام .

بعبارة اخرى : في حين أن الإسلام حرم سوء الظن بشكل عام وكلي وأمر بحسن الظن فإنه لا يكتفي في المعاملات بحسن الظن فقط خصوصاً في زمان غلبة الفساد . . بل إنه يأمر في كثير من المعاملات بالفحص والتوثيق بالكتابة والشهود .

صدق المؤمنين :

يقول حماد بن سنان كان لي مال وأردت أن أبعث به الى اليمن في تجارة ، فذهبت الى الإمام الجواد عليه السلام واستشرته وقلت اريد أن ادفع مالي الى فلان فقال عليه السلام : أما علمت أنه يشرب الخمر قلت :

بلغني ذلك فقال عليه السلام : صدق المؤمنين فإن الله تعالى يقول في وصف رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) .

وخلاصة كلام الإمام الجواد عليه السلام : إن الشخص الذي شهدت طائفة من المؤمنين بأنه يشرب الخمر لا يصح عدم الاعتناء بشهادتهم واعطاؤه مالك اعتماداً على حسن الظن فإن هذا الاعتماد والتصرف ليسا عقلانيين .

اسماعيل وشارب الخمر القرشي :

«كانت لاسماعيل بن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام ، دنابر واراد رجل من قریش أن يخرج الى اليمن فقال اسماعيل يا أبة إن فلاناً يريد الخروج الى اليمن وعندي كذا وكذا دينار ، أفترى أن ادفعها إليه يبتاع لي بها بضاعة من

(٥٣) النص بالمضمون والآية : التوبة ٦١ .

اليمن فقال ابو عبد الله عليه السلام : يا بني اما بلغك أنه يشرب الخمر فقال اسماعيل هكذا يقول الناس فقال يا بني لا تفعل ، فعصى اسماعيل اياه ودفع إليه دنانيه فاستهلكها ولم يأت به شيء منها وحج أبو عبد الله عليه السلام وحج اسماعيل تلك السنة فجعل يطوف بالبيت ويقول : الله اجرني على فلان واخلف علي فلحقه ابو عبد الله عليه السلام فهمزه بيده من خلفه وقال له : يا بني فلا والله مالك على الله هذا ولا لك أن يأجرك ولا يخلف عليك وقد بلغك أنه يشرب الخمر فائتمته فقال اسماعيل : يا أبة إنني لم أره يشرب الخمر انما سمعت الناس يقولون فقال إن الله عز وجل يقول في كتابه ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ التوبة ٦١ ، يقول يصدق الله ويصدق للمؤمنين فإذا شهد عندك المؤمنون فصدقهم ولا تأتمن شارب الخمر إن الله عز وجل يقول في كتابه ﴿ولا تؤتوا السفهاء اموالكم﴾ النساء ٥ ، فأبي سفيه أسفه من شارب الخمر إن شارب الخمر لا يزوج اذا خطب ولا يشفع إذا شفع ولا يؤتمن على امانة فمن ائتمنه على امانة فاستهلكها لم يكن للذي ائتمنه على الله أن يأجره ولا يخلف عليه «(٥٤) .

والروايات في هذا المجال كثيرة وفي ما ذكر كفاية .

(٥٤) وسائل الشيعة ١٣/ ٢٣٠ .

٨ . الحقد

من الذنوب القلبية والانحرافات النفسية ، الحقد ، اي عندما يرى انسان من آخر عملاً غير ملائم أو يسمع به ويغضب ويعجز عن الحيلولة دون ذلك العمل أو تلافيه والقيام بما يعوض له عنه ولا يمكنه أن يسكن غضبه ويرد قلبه فإنه يفسح في قلبه مكاناً لضرام وعداء لهذا الشخص وهو ما يسمى بالعربية الحقد والبغض . . وهو يوجب الشقاء والحرمان من السعادة الدنيوية والأخروية لكل قلب يحل فيه بالتفصيل الآتي .

وبناءً عليه فإن معرفة خطورة هذا الذنب واضراره واسبابه وعلاجه ضرورة لطالب السعادة ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ الحشر ١٠ .

يقول في مجمع البيان : لا شك في أن كل من يعادي مؤمناً وينوي الاساءة إليه لايمانه فهو كافر أما إذا كان ذلك لهدف آخر - غير ايمانه - فهو فاسق .

البغض الحرام :

١ - بغض الله . . كالكافر الذي لا يعرف إلا المادة والصورة واسباب عالم

الطبيعة وكل تعلق قلبه ووجهه متوجه الى تلك الاسباب الظاهرية التي عرفها واعتبرها مؤثرة مؤمنة للاحتياجات . . . واذا قيل له :

انت مقيم في الجهل والخطأ ويجب أن تعلم انك وجميع ما عرفت وعلمت كلكم مخلوقات الله ومقهورون له ومحتاجون إليه ورجوعكم جميعاً الى الله . . فإن ذلك الشقي بدل أن ينتبه ويدرك الحقيقة ويقطع علائق قلبه عن كل شيء . . . ويتوجه الى العلاقة بالله تعالى ووجهه ، يفسح مجالاً في قلبه لبغض الله وعداوته بحيث أنه اذا سمع اسم الله وحده يشمئز وينفر ويستاء وهذا البغض أشد مراتب الكفر وعذابه في النار اشد من كل ما عداه ولا نجاة لصاحبه :

﴿واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾ الزمر ٤٥ .

﴿ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجمدون﴾ فصلت ٢٨ .

٢ - بغض القضاء الإلهي :

والمراد به أولاً : بغض القضاء التكليفي اي الاحكام التي اخبر الله بها في القرآن المحيد وبواسطة الرسول الأكرم بحيث يغضب من كل حكم لا يوافق هواه ويتنكر له . . كأن تكون بينه وبين شخص خصومة على مال فيتلى عليه حكم الله ويقال له بناء على حكم الله فدعواك باطلة . . وليس لك حق . . . فيسخط هذا الجاهل على حكم الله ويسخط في قلبه على ربه .

وثانياً : بغض القضاء التكويني كالعزة والذلة ، الثراء والفقر ، الموت والحياة ، المرض والسلامة والحوادث العامة كالبرودة والحرارة ، الجذب وسائر الابتلاءات العامة فإذا غضب الانسان بسبب القضاء الإلهي المخالف لرغبته

وهواه واحلّ في قلبه السخط والاعتراض فحالة البغض هذه حرام وذنب كبير والتوبة منه واجب فوري .

مثلاً يبغض الانسان شخصاً . . وكلما رأى أن الله اعطاه ثروة ومكنة وعزة فإنه يغضب في قلبه من هذا القضاء الإلهي ، أو شخص لدغته عقرب وعانى من ألم اللدغة وعذابها . . فيغضب في قلبه من الله تعالى لماذا خلق العقرب حتى لدغته . . أو شخص يضيق صدره من الفقر أو لموت اقاربه فيعترض في قلبه على هذا القضاء الإلهي وموارد الغضب على قضاء الله كثيرة . . وبشكل عام البغض التكليفي أو التكويني (للقضاء الإلهي) حرام واثم كبير بل بعض مراتبه في حد الكفر بالله وقد اشير الى هذا الأمر في القرآن المجيد كثيراً ويذكر هنا بعض ذلك .

لا يؤمنون حتى يحكموك :

١ - ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ النساء ٦٥ .

وخلاصة الآية الشريفة أن الايمان إنما يكون صحيحا اذا سلم الانسان في مقابل الله سواء كان تشريعياً أو تكوينياً ، ولم يعرف قلبه أي اعتراض وتشكيك اما اذا خالف حكم الله ورسوله واعترض وشكك في قلبه فهذه الحالة من اقسام الشرك بالله كما قال الإمام الصادق عليه السلام :

« لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا صنع خلاف الذي صنع أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الآية ﴿فلا وربك﴾ . . . ثم قال ابو عبد الله عليه

السلام : فعليكم بالتسليم»^(١) .

والتأمل الدقيق في معنى الايمان يوضح أن حالة الاعتراض ضد الايمان أي انها كفر بالله لأن الايمان تسليم وانقياد وتذلك مع محبة وحالة الاعتراض على الحكم التشريعي أو التكويني الإلهيين طغيان وتمرد وتقابل وبغض .

٢ - ﴿والذين كفروا فتعساً لهم وأضل اعمالهم﴾ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله (أي القرآن والاحكام الشرعية) فأحبط اعمالهم ﴿ محمد ٨ - ٩ .

٣ - ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليظن هل يُذهبن كيده ما يغيظ﴾ الحج ١٥ .

العلاج ، حسن الظن بالله :

على الانسان أن يعلم أن غضبه وبغضه للقضاء الإلهي غلط وعبث ولا نتيجة له إلا ضرره في الدنيا والآخرة لأنه عاجز ولا يستطيع أن يفعل شيئاً وإذا انتحر فإنه لا يكون قد داوى وجعه ولا اخمد نار غيظه . . ويجب عليه بحكم العقل أن يصبر ويتنظر الفرج ونصر الله كما وعد سبحانه ﴿إن مع العسر يسراً﴾ ولا يتغير قلبه على الله بحال من الأحوال . . وليعلم ان الانقطاع عن الله هلاك الدنيا والآخرة .

مثلاً : شخص يصبح فقيراً ويمتلىء قلبه غيظاً وحنقاً لينظر هل لغيظه هذا نتيجة غير الضرر الدنيوي (كمرض الجسد والأضرار الأخرى التي يأتي ذكرها) والضرر الأخرى أي الحرمان من اجر الصابرين بل العذاب بمرتبة عذاب اعداء الله . . هل هناك نتيجة غير ذلك . . او شخص مات عزيز يحبه من أقاربه ،

(١) تفسير نور الثقلين ٥١١/١ .

فيغضب بعد موته هل يستفيد من غضبه وغيظه شيئاً غير الضرر الدنيوي والأخروي .

الخلاصة إن هذا البغض والغيظ حرام وذنب كبير والتوبة منه واجب فوري وإذا رافق هذه الحالة القلبية صراخ أي صوت خارج عن الحد المتعارف ، أو لطم على الرأس والوجه أو نتف شعر أو مزق ثوبه وخمش وجهه فقد ارتكب فاعل ذلك محرمات أخرى وشرح ذلك وبيان خصوصياته المذكور في الكتب الفقهية^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن البكاء والنحيب على الميت إذا لم يتجاوز الحد المتعارف فهو جائز ومستحب .

(٢) لمعرفة الروايات التي تتضمن هذه الأحكام يراجع وسائل الشيعة ابواب الدفن باب ٧٥ و ٨٠ و ٨٤ وهذه بعض الأحكام في هذا المجال :

قال الإمام الخميني رضوان الله عليه :

مسألة ٢ - يجوز البكاء على الميت ، بل قد يستحب عند اشتداد الحزن ولكن لا يقول ما يسخط الرب وكذا يجوز النوح عليه بالنظم والنثر إذا لم يشتمل ذلك على الباطل من الكذب وغيره من المحرمات بل والويل والشور على الأحوط ولا يجوز اللطم والخدش وجز الشعر ونتفه والصراخ الخارج عن حد الاعتدال على الأحوط ولا يجوز شق الثوب على غير الأب والأخ بل في بعض الأمور المذكورة تجب الكفارة .

١ - ففي جز المرأة شعرها في المصيبة كفارة شهر رمضان .

٢ - وفي نتفه كفارة اليمين .

٣ - وكذا تجب كفارة اليمين في خدش المرأة وجهها إذا ادمته بل مطلقاً على الأحوط .

٤ - وفي شق الرجل ثوبه في موت زوجته أو ولده وهي اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة وإن يجد فصيام ثلاثة أيام .

تحرير الوسيلة ٩٣/١ (الدفن) .

٣ - بغض النبي والإمام والملائكة :

من كان في قلبه بغض لأحد الانبياء والأئمة فهو كافر خارج من دين الإسلام ومن كان في قلبه بغض لأحد الملائكة فقد ترك ما يجب الايمان به لأن الايمان بالملائكة واجب بنص القرآن^(٣) كاليهود الذين كانوا يقولون لرسول الله

(٣) ﴿كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ﴾ البقرة ٢٨٥ .

واعلم أن الله تعالى أربعة ملائكة كباراً يتم تدبير أمور الناس وشؤون عالم الوجود بواسطتهم بإذن الله .

أحدهم اسرافيل ومهمته نفخ الروح في الجسد أي المادة التي يخلق منها الانسان وكل ذى روح . . . عندما تصبح جاهزة لذلك أي تنتقل من كونها نطفة فمضغة وتظهر أعضاؤها وأجزاؤها يأخذ اسرافيل روحاً من امر الله وينفخها فيها . . . كما يتولى اسرافيل نفخة الامانة الكلية العامة ونفخة الاحياء الكلي العام في يوم القيامة .

والثاني ميكائيل ومهمته تحصيل مواد الارزاق وتكميل صورها أي أن ميكائيل واعوانه بإذن الله يثيرون البخار من البحر وينشرون السحاب على الهواء فيوصلون منه المطر الى الأرض ويتولون رعاية البذرة في الأرض والثمرة على الشجرة .

الثالث جبرئيل وهو الذي ينقل الوحي الى الانبياء ويعلمهم ما فيه سعادة القلب وسعادة الناس في الدنيا والآخرة وكما أن ميكائيل وسيلة حياة الجسم فإن جبرائيل وسيلة حياة القلب وبعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لم ينزل جبرئيل الى الأرض بهدف إيصال الوحي والملائكة الذين يلقون في قلوب اتباع المصطفى صلى الله عليه وآله ما يلقون ويلهمونهم إياه ، هم من اعوان هذا الملك المعظم وانصاره .

الرابع عزرائيل ومهمته فصل الأرواح عن الاجساد وتحرير النفوس من سجن البدن ولأن هذا العمل اكبر خدمة للانسان واكبر نعمة عليه فمن الواجب تعظيم هذا الملك المعظم

وبعبارة ثانية رغم أن الموت محزن للانسان بلحاظ طبيعته وعلاقته المادية والحيوانية إلا أنه يجب أن يدرك بنور العقل وقوة الايمان أن الموت هو الوسيلة الوحيدة لنجاته من الآلام والأفات والمنغصات التي لا تحصى وهو ايضاً الطريق الوحيد للوصول الى القرب =

صلى الله عليه وآله حيث أن الذي يأتيك بالوحي هو جبرئيل . . . وحيث أننا أعداء لجبرئيل فنحن لا نؤمن بك .

وكعداء بعض العوام لعزرائيل ملك الموت رغم أن ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ البقرة ٩٨ .

وفي الروايات المتواترة تصريح بأن أعداء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله أسوأ الكافرين^(٤) .

٤ - بغض المؤمن لآيمانه :

من أبغض مؤمناً لآيمانه أي لأنه يعتقد بالله والرسول والآخرة ويهتم بعبادة الله . . . وبلغ في بغضه حداً بحيث يحب أذاه ومساءته وهلاكه . . . فهذا البغض من أشد مراتب الكفر لأنه بالإضافة الى كونه انكاراً للحق عناداً للحق وعداء له ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلاً ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ آل عمران ١١٨ .

= الإلهي ومجاورة الأبرار والاختيار وثواب الرحيم الغفار فلذا يجب أن يفسح في قلبه مكاناً لحب عزرائيل وتعظيمه حتى يستقبله عند اللقاء به مبتهجاً وينقاد له . . . أما إذا أحلّ في قلبه - لا سمح الله العداوة واستقبله بالكفر فإنه : ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ الفرقان ٢٢ .

وهناك فريق من الحمقى والعابثين إذا كرهوا لقاء أحد شبهوه بعزرائيل وكفروا بهذه الواقعة وسوء الأدب بمن يجب عليهم الإيمان به والواقع أن أكثر الناس مقصرون في معرفة الملائكة وتعظيمهم .

راجع حول الملائكة : البحار ج ٥/٣١٠ و ٦/١٧٣ و ٢٤/٢٥٤ و ٣٣٨ و ٢٦/٣٥٦ و ١٤٤/٥٩ وحق اليقين ١/١٥٩ .

(٤) للاطلاع راجع البحار الأجزاء ٢٣ إلى ٢٧ وخصوصاً ج ٢٣ و ٢٧/٢١٨ - ٢٣٩ .

﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾ آل عمران ١١٩ .

﴿إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتنتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط﴾ آل عمران ١٢٠ .

٥ - بغض المؤمن لمعصيته :

من رأى مؤمناً ارتكب معصية لا يجوز له أن يتخذها عدواً بحيث يفرح لمساءته وأذاه ومحنته لأن المؤمن الذي يعصي لا تكون معصيته لطفانيه وعنايه وتمرده على امر الله بل تكون ناتجة عن الغفلة وغلبة النفس والشيطان . . وهو في النهاية سيندم ولأن أصل ايمانه محفوظ فيحرم جعل عداوته تستقر في القلب بل يجب عندما يراه ارتكب معصية أن يشفق عليه ويتحرق لأجله ويحمله على ترك ذلك والندم عليه . والأدلة على حرمة بغض المؤمن وإن كان عاصياً كثيرة يشار هنا الى بعضها :

في مكتوب الإمام الرضا عليه السلام : كن محبا لآل محمد وإن كنت فاسقاً ومحباً لمحبيهم وإن كانوا فاسقين^(٥) .

قال السيد الراوندي : هذا المكتوب من الإمام عليه السلام موجود الآن عند احد اهالي قرية « كرمند » من توابع اصفهان وكان الإمام الرضا عليه السلام استأجر جمالاً من رجلٍ حين كان متجهاً الى خراسان فطلب الرجل من الإمام عندما أراد الرجوع الى بلده أن يكتب له شيئاً بخطه المبارك ليتبرك به وكان من العامة فكتب له الإمام هذا الحديث ودفعه إليه^(٦) .

(٥) دعوات الراوندي .

(٦) دار السلام للمحدث النوري - والنص هنا بالمضمون .

قال أمير المؤمنين عليه السلام لميثم التمار : احبب حبيب آل محمد (ص) وإن كان فاسقاً ، وابغض مبغض آل محمد وإن كان صواماً قواماً^(٧) .

عمله قبيح وذاته جميلة :

قال زيد النرسي : قلت لابي الحسن موسى عليه السلام : الرجل من مواليكم يكون عارفاً يشرب الخمر ويرتكب الموبق من الذنب نتبراً منه فقال تبرؤا من فعله ولا تبرؤا منه أحبوه وابغضوا فعله .

(قلت : فهل يمكنني أن أقول عنه فاجر فاسق فقال :

الفاسق والفاجر من أنكرنا وعادى أوليائنا أما ولينا فرغم أنه عاصٍ إلا أنه ليس خبيث الذات فقل عنه : فاسق العمل مؤمن النفس ، خبيث الفعل طيب الروح والبدن^(٨) .

ولمعرفة لزوم محبة المؤمنين لبعضهم وحرمة بغض المؤمن يراجع كتاب الايمان والكفر من أصول الكافي .

ويجب العلم بأن الروايات الواردة في هذا المقام ليست مختصة بالمؤمن الذي لا يصدر منه ذنب ابداً وظاهرها عموم المؤمنين .

ما تقدم لا ينافي النهي عن المنكر :

وتسأل : روي في باب النهي عن المنكر عن أمير المؤمنين عليه السلام : « أمرنا رسول الله أن نلقى اهل المعاصي بوجوه مكفهرة » وبناءً عليه فبغض اهل

(٧) أمالي ابن الشيخ والبحار ٢٧ / ٢٢٠

(٨) ما بين القوسين بالمضمون .

المعصية من المؤمنين جائز بل واجب .

والجواب : المراد بأهل المعاصي الذين يستمرون في ارتكاب المعاصي ويصرون عليها . . لا المؤمن الذي يصدر منه ذنب ثم لا يعود إليه ويتوب منه .

ثم إن ذلك الذي يستمر على الذنب يجب أن يكون المؤمن بظاهره فقط مغضباً منه ويفهمه أن غضبه بسبب ذنبه ليركه . . لا أن يفسح مجالاً في قلبه لبغضه والحقده عليه .

ومع ذلك فإذا كان النظر إليه بغضب يجعله أكثر اصراراً على المعصية . . بينما إذا تمّ التعامل معه بلين ونصح فإن الأمل بتركه الذنب أكثر مما إذا تعاملنا معه بقسوة عندها يكون النظر إليه بغضب حراماً .

مداراة المخالفين :

يجب العلم ايضاً أن حرمة بغض المؤمن لا تختص بالشيعي الاثني عشري بل يشمل هذا الحكم كل الفرق الإسلامية غير النواصب أي الذين هم اعداء اهل البيت عليهم السلام^(٩) وبناءً عليه فلا يحق للشيعي أن يجعل بغض

(٩) قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ في هذه الآية يقرر الله سبحانه مبدأ الأخوة بين اهل الایمان ، وعليه ينبغي أن يكونوا جميعاً عوناً لبعضهم شركاء في الأفراح والأحزان . .

وإذا وقع نزاع بين طائفتين فيجب الإصلاح بينهما كما تم الأمر بذلك في هذه الآية نفسها .

والمراد بالمؤمنين هم الذين آمنوا بالله والرسول والقرآن والمعاد ولا ينكرون حكماً من احكام الإسلام الضرورية حتى اذا لم يعرفوا الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بسبب القصور واتبعوا غيرهم في الاحكام الفرعية وقد ورد التصريح في الروايات كثيراً بأن غير الشيعة من فرق المسلمين إن لم ينصبوا العداء لأهل البيت عليهم السلام ولم يقصروا في اصل الايمان بالله والرسول (صلى الله عليه وآله) والعمل الصالح فهم من الناجين ، والفرق بينهم وبين الشيعة إنما هو في الدرجات في الكافي بإسناده الصحيح عن الصادق =

مسلم من جميع الفرق يستقر في قلبه ويعاديه ويخاصمه وقد ورد في روايات كثيرة الأمر باللين مع المخالفين والانسجام معهم وحسن السلوك والاشتراك في جماعتهم (صلاة الجماعة) وعليه فإن الذين يغادرون المسجد الحرام أو مسجد النبي صلى الله عليه وآله أثناء انعقاد الجماعة ولا يصلون ، إنما هم يعملون خلاف التكليف .. ويجب عليهم الإلتحاق بالجماعة والاقتراء وصلاتهم أيضاً صحيحة .

٦ - بغض المؤمن لظلمه :

إذا أذى مسلم شخصاً .. مثلاً : قتل أحد أقاربه أو ضربه هو أو ضرب أحد أقاربه أو جرحه أو سرق ماله أو منعه حقه أو أسمعه ما يسيئه وامثال ذلك من الأمور المحرمة شرعاً والتي توجب العداوة قهراً فهناك ثلاث حالات لقلب هذا

= عليه السلام قيل له أرأيت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب فقال عليه السلام : إن الله يدخل أولئك الجنة برحمته .

وفيه قال رجل للصادق عليه السلام : «إنا ننبأ من قوم لا يقولون ما نقول فقال (ع) : يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم قال قلت نعم قال عليه السلام فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبأ منكم الى أن قال فتولوهم ولا تبرؤا منهم » .

وفي الاحتجاج للطبرسي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام : الناس ثلاث فرق منهم عرفونا وسلموا لنا واتبعونا فهم الفائزون وأولياء الله واجباؤه ومنهم من عادونا وخاصموناهم يلعنونا ويرون أن سفك دمنا حلال وينكرون حقنا فهم كافرون ومشركون وفاسقون ومنهم من يحبونا ولا يعادونا إلا أنهم لا يعرفون حقنا ولا يتبعوننا وهم يتبعون اليقين في أفعالهم فإننا نرجو الله أن يغفر لهم وهم المسلمون المستضعفون (النص بالمضمون) وقد تقدم في قسم العقائد من هذا الكتاب أن الجاهل القاصر - سواء في العقائد أو الأعمال الواجبة - معذور ولن يعذب ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ البقرة ٢٨٦ اي لا يكلف الله إلا بمقدار الاستطاعة وكذلك ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ الطلاق ٧ أي أن الله لا يكلف شخصاً إلا بما اعطاه إياه .

الشخص في مجال بغض هذا المسلم الظالم وهي : الحرمة ، الاباحة ، الاستحباب .

١ - الحالة الحرام : هي أن يحقد قلبه على هذا المسلم اكثر مما يستحقه الظلم الذي صدر منه . . مثلاً : ضربه كفاً فيحقد عليه حقدا لا يعوضه ضربه كفاً كما ضرب بل إنه اذا ضربه عشر مرات فإن الحقد الكامن في قلبه عليه لا يزول ويفرح بكل مصيبة تحل به ولأنه ضربه هذا الكف فإنه يتمنى أن يُسحق ، يفتقر ، يموت ابنه ، يمحي من الوجود ، أو اذا جرحه يتمنى أن يقطع إرباً إرباً ويبقى قلبه مملوءاً حقداً عليه الى آخر عمره ويستاء اذا اصابه خير ويفرح اذا اصابه شر . . .

الخلاصة إن البغض لمسلم اكثر مما يتناسب مع ظلمه حرام لأن البغض الزائد يدخل تحت ادلة حرمة بغض المؤمن التي تقدمت الاشارة الى بعضها ويذكر الباقي في ما يأتي .

قال تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ (. . .) إنه لا يحب الظالمين ﴿ الشورى ٤٠ .

قال الإمام الصادق عليه السلام : إن العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً^(١٠) .

قال المجلسي : « يفرط في الدعاء على الظالم حتى يصير ظالماً بسبب هذا الدعاء كان يكون قد ظلمه بظلم يسير كشتم أو أخذ دراهم يسيرة فيدعو عليه بالموت والقتل والفناء أو العمى . . . » ثم ذكر وجوهاً أخرى^(١١) .

(١٠) اصول الكافي - باب الظلم .

(١١) مرآة العفول ٣٠٥/١٠ .

المعاملة بالمثل جائزة :

٢ - الحالة المباحة : هي بغض الظالم بمقدار ظلمه^(١٢) وبالمقدار الذي حدده الشرع الإسلامي وذكر في كتاب القصاص والديات . . ثم بعد الاقتصاص لا يبقى في قلبه بغض له .

﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ الشورى ٤١ .

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ النحل ١٢٦ .

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ البقرة ١٩٤ .

وحيث أن الانسان قد يتجاوز الحد حين الاقتصاص فإن الله تعالى امر بالتقوى والاحتياط وعدم تجاوز الحد .

الكل في هذه الاحكام سواء :

يجب أن نعلم أن هذا الحكم برعاية الحق والعدالة في العداة والانتقام من الظالم يشمل جميع الناس على حد سواء المسلم منهم والكافر . . فإذا ظلم الكافر فلا يصح عداؤه والانتقام منه بأكثر مما يستحقه على هذا الظلم .

قال الإمام الصادق عليه السلام : إنما المؤمن من اذا سخط لم يخرج منه سخطه من الحق^(١٣) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام في صفات المؤمنين : « وإذا ما غضبوا لم

(١٢) ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ .

(١٣) الخصال .

يظلموا»^(١٤) وقال في وصف المؤمن « لا يفرق في غضبه »^(١٥) .

العفو افضل :

٣ - الحالة المستحبة هي العفو أي أن لا يغضب من الظلم الذي لحقه . . ويتصرف على اساس كأنه لم يكن أي لا يحمل في قلبه عداوة الظالم ويعفو عن القصاص وقد ورد الأمر في القرآن كثيراً بهذا الخلق الذي يرضاه الله تعالى والذي هو من صفات الانبياء وعظماء الدين .

كما ورد مدحه في القرآن كثيراً والوعد عليه بثواب بغير حساب ولمزيد الإطلاع يشار هنا الى بعض ذلك .

﴿فمن عفا واصلح فأجره على الله﴾ الشورى ٤٠ .

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ الشورى ٤٣ .

﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ النحل ١٢٦ .

﴿خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ الاعراف ١٩٩ .

﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾

النور ٢٢

أي أن عفو الله عنكم في مقابل عفوكم عن بعضكم .

﴿ولا تسئوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن﴾ فصلت ٣٤ أي :

الخلق الحسن كالصبر والطهارة والحلم والمداراة ليس في الجزاء والنتيجة مثل الخلق السيء كالغضب والقسوة ، والشدة ، والحدة والانتقام . والمراد بإدفع

(١٤) الكافي .

(١٥) الخصال .

بالتي هي احسن اي سَكُن الغضب بالحلم والذنب بالعفو واللغو بالتغافل وعدم
الاكتراث والظاهر من كلمة احسن أن المراد ليس أن تدفع السيء بالحسن بل
ادفعه بالاحسن مثلاً : اذا اساء اليك شخص فالحسن أن تعفو عنه ولا تحمل في
قلبك حقداً عليه والاحسن أن تحسن إليه وتجه .

« من السهل الجزاء على السوء بالسوء إن كنت رجلاً فأحسن الى من
أساء » (١٦) .

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فصلت ٣٤ .

« طوق العدو بالطفانك ، فلا يمكن قطع هذا الطوق بالشفرة » .

اذا رأى العدو الكرم واللطف فلن يجد الخيث الى وجوده سيلا .

وإذا عاملت صديقك بشدة وضيق فلن يرى لك حسناً ولا حرمة .

اذا واجهت ايها السيد اعداءك بالخلق الحسن فسرعان ما يصبحون
أصدقاء (١٧) .

﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ فصلت ٣٢

لأن الانتقام دليل ضعف النفس وسرعة التأثر . . ومن لا تستفزه التصرفات
المنافية بل يواجهها بالمحبة والاحسان فإن روحه نتيجة تكرار الصبر اصبحت
كبيرة وقوية فأمكنه أن لا يدع الغضب والبغض والحقد تحتل مواقع في قلبه
وامتلك بدلاً من ذلك العفو والاحسان .

والكاظمين الغيظ :

﴿وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت

(١٦ و ١٧) مضمون ابيات .

للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين ﴿١٣٣﴾ آل عمران ١٣٣ - ١٣٤ .

كانت جارية للإمام السجاد عليه السلام تصب الماء على يده فسقط
الابريق من يدها وأصاب رأسه فشجه ورفع الإمام رأسه ونظر إليها فقالت :
والكاظمين الغيظ قال : قد كظمت غيظي . قالت والعافين عن الناس قال قد
عفوت عنك قالت والله يحب المحسنين قال فاذهبي فأنت حرة لوجه الله^(١٨) .

هل بغض الظالم غير اختياري :

وربما قيل : إن عداء الظالم المؤذي قهري ومن لوازم البشرية ولوازم
البعد الحيواني في الانسان وباختصار إنه ليس اختياريًا ليكون مورداً للتكليف
بالحرمة والمؤاخذه والعقوبة .

والجواب : ما هو قهري وغير اختياري ، هو خطور البغض في القلب اما
فسح المجال له وإحلاله القلب والحفاظ على استمراره . . فلا شك في أنه
اختياري ، لأن الانسان اذا فكر باضرار الحقد الآتي ذكرها والآيات والروايات
في ذمه والايمان بالمواعيد الإلهية في ثواب العفو والتسامح فإنه يستطيع أن
يحول دون تلوث قلبه بالبغض . . .

إن الحقد كسائر الذنوب القلبية التي ثبت في بحث كل منها في محله أنه
اختياري ومورد للتكليف والمؤاخذه بالأدلة التي ذكرت وتأتي .

هل يدخل الحاقد الجنة :

لينأمل القارئ العزيز بدقة في هذا المجال في حال من هو من جهة

(١٨) صافى ال ابى طالب/٤/ ١٥٧ - ١٥٨ ولمعرفة فضيلة كظم الغيظ يراجع اصول الكافي
ابواب الفرق والمدارة ، الحلم ، كظم الغيظ ، العفو .

الايمان والعمل مستحق للجنة الا أنه يموت حاقداً على مؤمن فهل يستطيع أن يدخل الجنة مع وجود هذا التلوث فيه ، مع أن الجنة مكان طاهري القلوب الذين ليس فيهم من اي جهة ذرة من الأسى والحزن ، إن اهل الجنة هم الذين يفرحون للقاء بعضهم بالعكس من اهل النار الذين يعتبر لقاؤهم لبعضهم عذاباً اضافياً لهم .

اذن المؤمن الذي يستحق الجنة ويموت حاقداً يجب أن يبقى سنين في البرزخ ومواقف القيامة يواجه الابتلاءات ليظهر من هذا التلوث ويستطيع أن يدخل الجنة وينعم بها ومن هنا يبين تعالى في القرآن المجيد أن المؤمنين يطهرون قبل دخول الجنة من ذنب الحقد الخطير ويقول سبحانه . . ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الاعراف ٤٣ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن العبد ليحبس عن ذنب من ذنوبه مائة عام وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعم^(١٩) . ولعل هذا اشارة الى الحقد والحسد اللذين لا يستطيع صاحبهما حتى اذا كان من اهل الجنة أن يدخل الجنة ويجب أن يحبس حتى يطهر منهما .

وبناءً على هذا وبعد التأمل في هذه العبارة القصيرة هل يفسح عاقل - امله الوحيد في العالم الحصول على الاستقرار في العالم الابدي بحيث لا تواجهه أية مشكلة - المجال للحقد في قلبه ، هل سيبقى في غضب وحنق دائمين على مؤمن ، وإذا كان شخص كذلك فهذا دليل ضعف ايمانه .

هل العفو استسلام للظلم :

وتسأل : بناء على أن البغض والغضب والانتقام حرام . . إذن يجب أن

(١٩) الكافي - باب الذنوب .

يبقى المسلم مسكيناً دائماً يستسلم للظلم والجور ولا يصرخ وإذا كان الاسلام يأمر بالعفو والاحسان فيجب أن يصرف المسلم النظر عن حقه ولا يقتص وهذا يوجب اختلال النظام الاجتماعي وجرأة الظالمين .

والجواب : إن البغض والغضب والانتقام المحرم بعد وقوع الظلم والجور هو ما زاد على مقدار الظلم الذي لحق بالشخص اما إذا كان بذلك المقدار فليس حراماً بالتفصيل المتقدم .

اما قبل وقوع الظلم فإن الواجب على كل مسلم أن لا يستسلم للظلم وأن يواجه الجور ويدافع عن ماله وعرضه وروحه بالتفصيل التالي :

الدفاع واجب :

عندما يتلى المسلم بظالم يستهدف روحه أو زوجته أو ابنه فإن الواجب على هذا المسلم اذا كان يستطيع أن يقاوم ويدافع عن دمه وزوجته وولده حتى اذا كان لا يظن السلامة .

واذا كان لا يستطيع المقاومة وكان يستطيع الفرار فإن الفرار واجب لينجو بنفسه .

واذا استهدف الظالم ضربه أو جرحه أو نقص عضو من اعضاء بدنه فإن حكم ذلك كحكم استهداف قتله والدفاع هنا واجب . .

اما اذا استهدف الظالم ماله فإذا كان ذلك المال قليلاً ولا يكاد يذكر كحذاء قديم لا يهتم به فإذا أراد لص اخذه فالدفاع ليس واجباً بل هو جائز اما اذا كان المال كثيراً ومهما فالمشهور بين الفقهاء أن الدفاع عنه واجب وقال بعضهم إن الدفاع واجب اذا كان ذلك المال واجباً كأن يكون رأس مال الشخص وهو محتاج إليه .

ويجب العلم أن الدفاع عن المال إنما يجب فيما إذا اطمأن الشخص إلى سلامته أما إذا ظن أن هذا الدفاع عن المال يعرض روحه للخطر كأن يكون السارق مسلحاً وهو اعزل لا سلاح معه فالدفاع هنا ليس جائزاً لأن حفظ الروح مقدم على حفظ المال ولمعرفة احكام الدفاع تراجع كتب الفقه .

عدم الثأر ليس استسلاماً للظلم :

الخلاصة يحرم به على كل مسلم الاستسلام للظلم وعدم التصدي له ، إلا أنه إذا نزل به ظلم فليس واجباً عليه أن يثأر ويقتص بل هو مخير بين العفو وصرف النظر أو المطالبة والاقتصاص مثلاً ، إذا ضربه ظالم أو جرحه أو بتر عضواً من بدنه فيستطيع أن يعفو ويستطيع أن يقتص أو يطلب الدية طبقاً لما ورد في كتاب الحدود والديات .

أو إذا سرق ماله فيستطيع أن يطالب بعين المال إذا كان ما يزال موجوداً أو بمثله وقيمته إذا كان قد تلف دون اية زيادة . . كما يستطيع أن يصرف النظر إلا إذا كان المال مما يجب حفظه كأن يكون أمانة أو رأس مال عمله فهنا تجب المطالبة .

وقد اتضح مما ذكر أن مورد وجوب الدفاع عن الظلم هو قبل وقوعه ومورد الامر الاستجابي بالعفو هو بعد وقوعه فلا تنافي بين هذين الحكمين على الاطلاق .

العفو واختلال النظام :

وأما ما ذكر من أن العفو يوجب اختلال النظام ويسبب جرأة الظالم فجوابه أن ما يوجب اختلال النظام هو العفو عن إجراء الحدود الإلهية عند اجتماع الشرائط بالتفصيل المذكور في كتاب الحدود وفي سورة النور يقول تعالى :

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ النور ٢ .

لأن زنا الزاني اذا اتضح بحيث شهد به اربعة شهود عدول ثم لم يقم عليه الحد فإن ذلك مدعاة لرواج الزنا ويزول لدى الناس قبحه وكونه من الكبائر وكذلك اللواط والسرقة والقدف وشرب الخمر وغير ذلك مما ذكر في الشرع له حد واجب .

وأما العفو عن المظالم الجزئية فهو بالاضافة الى أنه لا يوجب اختلال النظام إنما يوجب استحكام النظام الاجتماعي وتقويته لأن العفو سبب زيادة العلاقة والمحبة كما تقدم وهي سبب في تماسك المجتمع وقوته .

العفو يمنع الظلم غالباً :

وأما أن العفو سبب للجرأة على الظلم وزيادته فنقول :

ليس هذا عاماً بل غالباً ما يكون بعكس ذلك اي اذا عفي عن الظالم فإن ظلمه لا يتكرر خاصة اذا استتبع العفو احسان إليه فإن ذلك يكون سبباً في قوة العلاقة والمحبة بين الطرفين كما مر .

نعم اذا كان الظالم قاسياً شقياً وتيقن المظلوم أنه إذا تركه وتجاوز عنه فإن ذلك يشجعه على الظلم فلا ينبغي في مثل هذه الحال أن يعفو عنه .

والشواهد التاريخية على أن العفو يمنع الظلم كثيرة بل هو سبب لخيرات جمّة . . ومن هذه الشواهد :

النبي يعفو عن قاتل عمه :

عفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فتح مكة عن اذى المشركين له وكان اذى بالغاً لا يحصى . . واعتنقوا الإسلام وقد حسن اسلام كثير

منهم . . كما عفا عن « وحشي » قاتل حمزة عليه السلام وكان هذا التسامح سبباً في اسلامه . . وفي نهاية المطاف قتل اكبر الاشقياء الذي كان سداً في طريق الإسلام والمسلمين اي مسيلمة الكذاب .

وسيد الشهداء عليه السلام عفا يوم عاشوراء عن الحر الرياحي فكان ذلك سبباً لوصوله الى اعلى درجات الشهادة .

عند الاعتذار يصبح العفو لازماً :

يجب العلم أن ما ذكر من استحباب العفو والاحسان إنما هو في العفو الابتدائي أي أن المظلوم يبادر الى العفو ودون أن يطلب الظالم منه ذلك اما إذا ندم الظالم على فعله وطلب من المظلوم بخجل أن يعذره فاللازم قبول عذره والعفو عنه .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي من لم يقبل من متصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي^(٢٠) .

وقال صلى الله عليه وآله : اقبلوا العذر من كل متصل محقاً كان أو مبطلاً ومن لم يقبل فلا أناله الله شفاعتي^(٢١) .

وقال الإمام السجاد عليه السلام : إن شتمك رجل من يمينك ثم تحول إليك عن يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره^(٢٢) .

وفي كشف الغمة عن الإمام الكاظم عليه السلام : « وروي أن موسى بن جعفر احضر ولده يوماً فقال لهم : يا بني اني موصيكم بوصية من حفظها لم

(٢٠) من لا يحضره الفقيه .

(٢١) مشكاة الانوار للطبرسي .

(٢٢) الكافي .

يضع معها إن أتاكم آت فأسمعكم في الأذن اليمنى مكروهاً ثم تحول الى الأذن اليسرى فاعتذر وقال لم اقل شيئاً فاقبلوا عذره «(٢٣) .

٧ - بغض المؤمن لعدم مراعاته الآداب :

إذا رأى شخص من مؤمن خلاف ما يتوقع أو رآه ترك بعض الآداب العرفية فأبغضه لذلك فهذا البغض حرام قطعي وذنب كبير . . مثلاً : نوى هذا الشخص أن يقترض من مؤمن وهو يتوقع أنه سيلبي حاجته فوراً وحيث أنه لم يعطه فإنه يتخذ عدواً . .

أو طلب استعارة كتاب أو شيء من الأثاث من آخر ولأنه كان يتوقع أن يعتبره اميناً فرأى منه خلاف ذلك فإنه يحقد عليه . . .

أو أنه كان يريد اذا دخل أن يقف له الآخر ولأنه لم يقف فإنه يعاديه .

أو كان يتوقع اذا دعاه الى منزله فإنه سيلبي فوراً . . أو كان يتوقع أن يدعوه هو الى بيته فلم يدعه فإنه كذلك يتخذ عدواً .

واسوأ من كل شيء العداوات الناشئة من التوقعات الخاطئة والتوهمات الممتزجة بالكفر ، كالعداوة الناشئة مثلاً من أن صاحب دكان يرى أن شخصاً آخر افتتح دكاناً قريباً منه أو صاحب عمل يرى أن آخر بدأ عملاً مشابهاً قريباً منه فيحقد عليه لأنه تسبب في قلة رزقه غافلاً عن أن الرزق بيد الله . . والواقع أن عداوة الزميل في العمل واقرارها في القلب من اسوأ انواع الحقد . .

ويشار هنا الى بعض الروايات في حرمة بغض المؤمن :

في سخط الله ، ولا يقبل عمله :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ومن بات وفي قلبه غش لأخيه

المسلم بات في سخط الله وأصبح كذلك وهو في سخط الله حتى يتوب ويرجع وإن مات كذلك مات على غير دين الإسلام^(٢٤) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمّر على أخيه المؤمن سوءاً^(٢٥) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : لا هجرة فوق ثلاث^(٢٦) .

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث^(٢٧) .

والمراد من الهجرة والهجران قطع العلاقات القلبية وخيطة المحبة والإلفة ، والنفور منه والانزجار قلباً من الشخص الذي رأى منه خلاف توقعه (في الامور النبوية) أو تقصيراً في حقوق العشرة والصحبة أو وقع بينهما نزاع وجدال . .

وانما قال في الحديث أن الهجرة أكثر من ثلاثة أيام حرام لبيان المرتبة الشديدة لذنب بغض المؤمن أي أن هذا البغض اذا استمر ثلاثة أيام فإن ذنبه يصبح اصعب واشد .

وأما في خصوص الأيام الثلاثة فإن مقتضى اطلاق سائر الأدلة أن هجران الأخ فيها وبغضه ذنب من أول لحظة استقر بغضه في القلب . . إلا أنه بعد ثلاثة أيام يصبح أشد .

السابق الى الجنة :

عن الإمام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
ايما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الإسلام ولم

(٢٤) عقاب الاعمال للصدوق .

(٢٥) و ٢٦ و ٢٧ الكافي .

يكن بينهما ولاية فأيهما سبق الى كلام اخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب^(٢٨) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : إن الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع احدهم عن دينه فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدد ثم قال فزت فرحم الله امرأ ألف بين ولين لنا يا معشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا^(٢٩) .

وخلاصة الحديث أن العداوة والهجران من خداع الشيطان والشيطان كامن للمؤمنين يسعى أن يسلبهم دينهم فإذا وصل الى مبتغاه سعد واستراح .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : لا يزال ابليس فرحاً ما اهتجر المسلمان فإذا التقيا اصطكت ركبته وتخلعت أوصاله ونادى يا ويله ما لقي من الشبور^(٣٠) .

وربما استحقا اللعنة :

قال المفضل : سمعت ابا عبدالله (الإمام الصادق) عليه السلام يقول : لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب احدهما البراءة واللعنة وربما استحق ذلك كلاهما فقال له معتب : جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم قال (ع) : لأنه لا يدعو أخاه الى صلته ولا يتغامس له عن كلامه (لا يتغافل ويتنازل) سمعت ابي يقول : اذا تنازع اثنان فعازاً احدهما الآخر (طلب العز عليه) فليرجع المظلوم الى صاحبه حتى يقول لصاحبه : أي اخي أنا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فإن الله تعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم^(٣١) .

(٢٨ و ٢٩ و ٣٠) الكافي .

(٣١) الكافي باب الهجرة ٢ / ٣٤٤ .

وخلاصة الحديث أن الشخصين اللذين يتهاجران ويغضب كل منهما من الآخر وتستقر عداوة كل منهما في قلب الآخر اذا استمرا على ذلك فهما معاً مقصران آثمان والأمر في الظالم واضح أما المظلوم فلا أنه يستطيع أن يزيل غضبه وغضب الظالم كذلك بأن يذهب إليه ويقول له أنا أسأت ، ظلمت (٣٢) ، سامحني (والأفضل أن يستعمل التورية أي يقصد في قوله ظلمت : ظلمت نفسي) وفي الروايات أن من جملة حقوق المؤمنين على بعضهم الحفاظ من الوقوع في الذنب .

من أدب طلب الحوائج :

قال الإمام الصادق عليه السلام : لا تسألوا اخوانكم الحوائج فيمنعونكم فتغضبون وتكفرون (٣٣) .

وفي هذا الحديث اعتبر الغضب على المؤمن لسبب ديني في حد الكفر وحتى لا يبتلى المؤمن بذنب خطير من هذا النوع فقد امر عليه السلام أن نجتنب طلب الحوائج ما استطعنا خوف أن لا يلبي الطلب فيتلوث المصدود بذنب بغض المؤمن .

ونقل عليه السلام عن آبائه الطاهرين : لا تقبل شهادة ذي شحنة (٣٤) .

وكذلك : لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمز على أخيه (٣٥) .

مع المحقق الحلي والشهيد الثاني :

(٣٢) أي اذا كان لا يقطع الهجران إلا ذلك فليقله المظلوم فإن في تألف مؤمنين خيراً كبيراً يستحق ذلك وطبيعي أن هذا ليس عاماً وهو واضح .

(٣٣) دار السلام للمحدث النوري .

(٣٤) من لا يحضره الفقيه .

(٣٥) معاني الاخبار .

قال المحقق في الشرائع : الحمد معصية وكذا بغضة المؤمن والتظاهر بذلك قاذح في العدالة^(٣٦) .

أي ان بغض المؤمن ما لم ينكشف فهو ذنب باطني واذا انكشف سقط صاحبه عن العدالة فلا يصح الاعتماد عليه فيشترط فيه العدالة كالشهادة وامامة الجماعة إلا أن يتوب ويُطمأن بوجود ملكة العدالة فيه .

وقال الشهيد الثاني في المسالك في شرح عبارة المحقق (عليهما الرحمة) :

لا خلاف في تحريم هذين الامرين والتهديد عليهما في الاخبار مستفيض وهما من الكبائر فيقدحان في العدالة مطلقاً وانما جعل التظاهر بهما قاذحاً لأنهما من الاعمال القلبية فلا يتحقق تأثيرهما في الشهادة الا مع اظهارهما وإن كانا محرمين بدون الاظهار والمراد بالحسد كراهية النعمة على المحسود وتمني زوالها سواء وصلت الى الحاسد ام لا ويبغضه (أي والمراد ببغضه) كراهته واستثقاله لا بسبب ديني كفسق ببغضه لا لأجله معصية سواء قاطعه مع ذلك ام لا فإن هجره فهما معصيتان وقد يحصل كل منهما بدون الأخرى^(٣٧) .

وقال في الرياض : « نعم يشكل حصول العدالة مع تلك العداوة بعد الاتفاق فتوى ورواية على أن عداوة المؤمن وبغضه لا لأمر ديني معصية ثم ذكر أن بعض الفقهاء عرفوا العداوة بأنها «الفرح بمساءة المؤمن والحزن بمسرتة» وزاد بعضهم عليها « أن يبلغ العداء حداً يتمنى زوال نعمه وهو حينئذ عين المبغض والحاسد الى أن قال : فالعداوة على هذا من الكبائر » وإن لم نقل انها

(٣٦) الشرائع - الشهادات / مسألة ٧ .

(٣٧) المسالك .

كذلك فهي بالاصرار عليها تصبح كبيرة قطعاً» (٣٨) .

يجب استصغار الدنيا واكبار الآخرة :

وقد تقول : إن بغض الانسان لمن رأى منه خلاف ما يتوقع قهري وغير اختياري وبناءً عليه فليس مورداً للتكليف والمؤاخذه . .

والجواب هو ما ذكر في بحث البغض في مقابل الظلم فما هو غير اختياري هو الخطور الأول للبغض اما فسح المجال له في القلب واحلاله فيه فهو اختياري وهنا نقول :

« إن السبب الأصلي لوجود البغض في هذه الموارد هو حب الدنيا اي العلاقة الشديدة بالحياة الدنيوية وشؤونها والغفلة عن عالم ما بعد الموت العظيم . . وبديهي أن من رأى هذه الحياة الدنيوية المستعارة كبيرة فإنه يستاء لأقل عمل مناف مخالف لتوقعه يصدر في شخص آخر . . إلا أنه اذا عرف بنور الايمان حجم عالم الآخرة والحياة الخالدة بعد الموت واطلع على عظمة اوضاعها وشؤونها فإن الحياة الدنيوية تصبح لديه صغيرة وتافهة ولن تستطيع عندها اكبر منغصات هذا العالم أن تؤلمه بدلاً من أن تهزمه وتسحقه إنه يرى أن لذائد الحياة المادية الوضيعة ومنغصاتا اصغر من أن تؤثر فيه . .

بناءً عليه إن السبب الوحيد للبغض والحقد هو ضعف الايمان والجهل بالحقيقة ولأن تقوية الايمان ومعرفة الحقيقة بمقدوره وفي اختياره فإن الحيلولة دون الحقد ايضاً اختياري .

أضرار الحقد :

من استبدّ به الغضب فإذا استعصم بقوة الإيمان وصبر وأطفأ نار غيظه فإن

(٣٨) رياض المسائل ٢/ ٤٣٤ الشهادات .

قلبه لا يتلوث ويتحرر من نار الغضب . .
أما إذا لم يصبر ولم يستطع أيضاً أن يعوض عن ذلك فقد استقرت نار
الغيظ في قلبه وسيوجد فيه العداء والنفور وسوء النية تجاه من أبغضه . . وإذا
استمرت هذه الحال ففيه مقدمة وسبب لآفات عشر هي كما يلي :

١ و ٢ - الحسد والهجران :

من حقد على آخر فهو حتماً يفرح بابتلائه ويتألم مما يفرحه ، ويتمنى أن
تزلزل النعمة عنه وهذا هو الحسد الحرام الذي سيأتي في البحث القادم .
كما أن الحقد سبب قطيعة من حقد عليه وهجرانه وقد تقدم ذكر دليل كون
الهجران من الذنوب الكبيرة .

٣ - الشماتة والتأنيب :

من عادى شخصاً فإنه يفرح اذا رآه مبتلى بمشكلة ما ، وغالباً ما يظهر
فرحه هذا بالضحك وسائر الأمور التي تعبر عن الفرحه ويهزأ به ويعيره فيقول له
مثلاً : ما أروع انك ابتليت . . لأنك فعلت كذا ابتليت بهذا ، لقد دعوت عليك
وبسببي اصابتك هذه المصيبة ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « من أنب
مؤمناً أنبه الله في الدنيا والآخرة »^(٣٩) وقال ايضاً : « لا تبدِ الشماتة لأخيك
فيرحمه ويصيرها بك »^(٤٠) وقال عليه السلام : « من شمت بمصيبة نزلت بأخيه
لم يخرج من الدنيا حتى يفتن »^(٤١) .

٤ - الغيبة والتهمة :

من عادى آخر فإنه لا يستطيع أن يمتنع عن التحدث بعيوبه التي يعرفها بل
لا يستطيع أن يمتنع عن اختلاق العيب له أي تهمة ، لأن الحيلولة دون التهمة

(٣٩ و ٤٠ و ٤١) اصول الكافي باب التعبير وباب الشماتة .

والغيبة لا تمكن إلا بالركون الى قوة الايمان بالله ويوم الجزاء . . ولو أن ايمان هذا كان صحيحاً وقوياً لما فسخ المجال ابداً للحقد على المؤمن لكي يستقر في قلبه وقد ذكرت خطورة الغيبة والتهمة في كتاب « الذنوب الكبيرة » .

٥ و٦ - الخيانة والتحقير :

وكذلك من عادى شخصاً فإنه يصبح جاهزاً لخيانته ولا يتورع عن أية خيانة له فيكشف اسراره التي يعرفها قبل معاداته وقد ذكرت خطورة ذنب الخيانة ايضاً في « الذنوب الكبيرة » .

ومن لوازم الحقد تحقير العدو واذلاله فإذا التقاه اعرض بوجهه عنه ولم يسلم عليه ويهزأ به ويحاكيه ويقلده ويمنع الآخرين من تعظيمه وتكريمه وخطورة كل من ذلك مذكورة في « الذنوب الكبيرة » كذلك .

٧ و٨ - منع الحقوق الواجبة والايذاء :

إذا كان رحماً فإن العداوة تسبب قطع الرحم . . وإذا كان جاراً فانها تسبب التقصير في حقوق الجار مثلاً : إذا رآه قد ظلم فإنه لن يبادر الى نصرته وإغاثنه وكذلك يترك سائر الحقوق الواجبة وخطورة كل من ذلك مبينة في محلها .

وكذلك من حقد على شخص فإنه يصبح مستعداً لإلحاق اي نوع من الأذى به .

٩ - الاضرار الدنيوية :

لكل انسان في حياته الدنيوية احتياجات لا تحصى لمساعدة الآخرين له بحيث أنه اذا لم يكن له اصدقاء يساعدونه ويشاطرونه آلامه ويؤمنون له احتياجاته فإنه لا يستطيع بمفرده أن يتولى ذلك . . وكلما عادى شخصاً فإنه يقاطعه وينصرف كل منهما عن مساعدة الآخر . . وتكرار ذلك بين الناس يؤدي الى أن

يصبح كل منهم وحيداً يعيش الغربة ويقاسي شدائد الحياة ومصاعبها الأمر الذي يؤدي بالشخص الى مواجهة مصائب مدمرة تضاف الى الآلام الباطنية التي تنشأ من حالة البغض الداخلي وهذا يترك اثره على الاعصاب والصحة . . خاصة اذا رأى عدوه يتقلب في النعمة والرفاهية أو لم يستطع الانتقام منه .

١٠- الأضرار الأخروية :

بالإضافة الى الذنوب التي لا تحصى التي يتلوث بها الحاقد كما تقدم فإنه يحرم من خيرات وبركات ووفرة كان من الممكن أن يحصل عليها نتيجة للإلفة والمحبة ويذكر هنا بعضها : إن لكل مؤمن اعداء باطنيين (أي الشياطين) وهم له بالمرصاد وهم اعداء ايمانه واعماله الصالحة ومهمتهم إلقاء الوسوس والخواطر القبيحة في باطنه ليسلبوا ايمانه عن هذا الطريق ويحرفوه عن صراط العبودية المستقيم وباختصار ليصبح مثلهم بدون ايمان وفاسداً ولا يصل الى مقام الانسانية الشامخ وهم في خصومتهم هذه لا يغفلون عن المؤمن لحظة واحدة وحسب تعبير عظيم سئل هل ينال الشياطين فقال : لو كانوا ينامون في اليوم والليله لحظه لكننا استرحنا عند ذلك من شرهم .

ومن هنا تكرر الاخبار في القرآن المجيد بعداوة الشيطان والأمر بالاستعداد للصراع معه (٤٢) .

وحقاً إن المؤمن وحده لا يقوى على مقارعة عدو لدود كهذا . . والطريق الوحيد للانتصار عليه الاستعانة بقلوب المؤمنين بأن يقوي رابطة صداقته الإلهية معهم ويصبح معهم قلباً واحداً وروحاً واحدة . . واذا اصبح كذلك فكلما اقترب الشيطان من قلبه رأى أنه ليس أمام قلب واحد بل مئات القلوب وأنه لا سبيل الى مثل هذا القلب ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله « المؤمن للمؤمن

(٤٢) ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ فاطر ٦ .

كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً» (٤٣) كما أن اجزاء البناء الحجر والحديد والاسمنت يشد بعضها بعضاً ولهذا ورد في روايات كثيرة الأمر بتحصيل الأصدقاء مهما امكن وان يكون الانسان مع اصدقائه حميماً صافي الود .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

عليك باخوان الصفاء فإنهم عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب وإن عدواً واحداً لكثير (٤٤)

ويقول عليه السلام : « اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز
منه من ضيع من ظفر به منهم » (٤٥) .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : اكثروا من الاصدقاء في الدنيا فإنهم
ينفعون في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فحوائج يقومون بها وأما في الآخرة فإن
اهل جهنم قالوا : فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (٤٦) .

صلاة الجماعة تغيظ الشيطان :

من هنا يعلم سبب أهمية صلاة الجماعة وكثرة فضيلتها وثوابها الى حد أنه
قد نهى عن الصلاة فرادى لأنه كلما كانت علاقة عدة اشخاص ورابطة صداقتهم
الإلهية قد بلغت حداً بحيث وحدث قلوبهم ووقفوا بقلب واحد متجهين الى الله
فإن الشيطان اضعف من أن يستطيع أن ينفذ الى قلوبهم ويسرق من جواهر
ايمانهم .

وحقاً إن كل سعي الشيطان وامنيته هو تفريق قلوب المؤمنين والفصل بينها

(٤٣) وسائل الشيعة أحكام العشرة باب ٧ .

(٤٤) المصدر السابق .

(٤٥ و ٤٦) المصدر السابق .

لأنه كلما استطاع أن يفرق بين مؤمنين اثنين فإن قوته تزيد بهذا المقدار وبهذا المقدار أيضاً يستطيع الوصول الى قلب من فرق بينه وبين اخيه المؤمن ويجعل سهام وسوسته مؤثرة في هذا القلب كما ورد في الاحاديث المتقدمة عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام .

خير المؤمنين . . الأليف :

قال أمير المؤمنين عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : المؤمن عز كريم والمنافق خب (محتال) لثيم وخير المؤمنين من كان مألقة للمؤمنين ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « شرار الناس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للناس العيب لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم يوم القيامة ثم تلا عليه السلام : هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم » (٤٧) .

والخلاصة أن من اكبر اضرار المؤمن من عداوة مؤمن آخر ومقاطعته ، وحدته في مقابل عدوه اللدود الشيطان . . وكذلك الحرمان من شفاعته في القيامة وكذلك الحرمان من ادعيته والحرمان من بركات ودرجات ومقامات الصداقة في سبيل الله بالتفصيل المذكور في باب الحب في الله في اصول الكافي . اصف الى ذلك الحرمان من الثواب الذي كان بالامكان أن يحصل عليه من معاشرته .

علاج البغض الحرام :

بعد معرفة أحكام الاقسام السبعة للبغض الحرام واضرارها تنبغي الإشارة

(٤٧) نفس المصدر .

على سبيل الاختصار الى علاج كل من هذه الاقسام وطريق الوقاية منها .

١ - بغض الله :

ينبغي لمن اراد علاج ذلك أن يطالع ما ذكر في قسم العقائد من هذا الكتاب بدقة وأن يعرف الله خالق الكون ويعلم أنه هو وعلاقاته وكل ما في عالم الوجود من الله تعالى ، ثم يتأمل في بناء جسمه بدقة ايضاً ويلاحظ اجزاءه واعضائه وقواه الإدراكية ثم يتأمل في النعم الجزئية المتواصلة التي من الله بها عليه ويمنّ ، حتى يعلم علم اليقين أن نعم الله عليه لا تحصى .

وكنموذج يتأمل في لقمة الخبز التي يأكلها كل يوم وينظر أية اسباب لا تحصى سخرها رب العالمين جلّت قدرته حتى يحصل الانسان على هذه اللقمة .

السحاب والرياح والقمر والشمس في عمل دائم حتى تصل الى يدك لقمة ولا تأكلها وأنت غافل ، والكل مطيعون من اجلك وخاضعون فليس من الانصاف أن تكون أنت متمرداً وغير مطيع^(٤٨) .

وليتأمل ايضاً في الاسباب التي سخرها الله تعالى للهضم لتصبح هذه اللقمة جزءاً من البدن موجبة لتقويته . . . وحركة الفك واللعب والجهاز الهضمي ، « المعدة » ، والكبد وجهاز تصفية الدم اي القلب . . . وشرح كل منها يطول . . . ولكي يعلم أن نعم الله لا تحصى . . ليلق نظرة متأمله على جهاز التنفس ليرى أن كلّ نفس ينزل ممد للحياة وكل ترجيع له مفرح للذات . ففي كل نفس نعمتان وكل منها تستحق شكراً .

(٤٨) مضمون بيتين .

حب المنعم فطري :

بعد هذا اليقين سيوفق لحب رب العالمين لأن حب المنعم فطري للانسان وقد قيل « الانسان عبد الاحسان » وهل الانسان اقل وأسوأ من الكلب الذي تصل علاقته بصاحبه الى حد أنه يفديه بنفسه (٤٩) .

ولهذا تكرر في القرآن الكريم الأمر بذكر نعم الله التي لا تحصى فإن من آثار هذا التذكر ترك الطفيان والتمرد على أوامر الله وذلك يوفق الانسان لنيل نعمة الخشوع والخضوع اي الحب والصدقة والتذلل لله تعالى .

﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ الاعراف ٦٩ .

لأن تذكر النعم وشكرها سبب للعلاقة بالله وحبه والعبودية لله وهو كذلك سبب زيادة النعمة والتنعيم . . . وهذا فقط هو سبيل الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

﴿واذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ الاعراف ٧٤ .

وفي هذه الآية الشريفة اشارة الى أن نسيان نعم الله يوجب اشد انواع الفساد . . . توضيح ذلك : إن لكل جزء من اجزاء عالم الوجود كمالاً يجب أن يصل إليه تدريجياً وفساده هو عدم وصوله الى كماله المناسب له أو سلب هذا الكمال منه اذا كان قد وصل إليه . .

وبناءً عليه اذا منع إنسان شيئاً من الوصول الى كماله فهو مفسد (مخرب) وللإنسان الذي هو اشرف الموجودات كمالٌ يجب أن يصل إليه وذلك الكمال هو معرفة رب العالمين والارتباط به والعبودية له وهذا لا يحصل إلا بزيادة ذكره وذكر

(٤٩) راجع القصتين رقم ٧١ و٧٢ من كتاب القصص العجيبة للمؤلف .

نعمه التي لا تحصى .

والخلاصة : ترك تذكر النعمة سبب عدم الوصول الى الكمال الانساني وهو اشد انواع الفساد .

الايان اتصال قلبي والكفر انفصال :

تقدم في قسم العقائد من هذا الكتاب أن الايمان بمعنى عقد القلب والعلاقة والإنقياد والعبودية لله تعالى . . كما أن الكفر بمعنى الانفصال عن الله والطغيان وتعلق القلب بالدنيا ، يقول تعالى :

﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى﴾
النازعات ٣٨ .

كما تقدم بيان طريق تحصيل الايمان وتقويته بالتفصيل . . . وعلى طالب الوصول الى الكمال الانساني أن يعمل بما ذكر .

٢ - علاج بغض القضاء والقدر :

من كان يغضب من القضاء التكويني او التكليفي الإلهيين اذا خالفا هواه ورغبته ولا يستسلم لحكم الله يجب أن يلاحظ عدة أمور :

احدها : الإلتفات الى علم الله وقدرته وعظفه عز وجلّ ويجب أن يعتقد أن هذه الصفات موجودة في الله تعالى بلا نهاية ولا حدود .

والثاني : الإلتفات الى جهله هو وغفلته . . وأن يعلم أن حقائق الأمور وواقعها محجوب عنه بحيث اذا رأى أن وجود شيء مصلحة له فيجب أن يدخل في حسابه انه قد يكون مخطئاً ولعل ذلك واقعاً ليس مصلحة له وكذلك العكس .

﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون﴾ البقرة ٢١٦ .

بناءً على هذا فتقدير الانسان المصلحة لنفسه أي أن يقول إن الامر الفلاني مصلحة لي حتماً ، هو خطأ وقيح . . بل يجب أن يكون الانسان امام القضاء الإلهي كالمريض بين يدي الطبيب الحاذق العطوف . .

سَلِّمِ امْرُكَ لَهِ يَا حَافِظَ لَعْلَكَ تَعِيشَ عَمْرَكَ بِخَطِّ يَمْنِ اللَّهِ بِهِ عَلَيْكَ (٥٠) .

ليس في العالم شيء مطلق :

والامر الثالث الذي ينبغي أن يلاحظه من لا يستسلم للقضاء الإلهي هو أن كل المنغصات التي تواجهه وهي من وجهة نظره شر كموت احد أقاربه الذي يؤلمه ويحزنه كثيراً فيجب أن يفهم أن هذا الذي مات لو لم يكن موته اصلح له بحيث أنه افضل من بقاءه لما قبض الله روحه .

وبشكل عام فإن كل انسان عندما يموت فالموت آنذاك افضل لأنه إن كان عبداً مطيعاً فقد نجا من هذه الدنيا ووصل الى العالم الاعلى واذا كان طاغياً فإن موته وضع حداً لطغيانه فلا تزداد عقوبته بعد ذلك .

ليتذكر النعم الاخرى :

والامر الرابع أن يتذكر فوراً أمام كل منغص النعم الوافرة التي اعطاه إياها الله تعالى مثلاً إذا افتقر فليتذكر نعمة العافية وعظمتها واذا مرض عضو منه ليتذكر عافية سائر اعضائه والأهم من ذلك بقاء اصل الحياة .

وليتذكر كذلك نعمة العقل والصفات الكمالية التي من الله سبحانه بها

(٥٠) مضمون بيت لحافظ الشيرازي .

عليه والأهم من ذلك كله نعمة اصل الايمان وولاية آل محمد عليهم السلام التي هي الحياة الطاهرة الحقيقية .

والخلاصة يجب أن يعلم أن كل نسبة من الألم والبلاء بالنسبة الى النعم التي وهبها له الله تعالى ليست شيئاً يذكر .

النبي يوسف ، مع ابيه وإخوته :

عندما التقى النبي يعقوب والنبي يوسف عليهما السلام سأله يعقوب يا بني حدثني بما جرى عليك قال : يا ابت لا تسألني ماذا صنع بي اخوتي بل سلني ماذا صنع بي ربي وأين أوصلني .

وعندما عرفه اخوته وكانوا يجلسون معه صباحاً ومساءً الى المائدة كان الخجل يسيطر عليهم فطلبوا منه أن يعفيهم من الحضور .

قال لهم : انتم سبب عزتي ورفعتي لأن المصريين كانوا يعتبرونني قبل مجيئكم غلاماً وصلت الى السلطنة وعندما جئتم عرفوا اني لست غلاماً بل ابن نبي ومن أولاد ابراهيم الخليل .

الدنيا المتقلبة ، بلاء دائم :

وليلق نظرة ايضاً على قصر العمر وسرعة انقضائه كيف أن الموت يهدده في كل لحظة وليعلم انه لن يبقى أثر من ملذات الدنيا ولا من منغصاتها . .

وليتأمل بدقة في احوال الناس المعاصرين له أو الماضين من كل الطبقات من الأغنياء والأقوياء هل يجد منهم شخصاً واحداً لم يواجه في حياته المنغصات والمصائب . . أنه كلما زادت الثروة والقوة كانت المصائب والبلايا اكثر . .

« وجدت في هذا العالم شخصاً واحداً هادئ البال . . وكان هدوءه باله

خلاصه وتحرره من قيود الغنى والجاه» (٥١) .

ومن هذا التأمل تفهم قاعدة كلية هي أن حياة البشر في الدنيا مبنية على البلاء بحيث أن البلاء من اللوازم الحتمية لهذه الحياة ، وأما الحياة « الطيبة » التي ليس فيها أي أذى وألم فهي فقط في الجنة .

ولهذا يعتذر رب العالمين سبحانه في القيامة من المؤمنين للمصائب والابتلاءات التي واجهتهم في الدنيا ويقول لهم : لم امنعكم حاجاتكم لهوانٍ بكم علي بل لصغر الدنيا وضيقها ووضاعتها ولكم اليوم ما تشتهون .

ليمضِ هذا الدهر الأمرّ من السم لتأتي بعده محطة كالسكر .

وليتأمل ايضاً في احوال الانبياء والائمة وعظماء الدين ليعلم :

كل من كان في هذا المضمار اكثر قرباً كان له من كأس البلاء النصيب الأوفى وتفصيل اسرار البلاءات وخصائصها وايراد الآيات والروايات يستدعي الاطالة فيترك إلى حيث يكون اكثر مناسبة .

يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب :

وليتذكر ايضاً الثواب الذي وعده الصابرون في القرآن المجيد والروايات المتواترة .

وليعلم انه إذا جزع وفزع ولم يرضَ وغضب بدلاً من الصبر والتسليم فإنه بالإضافة الى حرمان نفسه من مقامات اهل الصبر والتسليم والرضا ودرجاتهم سيقضي هذه البضعة ايام (حياته الدنيا) في عذاب ومشقة وبلاء وضيق نفسي ولو أن شخصاً تذكر باستمرار هذه الجملات القصيرة ولم يتوقع الاستقرار

المطلق والراحة الشاملة في مدة حياته الدنيوية المستعارة بل استعد لمواجهة الابتلاءات والمصائب فإنه سينعم بالاستقرار الروحي في الدنيا واللذة المطلقة الشاملة وتحقق كل آماله في عالم الآخرة .

« ليست هناك سلطنة كملك الفقراء وليس هناك مُلك أكثر شمولاً من مُلك الرضا » (٥٢) .

٣ - علاج بغض النبي والإمام والملائكة :

من ابغض نبياً أو اماماً عرف رسالته وإمامته أو ملكاً عرف انه واسطة بين الله والبشر واستعداهم لهذه الاسباب (الرسالة والإمامة) فحقيقة عداوتهم لهذه الاسباب هي عدااء الله تعالى وهو اشد مراتب الكفر وعلاجه تحصيل الايمان بالله بالتفصيل الذي مضى .

أما اذا كان عداؤه لهم لأسباب اخرى . . فإذا كان يبغض النبي أو الامام بسبب صدر عنهما لم يعجبه ولم يوافق هواه كالخوارج الذين اصرروا في بداية الأمر في صفتين أن يقبل الإمام علي عليه السلام مصالحة معاوية والتحكيم . . وعندما وافق الإمام مضطراً انقلبوا وعادوا الإمام عليه السلام لأنه أوقف الحرب . . فلا شك في أن هذا العدااء هو عدم الاعتقاد بإمامته ورفضها وهو عدم ايمان وعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنه صلى الله عليه وآله وسلم نص من قبل الله تعالى على وجوب محبة واطاعة أمير المؤمنين وسائر الائمة عليهم السلام الى حد أنه قال « حب علي ايمان وبغضه كفر » .

وبناءً عليه فمثل هذا الجاهل (الذي يبغض نبياً أو اماماً) ينبغي أن يخرج من دائرة الجهل المركب ويعرف انه كافر ثم يعمل جاهداً لتمتين اساس ايمانه

(٥٢) مضمون بيت .

بالتفصيل الذي تم ايضاحه .

واما بالنسبة للملائكة فقد كان اليهود يعتبرون جبرائيل عدواً لهم لأنه كان ينقل عن الله تعالى للأنبياء حكم الحرب الذي كانوا يرون انه مضر لهم ومن الواضح انه لا سبب لهذا العداء إلا الحمق وعدم الفهم لأنه لا حرج على الملك الذي لا شأن له إلا إطاعة امر الله تعالى .

ثم أنهم لم يروا إلا ابلاغه حكم الجهاد ولم يروا سائر ما أتى به من الوحي الذي يحيي النفوس في مجال المعارف الإلهية وواجبات العبودية لو أنهم رأوا ذلك لأحبوه بكل وجودهم .

عزرائيل واسطة وصال لا فراق :

وطائفة من العوام يعادون ملك الموت لأنه واسطة قبض الأرواح وعلى هؤلاء أن يعلموا أن ملك الموت كسائر الملائكة مطيع لأمر الله ، والملائكة لا يمكن أن يعصوه سبحانه . . . والله الذي اعطى الأبدان الأرواح يستردها بواسطة عزرائيل وأعوانه فلا حرج عليه هو ولا اعتراض ، ثم إن هؤلاء يرون أن الموت سبب انفصال وألم فراق ولا يرون أنه وسيلة تحرر الأرواح من سجون الابدان كما لا يرون أنه وسيلة للوصال والاتصال بالأرحام والأقارب والأصدقاء من السابقين المسافرين الى العالم الأعلى . . لو رأوا ذلك لأحبوا الموت وعزرائيل عليه السلام بكل وجودهم كما مر .

٤ - بغض المؤمن :

أما بغض المؤمن لايمانه بالله والرسول أو لتقواه فإنه لا يوجد إلا في الكافر وعدو الله والرسول صلى الله عليه وآله وعلاجه ما ذكر .

وأما بغض المؤمن لسائر العقائد الصحيحة كأن يبغض مسلم شيعياً اثنى

عشراً لأنه يعتقد بأن الإمام واجب الإطاعة فيجب أن يعلم أن حقيقة هذا العداء هي عداء اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ومن احكام الإسلام الضرورية (البديهية) التي تثبت من القرآن والسنة المتواترة وجوب محبة اهل البيت عليهم السلام وحرمة معاداتهم وبناءً عليه فإذا عادى أحد شيعياً لتشيعة فهو فاسق ومستحق للعذاب .

قال الإمام الصادق عليه السلام :

إن الرجل ليحبكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة وإن الرجل لبيغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله يبغضكم النار (٥٣) .

بغض المؤمن الفاسق :

من آمن بالله الواحد واعتقد أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله رسوله وخاتم انبيائه وآمن بالمعاد ولم ينكر حكماً من أحكام الإسلام الضرورية فهو مسلم يمكنه أن يستفيد من جميع مزايا الإسلام .

وإذا ترك واجباً أو فعل حراماً (طبعاً لا عن انكار بل عن تساهل وغلبة النفس والشيطان) فإنه يصبح فاسقاً حتى يتوب من ذنبه سواء كان ذلك الواجب من الأمور الاعتقادية كوجوب الاعتقاد بإمامة علي عليه السلام والأئمة المعصومين الإحدى عشر عليهم السلام أو كان من الوظائف والواجبات العملية كالصلاة والصوم والحج .

بعد اتضاح هذا نقول : الخوارج والنواصب أي اعداء اهل البيت عليهم السلام خارجون عن الإسلام وكفار بسبب انكارهم حكم الإسلام الضروري بوجوب مودة اهل البيت عليهم السلام وسيأتي في آخر البحث وجوب بغضهم

(٥٣) الكافي - باب الحب في الله والبغض في الله .

وما عدا هؤلاء فجميع فرق المسلمين اخوة متساوون وبغض فرقة لفرقة قبيح عقلاً وشرعاً وحرام لأنهم جميعاً متحدون في اصل الإسلام وليس فيهم كافر ومنكر لحقائق الإسلام .

هـ - بغض الجاهل القاصر :

وأما بغض الشخص لفسقه في الامور الاعتقادية^(٥٤) فإذا كان مستضعفاً وجاهلاً قاصراً أي لا قدرة له على التحقيق للوصول الى الحق أو انه يستطيع ذلك ويبحث إلا أنه لم يصل الى الحق فلأن مثل هذا الشخص معذور عند الله ولن يعذبه على ذلك فيغضه لا مبرر له وحرام .

نعم اذا كان يستطيع البحث ويبحث وحقق واتضح له الحق ومع ذلك لم يتبعه ولم يعتقد به فلأنه معاند للحق ومبغوض لله وسيعذب ، فيغضه مبرر ومثال هذا : عالم مسلم فهم امامة الإمام علي وسائر الائمة عليهم السلام من الأدلة العقلية والقرآن المجيد والروايات المتواترة التي ذكرت في كتب الكلام ومع

(٥٤) قال المحقق الطوسي عليه الرحمة في تجريد الكلام : ومحاربو علي عليه السلام كفره ومخالفوه فسقة ويجب الانتباه الى أن فسقهم ثابت فيما اذا كانوا مقصرين في الاعتقاد بامامته عليه السلام لا قاصرين وبناءً عليه فالمسلمون الذين لا يعتقدون بامامة علي وسائر الائمة عليهم السلام ثلاث فرق :

الأولى : الذين هم محاربون واعداء لهم وهؤلاء كفره يستحقون الخلود في النار وبغضهم واجب .

الثانية : الذين لا يعادونهم ولا يعتقدون بامامتهم عن تقصير منهم مثل الذين يمكنهم البحث عن الحقيقة ولكنهم لا يهتمون بهذه الفريضة الإلهية عن تقصير فهم فسقة ويستحقون العذاب .

الثالثة : الذين لا يعادونهم لا عن تقصير بل عن قصور فهؤلاء ليسوا كفره وليسوا فسقة وهم معذرون عند الله ولا مبرر لبغضهم وهو حرام وحيث أن نقل الروايات لاثبات ما ذكر يستدعي الاطالة فليراجع كتاب اصول الكافي باب المستضعف وغيره .

ذلك لم يعتقد بإمامتهم . . فإن ذلك يكشف أنه لا يؤمن بالله والرسول والقرآن .

والخلاصة إن بغض غير المقصر والمعاند للحق لا مبرر له ويجب تمنى هدايتهم وبذل الجهد في حدود الاستطاعة عبر حسن السلوك وحسن البيان لتعريفهم الحق .

وينبغي التنبيه على أن التفسير في قبول الحق أمر خفي ونادراً ما يحصل اليقين به ولذا ينبغي احتمال القصور في الجميع وعدم معاداتهم الا المقصر الذي ثبت تقصيره يقيناً وقد تقدم في قسم العقائد بيان معنى الجاهل القاصر والمقصر كما تقدمت الإشارة إليه في بحث سوء الظن .

التكفير والتفسيق الرائجان :

مما ذكر يعلم أن أكثر انواع التكفير والتفسيق والعداوات الجاهلة والحروب المذهبية التي راجت بين المسلمين من صدر الإسلام حتى الآن قبيحة ولا مبرر لها بل هي حرام ومخالفة لمباني الإسلام وقد أدى هذا السلوك المستهجن بالمسلمين الى حيث صاروا آلاف الفرق وكل فرقة آلاف المجاميع المتناثرة ، بحيث أن كل جماعة من أية فرقة عدوة للجماعة الاخرى ، تمنى مساءتها تسبها وتفحش لها في القول وكل مجموعة لا تتورع عن هتك المجموعة الاخرى وفضيحتها بحجة ذنب صدر منها .

احكام الاسلام هي ما ذكرناه . . واحوال اتباع الإسلام ايضاً هذا الذي سمعت ويجب أن يُنكى دماً لتفرق المسلمين هذا . . والتمسك بالصبر وانتظار ظهور بقية الله عجل الله تعالى فرجه ليحقق الوحدة الإسلامية .

« اين جامع الكلمة على التقوى . . » .

بغض الفاسق في الواجبات والمحرمات العملية :

واجب كل مسلم في التعامل مع المسلم الآخر أن لا يعتبره غريباً وأجنبياً عنه بل يعتبره أخاه الديني والروحي . . بناءً على هذا فلا ينبغي له إذا رآه ارتكب ذنباً أن يغضب منه بل ينبغي أن يعطف عليه ويتحرق لأجله بأن يحتمل أن فعل ذلك جهلاً أو سهواً ويرشده بحنان وإذا تيقن أنه فعل ذلك عالماً عامداً فليحاول أن يثنيه عنه بلين فإذا لم يثن واحتمل أن الحدة قد تحمله على ترك هذا المحرم فليستعمل معه الحدة في الحديث والغضب الظاهري أي التقطيب لا الغضب النفسي والباطني .

ثم انه ينبغي أن يدعو له بظهر الغيب (في غيابه) ويسأل الله تعالى له توفيق التوبة والمغفرة كما أن حملة العرش يطلبون المغفرة للمؤمنين ويدعون لهم .

الخلاصة أن الغضب على العصي في حالة إصراره على الذنب . . فإذا تركه فلا مبرر للغضب ، ثم إن الغضب بسبب الذنب يجب أن يكون رحيماً أي من منطلق الرحمة والتحرق كيف أن هذا المؤمن الذي هو أخي تلوث بالذنب واحترق بنار الذنب .

بين الغضب الرحماني والنفساني :

يتم التمييز بين الغضب الرحماني والنفساني بأن يلاحظ الانسان نفسه اذا صدر منه او من احد اقاربه ذنب وصدر من آخر فهل غضبه في الموارد كلها على حد سواء اذا كان كذلك فغضبه رحماني .

اما اذا كان صدور الذنب من غيره وغير اقاربه يثير غضبه إلا أن هذا الذنب

منه ومن اقاربه او ذنب اشد منه لا يتركان اي اثر فيه . . ولا يابه فغضبه إذن نفساني .

٦ - بغض الظالم :

من لحقه ظلم من مسلم في ماله أو كرامته أو بدنه . . يجب عليه أن يدخل في حسابه الامور الآتي ذكرها حتى يسيطر على غضبه ولا يفسح مجالاً في قلبه للحقد عليه :

١ - أن يتذكر فوراً اعماله هو والظلم الذي يلحقه بنفسه دائماً مثلاً اذا لحق به ظلم مالي ليتذكر كم أنفق طيلة عمره في مصارف عبثية في حين أنه كان يستطيع أن يتعامل بهذا المال مع الله ويشتري الجنة .

واذا لحق به ظلم في كرامته ليتذكر كيف أنه بارتكاب المعاصي يريق ماء وجهه أمام الله والرسول والملائكة . . وما أشد الفصائح التي ستواجهه في المحشر .

وإذا لحق به ظلم بدني ليتذكر النيران التي اضرمتها لبدنه الضعيف (٥٥) .

٢ - وليتذكر أيضاً المظالم والايذاءات والتجاوزات التي ارتكبها طيلة عمره بحق الآخرين ولعل هذا الظلم الذي لحق به في مقابل بعض من ذلك .

من يَظلم يُظلم :

قال الإمام الباقر عليه السلام : «ما من احد يظلم بمظلمة إلا اخذه الله بها

(٥٥) يحكى أن عاقلاً كان ماراً في زقاق فرمى اصحاب البيت من السطح نفايات وأوساخاً وصادف ذلك مروره من امام هذا البيت فوقع ذلك على رأسه . . فرفع رأسه وقال ، إلهي هذا الرأس العاصي يستحق الرجم بالحجارة وشكراً لك أن أصابته النفايات بدلاً من الحجارة .

في نفسه وماله وأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر الله له . (٥٦) .
وقال الإمام الصادق عليه السلام : « من ظلم مظلماً اخذ بها في نفسه أو
في ماله أو في ولده » . (٥٧) .
وقال عليه السلام : « من ظلم سلط الله من يظلمه أو على عقبه أو على
عقب عقبه » . (٥٨) .

درس من مالك الاشر (رض) :

٣ - وليحتمل المظلوم أن الظالم أخطأ ولم يكن ظلمه بسبب العداوة وحب
الظلم بل خطأ وصدفة . . وإذا أيقن أنه عامد متعمد ، فليفكر في حقيقة باطنه
وكيف انه اصبح اسيراً ذليلاً للنفس والهوى وفي قبضة الشيطان عاجزاً عن
الافلات من ذلك والامتناع عن الظلم وأضرمت لنفسه بيده النار التي سيعذب
بها . . عندها يتذكر أنه أخوه الديني وبدلاً من الغضب عليه يشفق عليه ويطلب
له من الله المغفرة .

مر مالك الاشر ذات يوم في سوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة خام
فراه شخص لا يعرفه ونظر إليه باحتقار ورماه بيندقة (كتلة طين صغيرة) فلم
يكثر مالك به . . . وجاء من قال لذلك الشخص أتعرف بمن هزئت وعلى من
اعتديت . . قال لا ، قال انه مالك الاشر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام
فارتعدت فرائضه وسيطر عليه الرعب ومضى خلف مالك ليعتذر منه ووجده في
المسجد واقفاً يصلي وعندما انتهى صلاته وقع على قدميه يقبلهما . . فسأله
مالك ما الخبر . . قال جئت اعتذر منك على ما بدر مني . .

قال مالك : لا تثريب عليك . . والله ما دخلت المسجد إلا لكي اصلي

(٥٦ و ٥٧ و ٥٨) الكافي - باب الظلم .

واستغفر الله لك (٥٩) .

كظم الغيظ :

٤ - وليتأمل المظلوم في آيات وروايات فضيلة كظم الغيظ ولا يحرم نفسه من آثار هذا الخلق العظيم :

قال الإمام الباقر عليه السلام : «من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه حشاه الله امناً وإيماناً يوم القيامة» . (٦٠) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من أحب السبيل الى الله عز وجل جرعتان جرعة غيظ تردّها بحلم وجرعة مصيبة تردّها بصبر» (٦١) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «اصبر على اعداء النعم فإنك لن تكافي من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه» . (٦٢) .

سيرة العظماء :

٥ - وليتأمل ايضاً في سيرة الانبياء والأئمة والصلحاء كيف كانوا يترفعون في مقابل اعدائهم وظالمهم عن الغضب والانتقام بل كانوا يواجهونهم بالعفو والاحسان الأمر الذي كان يؤدي الى نجاة هؤلاء . . وعلى المسلمين الاقتداء بعظمائهم (٦٣) .

(٥٩) منازل الآخرة للشيخ عباس القمي (فارسي) .

(٦٠ و٦١ و٦٢) الكافي - باب كظم الغيظ .

(٦٣) روي عن عصام بن المصطلق الشامي أنه دخل المدينة فرأى الإمام الحسين عليه السلام فأعجبه سمته ومنظره فحملة الحسد على اظهار ما يعتمل في صدره من حقد تجاه أمير المؤمنين عليه السلام فدنا منه وقال : أنت ابن أبي تراب ؟ قال نعم . . يقول ابن المصطلق : فبالغت في شتمه فنظر الي نظرة عاطف رؤوف وقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وإما =

مسى الرحم يسكن الغضب :

قال الإمام الباقر عليه السلام : «إن الرجل ليغضب فما يرضى ابداً حتى يدخل النار فأَيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان وأَيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فإن الرحم إذا مست سكنت» (٦٤) .

وخلاصة هذه الرواية والروايات الأخرى أن على من يغضب لكي يطفىء نار غضبه أن يغيّر الحالة التي هو عليها فإذا كان قائماً فليجلس وإذا كان جالساً فليقم أو فليمن أو يغسل وجهه بالماء البارد أو يتوضأ .

لم يغضب وحقن الدماء :

وفي الكافي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام : قال رجل للنبي صلى

ينزعك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه سميع عليم ، إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ثم قال : خفض عليك أستغفر الله لي ولك إن استعنتنا اعناك وإذا سألتنا اعطيناك وإذا استرشدتنا ارشدناك .

قال ابن المصطلق فندمت على ما كان مني وادرك (عليه السلام) ذلك فقال : لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ثم قال أمن أهل الشام انت قلت : نعم قال : شنشنة اعرفها من أخزم حيانا الله وإياك سل حاجتك فستجدنا احسن مما تظن .

قال ابن المصطلق : وأمام هذا الخلق الكريم ضاقت علي الأرض بما رحبت حتى لوددت أن الأرض تنشق فتبتلني فتسللت من بين يديه مخبئاً بين الناس حتى ابتعدت عنه ولم يكن بعد ذلك أحد أحب إليّ منه ومن أبيه / منتهى الآمال ١/ ٥٣٢ ومنازل الآخرة : وليلاحظ أن بعض العبارات في النص مترجمة عن الفارسية حيث لم أجده في مصدر آخر غير المذكورين وهما بالفارسية .

(٦٤) الكافي / باب الغضب .

الله وآله وسلم يا رسول الله علمني قال : اذهب ولا تغضب فقال الرجل : قد اكتفيت بذلك فمضى إلى اهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تغضب فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه فقال : يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أو فيكموه فقال القوم : فما كان فهو لكم نحن أولى بذلك منكم قال فاصطلح القوم وذهب الغضب^(٦٥) .

عندما تضطرم نار الغضب :

قال بعض المحققين « ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها اعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة ، فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك (. . .) إذ يطفأ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب (. . .) ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره (أرضه) وامتلات بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحي أو انطفأ فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج ، بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبها غيظاً . .

(. . .) ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق (. . .) ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه

(٦٥) الكافي / باب الغضب .

اعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن (. . .) .

وأما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي هو منه عند فتور الغضب (. . .) اما أثره على الأعضاء فالضرب والنهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فإن هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشنفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ولطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعاً لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب إناء مثلاً على الأرض ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب غاقلاً وقد ترفسه دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك^(٦٦) .

٧ - الوقاية من الغضب :

كل نوع من أنواع الفساد الذي يظهر في الانسان في القول أو الفعل أو يستقر في باطنه اذا بحث عن جذره ومنشئه يتضح أنه حب الدنيا لا غير . .

توضيح ذلك : أن الشخص الذي تكون كل علاقته القلبية منصبة على تأمين معيشته الدنيوية وترتيب أوضاعه المادية وهو يرى عالم ما بعد الموت العظيم عالماً صغيراً لا قيمة له او يراه قصة وحكاية ليس إلا . . . وهو يذكره بلسانه فقط . . مثل هذا الشخص يسعى قهراً للوصول الى اهوائه النفسية التي تناسبه . . بذلك فقط يفكر وله يكده ويتحفز ويتوئب . . وهو لا يدخر جهداً في هذا السبيل ولا يضيع فرصة . . وهو مستعد لتحمل كل المصاعب ومواجهة كل المصائب واذا لم يتح له تحقيق ما أراد فإنه يحزن بشدة ولا يستطيع أن يصمد

(٦٦) احياء علوم الدين ٣/ ١٦٣ - ١٦٨ . بتصرف يسير .

امام المنغصات ولا قدرة له على الصبر والحلم الى حد أنه اذا سمع كلاما يستهدف النيل من شخصيته واعتباره فإن ذلك يصدمه فيضطرب ويعادي القائل . . . وليس لذلك سبب ابدأ إلا اكباره أوضاع الحياة المادية .

اذا اكبر الانسان الآخرة :

لو أن شخصاً ركز اهتمامه على تأمين حياته بعد الموت واكبر هذا العالم بحيث اصبح يعتبر صرف النظر عنه قبيحاً وغير مناسب ، ولأجل استقراره في الحياة الابدية فهو على استعداد للإلتزام بكل تكليف من فعل الواجبات وترك المحرمات واذا فاته واجب أو صدر منه حرام فإنه يستاء كثيراً ويغضب على نفسه وباختصار يحب كل ما ينفعه لحياته الأبدية ويلتزم به ويترك كل ما يضره فيها ويهرب منه وأما تأمين حياته المادية السريعة الزوال فلأنه يراها بالنسبة الى حياته الأبدية ليست شيئاً يذكر فهو لا يتهالك على تحقيق رغباته النفسية وشهواته الحيوانية بل يقوم بواجبه (العمل لتأمين قوته وما شابه) بكل تماسك واطمئنان قلب . . واذا لم يحالفه التوفيق احياناً فإنه لا بأسف على ما فات على الاطلاق لأنه في نظره ليس كبيراً وليس مهماً كما أنه في مقابل المنغصات لا يحبط ولا يسقط او يضطرب ويشتد خفقان قلبه ويغضب لأن من كانت المنغصات الروحية والأخروية كبيرة في نظره ومهمة فإن المنغصات النفسية الدنيوية قهراً وحتماً لا تؤثر فيه أثراً مهماً ومؤلماً . .

بناءً على هذا فالطريق الوحيد لعلاج كل فساد والوقاية منه بما في ذلك فساد الغضب والبغض والحقد والحسد ، هو تقوية الايمان بيوم الجزاء وحياة ما بعد الموت أي أن يعتقد بذلك كما وصفه الله تعالى في القرآن المجيد ويعظمه كما عظمه الله تعالى ويبذل جهده بجذ ومثابرة للوصول الى تلك السعادة الكبيرة الخالدة . .

وقد تقدم الحديث عن طريق تقوية الايمان في بحث العقائد .

نصيحة ضرورية :

حيث أن الحقد ذنب خطير ومدمر للايمان ويقضي على سعادة الدنيا والآخرة ويكفي في فسادة انه يعيث بوحدة القلوب التي هي منشأ كل خير وبركة وسعادة . . فكما أن على كل مسلم أن لا يلوث قلبه بهذا الذنب الخطير كذلك يجب عليه أن لا يصبح سبباً لتلوث مسلم آخر به اي لا يقولن شيئاً ولا يفعلن فعلاً يوجب بغض آخر له وحقده عليه .

والامور التي تسبب العداوة وقد نهى عنها بالخصوص كثيرة ويذكر هنا بعضها :

١ - المراء والجدال يورثان الحقد :

اي أن الاعتراض على قول آخر وفعله واثبات خطئه وتفنيد جوابه اذا ادى ذلك الى العداوة فهو حرام .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلب على الإخوان وينبت عليهما التفاق » (٦٧) .

وقد ورد في هذا الباب في الكافي احد عشر حديثاً .

٢ و ٣ - النميمة وكثرة المزاح :

من اغتاب شخصاً ونقل السامع ذلك إليه . . فإن هذا سبب حدوث الحقد في القلب قال علي عليه السلام : « اياك والنميمة فإنها تورث الضغينة وتبعد عن الله والناس » (٦٨) .

(٦٧ و ٦٨) اصول الكافي .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « كثرة المزاح تذهب بالبهاء وتوجب الشحناء » (٦٩) .

وقال عليه السلام : « لا تمازح الشريف فيحقد عليك » (٧٠) .

٤ وه و٦ - العبوس والسب وحبس الحقوق :

قال الإمام الباقر عليه السلام : « الانقباض من الناس مكسبة للعداوة » (٧١) .

والمراد بالانقباض مواجعة الناس بوجه مقطب عابس .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « لا تسب الناس فتكسب العداوة منهم » (٧٢) .

ومن الامور المهمة استعداد الناس واكتساب الاعداء والمسامحة في دفع الحقوق وأدائها سواء الحقوق المالية بالتفصيل المذكور في كتاب الذنوب الكبيرة أو الحقوق الشرعية أو العرفية التي حددت في آداب المعاشرة بين الرجل والمرأة ، الأب والام والولد ، الأرحام والجيران ، الصديق والصاحب في السفر وسائر الناس بالتفصيل المذكور في كتاب العشرة من وسائل الشيعة .

ومن الواضح أن الإنسان إذا امتنع عن أداء حق أحد من الناس فمن الممكن أن يثير بذلك عداوة صاحب الحق له ..

وأيضاً : من واجب صاحب الحق أن لا يتشدد في المطالبة بحقه ، وأن يتسامح ويعذر صاحب العلاقة ، وإذا صرف النظر عن حقه فإنه يستحق ما ذكر في فضيلة العفو .

(٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢) المصدر السابق .

والخلاصة : إن على من في عهده حق أن لا يتساهل في أدائه ، وليعلم أن تساهله يوجب العداوة ، وعلى صاحب الحق أن يتساهل لأن التشدد في طلب الحق يسبب العداوة .

ورعاية للاختصار فقد صرف النظر عن ذكر الروايات في هذا المجال .

٧ - الطمع يسبب العداوة :

من الأمور التي تسبب العداوة الطمع بمال شخص آخر أو مساعدته أي أن يمد الشخص يده إلى غيره ، وعندما يرى أنه لم يحصل منه على ما أراد يحقد عليه ، أو يعاديه ، كما يحدث كثيراً .

يقول أحد الرواة قلت للإمام الصادق عليه السلام : « ما الذي يثبت الإيمان في العبد ؟ قال عليه السلام : هو الورع ، والذي يخرج منه ؟ قال : الطمع »^(٧٣) .

وعن الإمام السجاد عليه السلام : « رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس »^(٧٤) .

قال المجلسي : « الخير كله » أي الرفاهية ، وخير الدنيا وسعادة الآخرة ، لأن الطمع يورث الذل ، والحقارة ، والحسد ، والحقد ، والعداوة ، والغيبة ، والوقيعة ، وظهور الفضائح ، والظلم ، والمداينة ، والنفاق ، والرياء ، والصبر على باطل الخلق ، والإعانة عليه ، وعدم التوكل على الله ، والتضرع إليه والرضا بقسمته والتسليم لأمره ، إلى غير ذلك من المفاصد التي لا تحصى ، وقطع الطمع يورث أضداد هذه الأمور التي كلها خيرات^(٧٥) .

(٧٣) والكافي - باب الطمع .

(٧٥) مرآة العقول / ١٠ / ٢٥٨ .

البغض الواجب : التبري :

يجب على كل مؤمن التبري من أعداء الله وعداوتهم وهذا التبري هو ركن الإيمان ومن لوازمه القطعية ، والجمع بين محبة الله تعالى والإعتقاد به ، ومحبة أعداء الله محال ، لأن صديق العدو عدو ، إذن صديق عدو الله عدو الله .

وأعداء الله هم المنكرون لله ، والرسول ، المحاربون للمسلمين الذين هم أنصار الله والرسول ، وأعداء الله أيضاً هم الذين عادوا أحد الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وحاربوهم ، لأن الأئمة عليهم السلام هم بشهادة الأخبار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولياء الله قطعاً ، ولأن عدو الصديق (والولي) عدو فإن عدو آل محمد عليهم السلام عدو الله تعالى .

بناءً عليه فإن المحاربين لهم كمعاوية وعمرو بن العاص وسائر المحاربين لعلي عليه السلام وقاتله أي ابن ملجم ، وقاتل الحسن عليه السلام ، أي معاوية وقتله الحسين عليه السلام ، عموماً ، وكذلك قتلة سائر الأئمة عليهم السلام هؤلاء المحاربون والقتلة جميعاً يبغضهم الله والرسول ، ويجب على كل مسلم بغضهم والتبرؤ منهم .

وباختصار : إن كل شخص - من صدر الإسلام وإلى الآن - ثبت عداؤه لله والرسول يقيناً يجب عداؤه والتبرؤ منه .

يجب أن يكون الحب والبغض في الله :

كمال الإيمان في أن يكون الحب والبغض في الله ، أي أن المؤمن الكامل ليس له محبوب غير الله وكل من يحبه الله ، ولا يحب من الأقوال ، والأفعال إلا ما كان إطاعة لله وقد أمر به سبحانه .

وكذلك لا يبغض غير أعداء الله ، ولا يعادي من الأقوال والأفعال إلا ما كان معصية ، إلى حد أنه لا يحب زوجته وأولاده إلا لأنهم أمانة الله وعطاؤه ولأنهم أيضاً مؤمنون ومحبون لله ، ويحب أرحامه لأن الله أمر بصلتهم ، وكذلك سائر المؤمنين . . . ويحب المال لأنه عطاء الله ونعمة منه سبحانه يستطيع بواسطة إنفاقه في سبيل الله (المصاريف المشروعة ، التوسعة على العيال وغير ذلك) أن يحصل على رضا الله تعالى .

وكل قول أو فعل يصدر من شخص ما ، فإنه لا يشعر بعداء تجاهه ما لم يكن معصية حتى إذا كان لا يلائمه أبداً ، ويأتي تفصيل هذه المضامين بصورة أو في مع ذكر الروايات في بحث الحب إن شاء الله تعالى ، ويكتفى هنا بذكر رواية واحدة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : أي عرى الإيمان أوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، وقال بعضهم : الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة ، وقال بعضهم : الحج والعمرة ، وقال بعضهم : الجهاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لكل ما قلتم فضل وليس به ، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتولي أولياء الله والتبري من أعداء الله .

استغاثة . . من تفرق المسلمين :

إذا تأملت أيها القارئ العزيز في ما تقدم ، ثم فكرت في حالك وحال سائر المسلمين ستعلم أن المسلمين تمردوا على هذا المنهج الإسلامي وخرجوا من طاعة الله وامتنال أوامره ، وجميع صداقات المسلمين وعداوتهم لبعضهم البعض تتم على أساس هوى النفس ، وليس لها أي بعد إلهي . .

إذا كان مسلم يحب مسلماً آخر فلأنه يتلاءم مع نفسه وهواه ، وبمجرد أن

يصبح غير متلائم مع ذلك فإنه يعاديه فوراً والعداوات بين المسلمين قائمة على أساس عدم تلاؤم أهوائهم ، إلى حد أن الذين يعتبرون أنفسهم متدينين ويعادون أصحاب المعاصي سيجدون إذا فكروا قليلاً أن عداؤهم بشكل عام نفساني لا رحمانى ، لأنه لو كان رحمانياً لما تلوثوا هم بالمعاصي .

ومن الواضح أن عداؤ الذنب إذا صدر من آخر ، وعدم عداؤه إذا صدر من النفس ليس إلا حيثية نفسية (ودليلاً على حب الهوى) وقد بلغ أثر بغض النفساني في فصل المسلمين عن بعضهم وتفريقهم حداً بحيث أن حوالي مليار مسلماً لا يوجد واحد على الألف منهم بل واحد على المليون متحدون قلباً واحداً وهدفاً واحداً ويحب بعضهم البعض الله ويطرحون جانباً الأهواء والأغراض النفسية، في حين أن أمر الله للمسلمين هو: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ آل عمران ١٠٣ .

﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ الأنفال ٤٦ .

أي لا توجدوا الاختلاف بينكم عبر النزاع والتخاصم فتكون النتيجة أنكم تجعلون أنفسكم ضعيفي الإرادة وتخسرون العزة والسلطة ، أو الغلبة على العدو ، لأن الاختلاف بينكم يقضي على وحدة كلمتكم وقوتكم واصبروا على النوائب وكل الصعوبات لأن الله ينصر الصابرين .

هذا هو الأمر الإلهي . . وهذا هو حال المسلمين ، ولأنهم لم يلتزموا بهذا الأمر فقد حرموا من سعادة الحياة الدنيا والآخرة أما سعادة الدنيا فلأن الحياة الفردية لكل مسلم أصبحت كحياة الكفار أي حوّل الإضطراب والشقاء نهارهم إلى ليل وكل منهم غير راضٍ عن وضعه المعيشي ، سيء الظن بالله بل هو غاضب . .

ولأن القلوب تفرقت فقد تسلطت الشياطين عليها وألقت فيها بدلاً من الصبر والقناعة والتوكل على الله ، الجزع والحرص ، وبدلاً من الرضا والتسليم لوثنها بالغضب والغيط ، وبدلاً من التسامح وحب الخير ، حب الإنتقام وحب الشر ، وبدلاً من التعاون والخدمة حب الأذى وحب الاستغلال . .

وباختصار رغبتهم الشياطين بالإحتيال والسرقة وادخار الثروة والخيانة والكذب ، وحب التعالي على الآخرين .

ولا شك أن هذا الوضع يسلب الراحة والإستقرار ، الأمر الذي يجعل الإنسان يمضي عمره في وضع مأساوي .

الحياة الإجتماعية للمسلمين ، مأساوية :

وأما الحياة الإجتماعية للمسلمين ، فإنها وصلت من السوء إلى حيث أن الكفار تسلطوا عليهم ، وغلبوهم ، وفرضوا عليهم أن يعانون الضيق والعذاب من كل الجهات ، وهذا بلاء يشمل جميع الدول الإسلامية .

وكنموذج : تأمل في حرب العرب وإسرائيل (عام ٦٧) وكيف أن المسلمين نتيجة عدم وجود الوحدة الإسلامية وعدم الإيمان يعانون من أذى اليهود واعتداءاتهم ، مع أن اليهود (حوالي الثلاثة ملايين ، والعرب أكثر من مائة مليوناً والمسلمين حوالي مليار مسلماً ، والعجيب أنهم رغم كل هذه الممرات التي يعانونها والغصص التي يتجرعونها لا يتوبون ولا يمثلون أمر الله تعالى .

وأما سعادة الآخرة بالنسبة لهؤلاء المسلمين ، فإن هذا التحلل وعدم الإعتماد بالأحكام الإلهية ، يسبب موتهم على غير الإيمان ، وحتى لو ماتوا على الإيمان فإنهم يقينا لا يمكنهم دخول الجنة مع هذه الأحقاد والشحناء التي

يحملونها ، بل إنهم لن يشموا رائحتها إلا بعد أن يقضوا آلاف السنين في البرزخ أو في مواقف القيامة ليطهروا من هذه القذارة أو تدركهم شفاعة رسول الله وعظماء الدين .

صلاح المجتمع من صلاح الفرد :

وتسأل : ما هي فائدة هذا الكلام ، هل يصلح به المجتمع الإسلامي ؟
وتستبدل هذه الفرقة القاتلة بالوحدة ؟

ونقول في الجواب : إن صلاح المجتمع من صلاح الأفراد ورغم أن صلاح جميع الأفراد المسلمين محال على ما يبدو إلا أن صلاح بعضهم ممكن ، كالبدن الذي أحاطت به النار وإطفائها غير ممكن إلا أن إطفاء النار المحيطة بعضو ولو بمقدار الإصبع إذا كان ممكنا فهو واجب ، ولا يصح القول : ما الفائدة من إطفاء هذا الجزء الصغير من النار . .

بناءً عليه فإذا كان بالإمكان إزالة بعض هذا البلاء الذي أحاط بجسد المجتمع الإسلامي وإطفاء شيء من ناره المضطربة ، وإنقاذ عدة أشخاص على الأقل فإن ذلك واجب من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نفسك . . فعائلتك . . فالآخرين :

قد يقرر القارئ العزيز - بعد قراءة هذا البحث وسائر أبحاث هذا الكتاب والإطلاع على الأحكام الإسلامية والواجبات الدينية - أن يعمل بها ، ويصلح نفسه ، ومن جملة ذلك أن يبعد عنها الأحقاد الحرام . . فلي بذل جهده بعد ذلك في مجال إصلاح وضع عائلته ثم إصلاح أصدقائه . . ليدخل ذلك في حسابه ، وليسع ما أمكنه عندما يواجه أي مسلم تلوث قلبه بالحق على مسلمٍ ويات على خصامٍ ونزاعٍ معه أن يتعرف على سبب هذه العداوة ويعالجه (السبب) ويصلح بينهما .

التأكيد على الإصلاح بين المسلمين :

ورد الأمر المؤكد في القرآن والروايات بالإصلاح بين المسلمين ، وعظمة الثواب على ذلك ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ الحجرات ١٠ .

وإذا وقع نزاع بين زوجين مسلمين فقد أمر الله تعالى أن يبعث حكم من أهله وحكم من أهلها ليصلحا بينهما ، وكذلك عندما يقع نزاع بين طائفتين مسلمتين ورد الأمر بالإصلاح بينهما وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله وتطفأ نار الفتنة^(٧٦) .

صدقة يحبها الله :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « صدقة يحبها الله ، إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا »^(٧٧) .

وقال المفضل : قال الإمام الصادق عليه السلام : « إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي »^(٧٨) .

وعن أبي حنيفة سابق الحاج ، قال : مر بنا المفضل وأنا وختني (صهري) نتشاجر في ميراث ، فوقف علينا ساعة ثم قال : تعالوا إلى المنزل ، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتى إذا استوثق كل واحد منا من صاحبه قال : أما إنها ليست من مالي ، ولكن أبو عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديهما

(٧٦) تراجع الآية ٣٥ من سورة النساء ، والآية العاشرة من سورة الحجرات .

(٧٧ و ٧٨) الكافي - باب الإصلاح .

من ماله فهذا من مال أبي عبدالله عليه السلام (٧٩) .

إذا دعيت إلى الإصلاح :

وروي عنه عليه السلام : « إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل : علي يمين أن لا أفعل » (٨٠) .

أي إذا أقسم شخص بالله على ترك عمل خير واجباً أو مستحباً فذلك اليمين باطل ، وبناءً عليه فإذا كان الشخص قد حلف أن لا يصلح بين الناس فذلك اليمين باطل ويجب عليه أن يقوم بما حث الله عليه ، وأمر به ، وأن لا يتساهل في ذلك .

عرّفنا الله واجباتنا ، ووفقنا لنكون من عباده المطيعين .

نهاية بحث الحقد

(٧٩ و ٨٠) المصدر السابق .

٩ . الحسد

من الذنوب القلبية ، والأمراض النفسية القاتلة ، مرض الحسد وهو بلاء مهلك وفتنة مدمرة ، يقضي على دين من ابتلي به ودنياه . . وكل حاسد هو بحكم الإسلام فاسق . .

بين الحسد والغبطة :

من آلمه أن يرى على غيره نعمة من مال وولد أو فضيلة كالعلم ، والشجاعة ، والكرم ، واستاء لذلك وغضب ، ولم يستطع أن يتحملة ، وتمنى زوال هذه النعمة عنه سواء اكتفى بتمني زوالها عنه مطلقاً أو تمنى زوالها عنه وانتقالها إليه فإن هذه الحالة الداخلية حسد . . وصاحبها حاسد ، والطرف الآخر محسود .

أما إذا كان الشخص لا يتأذى من نعمة أنعم الله بها على شخص آخر ، ولا يتمنى زوالها عنه ، وكل ما يتمناه أن يحصل هو أيضاً على مثل هذه النعمة كما حصل عليها غيره . .

فهذه الحالة تسمى « غبطة » .

والغبطة في النعم الدنيوية مباحة ، وفي النعم الأخروية مطلوبة . ويجب الانتباه إلى أن جميع الناس ، الرجل والمرأة ، العالم والجاهل ، الوضع الشريف ، الثري والفقير ، القادر والعاجز ، معرضون للتلوث بهذا المرض القاتل (الحسد) ويجب على كل مسلم أن يعرفه حتى لا يبتلى به ، وإذا كان قد ابتلي به فليعالج نفسه بعلاجه الآتي ذكره ، حتى لا يحترق بناره في الدنيا والآخرة .

الحسد في القرآن :

١ - ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ البقرة ١٠٩ .

لأن الحقيقة كانت واضحة لهم ، كانوا يرون أن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة ونعمة على المسلمين ، وأن أحد آثارها اتحاد قلوب المسلمين ، فلذلك كانوا يحسدون المسلمين ويعملون على سلب هذه النعمة منهم .

٢ - ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ البقرة ١٥٩ .

يتضح من هاتين الآيتين والروايات الواردة في تفسيرهما أن كل حق لشخص أو فضيلة من الله بها عليه ولا يستطيع شخص آخر أن يتحمل ذلك ، ويتمنى زوال هذه النعمة عنه وينكر هذا الحق أو الفضيلة حسداً أو يخفيه ، فإن هذا الشخص يستحق العقوبة ولعنة الله والملائكة والمؤمنين ، كعلماء اليهود الذين كانوا يعرفون أن نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن حق ولكن لأنهم رأوا أن النبوة والرئاسة الإلهية في غيرهم ، فقد كرهوا ذلك ولم يستطيعوا

تحمله وحملهم الحسد على إخفاء الحق الإلهي ، وحاولوا دون اعتناق اليهود الإسلام ، وأيضاً أغضبهم أن يروا المسلمين متحدّين ، وحاولوا سرقة إيمانهم ، وإلقاء الخلاف بينهم .

وتفاصيل حسد اليهود والنصارى منذ صدر الإسلام فما بعده مدونة في كتب التاريخ . . وحسدهم الآن واضح .

إنكار حق أهل البيت حسداً :

وكذلك كثير من علماء المسلمين الذين كرهوا فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم عليهم السلام حق . . فأنكروا هذا الحق وهذه الفضائل حسداً وأخفوا ذلك . . بل وضعوا روايات كاذبة في فضائل أعدائهم . وللاطلاع على مفردات هذا الحسد راجع كتاب الغدير .

قال في مجمع البيان : وهذه الآية تدل ﴿ان الذين يكتُمون . .﴾ الخ تدل على أن كتمان الحق من أكبر الكبائر .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، والمراد أنه يكتمه حيث يكون إظهاره واجباً ولا خوف من إظهاره .

٣ - ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله﴾ النساء ٥٤ .

في هذه الآية توبيخ وإنكار ونهي عن حسد من أنعم الله عليه سواء بالنعم الظاهرية كالمال ، والأولاد ، والجاه ، أو بالمقامات المعنوية كمقام النبوة التي أعطاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ومقام الولاية الذي أعطاه سبحانه لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان أعداؤهم يحسدونهم عليه .

لا تتمن نعم الآخرين :

٤ - ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ النساء ٣٢ .

أي لا يقل أحدكم : ليتني كنت مكان فلان ، ليت هذه النعمة تؤخذ منه وتعطى لي ، كحسد الأخت أخاها على سهمه من الإرث الذي هو ضعف سهمها ، أو الجاهل الذي يحسد مسلماً لأن إمرأته جميلة ويتمنى أن تكون له .
أو جاهل آخر يحسد غيره على بيته أو ثروته ، ويحمل هذه الأمنية في قلبه أو كقليل العلم الذي يحسد عالماً على شهرته وسمعته ويتألم لذلك ، ويتمنى في قلبه أن يحصل على مقامه ومكانته ، أي أن تزول تلك النعمة عن صاحبها وتكون لهذا الحسود .

وخلاصة معنى الآية : لا تتمنوا التفوق والمزية المالية وغير المالية مما منحه الله لبعضكم دون البعض الآخر لأن لكل شخص رجل أو امرأة نفعاً من كسبه ، وعمله ، وجهده ، وموقعه الاجتماعي ، ومعاناته ، ومستواه المعيشي ، والله العالم بكل شيء أوصله إلى ما هو فيه عن حكمة ومصلحة ، ولا حق لغيره من منطلق الرذالة والدناءة والحسد ، أن يتمنى زوال نعمته ، وواجب كل مسلم أن لا ينسى نصيبه الذي أعطاه إياه الله ويقنع به ، ويكون شاكراً ، ويطلب الزيادة ، والأفضل ، من ربه سبحانه ، أي يطلب من الله أن يعطيه مثل تلك النعمة وأفضل منها دون أن تزول عن ذلك الذي أعطيت له الآن .

وبشكل عام فإن المفروض أن يغض الطرف عن مزايا الآخرين وتفضيلهم ، ويكون أمله وأمنيته فقط زيادة النعم التي هي لدى الله ، وهو

سبحانه قادر عليها^(١) وهذه هي الغبطة التي تقدم أنها ممدوحة .

لو أننا نعمل بهذه الآية :

لو أن المسلمين الذين يقولون : إن القرآن كتابنا السماوي ، ودستورنا الإلهي كانوا يعملون بهذه الآية ويعتقدون بها ، ويخافون من التلوث بذنوب الحسد الكبير لاجتشت من أوساطهم جذور أنواع الخيانات ، والجنايات ، والغضب ، وعدم العفة ، والإعتداءات على الأموال والأعراض والكرامات .. ولكن بإمكانهم أن يتذوقوا لذة الحياة في الدنيا ، وأن يتنعموا بالسعادات الأخروية .

ولكن .. لأنهم عصوا أمر الله فإنهم يعيشون في الدنيا الذل والنكبات

(١) «وأسألو الله من فضله» في عدة الداعي أن رجلاً في المدينة كانت له جارية جميلة ، فوقع في قلب رجل ، وأعجب بها ، فشكى ذلك إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال له : تعرض لرؤيتها وكلما رأيته فقل : أسأل الله من فضله ، ففعل ، فما لبث إلا يسيراً حتى عرض لوليها سفر فجاء إلى الرجل فقال : يا فلان أنت جاري وأوثق الناس عندي ، وقد عرض لي سفر ، وأنا أحب أن أودعك فلانة جاريتي ، تكون عندك ، فقال الرجل ليس لي امرأة ، ولا معي في المنزل امرأة ، فكيف تكون جاريتك عندي ؟ فقال : أقومها عليك بالثمن وتضمنه لي ، وتكون عندك فإذا أنا قدمت فبعنيها أشتريها منك ، وإن نلت منها ، نلت ما يحل لك ، ففعل ، فغلظ عليه في الثمن ، وخرج الرجل فمكثت عنده ما شاء الله .

ثم قدم رسول لبعض خلفاء بني أمية يشتري له جوارى فكانت هي في من سُمي أن يشتري ، فبعث الوالي إليه ، فقال له : جارية فلان ، قال : فلان غائب ، فقهره على بيعها ، فأعطاه من الثمن ما كان فيه ربح ، فلما أخذت الجارية من المدينة ، قدم مولاه ، فأول شيء سأل ، سأل عن الجارية كيف هي فأخبره بخبرها وأخرج إليه المال كله الذي قومه عليه والذي ربح ، فقال : هذا ثمنها فخذ ، فأبى الرجل فقال : لا آخذ إلا ما قومت عليك وما كان من فضل فخذ لك هنيئاً . بحار الأنوار ٤٧/ ٣٥٩ بتصرف يسير .

والمشقات والمحن ، وسيلفهم الخجل يوم القيامة وينكسون رؤوسهم أمام
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
أعوذ بالله من الحاسد :

٥ - ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الفلق ٥ .

في هذه الآية الشريفة ، جعل الحسود الذي هو في الحقيقة شيطان
إنسي ، كالشيطان الجني ، ولأن الشيطان الجني عدو خفي ، ولذلك فهو يأخذ
الإنسان على حين غفلة ، ولا وسيلة للتخلص منه إلا اللجوء إلى الله والاستعاذة
به من شر هذا العدو فكذلك الإنسان الحاسد ، فإنه لا يُعرف قبل وصول حسده
إلى المحسود ولو كان يعرف قبل ذلك لأخذ المحسود حذره منه . .

ثم إن من الممكن أن يكون للإنسان حساد كثيرون ، وهو غافل عن
خططهم التي تحاك ضده بمهارة ، ويعجز عن الدفاع عن نفسه ، وعلى الأقل
يعجز عن الوقوف بوجه أثر نظراتهم المسمومة . .

والعلاج الوحيد هو اللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به ليخلص بقدرته
المؤمن العاجز من شر الحساد والسحرة وسائر الشياطين .

جاء في تفسير البرهان عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عزَّ
وجلَّ : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ قال : « أما رأيت إذا فتح عينيه وهو ينظر
إليك هو ذاك » (٢) .

الحسد في الروايات :

الحسد يقضي على الإيمان . . قال الإمام الصادق عليه السلام : « إن

(٢) البحار ٧٣/٢٥٣ .

الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٣) .

ذلك أن الحسود ينشغل قلبه بالغضب على المحسود ، فلا ينصرف إلى ذكر الله والأخرة حتى يوفق للحصول على نور الإيمان .

وأيضاً : إنه لا يرى عيوب نفسه ليصلحها ، ولا يتذكر ذنوبه التي لا تحصى حتى يتوب إلى الله منها ، ولا يعرف حضور القلب في الصلاة ، وسائر العبادات حتى يكون له عمل صالح .

آفة الدين ، وعلامة النفاق :

وقال عليه السلام : « آفة الدين الحسد والعجب والفخر »^(٤) . و « إن المؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط »^(٥) إي أن الحسود منافق .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل لموسى بن عمران : « يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك فإن الحاسد ساخط لنعمي ، صاقل لقسامي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني »^(٦) .

وقال داود الرقي : سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول : « اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً »^(٧) .

داء الأمم من قبلكم :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه يوماً : « ألا إنه قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد ليس بحالقي الشعر لكنه حالق الدين

(٣) الكافي - صحيحة محمد بن مسلم ، الكافي - صحيح معاوية بن وهب .

(٤) (٥) نفس المصدر والبحار ٧٣/٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٦) (٧) المصدر السابق .

وينجي منه أن يكف الإنسان يده ويخزن لسانه ولا يكون اذا غمز على أخيه المؤمن»^(٨) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : أصول الكفر ثلاثة : الحرص ، والاستكبار ، والحسد^(٩) .

يخرج من الجنة ويذهب الإيمان :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « معاشر الناس إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتنزل أقدامكم»^(١٠) .

وقال صلى الله عليه وآله : لا يجتمع الإيمان والحسد في قلب امرئ .
وقال علي عليه السلام : الحسد يميئ الإيمان كما يميئ الماء الثلج^(١١) .

الحسد أهلك قابيل :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً ولا توبة لحاسد لأنه مصر عليه معتقد به»^(١٢) .

« إن أبغضكم إلي المترسبون المشاؤون بالنمائم الحسدة لإخوانهم ليسوا مني ولا أنا منهم إلى أن قال : والله لو قدم أحدكم بملء الأرض ذهباً على الله

(٨) (٩) الوسائل - الجهاد - باب ٥٤ .

(١٠) (١١) (١٢) مستدرك الوسائل .

ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكوى به في النار» (١٣) .

وفي عدة الداعي ضمن حديث معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « . . . وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى أهلها فتمر به إلى ملك السماء الخامسة (. . .) ولذلك العمل رنين كرنين الإبل ، عليه ضوء كضوء الشمس ، فيقول الملك : قفوا أنا ملك الحسد ، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، واحملوه على عاتقه إنه كان يحسد من يتعلم أو يعمل لله بطاعته ، وإذا رأى لأحد فضلاً في العمل والعبادة حسده ووقع فيه ، فيحمله على عاتقه ، ويلعنه عمله » (١٤) .

فتاوى فقهاء الإسلام :

قال الشيخ المفيد : ولا تقبل شهادة الفاسق ولا ذي الضغن والحسد (١٥) .

وقال ابن إدريس في السرائر : الحسد حرام ووقاية النفس منه واجبة .

وقال العلامة الحلي : والحسد حرام وكذا بغض المؤمن والتظاهر بذلك قاذح في العدالة (١٦) .

وقد عدد الشهيد الأول في الدروس « الكبائر » وذكر أن منها : « إظهار الحسد للمؤمن والبغضاء » (١٧) .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) عدة الداعي - ٢٢٩ .

(١٥) المقنعة - البيئات .

(١٦) القواعد - الشهادات .

(١٧) يمكن القول ان الشهيد وسائر الفقهاء الذين حرّموا إظهار الحسد لا يصح أن يستنتج من كلماتهم أنهم لم يحرموا نفس الحسد ، لأنهم كانوا بصدد تعداد الذنوب التي توجب -

وفي شرح كلمة أمير المؤمنين عليه السلام : إياك والحسد فإنه شر شيمة وأقبح سجية وخليفة إبليس (١٨) قال المحقق الخونساري الحسد أن يتمنى شخص زوال نعمة شخص آخر كالمال أو الجاه أو العلم وأمثال ذلك ، سواءً تمنى أن يصل إليه أم لا ، وهو مذموم وحرام .

ومن الذين اعتبروا حرمة الحسد مسلمة لا خلاف فيها المحقق المازندراني في شرح أصول الكافي .

وقال الفاضل المقداد في كشف اللثام : الحسد حرام ولأنه أمر خفي ، فالظاهر به مضر بالعدالة .

ونقل عن مبسوط الشيخ أن الحاسد إذا أظهر حسده بالسب والظلم فهو فاسق .

وقال العلامة المجلسي في شرح الكافي وبحار الأنوار : المشهور بين الفقهاء أن الحسد حرام مطلقاً أي سواءً أظهره الحاسد أم لم يظهره ، وبعض الفقهاء حرموا إظهاره فقط بلحاظ بعض الأخبار المتواترة في ذم الحسد والنهي عنه ، فإن العقل الصريح يحكم بقبحه ، لأن الحسد غضب على قضاء الله لأنه من على بعض عباده بزيادة في هذا المجال أو ذاك ، ولا ذنب أشد خطراً من أن يتألم الإنسان لأن مسلماً مرتاح في حين أن راحته لا تشكل لذلك التعيس الحاسد أي ضرر ، إلى غير ذلك من مفسد الحسد الأخرى وسيأتي ذكرها (١٩) .

- الفسق وتسقط العدالة ولأن الحسد أمر خفي لا يعلم إلا إذا أظهر فلم يذكره .
والخلاصة إن عبارة الشهيد الأول ترجع إلى نفس معنى عبارة الشهيد الثاني وعليه
فحرمة الحسد محل اتفاق .

(١٨) و (١٩) بحار الأنوار ٧٣/٢٣٨ - ٢٣٩ بتصرف .

وقال الشيخ الحر العاملي : والحسد حرام دون الغبطة (٢٠) .

وقال الفاضل النراقي في جامع السعادات :

١ - إذا أظهر الحاسد الحسد بالقول أو الفعل ، فلا شك في مذمته وحرمته وصاحبه عاصي وسبب عصيانه الحسد ، وأما فعله وقوله فكل منها في حد ذاته ذنب .

٢ - إذا لم يظهر حسده القلبي إلا أنه لم يستأ منه ، واحتفظ به في قلبه ، فهذا أيضاً لا شك في مذمته وحرمته كالقسم الأول مع فارق أنه في هذا القسم ذنب بينه وبين الله ، والتوبة منه واجبة ، ولكنه في القسم الأول أظهره أي عبر بقوله أو بفعله عما في قلبه ، ولذلك أصبح واجباً عليه بالإضافة إلى التوبة من ذنب الحسد ، التسامح من المحسود وإرضاءه .

٣ - إذا لم يظهر حسده ، واستاء منه ، وغضب على نفسه لهذه الحالة الشيطانية ، وأحب أن يتخلص منها ، وأن لا يبتلى بها فالظاهر أنه في هذه الصورة لم يرتكب ذنباً .

إلى أن يقول : اتضح مما ذكرنا أن حالات الإنسان بالنسبة إلى أعدائه على ثلاثة أقسام :

١ - أن يفرح لحلول البلاء بعدوه ويصبر عن فرحه بالقول أو الفعل أو أن يؤدي عدوه بالقول أو الفعل ، وهذا القسم حرام مطلقاً وصاحبه عاصي حتماً .

٢ - أن يحب بحسب طبعه ما يؤدي عدوه لكنه عقلاً يكره هذه الحالة فيه وهو متألم منها وغاضب بسبب وجودها فيه ولو أنه استطاع لتخلص منها . . وهذا القسم معفو عنه باتفاق الفقهاء .

(٢٠) بداية الهداية .

٣- أن لا يظهر حسده ، ولا يستاء منه ، ولا يطلب زواله من نفسه ، وهذا القسم محل خلاف ، والحق حرمة وعصيان صاحبه^(٢١) .

وقال صاحب الجواهر :

لا كلام في أن الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن الغير أو هزوله معصية تأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ، وأن آفة الدين الحسد والعجب والفخر وأن الحاسد ساخط لنعم الله صاد لقسمه بين عباده وأن ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة (. . .) والعلماء بالحسد^(٢٢) . إلى أن يقول : ويمكن القول بملاحظة كلمات بعض الأصحاب والروايات أن إظهار الحسد حرام .

وقال المحقق الأردبيلي في شرح الإرشاد أن الحسد بمعنى تمنى زوال النعمة من مال رجاه وعلم وفضيلة عن الآخر ، سواء وصلت إليه أم لم تصل ،

(٢١) جامع السعادات ج ٢/ ٢٠٩ - ٢١٢ بتصرف .

(٢٢) للاحظ أن نص صاحب الجواهر تلخيص لعدة روايات والرواية الأخيرة بتمامها كما في الخصال : إن الله يعذب ستة بسة العرب بالعصية ، والدهاقنة بالكبر ، والأمراء بالجور والفقهاء بالحسد ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهل ، واعلم أن كلاً من هذه الخصال قد توجد في أي إنسان ويهلك بها وإنما نسبت كل واحدة منها إلى فئة باعتبار أن وجود هذه الخصلة في هذه الفئة أكثر من غيرها . . مثلاً : الحسد ، قد يوجد في كل شريحة اجتماعية ، إلا أنه أكثر ما يوجد بين أهل العلم ، كأن يحسد عالم عالماً على درجته العلمية ، فيعمل على القضاء عليه ، وإذا لم يستطع فإنه يحول دون معرفة الناس بعلمه ، وأكثر ما تكون نسبة الحسد بين أهل العلم في أهل العلم الديني لأن هذا العلم هو رأس الكمالات ، فإذا كان فقيه لم يتربّ تربية دينية ، أي لم يعمل بعلمه ، ولم يهذب نفسه ، فكيف يمكنه أن يرى مثيلاً له أو أعلى منه ، خصوصاً إذا كان أكثر شهرة وشعبية . . وفيه حمود كهذا أخطر الحساد على الإطلاق .

وقصة حسد القاضي ابن أبي ليلى للإمام الجواد وسعايته في قتله عليه السلام مذكورة في تفسير سورة « النجم » . وقصة القاضي ابن جماعة وحسده للشهيد الأول ، وقصة شهادة الشهيد الثاني والقاضي نور الله الشوشتری ومثات من هذا القبيل كلها شاهد صدق على القول بأن الفقيه الحاسد أخطر الحساد .

أما تمنى أن يصله ما وصل إلى غيره فليس حسداً مذموماً ، بل غبطة محمودة ، والظاهر أن الحسد بالمعنى الأول حرام للإجماع والأخبار الكثيرة . إلى أن يقول : ظاهر الأخبار أن الحسد معصية كبيرة ، بل قريبة من الكفر ، وإذا لم يقبل أحد أنه كبيرة فيجب أن يقبل أن الاصرار والمداومة عليه كبيرة وقادح في العدالة ، والظاهر أن الحسد مطلقاً معصية ، ظهر أم لم يظهر .

ويقول بعض أعظم العصر : إن تمنى زوال النعمة عن الغير فعل قلبي محرم (٢٣) .

الحسد حرام أم إظهاره :

بعد تتبع كلمات الفقهاء ، يتضح أن فتوى مشهور الفقهاء هي حرمة الحسد مطلقاً ، كما نقل عن العلامة المجلسي ، وبعض الفقهاء حرّموا إظهار الحسد ، أي التعبير عنه بواسطة العين أو اللسان أو سائر الأعضاء ، وإيذاء المحسود بذلك أو سلب النعمة منه .

أما بالعين فبأن ينظر إلى المحسود شراً أو حسداً ، وأما باللسان فبأن يحقره ، أو يتهمه ، أو يعيره ، ويشتم به وهكذا . . إلى أن يشتمه ، وأما باليد فبأن يعبر بالكتابة عن هدفه المشؤوم وهكذا إلى أن يضربه .

دليل حرمة الحسد :

لكن الحق في المسألة أن الحسد وحده معصية وحرام كما قال المشهور ، وظواهر الأدلة تدل على ذلك ، وإظهار الحسد في حد ذاته حرام

(٢٣) تهذيب الأصول ج ٢/ ٢١٥ .

وليلأخذ أن نصي صاحب الجواهر والمحقق الأردبيلي وبعض النصوص الأخرى منقولة بتصرف .

مستقل ومعصية أخرى .

دليل أولئك الذين حرموا إظهار الحسد فقط شيثان :

الأول : أن الحسد غير اختياري .

الثاني : بعض الروايات .

أما كون الحسد غير اختياري ، فإذا كان مرادهم أن الحسد غريزة بشرية بحيث لا يستطيع الإنسان أن يمنع نفسه في الوقوع فيه والبعض يسمي الحسد « حب التنافس » واعتبره طبيعياً وذاتياً للإنسان وقال : إن الحسد بين الأطفال شاهد على كونه أمراً غريزياً . . . إذا كان مرادهم ذلك فالجواب :

الحسد ليس خلقاً طبيعياً :

إذا كان الحسد طبعاً بشرياً فيجب أن يوجد في جميع الناس ، والحال أن كثيراً من الناس لا وجود للحسد فيهم ، وكثير من الذين يوجد فيهم الحسد يمكنهم التخلص منه عبر تقوية الإيمان وتنمية الروح الدينية ثم إنه لو كان طبعاً بشرياً لما ذم العقلاء عليه ولما نهى عنه الله تعالى وقد تقدم أن المشهور بين فقهاء الإسلام حرمة ووجوب الإمتناع عنه .

نعم . . خطورة غير اختياري . . أي من الممكن أن توجد حالة الحسد في الإنسان دون أن يريد هو ذلك ، ولكن الإحتفاظ بهذه الحالة في القلب وإظهارها معاً مستطاعان مقدوران تماماً . . فإذا قام المكلف بذلك أي احتفظ بالحسد في قلبه وعبر عنه وأظهره فإنه بالتدريج يصبح ملكة له (أي طبعاً وخلقاً) بحيث يصعب عليه أن يتخلص منه ، ولأنه أصبح كذلك بسوء اختياره فهو مستحق للتقبيح والنهي والمؤاخذة والعقاب .

التنافس غير الحسد :

أما حب التنافس فإذا كان المراد منه أن الإنسان لا يستطيع أن يرى غيره في نعمة ورفاهية ، ويتمنى زوال تلك النعمة فهذا هو الحسد ، وقد تقدم أنه ليس غريزة إنسانية ، ولا طبعاً بشرياً .

وإن كان المراد أن طبع الإنسان وسجيته حب الكمال والنعمة وحيث ما رأى ذلك أحب أن يكون له ما رآه بل ما هو أفضل منه - إن كان هذا المراد - فهذا الكلام سليم ولكن هذا ليس هو الحسد بل هو تلك الغبطة ، المنافسة ، التي تقدم أنها في الأمور الدنيوية مباحة ، وفي الأمور الأخروية مطلوبة ، وقد أمر الله تعالى بها . ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ المطففين ٢٦ ، ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ البقرة ١٤٨ .

الإحساس بالحاجة في الطفل :

وأما حسد الطفل الذي لا يستطيع أن يرى أمه تلقم ثديها لطفل آخر أو تجلسه في حضنها وتحنو عليه فذلك أيضاً ليس أمراً غريزياً إذ ما أكثر الأطفال الذين ليسوا كذلك ، والذين هم هكذا فالسبب هو إحساسهم بالحاجة لأمهاتهم فالطفل يخشى إذا أحببت أمه طفلاً آخر أن يقل عطفها عليه . .

والخلاصة : إن هذا الحسد عارض وهو يزول بعد بلوغ سن الرشد .

وأحياناً ينتقل الحسد إلى الطفل عن طريق الوراثة من الأب أو الأم وهو أيضاً ليس غريزياً ، بل هو على سبيل الإقتضاء (أي وجد ما يقتضيه) وهو يزول بالتعليم والتربية على أساس الدين .

مع المحدث الفيض والفاضل النراقي :

ذكر المحدث الفيض والفاضل النراقي في المستند ما حاصله أنه إذا

غضب ظالم مال شخص أو أهانه وسبه أو جرحه أو جرح ابنه فإن كراهية هذا الظالم وحسده يستقران في قلب المظلوم قهراً ، وبشكل غير اختياري . . أي أن هذا المظلوم يستاء من نعمة حصل عليها الظالم ، ويفرح لزوالها عنه ، ويتمنى ذلك .

ونقول في الجواب :

أولاً : إن حسد المظلوم للظالم ليس غريزة وسجية ، بل هو أمر اختياري ، ويمكن للإنسان أن يرجع إلى ما ذكر في بحث البغض (الحقد) من أضرار الحسد وعلاجه ، ويعمل به ولا يبتلى بالحسد . .

ونقول أيضاً : إن سبب الحسد الأصلي هو حب الدنيا والإهتمام الزائد بالحياة الدنيوية ، والتعلق الشديد بها . .

ويمكن الرجوع إلى ما سيأتي في بحث حب الدنيا للنجاة من ذلك وعدم التلوث بالحسد .

ثانياً : لنفترض أن بغض الظالم وحسده قهريان . . وأن حسد المظلوم لهذا السبب لا يعاقب الله تعالى عليه ، فإن هذا لا يصلح دليلاً لإثبات أن الحسد قهري حتى في الموارد الأخرى حيث لم يظلم المحسود الحاسد ولا يكون السبب الوحيد للحسد إلا الوضاعة وحب الدنيا وعدم الإيمان .

والخلاصة : لا شبهة ولا شك في أن الحسد في الموارد الأخرى - غير ما إذا كان المحسود ظالماً - هو اختياري قطعاً .

وقفه مع حديث الرفع :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رفع عن أمتي تسعة : الخطأ ، والنسيان ، وما أكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا

إليه ، والحسد ، والطيرة ، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة(٢٤) .

أي أن هذه الأمور التسعة لا مؤاخذه عليها ولا عقاب وهي :

١ - الخطأ : مثلاً : إذا أخطأ شخص وشرب الخمر بدلاً من الماء فإنه لا يكون قد عصى .

٢ - النسيان : إذا نسي شخص الصلاة ولم يأت بها فإنه لم يعص ولكنه إذا تذكر وجب عليه القضاء .

٣ - ما أكرهوا عليه : وهو واضح .

٤ - وما لا يعلمون : بشرط أن لا يكون من لا يعلم جاهلاً مقصراً بل يكون جاهلاً قاصراً .

٥ - وما لا يطيقون : أي ما لا يقدرّون عليه كأن يكون شخص لا يستطيع الصيام فلا يصوم فإنه لا يكون عاصياً .

٦ - وما اضطروا إليه : كاضطرار الجائع لأكل الميتة حتى لا يموت .

٧ - الحسد أي أن بداية وجود الحسد في القلب ليست ذنباً لكن إحلال الحسد في القلب والإستمرار عليه ذنب وحرام(٢٥) كما مر في الأدلة المتقدمة .

(٢٤) الخصال - باب التسعة .

(٢٥) في شرح نهج البلاغة للخوئي آخر الخطبة ٨٥ يقول :

حرمة الحسد وكونه كبيرة مهلكة ، ثابتان من الآيات والروايات ، وإجماع علماء الإسلام قائم على حرمة ثم أورد كلمات الشيخ (الأنصاري) في الرسائل في باب حديث الرفع وقال بعد ذلك : كان السيد الأستاذ يقول في مجلس الدرس : الأقرب حمل المؤاخذة المرفوعة في هذا الحديث على الخاطرة القلبية العابرة ، وحمل الآيات والروايات الدالة على المؤاخذة-حملها-على الحسد الذي يبقى في القلب ويستقر .

٨ - الطيرة أي الفأل السيء الذي يخطر بالبال أو يجري على اللسان لا مؤاخذه عليه ، وكفارته التوكل على الله وقد تقدم في قسم العقائد .

٩ - التفكير في الوسوسة في الخلق : أي سوء الظن بأفعال الناس^(٢٦) وهو أيضاً لا مؤاخذه عليه إلا أن إحلاله في القلب والإعتقاد به وإجراؤه على اللسان حرام ومعصية كما تقدم في بحث سوء الظن .

ويمكن أن يكون المراد بالوسوسة في الخلق الوسواس الشيطانية في القضاء والقدر ، وإنكار الحكمة في خلق الشيطان والحيوانات المؤذية ، وخلق النار وخلود الكفار فيها ، وأمثال ذلك ، فإن هذه الأفكار إذا كانت خواطر عابرة فلا مؤاخذه عليها ، أما إذا استقرت في القلب ، واعتقد بها الإنسان ، وأظهرها بلسانه فهي حرام ، وفي بعض الموارد كفر .

وخلاصة الجواب عن حديث الرفع أن المراد من الحسد الذي لا مؤاخذه عليه ، الخاطرة القلبية ، أما إبقاء الحسد والإحتفاظ به في القلب فهو حرام ، وإظهاره باللسان (كالفحش في القول ، والتهمة ، والقذف ، والفضيحة) والأعضاء (كالضرب) فهو ذنب آخر^(٢٧) .

(٢٦) تفسير التفكير في الوسوسة في الخلق بسوء الظن غريب . . إذ الظاهر أن المراد ما سيذكره المؤلف فيما بعد وهو الوسوسة في العقائد (لاحظ باب الوسوسة وحديث النفس في الكافي) سينقل المؤلف فيما يأتي كلام الشيخ الصدوق الذي يعزز هذا الرأي والله العالم .

(٢٧) أما مرفوعة الكافي التي ورد فيها : « والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد » فيحتمل أن جملة « ما لم يظهر الخ . . » قيد لجملة « والوسوسة في التفكير في الخلق » كما في صحيحة الخصال التي ذكرت في المتن ، وبناءً عليه فإن مرفوعة الكافي من حيث السند والدلالة ليست خالية من الضعف ولا تقيدها بإطلاقات أدلة حرمة الحسد ، ولأن المشهور أعرض عنها فضعفها لا ينجر ، وحيث أن الهدف من تأليف هذا الكتاب هو =

ثلاثة لا يسلم منها أحد :

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثة لا يسلم منها أحد : الطيرة، والحسد، والظن قيل : فما نصنع ؟ قال : إذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق .

قال الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله : والبغي عبارة عن استعمال الحسد وفي رواية أخرى إن المؤمن لا يستعمل حسده^(٢٨) .

استعمال الحسد بالقلب :

والجواب : إن استعمال الحسد أعم من القلبي والقلوبي والفعلي كما نقل صاحب الحقائق عليه الرحمة عن بعض المحققين أن المذموم من الحسد هو ما أظهر الحاسد أثره بقول أو فعل ، دون ما خطر على القلب من غير ترتب أثر عليه كما يدل عليه قوله عليه السلام في بعض الأخبار : إلا أن المؤمن لا يستعمل حسده أي لا يستعمله قولاً ولا فعلاً ولا قلباً بالتفكر في كيفية إجرائه على المحسود وتنفيذه في حقه وإزالة نعمته^(٢٩) فالإستعمال القلبي للحسد هو تثبيت الحسد في القلب ، وأن يتصدى في قلبه للتخطيط لإيذاء المحسود وإزالة النعمة عنه .

ومن الواضح أن أدلة حرمة الحسد تشمل هذه المرتبة من استعمال الحسد .

= الفائدة العامة فإن الإشارة الإجمالية للإستدلال الفقهي تكفي ، ومزيد التحقيق في أطراف المسألة موكول إلى محل أكثر مناسبة .

(٢٨) فرائد الأصول - الرسائل .

(٢٩) الدرة النجفية/ ٢٢٤ .

وعلى فرض أن ظاهر الإستعمال هو القولي والفعلية دون الإستعمال القلبي فنقول : إن جملة « فلا تبغ » إرشاد إلى طريق الخروج من ذنب الحسد ، أي إذا لم يعمل الانسان بالحسد فإنه يزول ، وبناءً على هذا فلا دلالة فيها على عدم حرمة الحسد القلبي .

والخلاصة : إن إطلاقات حرمة الحسد لا تقيد بهذه المرسلة . (أي الرواية التي لا يعتمد على سندها لنقص فيه) .

الحسد بنافي عصمة الأنبياء :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « ثلاث لم يَعْرِ منها نبي فمن دونه : الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق » (٣٠) .

ونقول في الجواب : من الشروط القطعية في النبي والإمام ، العصمة ، ويجب الاعتقاد بأنهم مطهرون من كل تلوث بأية معصية صغيرة كانت أم كبيرة ، وأنهم لا تخطر على قلوبهم الخواطر الحرام لأن الله تعالى كلفهم بتزكية النفوس البشرية وتطهيرها من كل دنس فيجب أن يكونوا طاهرين ليتمكنهم تطهير الآخرين .

مثلاً : إذا كان في نبي ذرة من حسد فكيف يمكنه إنقاذ الناس من هذا المرض القاتل ؟ .

ثم إن وجود الحسد فيه يكشف أنه لم يعرف بعد حقيقة الدنيا ، فناءها ، وضعفها ، وحقيقة الآخرة ، بقاءها وعظمتها ، ومحال أن يكون الجاهل ممثل الله تعالى .

(٣٠) الخصال - باب الثلاث .

الحسد بمعنى المحسود :

بناء على فرض صدور الرواية عن الإمام (مرفوعة الخصال) فالحسد هنا بمعنى المحسود (مصدر بمعنى اسم المفعول) أي أن كل نبي ومن هو أقل منه هم محسودون دائماً يعانون من حسد الناس لهم وأذاهم كما في آية ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ .

والطيرة في هذه الرواية بمعنى وقوع الشخص مورداً للطيرة والفأل السيء أي أن الأنبياء والأئمة بل المؤمنين يتطير الناس بهم ويعتبرونهم شؤماً عليهم كما في سورة يس ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ .

والتفكر في الوسوسة في الخلق إشارة إلى ابتلاء الأنبياء بالوساوس الموجودة في الخلق . . وحقاً إن من ابتلاءات الأنبياء الشديدة ابتلاؤهم بأهل الوسوسة الذي يلقي الشياطين الوساس والخواطر القبيحة في قلوبهم . . فيقومون هم بإلقاء الناس في الضلال ويبعدونهم عن الأنبياء .

وما ذكر - هنا - في معنى هذا الحديث أورده الصدوق في الخصال وقال : ليس لهذا الحديث معنى آخر (٣١) .

جذور الحسد :

١ - العداوة : حيث أن الحسد حالة نفسانية عارضة ، توجد في النفس فإن لوجودها أسباباً تجب معرفتها لتُجتنب . . . ولا يبتلى الإنسان بمرض الحسد القاتل .

كلما ابتلي شخص بظلم ظالم ، أو واجهه سبب آخر من أسباب البغض

(٣١) الخصال - ٨٩ - ٩٠ والبحار ٢٥٤/٧٣ .

التي تقدم ذكرها في بحث الحقد . . ويعمل بما ذكر من العفو والتسامح بل أفسح مجالاً في قلبه للعداوة . . فإن هذه العداوة تصبح جذراً خصباً للحسد ، لأن مثل هذا الشخص يتمنى دائماً زوال نعمة عدوه وينتظر حلول البلاء به ليفرح ويعتبر أن ابتلاءه تعويض إلهي وانتقام له من عدوه . .

وإذا رآه يتقلب في النعمة تألم وضاق صدره وإذا كان « مؤمناً » عتب على ربه واشتكى منه بل ويغضب : كيف أنعم على عدوي ولم يقف إلى جانبي . . .

أما إذا لم يكن مؤمناً فيعتبر ذلك من تقلب الدهر وجور الزمان والفلك .

حسد العداوة من صفات الكفار :

هذا النوع من الحسد أي الحسد من منطلق العداء ، اعتبر في القرآن المجيد من صفات الكفار قال تعالى :

﴿ودوا ما عتتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾
آل عمران ١١٨ .

﴿إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾
آل عمران ١٢٠ .

وهذا الحسد إذا استقر في القلب ، وأسلس له الحاسد قياده فإن صاحبه لا يتورع عن التلوث بأية خيانة وجناية والإقدام على أية فتنة وفساد بما في ذلك القتل (٣٢) .

(٣٢) وأحياناً قد يقدم الحسود التعيس على الانتحار ويجعل نفسه مصداق (خسر الدنيا والآخرة) في الجزء ٧٣ من البحار أورد المجلسي نقلاً عن الراوندي هذه القصة :
« كان أيام موسى الهادي ببغداد رجل من أهل النعمة ، وكان له جار دونه في حاله ، =

وللوقاية من شرور وآفات حسد العداوة يجب العمل بما ذكر في بحث

= وكان يحسده ، ويسعى ضده بكل مكروه يمكنه ، إلا أنه لم يكن يقدر عليه ، فلما طال أمره والأيام لا تزيده فيه إلا غيظاً ، اشترى غلاماً صغيراً قرباه وأحسن إليه فلما شب الغلام قال له : يا بني إني أريدك لأمر جسيم ، فهل أنت مستعد ؟ فقال الغلام : والله يا مولاي لو علمت أن رضاك في أن أقتحم النار لرميت نفسي فيها ، فسرّ بذلك وضمه إلى صدره ..

وطلب منه الغلام أن يخبره بما أراد فقال : لم يحن وقت ذلك بعد .. وتركه سنة ثم دعاه فقال له : أريد منك الآن أن تنفذ الأمر الذي أخبرتك به . قال : يا مولاي : مرني بما شئت .. فوالله لا تزيديني الأيام إلا طاعة لك .. قال : إن جاري فلاناً قد بلغ مني مبلغاً أحب معه قتله .. قال : الآن أقتله .. قال : ليس هذا أردت .. وأخاف أن لا تستطيع قتله .. ثم إن قتلته اتهمت أنا بقتله .. ولكني أريد أن تقتلني وترمي جثتي على سطح منزله فيلقى القبض عليه ويُقتل لأنه قتلني .. قال الغلام : أنطيب نفسك بنفسك .. أي هل ترضى بقتل نفسك .. وليس في ذلك تشفٍ من عدوك .. ثم إني تطيب نفسي بقتلك وأنت أبر من الوالد العطوف .. والأم الحنون ..

قال دع عنك هذا .. فإنما كنت أرييك لهذا اليوم فلا تنغص علي أمري فإنه لا راحة لي إلا في هذا .. قال : الله الله في نفسك يا مولاي .. لا تتلفها في الأمر الذي لا يدرى أ يكون أم لا يكون .. فإن كان وقتل بك لم تر منه ما أملت وأنت ميت .. قال : أراك لي عاصياً ..

قال : أما إذا صممت على ذلك فلا بد منه .. وعمد إلى سكين فشحذها ودفعها إلى الغلام وأشهد على نفسه أنه أعتقه ودفع إليه ثلاثة آلاف درهماً .. وأوصاه إذا قتله أن يهرب ...

وفي أول السحر قام وأيقظ الغلام .. فقام مذعوراً وأعطاه السكين ثم تسورا حائط ذلك الجار واضطجع على سطحه مستقبلاً القبلة بيدنه وقال للغلام : ها .. وعجل فوضع السكين على حلقومه وفرى أوداجه .. وتركه ينششط بدمه .. وعاد إلى فراشه .. وفي الصباح افتقده أهله وخفي عليهم أمره .. ثم وجدوه آخر النهار على سطح ذلك =

الحقد وأن لا يفسح الإنسان مجالاً في قلبه لبغض آخر .

٢ - الإشتراك في أمر معنوي :

إذا اشترك شخصان في مزية وكان لأحدهما تقدم على الآخر وتفوق .. فبالإمكان أن يحسده الآخر على ذلك ويصبح لا يستطيع أن يتحمل تفوقه عليه .. ويتمنى زوال هذه النعمة عنه . . . كحسد الأقارب بعضهم بعضاً .. وكلما اشتدت القرابة كالأخوين واشتدت المزية التي يتفوق فيها أحدهما كانت إمكانية الحسد أكثر .

وقد ذكرت في القرآن المجيد قصة حسد قابيل لأخيه هابيل (٣٣) كما

= الرجل .. وأحضروا وجوه المحلة ليشهدوا ذلك وأخذ جاره وأودع السجن وكتب بخبره إلى الهادي (ال خليفة العباسي) وعندما أحضره الخليفة أنكر أن يكون له علم بذلك وكان رجلاً صالحاً ..

وفر الغلام إلى أصفهان .. وكان فيها رجل من أقارب المحبوس يتولى عطاء الجند ، فرأى الغلام وكان يعرفه فسأله عن أمر مولاه فأخبره حرفاً بحرف فأشهد على مقالته جماعة وحمله إلى بغداد .. وبلغ الخبر الهادي فأحضر الغلام فقص أمره كله عليه فتعجب الهادي من ذلك وأمر بإطلاق الرجل المحبوس وإطلاق الغلام أيضاً .

(٣٣) خلاصتها أن آدم جعل - بناءً على أمر الله تعالى - ولده هابيل وصياً له في النبوة وخصه بتعليمه الاسم الأعظم وكان قابيل الأخ الأكبر فغضب وقال أنا أحق من أخي .

فأوحى الله إلى آدم : قل لهما ليقدّم كل منهما قرباناً ليتضح أيهما أفضل .. فمن تقبل الله قربانه فهو الأفضل والأحق .. وكانت علامة قبول القربان آنذاك أن تنزل نار من السماء فتحرق القربان (أي الذي يتقرب به) .

وكان هابيل غنائماً فجاء بشاة سميّة وقدمها قرباناً .. وكان قابيل فلاحاً فجاء بحزمة من حنطة لا قيمة لها صغيرة الحب وقدمها قرباناً .. ونزلت شرارة من السماء والتهمت قربان هابيل فاتضح أن قربانه قبل فحسد قابيل أخاه وخطط لقتله ووسوس له الشيطان بذلك وقال له : إن لم تقتله سيبقى هذا العار - عار عدم قبول قربانك - في نسلك ويبقى هذا الشرف في نسله .

=

ذكرت قصة حسد أبناء يعقوب لأخيهم يوسف . .

ويجب على الأرحام إذا كان في أحدهم مزية وفضيلة أن يراقبوا قلوبهم بشدة حتى لا تتلوث بحسده . . وليتأمل من يكون في معرض الإبتلاء بذلك في هاتين القصتين من قصص القرآن المجيد ليرى كيف أن عاقبة الحسد الفضيحة وقتل الأخ أخاه والشقاء الأبدي .

وليتأمل أيضاً في ما ذكر في بحث قطيعة الرحم من كتاب الذنوب الكبيرة ليكون بمأمن من الإبتلاء بهذه القذارة المدمرة .

وكالأخوين والأرحام الشريكان في صف دراسي ، أو الدراسة عند أستاذ واحد وأحدهما متقدم في درسه على الآخر . . ويحبه الأستاذ أكثر من زميله . . هنا أيضاً يجب على الطرف الآخر ولا يسمح لنفسه أن تتلوث بحسد زميله وليرجع إلى ما سيأتي ذكره من أضرار الحسد وليبذل جهده بدلاً من الحسد على تحسين مستواه طالباً العون من الله تعالى .

العلماء والوعاظ في معرض الحسد أكثر :

وكذلك فيما إذا كان شخصان فقيهين أو واعظين يعيشان في محيط واحد . . فإنهما إذا كانا طالبين لزيادة المال أو الشهرة ورأى أحدهما أن منافسه يحظى بحب الناس أكثر منه فإنه يبتلى حتماً بمرض الحسد وما أكثر المفاسد التي ستصدر منه .

إذن يجب أن يفكر من كان في معرض الإبتلاء بذلك في أمر نفسه فإن

= وذات يوم أخذ حجراً وضرب به رأس أخيه فقتله . . وبقي متحيراً ماذا يصنع بجسده فرأى غرابين قتل أحدهما الآخر ثم بدأ يبحث الأرض بمنقاره . . ودفن الغراب المقتول . . فتعلم هابيل منه كيف يدفن أخاه ودفنه وقد وردت هذه القصة في سورة المائدة ٢٦ .

الحسد علامة الجهل بالحقيقة وشهادة على عدم فهم فناء الدنيا وعدم امتلاك الإيمان ببقاء الآخرة وعظمتها . .

وما أقبح وأشد عار أن يكون الشخص يرى نفسه عالماً ويقدم نفسه للناس على هذا الأساس في حين يكون فيه ما يدل على جهله قطعاً .

ليتأمل هذا أيضاً في ما سيأتي من علاج الحسد وليقرأ الآيات والروايات في ذم ولعن العالم المقبل على الدنيا الطالب لها ويطبق ذلك على نفسه لو كان يرى باطنه وهو كحمار حُمِل أسفاراً لما حسد منافسه على الإطلاق . .

الزمانة والحسد :

ومثل ما تقدم إذا كان شخصان زميلين في الطب ، أو التجارة ، أو الصناعة في محيط واحد . . فكلما رأى أحدهما أن عمل الآخر أكثر رواجاً ، وقد أصبح وضعه المالي أفضل . . خاصة إذا كانا متجاورين في المكان ، فإن ذلك قد يكون منشأ للحسد . . فيتألم الحاسد ويغضب ويتمنى فقر زميله وزوال نعمة رواج عمله عنه . . . وبهذا يكون قد أهلك نفسه بنار الحسد .

إن من الواجب على مثل هذا أن يستأصل جذور الحسد من نفسه بواسطة تقوية الإيمان بالله واليقين بالتوحيد الأفعالي بالتفصيل الذي تقدم في قسم العقائد ، خصوصاً الفقرة المتعلقة بالأرزاق . . وأن يعلم موقناً أن رزق كل مخلوق على خالقه وقلة ذلك وزيادته مرتبطان بحكمة الله ومصلحة الإنسان .

وليرجع أيضاً إلى ما ذكر في بحث بغض القضاء الإلهي ليرضى بقضاء الله تعالى .

وليرجع كذلك إلى ما سيأتي ذكره في بحث حب الدنيا إن شاء الله من عدم أهمية الدنيا وعدم قيمتها وليفكر في ذلك جيداً حتى لا يتألم أبداً من تردي

أوضاعه وتحسن أوضاع زميله وليفهم أن التردى في عالم الآخرة الخالد أهم . .
ولأجله ينبغي أن يكون الإضطراب . . والإستغاثة والبكاء . .

التعارض والحسد :

وكذلك كل شخصين توهما أن التعارض والتزاحم قائم بينهما في الحياة
وشؤونها . . كزوجتين لرجل واحد ، والمرأة وأم زوجها (حماتها) فإذا رأت
الزوجة أن ميل زوجها إلى ضررتها أكثر أو إلى أمه . . أو رأت الأم ذلك . . فقد
تضطرم نار الحسد في قلبها وتحملها على القيام بكثير من المفاصد .

وعلاج ذلك ما ذكر في حسد الزميل زميله . . وأحياناً يكون حسد الإخوة
من هذا الباب . . أي لأنه يرى زيادة عطف من أبيه أو أمه على أخيه أو أخته
الأمر الذي يجعل نصيبهما أكثر من نصيبه فإن ذلك يحمله على الحسد .

٣- التكبر وحب التفرد :

من كان يرى أنه أكبر من آخر أو أعز منه . . ثم رأى في ذلك الآخر بعض
أسباب العزة والكبر الدنيويين ، كالثروة والشهرة والمنصب فإنه يحسده ويتمنى
زوال نعمته . . ومن هذا الباب حسد الدول الكبرى على الدول الصغيرة والعمل
على إضعافها عبر الإختلافات الداخلية أو غير ذلك حتى تحتفظ الدول الكبرى
بالعزة والكبر لنفسها .

وقد يبلغ تكبر البعض وغرورهم بحيث أنهم لا يستطيعون أن يتحملوا أبداً
وجود المتفوق عليهم كما يقال عن النمر إنه لا يستطيع أن يرى ما هو أعلى
منه . . ولذا يحقد على القمر لأنه يراه فوق رأسه . . فيصعد إلى قمة الجبل
ليهجم على القمر ويسقط في قعر الوادي .

حسد النساء وَغَيْرِهِنَّ :

وهذا هو منشأ حسد النساء غالباً . . إنهن لا يستطعن تحمل من هو أعلى منهن سواء كان تفوقه بالجمال ، أو الثروة أو بحب الزوج أو غير ذلك .

ويصل أمر هذا الخلق « عبادة الذات والغرور » في البعض إلى حد أنها تريد أن تكون منقطعة النظير فريدة دهرها ووحيدة عصرها كالحاكم الذي يريد أن يصبح حاكماً على الحكام ويتمنى فناء كل الحكام غيره^(٣٤) .

أو كالفقيه الحسود الذي يريد أن يكون فقيهاً أوحدياً . . وإذا عرف بوجود شخص مثله تمنى أن يظل مغموراً أو يطويه الفناء . .

أو كالثري الذي لا يريد أن يكون لثروته نظير . . وإذا بلغه أن هناك من يشبهه في الثراء تمنى تبديد ثروته .

وكذلك البهلوان الذي يتمنى زوال قوة منافسه وعجزه .

(٣٤) نار الحرب العالمية الأولى والثانية التي أضرمها حسد من كانت بأيديهم مقاليد الأمور آنذاك - كما مر في مقدمة الكتاب . . تشير إحصاءات نتائجها العجب . . في الحرب العالمية الأولى قتل في ساحة الحرب حوالي تسعة ملايين إنساناً وأصبح ٢٢ مليوناً من المعاقين والمشوهين وفقد أكثر من خمسة ملايين وبلغت ميزانية الحرب كلها حوالي ٤٠٠ مليارداً .

وفي الحرب العالمية الثانية : قتل سبعة عشر مليوناً وبلغت الخسائر البشرية كلها ٣٥ مليوناً وشوه وأعيق عشرون مليوناً وأريق على الأرض سبعة عشر مليون لitraً من الدماء وبلغت خسارات سقوط الجنين وشبهه اثني عشر مليوناً ودمرت خمسة عشر ألف مدرسة وجامعة وخرب ثمانية عشر ألف مختبراً وانفجرت في الجو حوالي ٤٠٠ مليار قذيفة واضطر مليون شخص في بريطانيا لتركيب عيون زجاجية وصنعت في روسيا ٤ ملايين رجل اصطناعية للجنود الذين قطعت أرجلهم

عن « الإسلام والسلم العالمي » فارسي .

وكالدكتور المختص الحسود الذي يريد أن يكون اسمه فقط هو المشهور وإذا رأى أن شخصاً اشتهر مثله أو أكثر منه تمنى فناءه . . أو كالفائد المدرس الذي يريد زيادة عدد أتباعه وتلاميذه وأن لا يكون له نظير على الإطلاق وهكذا في سائر الأصناف والطبقات .

وحب التفرد هذا قائم في كثير من النفوس البشرية وقد أدت أنواع هذا الحسد إلى فتن ومفاسد ومجازر ونقل الشواهد التاريخية يستدعي الإطالة .

العلاج في الخروج من الجهل المركب :

والواقع أن علاج هذا النوع من الحسد هو في نهاية الصعوبة لأن سببه الأصلي هو الجهل المركب بحقيقة وواقع الحياة الدنيا وخالق العالم سبحانه . .

والشخص الجاهل بحقيقته الجاهل بجهله . . بل المنكر لجهله الذي يرى نفسه عالماً ، لا علاج له . . إلا أن تلمع بارقة اللطف الإلهي وتعرفه بنفسه ليعترف بعجزه وفنائه وصغر الدنيا وحقارتها وقدرة ربه ووجود الآخرة وعظمتها وخلودها . . حتى يشفى من هذا المرض . « الغرور والعجب وحب الشهرة وحب التفرد » الذي هو سبب الحسد .

٤ - الحرص والطمع :

من ابتلي بمرض الحرص ولم يقنع بما أعطي ، وكان في سعي دائم للحصول على المزيد ، وعينه ممدودة إلى ما في أيدي الناس . . فسيحمله ذلك على تمنى زوال أية نعمة يراها في غيره . . وما لم يشف من مرض الحرص والطمع فإنه سيبقى يحترق بنار الحسد . . ويجب عليه إذا أراد علاج ذلك أن يرجع إلى ما سيأتي في باب حب الدنيا .

٥ - البخل الشديد :

البخلاء الذين لا يستطيعون أن يعطوا من ثرواتهم شيئاً . . تبلغ أحياناً شدة لؤمهم ووضاعتهم حداً بحيث لا يستطيعون أن يتحملوا رؤية نعمة على شخص وتبلغ أحياناً درجة أشد فلا يستطيعون أن يتحملوا رؤية شخص يحسن إلى آخر ويحسدون هذا وذاك . أي من يرون أن الله أنعم عليه أو من أحسن إليه محسن .

أعطى أمير المؤمنين عليه السلام شخصاً ذات يوم خمسة أوساق من التمر (حوالي ٧٥٠ كليون غراماً) وكان هذا الرجل فقيراً لا يسأل الناس وكان ينفق مما عنده إذا وجد . . فقال شخص آخر كان حاضراً :

يا أمير المؤمنين إن هذا لم يطلب منك شيئاً وكان يكفيه وسق واحد فلماذا أعطيته كل هذا ؟

فقال عليه السلام : لا كثر الله في المؤمنين ضربك (مثلك) :
أعطي أنا وتبخل أنت (٣٥) .

لا يجتمع الإيمان والبخل :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حرمت الجنة على (. . .)
البخل . . . » (٣٦) .

وقال صلى الله عليه وآله : ما محق الإيمان شيء محق الشح . . . (٣٧) .

(٣٥) سفينة البحار ج ١ / ٦١ .

(٣٦) و (٣٧) بحار الأنوار ٣٠١ / ٧٣ .

وقال صلى الله عليه وآله : لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد^(٣٨) .
وقال الإمام الصادق عليه السلام : ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء (. . .) ولا يكون فيهم بخيل^(٣٩) .

قال العلامة المجلسي بعد نقل هذه الروايات : يتضح من هذه الروايات أن الشح (الذي هو البخل الشديد المقترن بالحسد) من الكبائر المهلكة .
والواقع أن البخيل الحسود الذي يتألم إذا رأى نعمة على غيره ويفرح إذا سلبت منه ليس بحسب الباطن والسيرة من الأدميين والجنة محل الأدميين . .

علاج الحسد بشكل عام :

يجب الإنتباه إلى أن علاج الذنب القلبي صعب ويحتاج إلى وقت طويل يتناول فيه المريض الدواء المر وغير المستساغ الذي حدد في الصيدلية الإلهية أي القرآن وعلوم آل محمد عليهم السلام ، على العكس من الذنب الجسدي الذي يتم علاجه في وقت أقصر .

مثلاً : شرب الخمر أو لعب القمار وأمثالهما . . يكفي في الطهارة منها أن يخاف الشخص من الله ويندم على فعله ويصمم على الترك ويتدارك ما يلزم تداركه .

إلا أن الذنب القلبي حيث أنه أمر ثابت خفي فيحتاج القلب لكي يطهر منه إلى زمان طويل يواظب خلاله على تناول الدواء الإلهي . . وإذا تساهل في الأثناء فإن ذلك الذنب يتجذر ويصعب بحيث لا تمكن معالجته إلا بنار جهنم .

وبناءً عليه فعلى كل إنسان عاقل أن يهتم بذنبه القلبي أكثر من ذنبه

(٣٨) نفس المصدر/٣٠٢ .

(٣٩) نفس المصدر/٣٠٧ .

الجسدي ويبدل في علاجه جهداً أكبر ، ولا يتساهل خصوصاً مع ملاحظة أن ذنب الجسد واحد ولكن ذنب القلب مستمر وأحياناً لا يمكن إحصاؤه .

مثلاً : من شرب كأس خمر فقد أذنب ذنباً واحداً وعليه واجب واحد هو أن يتوب من ذلك ..

ولكن من ضربت جذور الحسد في أعماق قلبه هو في كل لحظة في المعصية .. وفي كل لحظة تجب التوبة عليه ، وفي بعض الموارد يساوي عدد الوجوب عليه عدد أنفاسه في المعصية والترك . والهدف من بيان هذا الأمر الحث على الإهتمام بعلاج الحسد بالتفصيل الآتي .

لا يرى عيبه الخفي :

النقطة الأخرى التي ينبغي الالتفات إليها هي : حيث أن الإنسان يرى ذنبه الجسدي ويعرف أنه ملوث بالذنب فبالإمكان أن يندم بسرعة ويتوب فيظهر من ذنبه ..

ولكن ذنب القلب يخفى على الحس ، ف رؤية الإنسان له تحتاج إلى عناية خاصة .. سيما إذا لاحظنا أن كل نفسٍ تحب نفسها والحب يمنع رؤية العيب .

من هنا نيل أنه لا يمكن لأحد أن يرى عيوبه ، بل يجب أن يسأل غيره عنها .

العجب يحجب رؤية العيب :

إلا أن من الواجب الالتفات إلى أن من لا يمكنه أن يرى عيب نفسه إنما هو المعجب والمغرور الذي لا يريد أن يرى أنه صاحب عيب .. ولو أنه مزق ستار الغرور وأصبح يشفق على نفسه حقاً .. وخاف من وجود العيب فيه

والموت وهو على هذه الحال . . ثم تصدى للبحث عن عييه لرأى عيوبه التي لا تحصى .

إن واجب كل عاقل - بناءً على ما ذكر - أن ينتبه إلى الذنوب القلبية التي ذكرت في هذا الكتاب ثم يتأمل في نفسه بعمق ويبحث في زوايا قلبه بدقة . . فإذا وجد لأي منها أثراً فلي بذل جهده لعلاجها بالتفصيل الذي تقدم . . وليعلم أنه إذا كان عبد ما طالباً لصالح نفسه حقاً وسعى من أجل ذلك فإن الله سبحانه سيفهمه عيوبه ويساعده في علاجها والطهارة من أدرانها .

وحيث أن الحسد أصعب مرض نفسي وأكبر ذنب قلبي فعلاجه والتطهر منه أيضاً صعب ومشكل إلا لمن أعانه الله وأضاء قلبه بنور اليقين ويجب الإهتمام بعلاجه عن طريق العلم والعمل .

العلاج العلمي للحسد :

يجب على المبتلي بهذا المرض أن يسعى للوصول إلى حد اليقين الصادق بعدة أمور :

١ - اليقين بالتوحيد الأفعالي لرب العالم ، أي أن يعلم أن الفقر والثروة والسلامة والمرض وصولاً إلى الموت والحياة ، كل ذلك من الله وتديره وتقديره كما تقدم في قسم العقائد .

ومن وصل إلى هذه المرحلة من اليقين ، قنع بما أعطاه الله وفرح به وشكر . . لن يجد الحرص بعدها إلى نفسه سبيلاً . . وبما أنه عرف أن كل شيء مرتبط بالله فلن يطمع أبداً حتى يتلى بالحسد .

ولأنه يدرك أن قلة الرزق وزيادته من الله فإنه لا يهتم بشريكه أو منافسه أو زميله حتى يتلى بحسدهم . .

ثم إنه باعتبار معرفته بأن كل ما لديه هو من الله تعالى فلن يبخل في سبيل الله خصوصاً مع اليقين بأن وعد الله حق وقد وعد سبحانه أن الإنفاق سبب لزيادة النعمة .

والخلاصة : إن إشراقه نور اليقين في القلب تستأصل كثيراً من أنواع الحسد المذكورة .

والتدقيق في الذنوب الجسدية يكشف أن جذورها هي الذنوب القلبية التي تنشأ من عدم الإيمان أو من ضعف الإيمان . . وبناءً عليه فعلاجها الوحيد هو تقوية الإيمان .

معرفة الدنيا والآخرة :

٢- المعرفة الواقعية للدنيا والآخرة، واليقين بما بينه الله تعالى في القرآن المجيد حول حقيقة كل منهما ، من ذلك :

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب (أي في طلبها تعب ومشقة كمشقة الاطفال في لعبهم الذي لا فائدة منه) ولهو (أي إلهاء عن الوصول إلى المقامات الخالدة) وزينة (تزين في الطعام واللباس والمسكن وواسطة النقل وغير ذلك) وتفاخر بينكم (في الحسب والنسب والمقام) وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته (قد يكون المراد بالكفار الزراع الذين يكفرون البذر أي يسترونه ، ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد (للكافرين) ومغفرة من الله ورضوان (للمؤمنين) وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ الحديد ٢٠ .

هل تستحق هذه الدنيا الحسد :

إذا تأملت أيها القارئ العزيز قليلاً في أحوال الحريصين والأثرياء وطالبي

الرئاسة الحسودين من الماضين . . ستعلم أنهم تماماً كنبات يخضر لفترة ثم يذبل ويحف ويتناثر . . أولاء أيضاً يقون عدة أيام يأكلون ويشربون ويروحون ويجيئون ترتفع أصواتهم فوق الأرض ويصولون ويجولون ، ثم يختفون في باطن الأرض بمنتهى الذل .

« إذهب إلى المقبرة واجلس قليلاً ساكناً وانظر إلى أولئك المتحدثين الساكتين » (٤٠) .

فهل يحسد عاقل بعد معرفة حقيقة الدنيا أحداً على الثروة والرئاسة ؟ .
هل سيكون بعد ذلك طالباً للتفرد بمقام دنيوي ليبتلى بالحسد ؟

وتقدم مزيد حديث حول حب الدنيا في بحث القسوة ويأتي التذكير به في بحث حب الدنيا .

« لا قيمة للدنيا بحيث يحسد عليها أو يؤسف عبثاً على وجودها وعدمها » .

« أولئك الذين لم يأبهوا لهذه الحفنة من التراب . . يمكن القول حقاً إنهم أهل الرأي الصائب » .

« العارفون لا يقيمون أي وزن لكل ما لا ثبات له ولا بقاء حتى إذا كان مُلك كل العالم » .

« حتى لا تتناول ولا تتكبر فاعلم أن الله في ملكه حيوانات كثيرة مثلك » .

« هذا عالم معرض للإختلال طبعاً والسعداء هم أسرى عالم

(٤٠) مضمون بيت .

آخر » .

« من يضرب الأرض برجله نخوة وتكبر فعاقبته أن يصبح تراباً يطؤه الناس » (٤١) .

٣ - معرفة أضرار الحسد الدنيوية والأخروية للحاسد ، والمنافع الكثيرة للمحسود .

أ - الأضرار الدنيوية - العذاب الدائم :

الحسود الذي تسبب نعمة شخص آخر عذابه واضطرابه الداخلين ، يبقى دائماً في اضطراب وتحرق وغم وحزن . . ولا يعرف الاستقرار ساعة واحدة . . وكما أن نعم الله على عباده لا تنتهي فإن حسرة الحسود وغصته أيضاً لا تنتهيان « الحسود الثري والقوي يحترق بنار الحسرة والفقير العاجز الطاهر القلب مرتاح » .

الحسد سجن الروح :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقل الناس لذة الحسود » (٤٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا راحة لحسود » « الحسود مغموم » « الحسد حبس الروح » « الحسود كثير الحنرات متضاعف السيئات » .

وقال عليه السلام أيضاً : « ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم » (٤٣) .

(٤١) مضمون أبيات لسعدي الشيرازي .

(٤٢ و ٤٣) مستدرك الوسائل والبحار ٧٣ / الحسد .

أي لأن الحسود يرجع أثر ظلمه إليه فهو في الحقيقة مظلوم وهو قد ظلم نفسه . . . يعيش القلق والحزن المتواصلين بحيث يتمنى الموت للخلاص من الغم والحسرة^(٤٤) .

ب - الخيبة الدائمة :

الحسود الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود ، تلف عمره كله الخيبة ، لأن لكل فرد في مدة حياته الدنيوية مقدرات حتمية من الله تعالى ، لا تستطيع أية قدرة أن تحول دون تحققها . . . ثم إنه لا يخلو شخص من حاسد ولو قدر أن يصل الحاسدون إلى أمنياتهم لكان من المفروض أن تسلب النعم من الجميع . . حتى نعم هذا الحاسد فإنه أيضاً محسود . .

والخلاصة إن تمني زوال النعمة عن الغير طمع ساذج يتلى معه الحسود بخيبة لا نجاح فيها على الإطلاق . . وإذا لم يطهر نفسه من هذه القذارة فيجب أن يعتبر نفسه في عداد أهل جهنم . . لأنهم يعيشون في خيبة دائمة . . كما أن أهل الجنة يحققون كل آمالهم ولا تعرف الخيبة اليهم سبيلاً^(٤٥) .

(٤٤) في مجمع البيان بسند متصل : « لما نصب رسول الله علياً يوم غدیر خم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد (انتشر) فقدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم النعمان بن الحارث الزهري فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترضى حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله ؟ فقال : لا والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله فولى النعمان بن الحارث وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وأنزل الله تعالى : ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ « نور الثقلين ٥ / ٤١١ » وقد روى هذه الحادثة الثعلبي في تفسيره وهو من مفسري العامة .

(٤٥) في سورة فصلت ٣١ يقول تعالى : ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾ .

الحاسد بفرح المحسود !

والعجيب أن المشقة والعذاب والخيبة التي يعيشها الحسود ترضي المحسود بل ويتمناها . . فالحسود عبر هذه الحالة الشيطانية إذن يدخل السرور على عدوه ويحقق أمنيته بحيث أن المحسود يحب أن لا تزول هذه المعاناة والمشقة عن الحاسد .

قال الإمام الهادي عليه السلام : « إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يعمل في عدوك » (٤٦) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : قال لقمان : « يا بني احذر الحسد فلا يكون من شأنك واجتنب سوء الخلق فلا يكون من طبعك فإنك لا تضر بهما إلا نفسك ، وإذا كنت أنت الضار لنفسك كفيت عدوك أمرك لأن عداوتك لنفسك أضر عليك من عداوة غيرك » (٤٧) .

ج - المرض :

الغصص التي يتجرعها الحاسد تستبد به . . وقد تمرضه ، لأن الحزن الدائم يعطل عمل الجهاز الهضمي ، ويضعف - في النهاية - مقاومة البدن في مقابل الأمراض بحيث يصبح أقل مرض يضطره الى ملازمة الفراش . .
إذن . . ينبغي أن يرحم الحسود نفسه ولا يخسر نعمة السلامة والصحة عبثاً ودون أي مبرر .

(٤٦) مستدرك الوسائل .

(٤٧) المصدر السابق .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « صحة الجسد من قلة الحسد »^(٤٨) .

وقال أيضاً : « العجب لفقلة الحساد عن سلامة الأجساد » و« الحسد يضيي »^(٤٩) لأن صاحب الحسد يظل يرى النعم المتتالية على الناس . . وكل منها يثير حزنه ولذلك يضيي الحسد ويمرض جسده .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الحسود أبداً عليل » و« الحسد شر الأمراض »^(٥٠) الجسدية والنفسية ، لأن الأمراض النفسية الأخرى ليس لها غير الأضرار الأخروية أضرار دنيوية ذات شأن ، ولكن الحسد ، بالإضافة إلى الأضرار الأخروية يسبب مرض البدن ومشقة لا تنتهي .

أما الأمراض البدنية فرغم أن آلامها سبب في تطهير صاحبها من الذنوب وحصوله على الثواب . . إلا أن المرض البدني الناشئ من الحسد سبب في زيادة الذنوب واستحقاق العقاب .

د - قصر العمر :

الآلم المستمر ، والمرض ، يهيئان الحسود للموت السريع . . وباختصار : تصبح الحسرة موتاً ثم إن الحسد يحمل صاحبه على القيام بأعمال كقطيعة الرحم ، والبغى على عباد الله وهذان يقصران العمر . . وقد يحمل الحسد على بعض الأعمال التي تؤدي إلى هلاكه .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الحقد يُذوي » والحقْد من لوزام الجسد والمراد بـ « يُذوي » أنه يقصر العمر^(٥١) .

(٤٨) و (٤٩ و ٥٠) غرر الحكم للأمدي .

(٥١) في الأصل ورد النص « الحقد يذري » وفي ميزان الحكمة « الحقد يذري » وفي نسخة « يُذوي » بالواو والظاهر أن الصواب بملاحظة النصوص الأخرى الواردة عن =

هـ - الحسود وحيد دائماً :

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « الحسود لا خلة له »^(٥٢) فلا هو يصادق أحداً لأن من كان يتمنى زوال نعمة شخص فهو يراه عدوه فكيف يصادفه؟ ولا غيره مستعد لمصادقته لأن الحسود يؤذي المحسود بكلماته الجارحة وأفعاله القبيحة فيثير نفور الآخرين منه إلى حد أن زوجته وابنه ينقران منه .

و - الحسود لا يسود :

وقال عليه السلام : « الحسود لا يسود »^(٥٣) إما لأنه إذا ساد وهو يحمل الحسد ويتمنى زوال نعمة الآخرين فسيصدر منه من الفساد ما لا يطاق . . ولذلك فالله تعالى يمنع دون وصوله إلى مثل هذا الموقع . . . وإما لأنه بسبب حسده يقوم بأعمال تنافي السيادة والتقدير والاحترام وتسبب استخفاف الناس به ووضاعته في نظرهم ولهذا فهو لا يسود . أو لأنه بسبب الحسد لا يدرك نقائصه وعيوبه حتى يعمل على إصلاحها ولذلك فهو لا يسود .

= أمير المؤمنين عليه السلام في الحقد والحسد ومنها « الحسد يذيب الجسد » وتفريق المؤلف بين ما يقصر العمر وما يؤدي إلى الهلاك الظاهر أن المراد به أن الحاسد قد يبلغ حسده حداً يستحق معه بتر عمره ولا يكون هالكاً بل يكون كل جزائه بتر عمره . . وقد يبلغ حداً يستحق الهلاك . . ثم إن الروايات في استتباع قطيعة الرحم والبغي قصر العمر كثيرة وواضح أن الحسد يؤدي إليهما .

راجع مثلاً ثواب الأعمال للشيخ الصدوق .

(٥٢-٥٣) غرر الحكم .

ز - زوال الإيمان :

ذكر معنى الإيمان في هذا الكتاب مراراً وخلاصة يقين الشخص بأنه وجميع أجزاء عالم الوجود مخلوقات الله ، وأن كل ما به وبالأخرين من نعم فهو من الله . . ولهذا فهو يحب الله ويكون خاضعاً له وذليلاً ومطيعاً .

بناءً عليه فالشخص الحسود الذي لا يرضيه أن من الله على غيره بنعمة ما ويتمنى زوالها عنه . . إن لم يعتبر أن هذه النعمة من الله فكفره بالله واضح . . وإذا اعتبرها من الله ومع ذلك فهو غير راضٍ بها فقد جعل نفسه في مقابل الله بل أعلى منه لأنه يقول بلسان الحال : النعمة التي أعطاه إياها الله منافية لما أراه مصلحة .

والخلاصة : إن حالة الحسد عدم إيمان . . وانقطاع عن الله تعالى . وإذا استمرت هذه الحالة فيه فإنها تستأصل من قلب الحاسد جذر الإيمان وأصله بحيث أنه إذا مات على تلك الحالة فقد مات على غير الإيمان .

وحقاً . . لو لم يكن للحسد ضرر إلا زوال الإيمان لكان كافياً في هلاك صاحبه ، لأن الفلاح مرتبط بالإيمان . . والشيء الذي يزيل الإيمان هو مهلك بطبيعة الحال . . واجتنابه واجب عقلاً .

ح - زوال الحسنات القلبية والبدنية :

« إن الحسد يأكل الحسنات » يعجز الحسود عن الإتيان بأي خلق إنساني ، ويتصف بالأخلاق السيئة القبيحة ، فيتصف بدلاً من المحبة والنصيحة أي حب الخير للآخرين بالعداوة وحب الشر ، وبدلاً من الصدق والصفاء والوفاء بالكذب والتلون والنفاق ، وبدلاً من السخاء والكرم والشكر بالبخل واللؤم والكفران ، وبدلاً من الفداء والإيثار والإحسان بحب الذات والأنانية ، وبدلاً من

البشاشة واللين والتسامح بالعبوس والحدة والتشدد في الإنتقام . . إلى حد أنه يلوث نفسه بكل خيانة وجناية ممكنتين . .

وبشكل عام فإن الحسود يُحرم من كل الصفات الحسنة ويبتلى بكل الصفات القبيحة .

العبادة الميتة :

أعمال الحسود الحسنة . . عبادات صورية وشكلية لأنه محروم من الخضوع والخشوع القلبيين ، إنها عبادات لا روح لها ولا حقيقة وقشرية لا لب فيها . . وحتى إذا راعى شرائط صحتها فهي فاقدة لشرائط القبول ولذلك فإنها لا تنفعه أبداً .

وإذا كان لبعض عباداته شيء من الفائدة فإن هذه الفائدة ستكون من نصيب المحسود بسبب الغيبة والتهمة وسائر أنواع الأذى التي تصدر من الحاسد ضده ، وسيؤخذ له من الحاسد يوم القيامة ما يعادل ذلك .

حقاً إن الخيبة والحرمان اللذان يبتلى بهما الحاسد يثيران العجب فهو في الدنيا يحترق لرؤية النعمة في المحسود ويتمنى زوالها ولا يحقق ما أراد . . وفي القيامة يرى حسناته مع المحسود ومن الواضح أي أثر سيتركه ذلك فيه (الحاسد) وفي الحقيقة إن زوال النعمة الذي يريده الحاسد للمحسود يتحقق للحاسد فتزول نعمته عنه ﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾ فاطر ٤٣ .

حسد إبليس وبني أمية :

مثل إبليس الذي تصدى لحسد آدم وأراد زوال نعمته عنه إلا أن العكس تحقق فأصبح هو المطرود الأبدي عن باب الله تعالى وتسامى مقام آدم حتى درجة الإصطفاء .

وكبني أمة الذين حسدوا آل محمد عليهم السلام ولم يستطيعوا تحمل حب المسلمين لهم واستفادتهم من أنوار ولايتهم ، فبدلوا جهدهم معتمدين القوة والمال . وحالوا كالسحاب المتراكم دون سطوع شمس الحقيقة إلا أن حب أهل الإيمان وتنعمهم بولاية أهل البيت وبغضهم لبني أمة ونفورهم منهم ولعنهم زاد عما كان عليه وحالهم في عالم الآخرة وعالم الجزاء واضح^(٥٤) .

لماذا يحسد العلماء :

إذا سأل سائل : إن الأمور التي ذكرت في بيان العلاج العلمي للحسد كلها ضرورية وبديهية ولا تخفى على عاقل خصوصاً أهل العلم . . وبناء عليه فلا ينبغي أن يوجد الحسد في أهل العقل . . مع أننا نرى أن هذا المرض يزداد باستمرار في جميع الناس وفي أهل العلم بشكل خاص . .

فالجواب : إن سبب عدم علاج مرض الحسد بهذه المعلومات البديهية التي تقدم أنها علاج عملي للحسد أمران :

الأول : أن أكثر الناس لا يلتفتون إلى هذه المعلومات ، وإذا صادف سماعهم لها من واعظ أو قرأوها في كتاب فإنما يتم الالتفات إليها كخاطرة عابرة . . والخواطر مليئة بأمور أخرى وملهيات كثيرة مضادة وهي تقضي على هذه الخاطرة الصحيحة . .

والخلاصة : شرط تأثير هذه المعلومات استقرارها في القلب ودوام الالتفات إليها .

(٥٤) قالت السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام في خطبتها في مجلس يزيد : « فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تمت وحيناً ، ولا تدرك أمدنا ، ولا ترخص عنك عارها ، وهل رأيك إلا قند ، وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المناد ألا لعنة الله على الظالمين » .

تفكير ساعة :

قد يقال : بناءً على هذا فيجب أن يترك الإنسان كسبه وعمله وتأمين معاشه ويقضي وقته في التفكير بهذه المعلومات .

ونقول : يكفي في اليوم والليلة تفكير ساعة في المعارف والحقائق ولا ينافي ذلك إدارة الشؤون الحياتية وقد ذكرت أهمية التفكير وضرورته في قسم العقائد .

الثاني : (السبب الثاني الذي يمنع تأثير العلاج العلمي للحسد) أن كل حالة تعرض على النفس إنما تتحول إلى صفة ثابتة راسخة في الذات ويكون زوالها بمنتهى الصعوبة فيما إذا التزم الشخص بها وجعل أفعاله وأقواله مطابقة لها . . أما إذا لم يلتزم بها ولم يعمل بمقتضاها بل كان سلوكه مطابقاً لما يضادها فإن تلك الحالة تزول دون أي عناء ولا يبقى في النفس أي أثر منها .

بناءً على هذا ، تجب معرفة السلوك والأفعال المطابقين للحسد ليتم اجتنابهما . . . وتجب معرفة السلوك المضاد للحسد ليعمل على أساسه للشفاء من هذا المرض المدمر .

العلاج العملي :

١ - سوء الظن وحسن الظن :

من لوازم الحسد أن لا يعترف الحاسد بفضيلة للمحسود ولا يعترف بصحة أقواله وأفعاله . . وقد يلجأ إلى اتهام المحسود بالرياء وخداع الناس حتى لا يضطر للاعتراف بصحة عمل عمله وصحته ظاهرة واضحة أو يقول إن ذلك حصل منه صدفة .

وعلاج ذلك أن يقرر أن ينظر بعين حسن الظن إلى أفعال الناس وأقوالهم . . وما لم يتيقن بفساد شيء من ذلك فليحمله على الصحة بالتفصيل الذي تقدم في بحث سوء الظن .

٢ - القدح والمدح :

يحمل الحسد الإنسان على ذم المحسود وقدحه وتبع عثراته وتضخيم أخطائه وتوجيه النقد الحاد إليه وإفشاء عيوبه وإخفاء فضائله . . ويبلغ به الأمر إلى تهمة والإفراء عليه .

فمن أراد علاج حسده يجب عليه أن يحفظ لسانه من قول السوء وأن يتحدث بما يعرف من فضائل المحسود بدلاً من الحديث عن عيوبه وأن يتجاهل أخطائه ويجعل العفو شعاره بدلاً من الانتقام ويجتنب النميمة .

٣ - الكبر والتواضع :

ويحمل الحسد صاحبه أيضاً على التكبر على المحسود وسوء الخلق معه ، عدم ابتدائه بالسلام ، العبوس في وجهه ، عدم زيارته ، فيجب التصرف مع المحسود بخلاف رغبات النفس والشيطان . . فيتواضع له ويحسن معاملته ويقابله بالبشاشة ويبدأ بالسلام عليه ويذهب لزيارته ويجله ويحترمه بدلاً من إهانته وانتقاصه ويشني على إيجابياته بالتفصيل الذي تقدم في بحث الكبر .

٤ - الشماتة والمواساة :

مقتضى الحسد أنه إذا نزلت بالمحسود مصيبة وحلَّ به بلاء فإن الحاسد يفرح ويعبر بلسانه عن شماتته به فيقول : إنه يستحق ذلك . . ويجب أن يصيبه أكثر من ذلك ، وأمثال هذه الكلمات التي تدل على وضاعة الحاسد .

والحريص على نجاته يجب أن يعلم أن التعبير والشماتة من الكبائر وقد تم

إيضاح ذلك في كتاب « الذنوب الكبيرة » ، فيجب إذن اجتناب هذا الذنب الكبير ولأجل استئصال الحسد من قلبه يجب أن يبادر إلى العبادة الكبيرة التي هي مواساة المصاب بحيث يعتبر أن مصيئته مصيبة له هو فيعزيه ويحثه على الصبر .

وثواب المواساة وكيفية لا يرتبطان بحديثنا هنا فليراجع كتاب « أحكام الأموات » من « وسائل الشيعة » .

٥ - العداوة والصداقة :

يجب على الشخص العاقل المتدين أن لا يعتبر نفسه غريباً عن سائر الناس ومنفصلاً عنهم . . بل يجب أن يعتبر أنه والجميع واحد باعتبار أنهم جميعاً خلقهم الله وهو سبحانه يرزقهم . . وكلهم يقفون على وجه الكرة الأرضية ضيوفاً لمدة قليلة ويعبرون . . ثم يجتمعون جميعاً في عالم البقاء . . . إذن ينبغي أن يحبهم جميعاً إلا أولئك الذين هم أعداء الله بالتفصيل الذي مر في بحث البغض (الحقد) .

« أنا سعيد بالعالم لأن العالم منه وأعشق جميع العالمين لأنهم منه » (٥٥) .

وليعتبر جميع الناس عوناً له وأنصاراً ومدداً لأن كل شخص يحتاج إلى سائر الناس في تأمين مسكنه وثيابه ومأكله ومشربه ومقدمات ذلك وسائر مستلزمات الحياة وشرح هذا يطول . . ويترك التفكير فيه إلى فطنة القارئ العزيز .

« بنو آدم أعضاء بعضهم البعض لأنهم في الخلق من جوهر واحد .

(٥٥) مضمون بيت .

فإذا ألم الدهر عضواً لا يقر لسائر الأعضاء قرار» (٥٦)

ولذا ينبغي أن يحبهم . . وينبغي أن تتضاعف هذه المحبة بالنسبة لمن هم شركاء في المعتقد . . وكلما زادت علائق الإنسان كالقربة وعلاقة الأستاذ والتلميذ وأمثال ذلك يجب أن تزداد المودة والمحبة أيضاً .

يرى نعمة المحبوب نعمته :

بعد استحكام علاقة المحبة هذه . . ينبغي للشخص إذا رأى نعمة على غيره أن يتصرف وكأن هذه النعمة حصل هو عليها . . وعندها لن يتمنى زوالها عن صاحبها . . بل إنه إذا خرج من دائرة الصغار والوضاعة وكان من أهل النبل والمحبة فسيصبح دائماً يحب الخير أي يحب أن يصل الخير إلى الناس وأن يكون الكل منعمين مرفهين . . وإذا رأى أن الله أنعم على شخص فإنه يفرح ويصبح كمن أوصل ذلك الخير إلى صاحب (النعمة) أي يُعطى ثواب فاعل الخير ، وكذلك يفرح إذا رأى شخصاً يحسن إلى آخر وعندها يكون شريك هذا المحسن في الثواب لأنه رضي بعمله . . وباختصار ينبغي أن يحب الشخص لغيره ما يحبه لنفسه .

والروايات كثيرة حول الحب في الله وحب الخير لعباد الله والثواب العظيم على ذلك ويترك إيرادها إلى مكان أكثر مناسبة .

٦ - ترك صفة الحسود :

حيث أن مرض الحسد مُسرٍ لكثير من الأمراض النفسية وبعض الأمراض الجسمية فإذا صادق شخص طاهر القلب شخصاً حسوداً وعاشره فسيبتلى بعد مدة بمرض الحسد (تقدمت الإشارة إلى ذلك في بحث اليقين) .

(٥٦) مضمون بيتين لسعدي .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « نهاني أبي أن أصاحب حاسد نعمة وشامتاً بمصيبة أو حامل نعمة » (٥٧) .

٧ - تذكر الله والآخرة يصرف عن الحسد :

بشكل عام يجب فوراً طرد الخواطر التي تخطر على القلب والإنصراف إلى الخواطر السليمة ومحاولة اشغال القلب بها كالتدبر في عظمة عالم الوجود والتفكير في الحكم اللامتناهية في أجزاء هذا العالم والتفكير في النفس والكمالات التي يجب التحلي بها والمنازل والمراحل التي لا بد من قطعها واجتيازها .

وأيضاً : التدبر في قرب الخلاص من دار الغربة والوصول إلى المحطة الأبدية والمقر الخالد الذي تشكل ساعة الموت طبيعته والتفكير في تقارير عمله وتفاصيل ما يجري عليه في عالم الآخرة بالنحو الذي أخبر به القرآن المجيد وكذلك التفكير في مكائد الشياطين وطريق الخلاص منهم .

يقول الإمام السجاد عليه السلام : « اللهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمني والتظني والحسد ذكراً لعظمتك وتفكيراً في قدرتك وتديباً على عدوك » (٥٨) .

نصيحة لا بد منها :

ما ذكر في بيان العلاج العملي للحسد رغم أنه دواء للنفس مر وغير مستساغ بل شديد الصعوبة ثقيل الوطأة إلا أن ملاحظة عدة أمور تجعله سهلاً يسيراً . . .

(٥٧) البحار / ٧٣ / الحسد .

(٥٨) الصحيفة السجادية - دعاء ٢٠ .

أحدها : أن ما ذكر هو شعبة من جهاد النفس الذي أمرنا به في القرآن والأخبار والذي أُعتبر العلاج الوحيد للأمراض النفسية وللإطلاع يراجع كتاب الوسائل والمستدرك باب جهاد النفس ويكتفي هنا بنقل رواية واحدة .

قال الإمام الصادق عليه السلام : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية فلما رجعوا قال مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس .

والخلاصة إن النجاة من مشقات الدنيا وعقوبة الآخرة والوصول إلى الراحة في الدنيا والثواب والمقامات في الآخرة . . كل ذلك متوقف على الصراع مع النفس وترك أهوائها وإذا قرر شخص أن يلتزم برغبات نفسه وينفذها فليعلم أنه خرب آخرته ودينه . . وعليه فتجب مخالفة النفس كما قال الفيض : « إن هزمت نفسك ووقعت في أسرك فذلك خير من أن تهزم الكفار وتتخذهم أسرى » (٥٩) .

التأمل في فضائل أصحاب الكمال :

وليرجع - المهتم ببناء نفسه - إلى ما ورد في فضيلة وعظمة مقام أهل المحبة الذين يريدون للناس الخير ، وأهل الصبر والتسامح والتواضع الأمناء حفظة الأسرار الذين يقضون حوائج الناس ويخدمونهم ، وكذلك عظمة سائر الصفات التي ينبغي التحلي بها لعلاج الحسد ، ولأن نقل فضيلة كل من هذه الصفات يستدعي الإطالة فليرجع القارئ العزيز إليها ليسهل عليه العمل بما ذكر في علاج الحسد .

صعب ولكنه لذيد :

ويجب العلم أيضاً أن كل قول أو فعل مخالف للنفس مهما كان القيام به صعباً على النفس وغير مستساغ .. ولكن حيث أن ذلك موافق للقلب والروح فإن الإنسان إذا تحركت همته وقام به فسيعمر الفرح قلبه وروحه .

مثلاً : أثناء الغضب .. رغم أن كظم الغيظ ، وصرف النظر عن الإنتقام والتسامح ثقیل على النفس .. ولكن إذا أعمل الشخص همته وتسامح فإنه سيجد أن قلبه برد وقد تخلص من الإضطراب الداخلي « في العفو لذة لا توجد في الإنتقام » .

ما أحسن أن يجرب الإنسان ويترك الغضب ويعفو ليدرك حقيقة برودة القلب وفرحه ويذوق طعم ذلك .. عندها تظهر حقيقة وعد الشيطان الكاذب الذي كان يقول : انتقم ليبرد قلبك وكذلك وعده حين يقول : انتقد المحسود واذكر نقائصه ليصغر وتكبر أنت .

عندما يتصرف الإنسان بخلاف ذلك فيُسر خطأ المحسود ونقصه ويظهر فضائله ، سيرى أنه بذلك يكبر ويصبح محبوباً .. أما إذا أصغى إلى وعد الشيطان فإنه يحقر نفسه ويذلها ..

وكذلك عندما يهدد الشيطان الحاسد بالفضيحة وإراقة ماء الوجه إذا تواضع للمحسود .. إن مخالفة الشيطان في هذا وفي ما تقدم تكشف كذبه ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ .

« إذا اعتبرت ترك اللذة لذة فلن تجد بعد ذلك أن اللذة لذة » .

« ستحلق روحك في الأعالي إذا حلت بينها وبين الطمع والأمانى » .

« ولكن إن لم يبلغ صبرك القمة ، فستكون في شرك الشهوة كالعصفور في الشرك » .

« أنت تعبد حالتك هذه عبادة تمنعك عن رؤية الطريق ما دمت على قيد الحياة » (٦٠) .

والتأمل في أحوال الأنبياء والأئمة وعظماء الدين يكشف أن سيرتهم وسلوكهم مبنيان على مخالفة النفس والهوى وموافقة العقل وأمر الله . . وكانوا يرون أن السعادة والراحة الحقيقيتين في ذلك . . . وكان نهجهم باستمرار الحلم ، والتواضع ، والنبل ، والبذل وحب الخير لجميع عباد الله حتى أعدائهم ، كما أن سيرة مخالفهم وأعدائهم كانت مبنية على اتباع هوى النفس والشيطان ومخالفة العقل والرحمن وكانوا يتعاملون مع عباد الله بالكبر والغضب وحب الإنتقام والقهر والحدة وحب السوء لهم وسوء القول بحيث أنهم كانوا يتمنون فناء أي شخص يرون أن الله تعالى منّ عليه بنعمة أو فضيلة .

مقارنة بين سلوكين .

اقرأ عن سلوك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي سفيان وسائر المشركين في فتح مكة . . ثم اقرأ عن موارد حسد هؤلاء له صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته . . وكذلك معاملة أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية وعائشة وأتباعها في حرب الجمل وحلمه عليه السلام وعفوه إلى حد أنه أرجع عائشة إلى المدينة بكل احترام وإكرام ثم اقرأ عن سلوك هؤلاء معه عليه السلام ومع أولاده لتعرف سيرة كل الفريقين وطريقته .

قطع معاوية الماء في صفين عن جيش أمير المؤمنين عليه السلام وعندما

(٦٠) مضامين أبيات لسعدي .

استولى الإمام عليه السلام على الشريعة (الماء) وهزم جيش معاوية أمر أن ينادى في المعسكر أنه لا يحق لأحد أن يمنع جيش معاوية من الماء وأن الماء مباح للجميع .

وهذا يشبه تقديم سيد الشهداء عليه السلام الماء إلى جيش الحرثم منع ابن زياد له ولأصحابه من الماء .

ولمعرفة حسد ولؤم وشقاء أعداء أهل البيت عليهم السلام تأمل في ما فعله هؤلاء ببدن الإمام الحسين المطهر ورأسه المقدس . . وكذلك معاملتهم للنساء والأطفال وسائر آل بيته عليه السلام . . وحديث ابن زياد مع السيدة زينب وسروره وشماته وجراحات لسانه ثم سجنهم ، وأسرهم بعد ذلك وإرسالهم بوضع مؤسف إلى الشام إلى عدوهم اللدود يزيد وتأمل أيضاً في هذه القصة التي تنقل هنا من « منتهى الآمال » .

قال ابن الأثير في الكامل : عندما رفض أهل المدينة بيعة يزيد وأخرجوا عامله على المدينة جاء مروان إلى عبدالله بن عمر وكلمه أن تبقى عياله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل ، وكلم مروان علي بن الحسين وقال : يا أبا الحسن إن لي رحماً فأجعل حرمي مع حرمك فقبل .

فأرسل مروان زوجته عائشة بنت عثمان بن عفان مع حرمه إلى علي بن الحسين فخرج بهم (عليه السلام) مع عياله إلى ينبع ، وفي رواية أنه عليه السلام أرسل حرم مروان إلى الطائف ، وأرسل معهم ابنه عبدالله^(٦١) .

(٦١) المراد أن أهل المدينة الثائرين آنذاك لم يتعرضوا لحرم مروان لأنهم في حماية الإمام السجاد عليه السلام . والنص هنا تُرجم عن منتهى الآمال ٤٠/٢ مع ملاحظة ما نقله السيد الأمين في أعيان الشيعة ٦٣٦/١ عن الطبري .

فكان العفو منا سجية :

ينقل ابن خلكان عن الشيخ نصرالله بن مجلى أنه قال :

رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فقلت له : لقد ظلمتكم قريش وظلمكم بنو أمية في مكة ، ومنعوا عنكم الخبز والماء ، ولم يألوا جهداً في أذاكم والهزء بكم ، حتى هاجرتم إلى المدينة ، ثم جيشوا الجيوش لحربكم وقتلوا شيوخكم ، ولكنكم عندما أمكنكم الأمر وفتحتم مكة ، لم تنتقموا منهم بل قلتم « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » حتى كانت فاجعة كربلاء لولدك الحسين عليه السلام .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ألم تسمع شعر ابن صيفي^(٦٢) في ذلك قلت : لا ، قال : اسمعه منه .

وانتهت من النوم فذهبت إلى ابن صيفي ، فحدثته بما رأيت في منامي ، فبكى وعلا نحيبه ، وقال : أقسم بالله أنني قلت البارحة شعراً ، ولم أكتبه بعد ، ولم أخبر به أحداً ثم قرأ عليّ :

ملكننا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتكم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وحيث أن هذه سيرة عظماء الدين . . وتلك سيرة أعدائهم ، فعلى المتدينين والمحبين لأهل البيت عليهم السلام اتباع مواليتهم وجعل سلوكهم منسجماً مع سلوكهم عليهم السلام ليكونوا من شيعتهم . . وليحذروا من اتباع

(٦٢) ابن صيفي هو سعد بن محمد بن سعد الصيفي فقيه وأديب وشاعر وموثق توفي ببغداد عام ٥٧٤ . « عن الكنى والألقاب » .

أعدائهم والإقتداء بهم .

﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى﴾

يونس ٣٥ .

اللهم اجعلنا مستنين بسنن أوليائك ، مفارقين لأخلاق أعدائك مشغولين
عن الدنيا بحمدك وثنائك بجاه محمد وآله الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين .

« نهاية بحث الحسد » .

١٠ - حب الدنيا

من الذنوب القلبية الكبيرة والأمراض النفسية الشديدة التي هي أصل
ومنشأ سائر الذنوب القلبية والجسمية . . حب الدنيا .

وقد نهى جميع الأنبياء عنه . . وأكدوا على ذمه . .

وقد تحدث القرآن المجيد عن قبح هذا الذنب والنهي عنه أكثر من
الحديث عن سائر الذنوب . . والروايات المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم وأئمة الهدى عليهم السلام في ذلك كثيرة وسيشار إلى بعضها :

ما تنبغي معرفته هو معنى الدنيا ، والمراد من حب الدنيا الذي هو حرام .

معنى الدنيا^(١) :

منذ اللحظة التي يخرج فيها الإنسان من بطن الأم ويلامس الكرة الأرضية

(١) الدنيا على وزن الصغرى بمعنى الأقرب إذا كانت من مادة الدنو ومقابلها الآخرة أو بمعنى
الدنية والدنية إذا كانت من « الدناءة » ومقابلها الأعلى (أو العليا) ولا شك أن الحياة
الدنيوية بالنسبة إلى الآخرة دنية من جهات كثيرة . . والحياة الأخرى حقاً عليا وفي
منتهاى الشرف والسمو .

إلى الساعة التي تفارق فيها الروح الجسد . . هذه الفترة الزمانية تسمى الدنيا مع ما هو من لوازم حياة الشخص فيها كالطعام والثياب والمسكن وكذلك الأمور التي لها دخل في استقرار الإنسان ولذته في هذه الفترة كالسلامة والصحة ، والزوجة ، والولد ، وزيادة الثروة ، والعزة ، والشهرة ، وحُسن التسمية ، والرئاسة ، وتحصيل وسائل الأنس والطرب وما شابه . . كل ذلك يسمى الدنيا . .

والخلاصة إن حياة الإنسان من حين ولادته إلى ساعة موته والآثار واللوازم والاعتبارات وجميع ما يرجع إلى ذلك ، كله يسمى : « الدنيا » .

العمل الصالح باق :

أما الأفعال الاختيارية للإنسان التي أمر الله بها كالصلاة والصوم والحج والزكاة وسائر العبادات ، والإمتناع عما نهى الله عنه كالشراب ، الزنا ، القمار ، وسائر الذنوب .

- أما هذه الأفعال الاختيارية - فإنها وإن كانت من الأمور التي تقع في الحياة الدنيوية الفانية ولكن كما أن الله تعالى باقٍ فإن كل عمل يقوم به الإنسان باسم الله وبذكره فإن أثره أيضاً باق .

وبعبارة أخرى العبادة والوقاية من الذنب إذا كانتا لله فصورتهما دنيوية وفانية ولكن حقيقتهما وأثرهما باقيان . . ولذا يقال لكل منهما أنه أخروي لا دنيوي . . بل وأكثر من ذلك . . إن مقدمات العبادة والوقاية من الذنب إذا كانت لله فهي أيضاً من أمور الآخرة .

العبادة خارجة من موضوع حب الدنيا :

مثلاً : الشخص الذي يحصل على المال ، ويحافظ عليه من أجل أداء

التكليف الإلهي لينفقه على عياله ويزكي، ويصل رحمه ، أو يذهب إلى الحج وكذلك سائر الموارد التي أمر الله بها . إذا كان تحصيله المال بهذه النية حقاً فذلك أيضاً أخروي .

وبشكل عام فإن العبادة خارجة من موضوع حب الدنيا ولزوم حبها (العبادة) واضح .

وأما الذنوب فلأنها من الدنيا المذمومة وكونها مبغوضة أمر بديهي ، فلزوم بغضها (الذنوب) واضح وهي أيضاً خارجة عن بحثنا .

الخلاصة : المراد من حب الدنيا الذي هو محل البحث هنا ما أحبه الإنسان من الدنيا غير العبادة والمعصية . إذ أن حكم وحب هذين واضح .
خلقتكم للبقاء :

تقدم في قسم العقائد بالتفصيل أن واجب الإنسان أن يوقن أنه بالموت لا يفتنى ، وأنه لم يخلق للحياة الدنيا فقط كالحيوان ، خلق من التراب ويتلاشى في التراب ويفنى . . بل الإنسان مخلوق خالد لا يطويه الفناء ابداً بعد أن خلق . . وانفصاله عن البدن المادي بالموت شبيه بخروج الطائر من سجن قفصه ، أي أن الإنسان في عالم ما بعد موته يكون في سعة ليس فيها أي نوع من الضيق ، وفي بهجة وسرور لا يشوبهما أي غم وغصة ، وفي لذة وراحة لا يعرف الألم وعدم الراحة إليها سبيلاً . . لا يتمنى شيئاً إلا ويتحقق ولا يعيش الخيبة أبداً . . إنه في قدرة وعزة لا يعتريهما عجز وذل . . إن حياته باختصار تغمرها السعادة ولا يعتريها الفناء على الإطلاق .

فالأخرة إذن تُحب :

لكن هذه السعادة في الحياة الخالدة إنما تكون فيما إذا انتقل الإنسان من

هذا العالم بالإيمان والتقوى . . والإيمان والتقوى كجناحين يوصلانه إلى العالم الأعلى ، ومقدار سعادته في ذلك العالم مرتبط بمراتب قوة الإيمان والتقوى .

ومن الواضح أن الحصول على الإيمان والتقوى وتقوية كل منهما ليس ممكناً إلا في الحياة الدنيوية . . وبعد الموت لا مجال إلا لحصاد نتيجة وآثار ما كسبه الإنسان في الدنيا .

الإنسان - في الحقيقة - مسافر يجب أن يؤمن في مدة حياته الدنيوية هذه سعادته الخالدة بعد الموت . . ومن هنا تتضح أهمية هذه الحياة الدنيا المستعارة .

« كل نفس من أنفاس عمرك جوهرة ، إن ذلك النفس يقودك نحو ربك »^(٢) .

حب الدنيا للآخرة :

كل عاقل يفكر في عواقب الأمور ، يحب هذه الدنيا ، ويتمنى العمر الطويل^(٣) يخشى سرعة حلول أجله لأنه يعلم أن الإيمان والعمل الصالح وهما رأس مال السعادة الأبدية لا يمكن اكتسابهما إلا في هذا العالم . . وبعد الموت يطوى سجل العمل . .

والخلاصة : حيث أن الحياة الدنيا وسيلة الحياة الباقية فهي محبوبة لدى العاقل وقد ورد في القرآن والأخبار الحث على إدراك قيمتها والإهتمام بها^(٤) .

(٢) مضمون بيت .

(٣) ومن هنا ورد في الروايات النهي عن تمنى الموت «بل تمن الحياة لتطيع» .

(٤) «ولا تنس نصيبك من الدنيا» .

«حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني * لعلني أعمل صالحاً فيما تركت» .
وقد أخبر القرآن في عدة مواضع أن أصحاب الأعمال السيئة يتمنون بعد الموت الرجوع إلى الدنيا وطبيعي أنهم يتمنون المستحيل .

النعم الدنيوية بأهداف إلهية :

وأما النعم واللذائذ الدنيوية والتنعم بها ، فحيث أنها وسيلة لزيادة معرفة الله تعالى ومحبهه ، ووسيلة أيضاً للتذكير بالعالم الأعلى الذي يوجد فيه أصل كل نعمة وخالص كل لذة^(٥) ، فهي لدى كل عاقل محبوبة وقد ورد الأمر بذلك في القرآن والأخبار :

﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾ .

﴿قل من حرم زينة الله (في الأرض) التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ .

أي أن هذه الطيبات رغم أن الكافرين والمؤمنين يتنعمون بها ولكن إنما خلقت للمؤمنين لتزداد بواسطتها معرفتهم لله ومحبتهم له ويؤمنوا بواسطتها سعادة العالم الخالد .

وأما التزيينات والنعم الأخروية فلا يشارك الكافرون فيها المؤمنين وهي خاصة بالمؤمنين .

... وبهدف السعادة في الآخرة :

خلاصة القول إن التنعم بالزينة وأنواع النعم الموجودة في الدنيا إذا كانت حلالاً ودون إسراف ، مباح (التنعم بها) لجميع الناس وحلال . . ولكن الحب القلبي لهذه الزينة والنعم ، والتعلق بها إذا كان بهدف أنها وسيلة لتأمين السعادة

(٥) إشارة إلى أن العافية مثلاً وهي نعمة أصلها في عالم الآخرة وما هو موجود منها في هذا العالم صورة مصغرة عن الأصل . . وكذلك الإلتذاذ بطعام ما أو غير ذلك فكل ما في هذه الدنيا ليس خالصاً ولا صافياً واللذة الخالصة الصافية هناك .

الخالدة فهو مقبول وقد أمر الله به كما تقدم .

مثلاً : يحب الشخص زوجته لأن دينه يحفظ بسببها ولا يقع في الحرام . . ولأنها كذلك نعمة إلهية تساعد على الإستقرار وهدوء البال وتعينه على شؤون الحياة وتكوين الأسرة وبقاء النسل .

ويجب أيضاً أن يحب الولد لأنه عطاء إلهي وإذا ربي تربية سليمة وأصبح عبداً صالحاً فإن أباه وأمه سيكونان شريكين في ثواب أعماله الصالحة .

ويحب المال لأنه عطاء الله ويستطيع أن يؤمن به استقرار وسعادة الحياة الدنيا والآخرة . .

ويحب أنواع النعم واللذائذ لأنها جميعاً آثار قدرة الله وحكمته وجماله وكماله وبسببها يزداد معرفة بالله وحباً له . . كما يزداد شوقه الى الوصول إلى قربهِ سبحانه .

ويحب القدرة والعزة والثروة والشهرة والمنصب إذا أتته هذه الأمور^(٦) لأنه يستطيع بواسطتها أن يقوم بالأعمال التي ترضي الله تعالى كنصرة المظلوم والإقتصاص من الظالم ومساعدة الضعيف العاجز .

الحب الإستقلالي للدنيا مرفوض :

وبشكل عام فإن حب الحياة الدنيوية وما فيها وما يرجع إليها ويرتبط بها . . إذا كان بهدف إلهي وأخروي فهو خارج عن موضوع حب الدنيا الذي هو محل بحثنا ، الذي ورد في القرآن والأخبار ذمه . لأن صاحب هذا الحب لم

(٦) أي لا يحرص الإنسان على هذه المسائل ، ولكنها إذا جاءت دون أن يسعى لها فهو يحبها حباً غير استقلالي بل لأنها ستكون وسيلة لرضوان الله تعالى ، وطبيعي أن ذلك ليس سهلاً .

يحب في الحقيقة شيئاً غير حب الله والآخرة على وجه الإستقلال وبالذات . .
وإنما أحب الدنيا لله^(٧) وآخرفته كالمسافر الذي ليس له في سفره هدف إلا الوطن
وتأمين استقراره فيه . . وإذا رأى في مدينة ما أشياء تنفعه في حياته في وطنه
أحبها وطلبها وعمل للحصول عليها ليرسلها إلى وطنه .

والخلاصة : حب الدنيا لا على نحو الاستقلال . . بل على نحو الآلية
والمقدمة ليس مذموماً . . وما هو المذموم في القرآن المجيد والأخبار المتواترة
هو الحب الإستقلالي للدنيا بالتفصيل المذكور .

علامة حب الدنيا للآخرة :

من الجدير بالذكر أنه قد يشبه الأمر على الإنسان ، ويتخيل أنه يحب
الدنيا لله والآخرة لا على نحو الإستقلال ، في حين أن حبه لها واقعاً
استقلالي ، لأن علامة حب الدنيا لله والآخرة أن لا يحب الذنب وأن لا يطمع
بما يملكه أحد ، وأن لا يحسد وأن لا يكون فيه أثر للبخل والكبر والعداوة
والأنانية والحرص والفساد .

ما هو الحب الاستقلالي^(٨) :

(٧) قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم
عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجداً أحباء الله ومصلين ملائكة
الله ومهبط وحى الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة » نهج
البلاغة - باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام .
وإذا أحب شخص الدنيا على أساس أنها تتصف بهذه الأوصاف المذكورة فهو في
الحقيقة قد أحب الله والآخرة وإنما أحب الدنيا لأنها وسيلة قرب إلى الله وإعمار
الآخرة . .

(٨) لمعرفة الفرق بين الحب التبعية والإستقلالي للدنيا تأمل بدقة في هذه الجملة العجيبة من
كلام أمير المؤمنين عليه السلام : « ومن أبصر بها بصرته ، ومن أبصر إليها أعمته » نهج =

من أحب الحياة الدنيا لأجل الدنيا .. ورغب في المؤنسات واللذائذ
والشهوات الدنيوية لأجلها وفي حد ذاتها .. بحيث أنه يرى أن سعادته هي فقط
في تحقيق رغباته وآماله الدنيوية ..

فهو لهذا غافل عن الله يظن أنه محتاج إلى الأسباب (المادية) ويتصور
أنها مؤثرة تنفعه أو تضره .. ولذلك مَدَّ يَدَ الاستجداء إلى هذه الأسباب وأخذ
يركض خلفها غافلاً عن عالم الآخرة أو أنكره .. وأصبح لا يتورع عن التلوث
بأي حرام وإثم .. وفرحته فقط في أن يحقق ما يصبو اليه .. وحزنه في عدم
استطاعته ذلك .

هذا هو معنى حب الدنيا الذي يذمه العقل وينهى عنه الشرع .

مراتب حب الدنيا :

لحب الدنيا من أجل الدنيا مراتب ثلاث :

الأولى : أن لا تكون في قلب الإنسان أية علاقة أخرى غير حب الدنيا
والتعلق بما فيها .. وليس له أي هدف غير الرغبات المادية .. وأن يكون يعتبر
الله والآخرة حديث خرافة وهزيان حاله ومقاله :

﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ الجاثية ٢٤
أي أن الإنسان كالحيوان موجود مادي يفنى بالموت وينعدم وليس له حياة أخرى

= البلاغة ح ٣٨ .

وكل من نظر إلى الدنيا بنظر الاعتبار تجعله الدنيا يرى فيعرف أنها فانية وينصرف قلبه
عنها ويعرف أن الآخرة هي الباقية ويتعلق قلبه بها ، ويجعل دنياه وسيلة لآخرته ..
وكل من نظر إلى الدنيا بالنظر الاستقلالي ، نظر الراغب فيها .. فستعميه الدنيا أي أنه
لن يرى فناءها ومعابها .. فيحبها ويغفل عن عالم البقاء .. مثل هذا محروم واقعاً من
البصيرة التي هي رؤية الحقيقة .

فيجب أن يسعى بكل ما أمكنه لتحقيق رغباته وآماله .

يحب الدنيا أكثر :

المرتبة الثانية :

أن يكون الإنسان وهو يحب حياته الدنيا على نحو الإستقلال ويتعلق بها ، يحب في نفس الوقت الحياة الآخرة ويتعلق قلبه بها ، ويتمنى الإستقرار والسعادة في كلا الدارين ، وهو يسعى ويجد في سبيل كل منهما ، لكن علاقته القلبية بالدنيا أكثر وأقوى . . والدنيا في نظره أكبر من الآخرة وأعلى . . بحيث أنه عند التزاحم بينهما (عند تعارضهما) يجعل الآخرة فداء الدنيا كعمر بن سعد الذي أقدم على قتل سيد الشهداء عليه السلام ليصل إلى حكم الرِّيِّ (٩) . ومثله كل طالب شهرة ورياسة يبلغ تعلقه بالمنصب والرياسة حداً لا يتورع معه عن ارتكاب كل ما يضر آخرته من الخيانات والجنايات .

ومثله كذلك المحب للمال الحريص على تحصيله وادخاره إلى حد أنه لا يتورع في سبيل ذلك عن المعاصي وحبس الحقوق بالخصوص رغم أن ذلك كله يسيء إلى آخرته . . وباختصار : لا يهتم بآخرته ولكن يتألم لضرر يصيب ديناه .

ما أكثر الذين يؤمنون حقيقة بالله والمعاد ويبدلون الجهد من أجل آخرتهم ولكنهم مع ذلك إذا ارتكب أحدهم معصية من الكبائر التي تخرب آخرته لا

(٩) لا يخفى أن التمثيل للمرتبة الثانية من حب الدنيا بعمر بن سعد إنما يصح فيما إذا كان ذلك الشقي مؤمناً بالآخرة . . وتدل أبياته التي قالها حول تصميمه على قتل الإمام عليه السلام أنه كان شاكاً بالمعاد « يقولون ان الله خالق جنة الخ » وبناءً عليه فحب الدنيا الذي كان في عمر بن سعد ويزيد وابن زياد ونظائريهم من قبيل المرتبة الأولى خاصة يزيد الذي يدل شعره على كفره .

يشعر بأي حرج . . في حين لو أن ضرراً أصاب حياته الدنيا فإنه يتألم ويضطرب بشدة . . وبعبارة أخرى : عدم تحقق آماله الدنيوية يؤثر فيه أكثر من عدم تحقق آماله الأخروية ، وهذا علامة أن حب الدنيا فيه أقوى من حب الآخرة .

حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان في قلب :

هذه المرتبة من حب الدنيا تتنافى مع الإيمان بالله وعالم الآخرة ، ولكي يقوي صاحبها إيمانه بالله ويوم الجزاء فلا بد له من اقتلاع حب الدنيا من قلبه توضيح ذلك أن الله تعالى خلق عالم الآخرة بحيث لا يعتريه الفناء ، وعظيماً ومهماً وقيماً وبشر الناس به^(١٠) ودعاهم إلى تعظيمه والإسراع إليه^(١١) والتسابق^(١٢) والتنافس^(١٣) في ذلك .

وفي مقابل ذلك خلق الدنيا سريعة الزوال وجعل حياة الناس فيها محفوفة بالمشقة والتعب والألم ودعا الناس إلى استصغارها واحتقارها بالنسبة إلى عالم الآخرة^(١٤) وأمر العباد أن يعتبروا الدنيا محطة وليست مقراً^(١٥) وأن لا تتعلق قلوبهم بها بل يعتبرونها مقدمة ووسيلة للحياة الخالدة، ولا يهتمون بشؤونها وشجونها . . ولا يشغلون بها خوف أن يعيقهم ذلك عن تهيئة زاد سفر الآخرة ، وأن لا يفرحوا بسرائها ولا يحزنوا لضرائها^(١٦) .

(١٠) ﴿فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ يس ١١ .

(١١) ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض﴾ آل عمران ١٣٣ .

(١٢) ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض﴾

الحديد ٢١ .

(١٣) ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ المطففين ٢٦ .

(١٤) ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ العنكبوت ٦٤ .

(١٥) ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ النساء ٧٧ .

(١٦) ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ الحديد ٢٣ .

لا ينسجم مع ادعاء الإيمان :

أنصف أنت أيها القارئ العزيز : الشخص الذي يعتبر نفسه مؤمناً بالله وبالرسول ويوم الجزاء ثم تكون حاله عكس كلام الله وما أمر سبحانه به ويهتم بالدنيا ويجعلها أثمن وأكبر من الآخرة ويكون حبه للدنيا وعلاقته بها أكثر . . هل شخص كهذا صادق في ادعاء الإيمان . . ؟

وإذا اغتفر له هذا الذنب فهل يمكن تعويض الخسائر التي لحقته من نقص في الإيمان ونقص في العمل الصالح . ؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لو لم يكن فينا (نحن الذين نعتبر أنفسنا مسلمين ومؤمنين بالله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم) إلا حبنا ما أبغض الله (أي الدنيا) وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقاً لله ومحادة عن أمر الله » (١٧) .

وتسأل :

أولاً : إن حب الدنيا أمر قلبي فكيف يكون ذنباً ونهى عنه ما لم يتحول إلى عمل ؟

ثانياً : إن حب الدنيا غير اختياري ، ومن الواضح كون حب الملذات والشهوات قهرياً . . بناءً عليه كيف يكون مورداً للتكليف ؟

ونقول في الجواب : حب الدنيا ، كالكفر والشرك والرياء والعجب والحسد وسائر الذنوب القلبية التي محلها قلب الإنسان وقد نهينا عن إحلالها في القلب أما الذنوب الجسدية فحين أن صدورها يتم بواسطة الجسد فلم ننه عن

(١٧) نهج البلاغة .

إخطارها على القلب وليس ذلك ذنباً وقد تقدم ذكر هذا الأمر بالتفصيل .

هل حب الدنيا فطري ؟

وأما ما قيل من أن حب الدنيا أمر غير اختياري . . فإذا كان المراد منه أن حب الدنيا أمر ذاتي للإنسان وجزء من طبيعته يولد معه ، بحيث أنه خارج عن قدرته واستطاعته حدوداً وبقاءً ، فإن عدم صحة ذلك واضح فإنه منذ ولادته وإلى مدة طويلة لا يمتلك أي إحساسٍ تجاه الدنيا ويظل كذلك إلى أن يعرف الأمور الملائمة لطبعه والشهوات والملذات ويلتذ بها وفي النتيجة يأنس بها ويحبها .

إخراج حب الدنيا من القلب :

وإذا كان المراد أن حب الدنيا ليس ذاتياً للإنسان ولا يولد معه ، إلا أنه بمرور الزمان ونمو الإحساس ، وانسياق الإنسان لما يلائمه وللملذات والشهوات والأنس بها ، تصبح العلاقة بالدنيا وأوضاعها أمراً ثابتاً وسجية راسخة في القلب ، بحيث أن اقتلاعها من القلب خارج قدرة الإنسان واستطاعته ، والله عادل لا يكلف الإنسان بأمر خارج عن استطاعته .

لأنه عسر وخرج فليس واجباً :

ونقول في الجواب : رغم أن استئصال حب الدنيا من القلب ليس خارج استطاعة الإنسان . . بل هو قادر عليه مستطيع له كما سيتضح ، ولكن حيث أنه بالنسبة لأكثر الناس صعب وشاق وموجب للعسر والخرج فليس واجباً ، بل هو مستحب كما سيأتي .

والشيء اللازم على كل مكلف عاقل هو إضعاف حب الدنيا في القلب وتقوية حب الله والآخرة فيه ، بحيث تصبح محبة القلب وعلاقته بالآخرة أكثر وأشد من حب الدنيا وشؤونها .

وما هو حرام وذنب ، عكس ذلك أي أن يكون حب الدنيا أقوى من حب الآخرة .

حب الآخرة أكثر ، اختياري :

وكون تقوية حب الآخرة أمراً اختيارياً ، بل سهلاً ، واضح لا غموض فيه .

توضيح ذلك : أن الإنسان من أول العمر إلى سن التكليف ، يكون غافلاً عن عالم ما بعد الموت العظيم ، ولا يعتقد بأن هذه الجزئيات الدنيوية التي تنتهي بالموت سيأتي بعدها عالم آخر ، ولذلك فهو متعلق بحياته الدنيوية ، يحب الملهذات والشهوات وكل ما يلائم نفسه ، ويهتم بشؤون الحياة الدنيا . . . وعندما يصل إلى سن التكليف وظهور نور العقل ، يصبح واجباً عليه أن يؤمن بعالم الآخرة كما أخبر به القرآن المجيد أي يجب أن يوقن أن للإنسان بعد الموت حياة خالدة لا مجال أبداً لمقارنتها من حيث الراحة والسعادة مع الحياة الدنيا . . . وأن فيها المثوبات والجزاءات والضيافات الإلهية بالتفصيل المذكور في القرآن .

ويجب أيضاً حب هذه الحياة والتعلق بها ، والعمل لتحقيق السعادة فيها ، وهذا معنى الإيمان بالآخرة ، وكلما كان الإيمان والتعلق بالحياة بعد الموت أكثر ، ضعفت العلاقة بالحياة الدنيا ، خاصة إذا أدخل الإنسان في حسابه النقائص والمنغصات التي هي من لوازم الحياة الدنيا فعندها ستضعف علاقته بالدنيا أكثر . . . بل إذا لم يغفل عن زوالها وفنائها وعدم اعتبارها فإنه سيقطع علائق قلبه بها ويتعلق بالآخرة .

والخلاصة : كلما ازداد الإيمان بالآخرة ، يزداد التفكير في نقائص الدنيا فيزداد الإعراض عنها وعدم التعلق بها ، والإيمان والتفكير كسبيان

واختياريان . . إذن : حب الدنيا وتخليص القلب من أصل الفساد هذا ،
اختياري .

وكيف يمكن القول : ان حب الدنيا غير اختياري مع أن القرآن المجيد
والروايات المتواترة ينهيان عنه ، كما سيأتي ، والفقهاء الكبار كالمحقق
الأردبيلي وصاحب الجواهر اعتبروا حب الدنيا من المحرمات (١٨) .

وكذلك الشيخ الحر العاملي في « بداية الهداية » (١٩) صرح بحرمة .
وأورد في كتاب الوسائل في باب « حب الدنيا المحرمة » روايات تدل على
حرمة .

هل يختل الوجود بدون حب الدنيا ؟ :

وتسأل : كيف يحرم الإسلام حب الدنيا الذي لولاه ما سعى أحد للكسب
والعمل وتعلم الصناعات ، ولما سعى إلى الميزات والشهوات والزينة . .
ولأدى ذلك إلى انقراض الجنس البشري وهو أمر يساوي اختلال نظام
الدنيا . . . ثم إنه مخالف للهدف من الخلق . . . والحكمة فيه . . .

ليس كل حب للدنيا حراماً :

ونقول في الجواب : لم يحرم الإسلام حب الدنيا مطلقاً وبشكل عام ،
وما حرمه هو ترجيح الدنيا على الآخرة في العلاقة . . أي أن يتعلق الإنسان

(١٨) ضمن تعداد الأمور المحرمة التي تقدر بالعدالة قال المحقق الأردبيلي : ومنها حب
الدنيا والأخبار في ذلك كثيرة جداً ، وقال صاحب الجواهر في المسألة العاشرة في كتاب
الشهادات في معرض تعداد الأمور التي علمت حرمتها بل كون بعضها من الكبائر -
قال - : ومن جملة ذلك حب الدنيا .

(١٩) قال رحمه الله : « ويحرم طلب الرياسة الدنيوية واختلال الدنيا بالدين ، ولا يجوز حب
الدنيا المحرمة والحرص عليها » .

بالدنيا أكثر من الآخرة ، ذلك حرام ، وأما العكس أي أن تكون له علاقة بالدنيا في حين أن علاقته بالآخرة أكثر فذلك ليس حراماً وبعبارة أخرى : أن يمتلىء القلب من حب الدنيا بحيث لا يكون فيه حب الله والنبي وآله وحب عالم الآخرة ، أو يكون فيه ذلك ولكنه حب ضعيف لا يكاد يذكر . . هذا هو الحرام .

لتفرغ قلوبهم للآخرة :

قال الإمام الصادق عليه السلام : وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة .

ثم إن المنهي عنه هو الحب الإستقلالي للدنيا . . بل المرتبة الشديدة منه ، أما الحب التبعية ويهدف إلهي كما تقدم فهو ممدوح ورد الأمر به ، وهو كاف لإعمار الحياة وحفظ نظام الدنيا .

وبعبارة أخرى ليس المراد من ترك حب الدنيا وعدم التعلق بها ترك الأعمال الدنيوية والقيام بواجبات الحياة والإعراض عن اللذات والشهوات الدنيوية ، بل المراد التعلق بالله والآخرة بحيث تؤدي الأعمال الدنيوية من منطلق العلاقة بالله والآخرة .

وبشكل عام : كل عمل يؤدي بهدف إلهي وإطاعة لأمره سبحانه فهو يقينا أكثر دواماً وأشد نفعاً وإحكاماً ، وأبعد أثراً في إعمار الدنيا وتماسك نظامها .

ما كان لله ينمو :

مثلاً : رباط الزوجية والبنوة ، بل كل رباط . . إذا تحقق بهدف إلهي فهو يقيناً أكثر دواماً يخلو من المنغصات ويقترن بالاستقرار . . كما أنه إذا كان من منطلق الهوى والهوس والأغراض النفسية فلن يكون في حقيقته إلا عذاباً ومشقة

وعدم استقرار ..

أو مثلاً : كل بناء وتأسيس (٢٠) .. إذا كان بهدف رحمانى فهو حتماً أكثر

(٢٠) إذا لاحظنا البناء الذي بني لزيادة الثروة والإدخار ، نجد أن ظاهره فقط جميل يلفت النظر ، لم يبذل أي جهد على إحكام أسسه وباطنه ، أما إذا كان قد بني بهدف رحمانى أي لاحظ المعمار مصلحة الناس لا مصلحته الشخصية على حساب الآخرين ، (وخير الناس من نفع الناس) فإنه سيكون في غاية الإحكام والجودة ومن راعى الله تعالى في عمله فإنه يتقن عمله حتى إذا كان قبرا يريد بناءه ، وقد روي حول دفن سعد بن معاذ : « فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى لمُحده ، وسوى عليه اللبن ، وجعل يقول : ناولني حجراً ، ناولني تراباً رطباً ، يسد به ما بين اللبن ، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إني لأعلم أنه سيلى ويصل إليه البلى ، ولكن الله عز وجل يحب عبداً إذا عمل عملاً فأحكمه (أحكمه)» البحار ٢٩٨/٧٣ .

والخلاصة : إذا استجاب الإنسان للأنبياء وقطع من قلبه علائق الدنيا ، وأقبل على الله والآخره فإنه لدى القيام بأي عمل لا يدخل في حسابه الهوى والمصلحة الشخصية وإنما يقوم بذلك بداعي الأمر الإلهي وإطاعة له ولايصال النفع إلى الناس .. فستعمر بذلك دنياه وآخرته وينال السعادة في الدارين لاحظ هذه القصة :

مر كسرى في رحلة صيد بقرية فرأى عجوزاً يزرع زيتوناً قال كسرى : أيها العجوز لقد مضى أوان زرعك الزيتون فأنت عجوز والزيتون يتأخر ثمره .. قال الفلاح : زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون . (إذا تأملت رأيت أننا جميعاً زراع لبعضنا البعض) (*) فاستطرق كسرى ذلك ، وأثنى عليه وأعطاه أربعة آلاف درهماً فقال الفلاح : ثمر الشجرة في السنة مرة واحدة ، وقد أثمرت شجرتي في ساعة واحدة مرتين ، فاستطرق كسرى ذلك أيضاً وأعطاه أربعة آلاف درهماً أخرى ومضى قائلاً : لو بقيت لأت جواهر كلمات هذا العجوز على خزيتي أنيس الأدباء/٣٠٧ وليلاحظ أن النص هنا مترجم .

وحقاً . إن العمل في سبيل الله والله تشبه عمل الفلاح الذي يبذر البذر ليحصد منه ما يملأ مخزن القمح .. وحين الحصاد يجد مع القمح التبن .. ومهما قال إنه لا يريد =

(*) مضمون عجزيته صدره «زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون» .

دواماً ونفعاً ونتيجة كما أنه إذا كان بهدف شيطاني فسرعان ما يزول ويكون مضرّاً . . وهكذا إلى أن نصل إلى الرئاسة والحكم . . فإذا كان ذلك بهدف إلهي فهو كحكم الإمام علي عليه السلام الذي كان كله بسطاً للعدل وانتصاراً للمظلوم ، ومنعاً لكل اعتداء ، وإيصالاً لكل حق إلى مستحقه .

أما إذا كان بهدف نفساني وشيطاني فهو كحكم معاوية الذي لم ير منه إلا بسط الظلم وسحق المظلوم وإطلاق العنان لكل ظالم وعدم إيصال الحق إلى مستحقه .

رأس كل خطيئة :

كل أنواع الفساد ، والحروب ، والنزاعات ، وإراقة الدماء ، واختلال النظم ، والتنافر ، والقطيعة ، التي تقع بين الناس سواء بين شخصين أو أكثر حتى نصل إلى دولتين كبيرتين . . يكشف التدقيق فيها أن سببها ليس شيئاً آخر غير حب الدنيا على نحو الإستقلال . .

وفي مقابل ذلك : كل أنواع الصلاح والصدق في الأقوال والأفعال ، وكل خير يصدر من أي فرد ، وكل استقرار وهدوء واقعي . سببه الإيمان بالله والآخرة والحب التبعية للدنيا . .

يا ليت أن المسلمين يصلحون إيمانهم بالله والآخرة . . . عندها سيؤدون أعمالهم بأهداف إلهية فيصلون إلى النظم والاستقرار الحقيقيين ، ويتذوقون طعم لذة الحياة . . من أعرض قلبه عن الدنيا وتعلق بالله فله « الحياة الطيبة » أي الحياة بسعادة وشرافة وعزة فلا يرى نفسه محتاجاً لأي مخلوق إنه محتاج لله فقط . . ولا يخاف ولا يستوحش من أحد . . لا يخاف إلا من الله . .

= التبن فإن حصيلته من التبن كبيرة . . كذلك من يعمل لله فإنه يحصل بالإضافة على ثواب الآخرة ما يجعل دنياه عامرة .

حب الدنيا سبب اختلال النظام :

والحياة الطيبة هي حياة بالعلم والمعرفة ، لا تجد الحيرة إليها سبيلاً . .
فقد عرف صاحبها الهدف من الحياة ألا وهو مقام العبودية . . وهو يسعى
للوصول اليه ليل نهار بكل حب واشتياق :

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى فلنحسبته حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل ٩٧ .

وخلاصة القول في الرد على ما تقدم من ادعاء أن عدم حب الدنيا -
إستقلالاً - يوجب خراب الدنيا ، واختلال نظام العالم كلام غير صحيح ،
والواقع بعكسه تماماً ، أي أن الحب الاستقلالي للدنيا يوجب خراب الدنيا
واختلال النظام . . وحب الدنيا التبعي يوجب إعمار الدنيا وتماسك النظام .

تلخيص ما تقدم :

اتضح مما تقدم أن حب الطاعة وبغض المعصية بديهيان ، وأن الحب
التبعي للدنيا لوازم الإيمان ، وأن للحب الإستقلالي للدنيا ثلاث مراتب :

١ - امتلاء القلب بحب الدنيا ، وخلوه من حب الله والآخرة وهذه المرتبة
حرام قطعاً وهي في حد الكفر وبمستواه .

٢ - الحب الشديد للدنيا مع الحب الضعيف لله والآخرة وهذه المرتبة
أيضاً حرام .

٣ - عكس المرتبة الثانية ، أي الحب الضعيف للدنيا مع الحب الشديد
لله والآخرة وهي مرتبة مكروهة .

وحيث أن نقل الأدلة على حرمة المرتبة الأولى والثانية من القرآن والأخبار

يستدعي الإطالة ، فيكتفى بذكر بعضها :

أولئك مأواهم النار :

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ يونس ٧ - ٨ .

أي قصروا همهم على اللذات المحسوسة ، والزخارف الفانية وغفلوا عن نعم الجنة واللذات الخالدة ، واطمأنوا بالدنيا وكأنهم لن يفارقوها أبداً وغفلوا عن أن يد الأجل تفرع طبل الرحيل لحظة بلحظة ، وبلغ نسيانهم الآخرة إلى حد أنها لا تخطر لهم على بال أبداً . . .

وقفه مع هذه الآية :

ينبغي التأمل الدقيق في أربع جمل من هذه الآية الشريفة مضامينها متلازمة وتوضح حب الدنيا ، وسبب دخول النار .

١ - لا يرجون : الرجاء بمعنى الأمل توقع الحصول على شيء يبعث على السرور . . أي إذا علم الإنسان بشيء وكان يحبه ويأمل أن يحصل عليه ، وحمله هذا الأمل على بذل الجهد للحصول على أمله وانتظر حصوله وتوقعه . . فهذه الحالة تسمى رجاء أما إذا لم يكن عنده أي حب لشيء وأمل فيه فإن هذه الحالة تسمى يأساً .

وإذا كان الحب والأمل ضعيفين بحيث لا يحملان صاحبهما على بذل الجهد للحصول على ذلك الشيء الذي تعلق به هذا الحب وهذا الأمل الضعيفان ، فهذه الحالة تسمى غروراً^(٢١) .

(٢١) لعل المراد أن الغرور غفلة قال في المعجم الوسيط « غرَّ الرجلُ : كان ذا غفلة وقلَّت فطنته » وعلى هذا فالمحب لشيء المؤمل له وهو لا يسعى للحصول عليه هو مغرور حيث لا حصول على الشيء دون السعي وبذل الجهد .

وبناءً عليه فمعنى ﴿لا يرجون﴾ أن أولئك الذين لم يعرفوا الحياة الإنسانية الخالدة بعد الموت بجوار الله التي يتم فيها الجزاء والإثابة الإلهيان على أعمال المؤمنين الصالحة ، ولم يعتقدوا بهذه الحياة ، ولم يحبوها ، ولم يعملوا لها ما ينبغي عمله . . هم في الحقيقة لا ينتظرون هذه الحياة ولا يتوقعونها ولا يتعلق أملهم بها .

٢ - ورضوا بالحياة الدنيا : الإنسان - وكل موجود حي - يميل بشكل فطري وطبيعي إلى الحياة . . ويظل دائماً يبحث عن سعادته في هذه الحياة . . فإذا عرف الحياة الخالدة بعد الموت وأيقن بها فإنه حتماً سيبدل الجهد من أجل السعادة فيها . . سيظل آنذاك يحب حياته الدنيا القصيرة ويحب أن يكون فيها سعيداً . . ولكن سيكون ذلك بالحجم الذي تستحقه الدنيا ويتناسب معها .

ولكنه لن يكتفي بحب حياته المستعارة ، بل سيحب السعادة في حياته الباقية ويسعى لها سعيها .

المسافر وحب الوطن :

كالمسافر الذي يجب أن يبقى في مدينة ما لمدة من الزمن ، ليؤمن في تلك المدينة وسائل حياته المستقرة في وطنه . . طبعاً سيكون هذا المسافر طيلة هذه المدة يحب استقرار حياته في غربته ويبدل جهداً من أجل ذلك ولكن بمقدارٍ يتناسب مع مدة بقائه مسافراً .

إلا أنه لن يقنع بالسعادة التي يحصل عليها حال كونه مسافراً ، بل سيظل يحلم بالسعادة في وطنه ، وسيبقى في حركة دائبة لتأمين مستلزمات هذه السعادة ، ولذلك فهو يرسل إلى وطنه كل ما يمكنه الحصول عليه .

هذا هو حال من يرجو الآخرة . . وأما الذي لا يرجوها وهو يعتبر الموت فناً وعدمًا دائماً فإنه يقصر كل همته على حياته الدنيوية القصيرة ويرضى بهذه

السعادة في هذه المدة القصيرة ويقنع بها . .

والخلاصة : إن من لوازم عدم رجاء الحياة الخالدة ، الرضا بالحياة الدنيا .

اطمئنان أهل حب الدنيا :

٣ - واطمأنوا بها : من كان ينتظر الحياة الخالدة والوصول إلى الثواب الإلهي ، لا يقر له في الدنيا قرار ، ويظل دائماً في جد واجتهاد لتحقيق وسائل السعادة في الآخرة . . وقمة استقراره وسعادته عندما يصل إلى ما كان ينتظر الوصول إليه .

أما من لا ينتظر شيئاً غير حياته الدنيا القصيرة ومؤنساتها ولذائدها وليست له أية رغبة غير ذلك فإن استقراره واطمئنانه في الوصول إلى هذه المؤنسات واللذائذ التي هي مطلوبة وأمنيته الوحيدتين .

الغفلة عن آيات الله :

٤ - والذين هم عن آياتنا غافلون : عدم رجاء الآخرة وحب الدنيا فقط والرضا بها والإطمئنان إليها . . ذلك سببه الغفلة عن آيات الله . . لأن الشخص إذا لم يغفل عن الأدلة والعلامات التي لا تحصى التي تدل جميعها على المبدأ والمعاد وقد وردت في القرآن المجيد ، سيتذكر حتماً حياته بعد الموت ويعتقد بها ، ولن يطمئن عندها إلى مؤنسات الدنيا بل سيظل في سعي وبحث ليحصل على سعادته الخالدة .

وجملة ﴿بما كانوا يكسبون﴾ إشارة إلى الذنوب القلبية والجسدية كما تقدم .

والخلاصة : إن المستفاد من الآية الشريفة أن كل من استبدل حب

الآخرة والعلاقة بها بحب الدنيا بحيث رضي بها فقط وأطمأن إلى ملذاتها ،
فمأواه النار ، لأنه غافل عن الآخرة وسيحترق بنار ما اكتسبه من ذنوبه بقلبه أو
بيدنه .

الإعراض عن ذكر الله :

﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم
من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ النجم ٢٩ - ٣٠ .

﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب﴾ ص ٢٦ .

خلاصة الآيتين الشريفتين : إن من أعرض عن ذكر الله والآخرة وكان كل
عمله ورغبته وعلاقته منصباً على الحياة الدنيا وشؤونها فقط فقد ضل عن طريق
الله ، ومن كان هذا شأنه ونسي عالم الجزاء ورضي بالحياة الدنيا فإن له عذاباً
شديداً .

ومن الجدير بالذكر : حيث أن الحقيقة هي المدار والأساس فمن أعرض
قلبه حقيقة عن الله والآخرة وانصرف عنهما ولم يردهما وتشتت بالحياة الدنيا فقط
وأراد الدنيا وأحبها بدلاً من الآخرة وبلغ من حبه لها أنه ركز كل جهده عليها
ولأجلها . . فمأواه النار سواء كان في أقواله كأفعاله أي أنه ينكر الله والآخرة
بلسانه أيضاً ، ويصرح بأنه لا وجود لشيء غير الحياة الدنيا ، أم كان باللسان يقر
بالله والآخرة .

وقد تم إيضاح هذا في بحث الإيمان بالتفصيل . . فتبين أن الإقرار
باللسان فقط لا فائدة له إلا انطباق أحكام الإسلام الخاصة بالدنيا كالطهارة ،
والزواج ، والإرث ، وليس له أية ثمرة أخروية ولا ينجي من العذاب إلا الإيمان
القلبي .

القلوب المطبوعة بسبب حب الدنيا :

﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴿ النحل ١٠٧ - ١٠٩ .

خلاصة الآية الشريفة أن الذين كانوا يحبون الدنيا فقط وفضلوها على الآخرة وحرّموا من التوفيق الالهي ، انقطعوا عن الآخرة كلياً ، وتعلقوا بالدنيا ، فطبع على قلوبهم وختم عليها وأقفلت أي أن فهمهم وإدراكهم لم يتجاوز حدود الدنيا ولم يفهموا شيئاً عن الله والآخرة ، آذانهم صماء عن سماع النصيحة ، وعيونهم عمى عن رؤية ما يذكرهم بالله والآخرة وأصبحوا بالنسبة للآخرة لا فهم ولا سمع ولا بصر وتواصل نوم غفلتهم عن الآخرة حتى وصلوا إلى ذلك العالم خالي الوفاض صفر الأيدي من الإيمان والعمل الصالح اللذين هما الوسيلة الوحيدة لسعادة حياة الآخرة وحقا إنهم الخاسرون الحقيقيون . .

في ضلال بعيد « عن الحقيقة » :

﴿وويل للكافرين (بالله والرسول والقرآن والآخرة) من عذاب شديد (في الآخرة) الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد (عن الحقيقة) ﴾ إبراهيم ٢ - ٣ .

ويذرون (. . .) يوماً ثقيلاً :

﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ الإنسان ٢٧ .

أي يوماً شديد الأحوال ثقيل الوطأة .

﴿فأما من طفئ ﴾ وآثر الحياة الدنيا ﴾ فإن الجحيم هي المأوى ﴿

﴿بل تؤثرن الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى﴾ الأعلى ١٦ - ١٧ .

﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ الإسراء ١٨ - ١٩ .

وفي قوله تعالى ﴿لمن نريد﴾ دلالة على أن ليس كل من أراد الدنيا حصل عليها .

وإيراد الآيات الأخرى يستدعي الاطالة وفي ما ذكر كفاية .

بين طريقتين :

وخلاصة ما يستفاد من آيات القرآن المجيد أن الإنسان مع مفترق طريقتين . . ولا بد له من اختيار أحدهما إما الإيمان بحب الدنيا ، وإرادة الحياة الدنيا والتعلق بأوضاعها على نحو الاستقلال أو الإيمان بالآخرة .

والإيمان بكل منهما كفر بالأخرى . . ومن هنا ورد التعبير في الروايات عن الدنيا والآخرة بالضدين ، والمشرق والمغرب ، والماء والنار .

وقد تقدم أن الإيمان بالآخرة يجتمع مع الحب التبعي للدنيا بل هما لازم وملزوم^(٢٢) .

الناس على ثلاث :

والناس ثلاث فرق : فرقة آمنت بالآخرة وأحبها وثبتت على ذلك

(٢٢) أي أن من أحب الآخرة حقيقة لا بد وأن يحب الدنيا حباً يتبع حبه للآخرة . . فإن علامة حبه للآخرة أن يتزود في الدنيا لها ، وهذا يستدعي حبه للدنيا الذي هو من أجل الآخرة .

واستقامت إلى آخر العمر .

وفرقه آمنت بالدنيا وكفرت بالآخرة واستمرت في ذلك إلى آخر العمر . .

وفرقه ثالثة : أحياناً تؤمن بالدنيا وتكفر بالآخرة ، وأحياناً بالعكس .

الفرقة الأولى : من أصحاب اليمين وتشملها البشارة الإلهية .

والفرقة الثانية : أصحاب الشمال والآيات الشريفة التي تقدم ذكرها
تحدث عنهم .

والفرقة الثالثة : أمرها إلى الله تعالى لتوزن في موقف الحساب وحسناتهم
وسيئاتهم وتتضح عاقبة أمرهم .

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن
يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ التوبة ١٠٢ .

وتوبة الله عليهم : رجوعه عليهم بالرحمة والمغفرة .

رأس كل خطيئة :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « رأس كل خطيئة حب الدنيا » (٢٣) .

التأمل في أنواع الذنوب القلبية كالكفر ، الشرك ، النفاق ، الرياء ،
العجب ، الكبر ، الحقد ، الحسد وغيرها ، وكذلك في الذنوب الجسدية . .
يكشف أن حب الدنيا بالنسبة إلى هذه الذنوب كالرأس من الجسد . .

فكما أن الجسد بدون رأس جثة لا أثر لها . . فكذلك استئصال حب
الدنيا لا يترك أي أثر من تلك الذنوب أبداً .

(٢٣) أصول الكافي - حب الدنيا .

الشقاء عند الموت :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الموت الموت ، ألا لا بد من الموت جاء الموت بما فيه الرُّوح والراحة والكرة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وجاء الموت بما فيه الشقوة والندامة والكرة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم^(٢٤) .

وَيُعلم من هذا الحديث أن أهل الدنيا الذين هم منذ ساعة الموت في عذاب ومشقة هم الذين كان حبهم للدنيا فقط وبذلوا جهدهم للحياة الدنيا ومتعلقاتها وليس في قلوبهم ميل للآخرة وحب لها ولم يبذلوا جهدهم من أجلها .

قصة قرية مات أهلها :

في أصول الكافي بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام : « مرَّ عيسى بن مريم على قرية قد مات أهلها ، وطيرها ، ودوابها ، فقال : أما إنهم لم يموتوا إلا بسخطة ، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا ، فقال الحواريون : يا روح الله وكلمته ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجنبها فدعى عيسى عليه السلام ربه ، فنودي من الجو أن نادهم فقام عيسى عليه السلام بالليل على شَرَفٍ (مرتفع) من الأرض فقال :

يا أهل هذه القرية .. فأجابه منهم مجيب : لبيك يا روح الله وكلمته فقال :

(٢٤) الوافي عن الكافي - باب ذكر الموت .

ويحكم . . ما كانت أعمالكم . .

قال : عبادة الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأمل بعيد ، وغفلة في لهُو ولعب .

فقال عليه السلام : كيف كان حبكم للدنيا ؟

قال : كحب الصبي لأمه ، إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنا .

قال : كيف كانت عبادتكم للطاغوت ؟

قال : الطاعة لأهل المعاصي . .

قال : كيف كانت عاقبة أمركم ؟

فقال : بتنا في ليلة عافية ، وأصبحنا في الهاوية .

فقال عليه السلام : وما الهاوية ؟ قال : سجين . .

قال : وما السجين ؟

قال : جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة .

قال عليه السلام : فما قلتم وما قيل لكم ؟

قال : قلنا : ردنا إلى الدنيا فنزهد فيها ، قيل لنا : كذبتُم .

قال : ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم ؟

قال : يا روح الله إنهم ملجمون بلجم من نار ، بأيدي ملائكة غلاظ

شداد ، وأنا كنت فيهم ، ولم أكن منهم ، فلما نزل العذاب عمّي معهم ، فانا معلق بشعرة على شفير جهنم ، لا أدري أجبك فيها أم أنجو منها .

فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحواريين وقال :

يا أولياء الله ، أكل الخبز اليابس بالملح الجريش ، والنوم على المزابل
خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة (٢٥) .

(٢٥) كتاب الأربعين للشيخ البهائي / ١٣٦- ١٣٧ وقد شرح عليه الرحمة بعض فقرات هذه
الرواية وهذه خلاصة ذلك : الطاغوت من الطغيان ، وهو تجاوز الحد وهو يطلق على
الكاهن والشيطان والأصنام وعلى كل رئيس في الضلالة ، وعلى كل ما يصد عن عبادة
الله ، وعلى كل ما عبد من دون الله تعالى .

ولعلك تظن أن ما تضمنه هذا الحديث من أن الطاعة لأهل المعاصي عبادة لهم . مجاز
وليس حقيقة ، ولكنه ليس كذلك فإن العبادة هي الخضوع والتذلل والطاعة والإنقياد ،
فقد روي في آخر باب الشرك من الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : « من
أطاع رجلاً في معصية فقد عبده » .

وإذا كان اتباع الغير والإنقياد له عبادة ، فأكثر الخلق عند التحقيق مقيمون على عبادة
أهواء نفوسهم الخسيسة الدنية وشهواتهم البهيمية على كثرة أنواعها واختلاف أجناسها ،
وهي أصنامهم التي هم عليها عاكفون ، والأنداد التي هم لها من دون الله عابدون ،
وهذا هو الشرك الخفي ، نسأل الله سبحانه أن يعصمنا عنه ويظهر نفوسنا منه ، بمنه
وكرمه وما أحسن ما قالت رابعة العدوية :

لك ألف معبود مطاع أمره دون الإله وتدعي التوحيد

وما ذكره هذا الرجل المتكلم لعيسى عليه السلام في وصف أصحاب تلك القرية
وما كانوا عليه من الخوف القليل ، والأمل البعيد ، والغفلة واللهو واللعب والفرح بإقبال
الدنيا ، والحزن بإدبارها هو بعينه حالنا وحال أهل زماننا بل أكثرهم خال عن ذلك الخوف
القليل أيضاً ، نعوذ بالله من الغفلة وسوء المنقلب .

وما تضمنه هذا الحديث من كون أهل تلك القرية في جبال من جمر توقد عليهم إلى
يوم القيامة ، صريح في وقوع العذاب في مدة البرزخ أعني ما بين الموت والبعث وقد
انعقد عليه الإجماع ونطقت به الأخبار ودل عليه القرآن العزيز وقال به أكثر أهل الملل
وإن وقع الاختلاف في تفاصيله ، والذي يجب علينا هو التصديق المجمل بعذاب واقع
بعد الموت وقبل الحشر في الجملة (اجمالاً) وأما كيفيته وتفصيله فلم نكلف بمعرفتها

ويكفي لمعرفة خطورة ذنب حب الدنيا أنه اعتبر في هاتين الروايتين سبب تعجيل العقوبة والهلاك الأبدي .

يفسد العقل :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : حب الدنيا يفسد العقل ويهم القلب عن سماع الحكمة ويوجب أليم العقاب^(٢٦) .

ذلك أن من أحب شيئاً لا يرى عيوبه ، ومحِب الدنيا لن يرى فناءها وزوالها وابتلاءاتها وكدورة ملذاتها (امتزاجها بالمنغصات) .

عدوان لدودان :

وقال عليه السلام : « إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان

= على التفصيل ، وأكثرها مما لا تسعه عقولنا ، فينبغي ترك البحث والفحص عن تلك التفاصيل وصرف الوقت في ما هو أهم منها ، أعني في ما يصرف ذلك العذاب ويدفعه عنا ، وهو المواظبة على الطاعات ، واجتناب المنهيات لئلا يكون حالنا في الفحص عن ذلك والإشتغال به عن الفكر في ما يدفعه وينجي منه كحال شخص أخذه السلطان ، وحسبه ليقطع في غد يده ويجدع أنفه ، فترك الفكر في الحيل المؤدية إلى خلاصه ، وبقي طول ليله متفكراً في أنه هل يقطع بالسكين أو السيف ، وهل القاطع زيد أو عمرو (. . .) ولنورد هنا حديثاً واحداً مختصراً رويناه عن الشيخ الصدوق بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : إن بين الدنيا والآخرة ألف عقبة أهونها وأيسرها الموت وفي هذا الحديث كفاية والله الهادي ثم لا يخفى أن ما قاله هذا الرجل من أنه كان فيهم ولم يكن منهم فلما نزل العذاب عنهم يُشعر بأنه ينبغي الهجرة عن أهل المعاصي والإعتزال لهم وأن المقيم معهم شريك لهم في العذاب ومحترق بنارهم وإن لم يشاركهم في أعمالهم وأقوالهم وقد يُستأنس لذلك بعموم قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ .

« الأربعون ، للشيخ البهائي ١٣٧ - ١٤١ » بتصرف .

(٢٦) غرر الحكم للأمدي .

متخالفان ، فمن أحب الدنيا وتولاها ، أبغض الآخرة وعادها ، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وما شيء بينهما ، فكلما قرب من واحد بعد عن الآخر وهما بعد ضربتان «(٢٧) .

لأن أكثر الناس تزوجوهما معاً وهم يميلون إليهما معاً غافلين عن أنهما لا يجتمعان .

وقد تقدم أن حب الدنيا والتعلق بها والركون إليها هو عين عداء الآخرة والإعراض عنها وعدم الاعتقاد بها ، وأن الإهتمام بكل منهما هو عين عدم الإهتمام بالآخرى ، والأنس بإحدهما هو عين النفور من الأخرى أي أن من كان أنسه في ملذات الدنيا وشهواتها سينفر تلقائياً من ذكر الله والآخرة «(٢٨) .

تريد الحصول على الدنيا وعلى الدين القويم ، وهذان لا يجتمعان والفلك ليس عبداً لك «(٢٩) .

وخلاصة كلام الإمام عليه السلام أن حب الدنيا والإيمان بها ، عين بغض الآخرة والكفر بها ، إذن كون حب الدنيا ذنباً ، بل كونه كفراً - ببعض مراتب الكفر - أمر واضح «(٣٠) .

(٢٧) نهج البلاغة ، وغرر الحكم للآمدي .

(٢٨) قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «حلاوة الدنيا مراة الآخرة ومراة الدنيا حلاوة الآخرة» . البحار ج ٧٥ / حب الدنيا .

(٢٩) مضمون بيت .

(٣٠) محبو الدنيا الذين أوصلهم اتباعهم لها إلى النار ، من هم ؟ وما علامة الحب ؟

والعاصون الذين إذا ذكروا الله ذكرهم الله باللعنة ، أي العاصين هم ؟

وما هي علامة الذنب من هذا القليل ؟

الجواب : الإنسان شيء واحد ، والشيء الواحد حيث أنه هو ، فلا يستطيع أن يكون إلا شيئاً واحداً ، وإذا كان غير ذلك الشيء ، فيحسب قوة من القوى لا يحسب كنه ذاته . =

وفي ما ذكر كفاية لإثبات هذا الأمر . . للإطلاع على الروايات الأخرى
يراجع كتاب الكافي والبحار ج ٧٥ .

= محبو الدنيا الذين يوصلهم أتباعها إلى النار هم المحبون للدنيا بحسب كنه ذاتهم لا
بحسب قوة من القوى . .

وكذلك عصاة القلوب . . مبدأ الذنب في كنه ذاتهم لا في قوة من القوى ، وكذلك
متكبرو القلوب الذين ورد في الحديث : « لا شم ريح الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة
من كبر » يكون التكبر حالاً في كنه ذاتهم لا في قوة من القوى .

وعلاوة محبة القلب للدنيا أن ينشرح القلب للإنفاق عند ملاحظة وجود الأجر
وتصوره . . أما المؤمن الذي تكون محبة الدنيا في قوة من قواه لا في صميم القلب ،
ومع ذلك فإن الإنفاق صعب عليه ، فذلك بسبب ذهوله (غفلته) عن الأجر ، نتيجة
استيلاء شهوة أو رغبة (عليه) في ذلك الحين . المكتوب ١٧٣ من كتاب « المكاتب »
فارسي .

أهل هذا العالم ثلاث طوائف : بعضهم لا يحبون الدنيا أصلاً وهم المفلحون .
وبعضهم يحبون الدنيا ولكنهم إذا جاء الحق في المقابل فإنهم ينقادون للحق
ويستسلمون له ، ويترسون (يتقون) ويحجمون ويخافون لأنهم يعلمون : « ليس في
كل مكان يمكنك أن تجيل حصانك ، فما أكثر الأماكن التي ينبغي حمل الترس
(الترس) فيها » (مضمون بيت) .

وهذه الطائفة يعفو الله عنها بمحبة الطائفة الأولى .

وبعضهم يحبون الدنيا ويصرّون على حبها ، ويزيلون كل العقبات ، ويحرقون الأخضر
واليابس ليحققوا رغباتهم ، ولا يستحون من الحق ، وهؤلاء هم الهالكون الذين لا
يفلحون أبداً . .

والآن . . كن من الطائفة الأولى إذا استطعت ، وإن لم تكن منها فكن من الطائفة
الثانية .

(المصدر السابق المكتوب ١٦٧) .

المرتبة الثانية :

من كان حبه للدنيا وتعلقه بها وبعلائقها وشؤونها أكثر من حب الله والرسول وأهل البيت عليهم السلام والآخرة والتدين ، يجب أن يعلم أن هذه المرتبة من حب الدنيا حرام ومعصية كبيرة (من الكبائر) ويجب أن يتوب ويجعل حبه بالعكس أي يجعل حب الله وما يرجع إليه سبحانه أقوى في قلبه وأكثر من حب الدنيا .

والشواهد على هذا الحكم من القرآن والأخبار كثيرة ، ولإطلاع القارئ العزيز عليها يشار هنا إلى بعضها باختصار .

إن كنتم تحبون الدنيا أكثر :

﴿قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ التوبة ٢٤ .

من عرف الله المنعم ، وعرف أنه مخلوق ومربوب له يتولى سبحانه تدبيره ، وكل ما لديه من أموره الداخلية وعلاقاته الخارجية هو منه تعالى ، وعرف أن جميع الأسباب مسخرة له بأمره . . فإن هذه المعرفة تستلزم محبة الله والركون إليه والإيمان به وينبغي أن يكون حُبّه لله تعالى أكثر من حبه لما أعطاه إياه الله . . وأن تكون علاقته به أكثر من علاقته بجميع الأسباب .

وكلما ازدادت هذه المعرفة وازدادت طهارة القلب كلما ازدادت هذه المحبة والعلاقة إلى حيث يصبح لا يرى أحداً غير الله يستحق الحب ، ولا يبقى له تعلق بأحد حتى بنفسه ولا بأي شيء آخر ويصبح تعلقه به سبحانه لا غير وإذا

أحب احداً أو شيئاً فإنما يحبه الله وفي الله ، وتكون أمنيته أن يقدم نفسه وكل ما يملك في سبيله تعالى (٣١) .

حب الله يستلزم حب أوليائه :

ويستلزم حب الله حب رسوله وعبد المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحيث يكون حبه صلى الله عليه وآله أكثر من أي شخص وأي شيء ، « حب محبوب الله حب الله » .

كما يستلزم حب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : حب أهل بيته وقرباه . . ويجب أن تكون علاقة الشخص القلبية بهم أكثر من علاقته بأقاربه هو ، وقد حرصت بهذا آية المودة في القربى (٣٣) ، وأخبار كثيرة من طرق العامة والخاصة .

(٣١) التأمل في وفاء الكلاب لأصحابها يثير خجل العاقل لقلّة حياته مع سيده وصاحبه وربّه المنعم عليه ، ولكون وفائه لله تعالى أقل من وفاء هذا الحيوان ، راجع في ذلك قصتين في « القصص العجيبة » للمؤلف .

(٣٢) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أحبوا الله لما يغذوكم ، وأحبوني الله عزّ وجلّ وأحبوا قرابتي لي . البحار ج ٢٧/ ٧٦ وصحيح الترمذي ج ١٣/ ٢٠١ .

وفي صحيح الترمذي ورد النص هكذا : أحبوا الله لما يغذوكم وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي .
(٣٣) « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » الشورى/ ٢٣ .

وللإطلاع على الأخبار المتواترة في مودة أهل البيت (عليهم السلام) يراجع البحار وتذكر هنا عدة روايات نقلها الشيعة والسنة بطرق متعددة .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » . البحار ج ٦/ ٦٢٩ ط قديمة ، وسفينة البحار ج ١/ ١٩٩ باختلاف يسير .

=

حب الدين من حب الله :

ومن لوازم حب الله حب دين الله ، والتعلق بأوامره ، بحيث يرضى الشخص بالضرر الذي يصيب دنياه أكثر من رضاه بالضرر الذي يصيب دينه ، ويكون مستعداً للتخلي عن أي نفع مادي من أجل امتثال أمر ربه .

وأيضاً من لوازم حب الله حب الدار الآخرة التي هي مقر الثواب والجزاء الإلهيين ، ومورد لرعايته ولطفه ومحبه سبحانه والتي يجب أن يكون حبها أكثر من الحياة الدنيا المستعارة ، وينبغي أن يجعل دنياه فداء لآخرته ، ويكون أكثر

= صحيح البخاري ج ٩/١ ، صحيح مسلم ج ٤٩/١ . مسند أحمد ج ٣/١٧٧ .

وقال (صلى الله عليه وآله) : « لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته ، ويكون أهلي أحب إليه من أهله وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته » البحار ج ٢٧/٧٦ و ٨٦ ، ومسند الديلمي ، فوائد النصيب شعب الإيمان للبيهقي . وفي كنز العمال ج ١١/١ بدلاً من ذاتي : ذرتي .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تزول قدم عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عمرك فيما أفنيت ، وجسدك فيما أبليت ، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته وعن حبنا أهل البيت .

البحار ج ٢٧/١٠٣ كنز العمال ج ٧/٢١٢ والطبراني في تفسير ، وفي البحار تنمة للحديث هكذا : فقال رجل من القوم : وما علامة حبكم يا رسول الله ؟ فقال : محبة هذا ووضع يده على رأس علي بن أبي طالب عليه السلام . وفي البحار تنمة للحديث ولهذا كان العظماء رغم كل محبتهم لأهل البيت عليهم السلام يعتبرون أنفسهم مقصرين وكانوا يخافون أن لا تكون مودتهم لهم كما ينبغي أي أن لا يكون حبهم لهم أكثر من حبهم لأنفسهم وكل علائقهم .

«والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» المؤمنون ٦٠ .

رضاً بالضرب الذي يصيب دنياه من الضرر الذي يصيب آخرته إلى حد أنه يصبح لا يحب الدنيا أصلاً على نحو الاستقلال . . بل يحبها باعتبارها مقدمة لآخرته .

هذه هي حقيقة الإيمان ، وكل من كان وضعه مطابقاً لما ذكر فهو من أهل النجاة ، وأصحاب اليمين ويستحق التوفيقات والهدايات والتأييدات الإلهية .

ومن كان وضعه بعكس ذلك أي ان الحياة الدنيا ومالها ومنامها وجاهاها وجلالها وعلاقاتها وملذاتها محبوبة لديه وعزيزة ومهمة أكثر من حبه وعلاقته بالله والرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت عليهم السلام ، وأكثر من الدين بحيث أنه يصرف النظر عنهم وعن دينه من أجل دنياه ، ويرضى بضرر يصيب دينه أكثر من الضرر الذي يصيب دنياه ، ويتعلق بالحياة المادية المستعارة أكثر من تعلقه بالحياة الباقية بحيث يحب عمرانها والإستقرار فيها أكثر مما يحب إعمار آخرته واستقراره فيها ، ويسعى لأجل إعمار دنياه حتى إذا أدى ذلك إلى تخريب آخرته .

وباختصار : إنه مستعد لتقديم آخرته فداءً لدنياه . . مثل هذا الشخص فاسق لأنه ضل عن طريق سعادته وخرج من طاعة أمر الله بالإيمان بالله والإعتقاد به وبالرسول والآخره . . وكل من أصبح فاسقاً فقد حرم من هداية الله وعنايته وتوفيقه وتأييده ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ .

وأيضاً : ينبغي أن ينتظر الفاسق حلول غضب الله وعقوبته في الدنيا أو الآخرة ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ .

فلننظر في أنفسنا :

إذن يجب على كل مؤمن بالله والرسول ، أن يرجع إلى قلبه ويرى إذا كان حبه لله ولما يرجع إليه أكثر في قلبه وأقوى من حب الدنيا وعلائقها - فإذا وجد أن

الأمر كذلك - فليشكر الله تعالى وليبذل جهده للحصول على المزيد .

وإذا رأى أن الأمر بالعكس فلييك على نفسه وليعمل على إصلاح شأنه وينبغي أن لا يقر له قرار حتى يوقن بأن محبته لله والآخرة أصبح أكثر من حبه للدنيا .

هل نريد رضا أهل البيت ؟

مثلاً : بالنسبة إلى حب أهل البيت عليهم السلام الذين يجب على كل مسلم أن يحبهم أكثر من دنياه . . يجب أن يرجع أحدنا إلى قلبه وينظر بإنصاف كيف هو تجاه هذه الفريضة الإلهية . . هل يحبهم عليهم السلام أكثر ؟ أم أنه يحب أكثر مرمة معاشه وصلاح أمور دنياه ورونقها واتساقها وزيتها وسائر ملذاتها المادية .

إذا تبين له بعد التأمل أن حب الدنيا في قلبه هو الغالب والأقوى من حب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فليعلم أنه قصر في هذه الفريضة الإلهية ، ويجب أن يسعى لكي يصبح حاله بالعكس ، كما يجب أن لا يغتر بما سمعه من نجاة محبي آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومقامهم عند الله تعالى مثل « حب علي حسنة لا تضر معها سيئة » لأن ذلك صحيح بالنسبة لمن كان حب آل محمد غالباً في قلوبهم لحب الدنيا . . أما هو فينبغي أن يقال عنه إنه محب الدنيا لا محب أهل البيت عليهم السلام .

وأحيانا تكون غلبة حب الدنيا على القلب سبباً في أن يصبح صاحب هذا القلب مبغوضاً لله والرسول وأهل البيت عليهم السلام ولإثبات هذا يكتفي بذكر روايتين فقط .

أهل البيت يعتبرونه عدواً :

أورد الشيخ الطوسي عن زيد بن علي (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليه السلام) : أنه أتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، والله إني لأحبك لله ، فقال له : ولكنني أبغضك لله ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تبغي في الأذان كسباً ، وتأخذ على تعليم القرآن أجراً ، وسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : من أخذ على تعليم القرآن أجراً كان حظه يوم القيامة (٣٤) . (أي كان ذلك حظه يوم القيامة ، فلا يُعطى شيئاً من الثواب) .

حب أهل البيت ، طاعة الله :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن وليُّ محمد ، من أطاع الله ، وإن بعدت لحمته (كسلمان وأبي ذر) ، وإن عدو محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عصى الله وإن قربت لحمته (٣٥) (كأبي جهل وأبي لهب) .

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : يا جابر من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع (٣٦) .

حب الله منشأ كل خير :

روح المسألة أن حب الله ومحمد وآله (صلى الله عليه وآله) ، والحياة الآخرة ضد حب الدنيا والعلاقة بها ، وقوة كل منهما عين ضعف الآخر ، وفي

(٣٤) التهذيب باب المكاسب ج ٣٧٦/٦ والوافي باب شرائط الأذان والإقامة نقلاً عن التهذيب والفقيه والكافي .

(٣٥) نهج البلاغة .

(٣٦) أصول الكافي باب الورع .

الإهتمام بكل منهما عدم اعتناء بالآخر كما تقدم مراراً .

وكما أن حب الدنيا أساس وأصل كل ذنب ، فإن حب الله وما يرجع إليه تعالى أساس وسبب كل حسنة ، بحيث أنه إذا زال حب الدنيا من القلب تماماً واستقر بدلاً منه حب الله فلن يصدر من الشخص أي خطأ ، ولن يحرم من أي خير وحسنة ، سيظهر من كل الرذائل ، ويتصف بكل الفضائل .

عشرون خصلة في حب أهل البيت :

روى الصدوق في الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة » فلا يشك أحد أنه في الجنة فإن في حب أهل بيتي عشرين خصلة ، عشر منها في الدنيا وعشر في الآخرة . أما التي في الدنيا :

١ - فالزهد « عدم الرغبة في الدنيا » .

٢ - « والحرص على العمل » .

٣ - « والورع في الدين » .

٤ - « والرغبة في العبادة » .

٥ - « والتوبة قبل الموت » .

٦ - « والنشاط في قيام الليل » .

٧ - « والبأس مما في أيدي الناس » .

٨ - « والحفظ لأمر الله ونهيه عز وجل » .

٩ - « والتاسعة بغض الدنيا » .

١٠ - « والعاشرة السخاء » . (٣٧) .

(٣٧) الخصال - ٥١٥ وتنمة الحديث « وأما التي في الآخرة فلا ينشر له ديوان ، ولا ينصب له » :

وهل الحب اختياري :

وتسأل : إن الحب والعلاقة ، إدراك منسجم مع النفس ، والإنسان منذ أن يمتلك الشعور ويفرق بين ما يلائمه وما لا يلائمه ، ما ينسجم مع نفسه وما لا ينسجم فإنه قهراً يحب ما يلائمه وتنشأ بينه وبينه علاقة ، ونتيجة التكرار تتجذر هذه العلاقة وترسخ ، بحيث أن تطعم هذه العلاقة يصبح فوق طاقته .

وبناء على هذا فكيف يكلف الإنسان بقطع هذه العلاقة ؟ ثم إن الله والرسول والأئمة جميعاً خارج دائرة الحس البشري . . وما لم يره الإنسان ولم يفهم ملاءمته له فكيف يمكن تكليفه بحبه والعلاقة القلبية به ؟

ليدرك أحدنا خطاه :

أما السؤال الأول فقد تقدم الجواب عليه ولكن نظراً لأهميته وضرورة معرفته فيذكر هنا ببيان آخر فنقول : بعد أن يصبح الإنسان مكلفاً ، أي يصل إلى حد العقل ، ويميز بنور العقل وتذكير القرآن المجيد بين الفاني والباقي ، ويعرف أنه باق أبداً (بأمر الله) ويدرك أن مؤنسات الحياة الدنيا وملائماتها (ما يلائمه فيها) لا تتناسب معه لأنها فانية وهو ليس كذلك . . عندها يدرك خطاه في ما مضى ، ويبدأ بالتدريج يصرف قلبه عنها ، ويسعى بجهد للحصول على ما يناسبه ويلائمه في حياته الخالدة .

ولهذا كانت أكثر سور القرآن المجيد تذكر بفناء الدنيا زوالها وصغرها بالنسبة إلى الحياة الآخرة ، وتضرب الأمثال حول ذلك ليصبح المسلمون

= ميزان ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويكتب له براءة من النار ، ويبيض وجهه ، ويكسى من حلل الجنة ، ويشفع في مائة من أهل بيته ، وينظر الله عز وجل إليه بالرحمة وينج من تيجان الجنة ، والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب ، فطوبى لمحيي أهل بيتي ! لاحظ البحار ٧٨/٢٧ .

عالمين بحقيقة حياتهم المستعارة وحقيقة حياتهم الباقية ، وتتعلق قلوبهم بالثانية الخالدة . .

وهكذا يتضح أن إخراج حب الدنيا من القلب في مقدور وطاعة كل إنسان عاقل .

المعرفة هي الميزان ، لا الرؤية :

أما ما قيل من أن الإنسان لا يمكنه أن يحب ما لم يره ، فهو خطأ ويجب أن يقال بدلاً من « يره » « يعرفه » ، لأن الأشخاص الذين لا يراهم الإنسان أو لم يكونوا في زمانه ، يشعر بحبهم بمجرد أن يعرف فضائلهم وصفاتهم الحميدة .

بناءً على هذا فالإنسان بفطرته يعشق الكمال . . وإذا تأمل عالم الوجود بدقة ، وشاهد في كل أجزائه حكمة الله ورحمته ونعمته التي لا تحصى فإنه قطعاً سيحب خالق الكون سبحانه .

ولهذا حفل القرآن الكريم بالآيات التي تذكر بأصول النعم الإلهية ، ليعرف الناس المنعم عليهم ويحبوه ، وتتعلق قلوبهم به . . فيحصلوا بسبب ذلك على الحياة الإنسانية الطاهرة .

لماذا لا يحبون الله ؟

وتسأل أيضاً : إذن لماذا نجد أكثر الناس لا يحبون الله ؟

والجواب : أولئك أناس لم يتجاوزوا حد الحيوانية وعبادة الشهوة والأنانية ، ولذا فليس لهم عين البصيرة (التي يمكنهم أن يروا بها الحقائق) ولم يعرفوا المنعم ليحبوه :

﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾
محمد ١٢ .

وأما حب محمد وآل محمد (عليهم السلام) .. فأبي عاقل يعرف ما تحلوا به من الكمالات والمقامات والدرجات والفضائل الإنسانية والأخلاق الروحانية التي في طليعتها العلم .. وأنهم في هذه الجهات لا نظير لهم .. وسمع كذلك بمعجزاتهم التي لا تحصى، ويعرف أنهم أقرب الناس إلى الله تعالى .. - أي عاقل يعرف ذلك - ثم لا يحبهم ؟ أليس كذلك ؟ وكل من قل حبه لهم (عليهم السلام) فذلك لقلة معرفته بهم أو لقلة إنسانيته ، وكلما ازدادت نسبة إنسانيته ومعرفته وقل المانع (عن المحبة) تصح محبتهم والعلاقة بهم أكثر .

« إذا أردت يا سعدي أن تعشق وتصبو فإن عشق محمد وآل محمد (عليهم السلام) « يكفيك » من عرفك (أيها المحبوب) فماذا يفعل بالروح وماذا يفعل بالولد والعيال والممتلكات « تحيله مجنوناً وتهبه الدارين والعالمين ، وماذا يفعل مجنونك (المجنون بك) بالعالمين . (٣٨) .

معرفة الآخرة وحبها :

وأما حب دار الخلود .. فمن تأمل في آيات القرآن المجيد في وصف الآخرة ونعمها التي لا تحصى سيتعلق قلبه بها ويشتاق إليها يقيناً ، بشرط أن يكون قلبه خالياً من حب الدنيا ، ويصل حبه إلى أن يحب موته ويتمناه ، لأنه وسيلة الوصول إلى مواعيد الله التي وعد بها سبحانه .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ، في أوصاف المتقين : « ولولا الأجل

(٣٨) مضمون أبيات لسعدي الشيرازي .

الذي كتب عليهم ، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين ، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب » (٣٩) .

علي (عليه السلام) يصف الجنة والناس :

« خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة ، مشرباً ومطعماً ، وأزواجاً ، وخداماً ، وقصوراً وأنهاراً ، وزرعاً وثماراً ، (كما أخبرت في كتابك) ثم أرسلت داعياً (محمداً صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو إليها ، فلا الداعي أجابوا ، ولا فيما رغبت رغبوا ، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا ... »

أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها ، واصطلحوا على حبها ، ومن عشق شيئاً أغشى بصره ، وأمراض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ، ويسمع بأذن غير سمیعة ، قد خرقت الشهوات عقله ، وأماتت الدنيا قلبه ، وولعت إليها نفسه ، فهو عبد لها ، ولمن في يده شيء منها » (٤٠) .

والبحث في أطراف حب الله وما هو راجع إليه وجهاته ومراتبه وكيفية تحصيله ، طويل ، وإذا وفق الله تعالى فستكتب رسالة مستقلة في بحث المحبة .

آيات أخرى في حرمة حب الدنيا :

﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ الفجر ٢٠ .

في هذه الآية الشريفة يؤنب الله تعالى الذين تشتد علاقتهم بالمال والثروة الحريصين على الإدخار والإزدياد حتى إذا كان ذلك بالسبل الحرام ، والذين يؤلمهم ابتعاد المال عنهم وخروجه من أيديهم بالإنفاق . . حتى إذا كان هذا

(٣٩) نهج البلاغة .

(٤٠) نفس المصدر خ ١٢٩ .

الإنفاق واجباً . . . وحقيقة هذه الحالة هي العلاقة بالدنيا وعدم العلاقة بالله والآخره وبهذا يجعلون آخرتهم فداءً لدنياهم .

وفهم من مفهوم الآية الشريفة أن الحب الضعيف للمال بحيث يبقى الإنسان يحب آخرته أكثر ، ليس حراماً . . .

نعم كمال الإنسان في أن لا تكون في قلبه أية محبة للدنيا ولا أية علاقة بها على نحو الإستقلال كما سيأتي .

أرضيتم بالحياة الدنيا :

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثأقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ التوبة ٣٨ .

في هذه الآية تهديد شديد وعتاب مر من الله تعالى للمسلمين الذين يحبون الدنيا ودعتها ومفرحاتها حباً شديداً . . . وفي المقابل حبهم للآخرة حب ضعيف ولا يكاد يذكر . بحيث أنهم يجعلونها فداءً للدنيا ، ويعرضون عن الآخرة متشبثين بالدنيا يتهافون على شهواتها حتى إذا كان في ذلك خسارة آخرتهم والحاق الضرر بها ، في حين أن من لوازم الإيمان بالله والآخرة أن يكون المؤمن بالعكس ، وأن تكون العلاقة بالآخرة أقوى إلى حيث يصل به الأمر إلى أن يتخلى عن أصل حياته من أجل آخرته ويقدم روحه في سبيل الله فضلاً عن المال والجاه وسائر العلائق .

تأمل في هذه الآيات :

﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ القصص ٧٦ .

﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم
تفرحون﴾ غافر ٧٥ .

﴿ولا تمشى في الأرض مرحاً﴾ الإسراء ٣٧ .

﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما
أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ الأنعام ٤٤ .

﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾^(٤١) آل عمران ١٨٨ .

(٤١) قال الطبرسي في جمع الجوامع : ويمكن أن تشمل هذه الآية كل من عمل عملاً
صالحاً وأعجب به ويحب أن يحمده ويمدحه الناس بما ليس فيه من الزهد والتقوى
والعبادة وغير ذلك .

وفي تفسير مقتنيات الدرر : الموصول في الآية ﴿الذين﴾ عام وشامل لكل من عمل
عملاً صالحاً وفرح به ويعجب ، ويحب أن يمدحه الناس بما ليس فيه من الفضائل .

ويقول الفخر الرازي : إحدى الوجوه التي هي مورد الآية أن اليهود كانوا يحرفون
التوراة ويفسرونها بطريقة خاطئة ، ويضلون الناس ، وفرحون بفعلهم هذا . ثم يحبون
أن يمدحهم الناس بأنهم متدينون صادقون في أقوالهم مستقيمون في أفعالهم ثم يقول :
وإذا أنصفت وجدت أن أكثر الناس كذلك ، لأن أكثر الخلق يبذلون الجهود ويعتَمِدُونَ
الحيل للوصول إلى الدنيا وعندما يصلون إلى ما أرادوا يفرحون ثم يحبون أن يمدحهم
الناس بالتدين واستقامة السلوك .

وقال المحقق الأردبيلي في زبدة البيان :

« ولا يبعد الاستدلال بها (الآية) على تحريم إرادة المحملة من الغير بما فعل وبما لم
يفعل ، بل الفرح بهما أيضاً ، ولكن بمعنى الإعجاب بما فعل لعموم الآية ، وعدم
التخصيص بالسبب (أي الآية لا تصح خاصة لأن سببها خاص) وخروج غيره بدليله
(أي يخرج من شمول الآية الفرح غير المقترن بالعجب بالدليل الذي دل على ذلك) . =

وقد ذكرت في الآية الأخيرة صفتان من صفات الكفار والمنافقين ، ووعد بالعذاب عليهما . . وبناءً عليه فمن الواجب على كل مسلم اجتنابهما معاً ، أحدهما فرح الإنسان من منطلق العجب بالعمل الذي عمله سواء كان حسناً واقعياً أو سيئاً ، وسواء كان من الأهداف الدنيوية المطلوبة التي سعى لتحقيقها فتحققت والنعم التي حصل عليها (أم غير ذلك) .

والثاني : حس ثناء الخلق بما لم يفعله وليس فيه .

والأخبار حول ذلك كثيرة ، ونقلها يوجب الإطالة ، والخلاصة إن الآية نهى عن الفرح بالدنيا .

والله لا يحب كل مختال فخور :

﴿ مَا أَصَابَ (وَلَنْ يَصِيبَ) مِنْ مَصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ (كَالْقَحْطِ وَالْغَلَاءِ وَنَقْصَانِ الْأَمْوَالِ وَفَسَادِ الزَّرْعِ وَالثَّمَرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ) وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ (كَالْأَمْرَاضِ

= وَيُؤْذِيهِ النَّهْيُ الْمَوْجُودُ فِي الْأَخْبَارِ عَنِ الْفَرَحِ الْمَعْجَبِ مِثْلَ : احْتَوَى عَلَى وَجْهِ الْمَدَاحِينَ التَّرَابِ .

قال في العدة : العجب من المهلكات قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه . وهو محبط للعمل ، والعجب إنما هو الإبتهاج بالعمل الصالح واستعظامه وأن يرى نفسه خارجاً عن حد التقصير وهذا مهلك .

وأما السرور بفعل الحسن مع التواضع لأجل جلاله والشكر على التوفيق لذلك وطلب الاستزادة ، فحسن محمود . قال أمير المؤمنين عليه السلام : من سرتة حسنة وساءته سيئته فهو مؤمن الخ ، قال في إحياء العلوم : نقل خبر لو صح لهلكنا ، روي أنه ذكر أحد في حضرة النبي بمدح فقال لو رضي بما قلتم فيه لدخل النار . قلت : يكفي هذه الآية فافهم . (قائل العبارة الأخيرة هو المحقق الأردبيلي رحمه الله) . زبدة البيان/ ٢٠٧ والنصوص المتقدمة على نص الزبدة نقلت بالمضمون فليلاحظ ذلك .

والآلام والغموم وموت الأقارب والأصدقاء وأمثال ذلك) إلا في كتاب من قبل أن نبرأها (أنفسكم أو المصيبة أو الأرض) إن ذلك (اثبات المصائب مع زيادتها في اللوح المحفوظ) على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم (لأن ما أعطي مقدر وهو عطاء الله ، فيجب أن يزيد تواضعكم واعترافكم بالعجز والحاجة وتفرحوا بفضل الله لا أن تتكبروا وتعجبوا بأنفسكم وتدلون على الله ، وتريدون أن يقال لكم المديح والثناء) والله لا يحب كل مختال فخور ﴿ الحديد ٢٢ / ٢٣ .

ما هو الفرح الحرام :

يعلم من التدبر في الآيات المذكورة وكلمات المفسرين واللغويين أن الفرح الذي هو مورد النهي في الآيات بمعنى البطر والإفراط في الفرح وهو السرور بلا حدود . . أي السرور المقترن بالكبر والعجب والإدلال والغرور ، ولإيضاح ذلك يذكر هذا المثال :

من كان محتاجاً إلى سكن وهو يبحث عنه . . إذا استأجر بيتاً مستقلاً فإنه يفرح بذلك رغم أنه مؤقت ويجب أن يدفع أجرته شهرياً . . هذا الفرح المختصر المعقول ، في محله وهو عقلائي ولا يستتبع ذماً ولم ننه عنه .

فإذا تحول هذا المستأجر إلى غاصب وتنكر لصاحب البيت بكل وقاحة واعتبر أن هذا البيت ثمرة جهده وبحثه واعتبر أنه هو المالك المستقل ولا حق لأحد معه في هذا البيت الذي هو مقره الدائم وفرح بحصوله على هذا المسكن وتعالى ضحكته وافتخر وأدل حتى ضاق به إهابه (جلده) فلا شك أن هذا السرور بلا حدود ويراها العقلاء قبيحاً ويؤنبون عليه .

إذا عرفت هذا فنقول :

من حصل على نعمة كالمال إذا اعتبر أنه من الله تعالى وأن لصاحبه

الأصلي الذي هو الله حقوقاً في هذا المال عينها هو سبحانه ، ويجب عليه هو أن يؤديها وأن هذا المال عارية (استعارة) وسيسترد منه قبل الموت أو بعده . . . لكنه يفرح به لأنه يسد به حاجته خلال بضعة أيامه التي يقضيها في الدنيا .

إذا كان كذلك وكان فرحه بهذا المقدار فإن هذا الفرح عقلاني وفي محله يقيناً . . وإذا كان فرحه مقترناً بالتواضع والاعتراف بالعجز فهو ممدوح شرعاً وقد أمر الله تعالى به : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ يونس ٥٨ . (بناءً على أن فضل الله إشارة إلى النعم الدنيوية « ورحمته » إشارة إلى النعم الأخروية) .

أما إذا نسي الله تعالى بعد حصوله على ذلك المال واعتبر أن المال ثمرة جهوده . . ولذا فهو المالك المستقل الذي لا ينازع بحيث لا يرى الحق الذي ينبغي إخراجه من هذا المال . . ويظن نفسه أنه بامتلاك هذا المال أصبح غنياً لا يحتاج أحداً ناسياً أنه استعاره . . ثم يفرح لإملاكه هذا المال ويفتخر ويُبدل ويتباهى . . هذا السرور بلا حدود مصور لتقبيح العقل وتحريم الشرع .

وما تقدم ذكره في معنى الفرح بحب الدنيا هو هذا الحب الإستقلالي القوي للدنيا الذي هو مورد بحثنا هنا ، وذكرت آيات من القرآن المجيد لإثبات حرمة .

يقترن بالأمن واليأس :

لتأييد حرمة الفرح بالدنيا شرعاً ، وكونه من الكبائر . . يجب العلم - بالإضافة إلى ما تقدم - أن الفرح بالدنيا متحد مع ذنبين قلبيين كبيرين^(٤٢) (من

(٤٢) تم إيضاح هذين الذنبين بالتفصيل في الجزء الأول من « الذنوب الكبيرة » .

الكبائر .

أحدهما : الأمن من مكر الله^(٤٣) (عدم الخوف من الغضب الخفي لله) .

وثانيها : اليأس من روح الله ، أي رحمته .

توضيح ذلك :

من حصل على مبتغاه الدنيوي من المال والولد وغير ذلك وانتابه الشعور بالظفر فاستبد به الفرح . . فحيث أنه :

١ - لم ير أن نعمة الله من الله .

٢ - ولم ير الله حقاً عليه .

٣ - وتنصل من التكليف الإلهي المترتب على حصوله على تلك النعمة .

فقد أصبح كافراً ، وكل كافر بنعمة يستحق القهر والغضب الإلهيين . .

فيجب عليه إذن أن يخشى القهر الإلهي الخفي والعذاب الإلهي المفاجيء . . وإذا لم يشعر بالخشية والخوف وانساق لفرحه المستبد به فقد تلوث بالمعصية الكبيرة : الأمن من مكر الله .

والخلاصة : أن الفرح بالنعمة إذا كان بلا حدود مقترناً بالكبر

(٤٣) ﴿أَقَامُوا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف ٩٩ . مكرٌ من أخذ غيره على حين غفلة والحق به ضرراً ، هو مكر ابتدائي قبيح وحرام ، إلا أن المكر الذي يكون مجازاةً وعلى أساس الاستحقاق ليس كذلك ، فكلما كان الإنسان مستحقاً للعذاب وأنزل الله به العذاب من حيث لا يعلم ولا يتوقع فهذه العذاب يسمى مكرًا إلهيًا .

وبناءً على هذا فمن كفر نعمة الله يجب أن يخاف من المكر الإلهي وإذا أمنه وفرح بالدنيا فرحاً شديداً فإن عدم خوفه هذا هو ذنب آخر أشارت إليه الآية .

والإدلال . . فلأن صاحبه في هذه الحالة لا يشعر بالخوف فإن هذه الحالة - عدم الخوف - معصية كبيرة وفي الحقيقة كل نعمة يعطيها الله للعبد هي امتحان له هل سيكون شاكراً ومطيعاً أم كافراً وعاصياً . .

﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فمن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ النمل ٤٠ .

علامة الشاكر والكافر :

وعلمة الشاكر هي أن تكون النعمة لديه وسيلة لزيادة المحبة لله والتواضع والخوف من التقصير في الشكر الأمر الذي يؤدي - إذا وقع - إلى التعرض لسخط الله وعقابه . .

كما أن علامة الكافر زيادة البعد عن الله ، وزيادة القرب من الدنيا ، والكبر والنخوة والطغيان والإدلال وعدم الخوف من الغضب الخفي لله . .

وكل من كانت نعمة الدنيا سبباً في زيادة طغيانه فليعلم أنه بسبب هذه النعم ، في (صميم) المكر الإلهي ، والعذاب الإلهي :

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهر أنفسهم وهم كافرون﴾ التوبة ٥٥ .

فالنعم قد تكون إذن وسيلة عذاب إلهي في الدنيا . .

ومن تلهى بالدنيا وشدته زينتها إليها ، وأدهشه المال والولد وخدعته الآمال والأمانى وأغفله الشيطان عن الله ونفسه سيظل دائماً يعيش صراع تزاحم قواه البدنية وغرائزه وشهواته . ويعيش النزاعات والخصومة على اللذائذ المادية وهكذا تتحول تلك الأمور التي ظنها رأسمال سعادته إلى أشد أنواع العذاب .

نعم . . . وها نحن نرى بأعيننا كيف أنه كلما كان إقبال الدنيا على شخص أكثر . . . وتنعم بوفرة المال والأولاد فإنه يبتعد بنفس المقدار عن مركز العبودية ويصبح أقرب - بنفس المقدار - إلى الهلاك وأنواع العذاب الروحي . . . ويبقى دائماً غارقاً في اللذائذ المادية والآلام الروحية . . . وما ظنه سبباً لأنسه ورفاهيته هو في الحقيقة وسيلة للمضيّق والألم .

شكر النعمة أسمى من النعمة :

عن سنان بن ظريف قال قلت لأبي عبدالله (الإمام الصادق) عليه السلام :

خشيت أن أكون مستدرجاً (أي أواجه المكر الإلهي بما كسبت يداي) قال : ولم ؟ قلت لأنني دعوت الله تعالى أن يرزقني داراً فرزقني ودعوت الله تعالى أن يرزقني ألف درهم فرزقني ودعوته أن يرزقني خادماً فرزقني خادماً قال فأني شيء تقول (عندما ينعم الله عليك بنعمة) قال أقول الحمد لله قال فما أعطيت أفضل مما أعطيت^(٤٤) لأن الشكر باق وتلك النعمة تزول . . .

والخلاصة : الفرح بالنعمة إذا اقترن بالشكر فهو محمود ويستحق صاحبه الثواب . وإذا اقترن بالكفران والإدلال وعدم الخوف من المكر الإلهي فهو مبعوض ومعصية .

الفرح بالنفس ، إنقطاع عن الله :

وأما اليأس بمعنى عدم الرجاء بالله والانقطاع عنه . . . فإن من حصل على

(٤٤) سفينة البحار ١/ ٤٤٢ وي بعده : عن الإمام الصادق عليه السلام : ما أنعم الله على عبد مؤمن نعمة بلغت ما بلغت فحمد الله تعالى عليها إلا كان حمد الله أفضل وأوزن من تلك النعمة .

مبتغاه الدنيوي ولم يعتبره من الله . . بل اعتبره ثمرة جهده ، وظن أنه غني بما اكتسب وفرح - لذلك - فرحاً شديداً . . يجب عليه أن يعلم أنه في هذه الحالة قد انقطع عن ربه واتصل بتلك الثروة وأمثالها من أمور الدنيا . .

والإنقطاع عن الله هو عين الكفر به . . وفي الحقيقة إنه باعتباره رأى الثروة منجية ومغنية له وارتبط بها وفرح . . قد جعل تلك الثروة معبوده . . وهو في هذا الحال مع عابد (الصنم) على حد سواء .

﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار﴾ .

الحزن الحرام . . على الدنيا :

مما ذكر في معنى الفرح بالدنيا ، يعلم أن الحزن لبلاءات الدنيا ومصائبها وخيبتها حرام أحياناً ، وذلك عندما يكون مفرطاً وبلا حدود ، ويقترن بحالة الغضب على القضاء الإلهي وللإيضاح يذكر هنا مثال أيضاً .

شخص التحق مع أفراد عائلته بقافلة للتشرف بحج بيت الله الحرام . . ففرق المشرف على القافلة بينه وبين ابنه وأرسل الابن بواسطة نقل سريعة قبل أيام من سفر الأب . . . طبعاً سيحزن الأب على فراق ابنه لعدة أيام ، ولا مؤاخذه عقلاً على هذا التأثير والحزن . . . ولكن إذا زاد حزنه عن الحد الطبيعي فتملأ واضطرب وتصرف وكأن الظلم الذي حل به لا يطاق وغضب على المشرف على القافلة . . في حين أنه أحسن إلى ابنه فإن هذه الحالة طبعاً قبيحة يذمها العقلاء .

وبناءً عليه فإن الشخص الذي يموت أحد أقاربه إذا تألم لفراقه وسالت دموعه فلا يؤاخذ على ذلك عقلاً بل أن تصرفه هذا ممدوح أما إذا غضب على التقدير الإلهي واعترض عليه ، ونسي وصول قريبه إلى الوطن ، وخلّصه من

آلام الدنيا ومشقاتها ونسي أيضاً أنه سيلحق به سريعاً ، ورأى أن موت هذا القريب ظلم له وحادثه لا تنبغي . . فإن هذا الحزن بلا حدود هو بطبيعة الحال قبيح عقلاً وحرام شرعاً ﴿لَكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ (٤٥) الحديد ٢٣ .

وقد تقدم تفصيل ذلك في بحث البغض (الحقد) .

لا تمدن عينيك :

﴿ولا تمدن عينيك (أي لا يتعلق قلبك وتحب) إلى ما متعنا به أزواجاً (أصنافاً) منهم (الكافرين أو رجالاً ونساءً من الكافرين) زهرة الحياة الدنيا (أي زينة الحياة الدنيا وبهجتها التي هي المال والمنال والجاه والجلال) لنفتنهم فيه (أي نبلوهم ونختبرهم هل يشكرون ويؤدون الحقوق المطلوبة لنزيد في نعمتهم أم يكفرون لنغير ما بهم من نعمة ونعذبهم في الآخرة وقال البعض إن معنى لنفتنهم هو : لنعذبهم أي نعذبهم بتلك الزينة في الدنيا لأن زيادة المال والجاه والأولاد يستتبع مشقة كثيرة ﴾ .

﴿ورزق ربك (في الآخرة) خير وأبقى﴾ طه ١٣١ .

طراوة البرعم قصيرة الأمد :

يقول في « كشف الأسرار » الزهرة في اللغة البرعم . . سمي الله الدنيا

(٤٥) قال البيضاوي في تفسير هذه الآية : المراد نفي الأسى المانع من التسليم لأمر الله ، ويقول الراغب : الأسف والحزن والغضب معاً ، وقد يقال لكل واحدٍ منهما على الإنفراد ، وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الإنتقام فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً ، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً ولذلك سئل ابن عباس عن الحزن والنسب فقال : مخرجهما واحد واللفظ مختلف ، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً وغضباً ، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً .

وقال الراغب أيضاً : الأسى الحزن وحقيقته إتباع الفات بالغم .

برعماً لأن طراوتها لا تستمر أكثر من يومين . . وسرعان ما تذبل وتتلاشى .
مال الدنيا برعم في حديقة التنعم تسرق إطلالته قلب أهل الحال (الذين
لهم مع الله حال خاصة) .
لا يمر أسبوع إلا ويسقط البرعم ويصبح على التراب طريقاً يداس
كالحشائش والتراب .
لماذا يفسح أهل القلب مجالاً له في قلوبهم وهو الذي يبحث لحظة
بلحظة عن الفناء والزوال (٤٦) .

مع المحقق الأردبيلي عليه الرحمة :

قال المحقق الأردبيلي : « نهى (الله تعالى) رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) عن الرغبة في الدنيا ، فحرم عليه أن يمد عينيه إليها وكان
رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا هكذا في
مجمع البيان ، وعلى هذا على تقدير وجوب التأسي يحرم على أمته أيضاً ذلك
إلا أن يكون ذلك من خصائصه صلى الله عليه وآله وليس بمعلوم ولا منقول في
خصائصه ، والمراد بالنظر المنهي ، النظر الراغب الطامع فيه كما صرح به صاحب
الكشاف ، ويحتمل أن يكون (المراد بالنظر ، النظر) على وجه الحسد
والسلب عن غيره (تمنى زوال النعمة) أو حصوله له من غير وجه شرعي فيحرم
عليه وعلى أمته بغير نزاع فتأمل » (٤٧) .

وقال بعض المفسرين إن الخطاب وإن كان في هذه الآية لرسول الله
(صلى الله عليه وآله) لكن المراد عموم أمته ، فحب الدنيا والطمع والتعلق بها

(٤٦) مضمون ثلاثة أبيات .

(٤٧) زبدة البيان - كتاب المكاسب / ٤٠٧ .

حرام على الجميع .

خلاصة معنى الآيات المتقدمة :

من الواضح لأهل القرآن أن قسماً وافياً من القرآن المجيد ينصب على ذم الدنيا والنهي عن التعلق بها . . . والسر في ذلك هو أن حب الدنيا هو المانع الوحيد من الإيمان والتعلق بالله والرسول والآخرة (وحب الدنيا أيضاً هو) الوسيلة الوحيدة لكل فساد وذنب . . . وموجب لخراب الدنيا والآخرة كما تقدم .

بناءً عليه فواجب كل متدين أن يصلح نفسه ، ويخرج من قلبه حب الدنيا . . . أو يضعفه على الأقل . ويقوي في قلبه حب الله وما يرجع إليه . . . وأن يطيل الوقوف عند هذه الآيات الشريفة التي تثبت من مجموعها حرمة الحب الإستقلالي القوي للدنيا ، ويكرر قراءتها ورعايتها للإختصار لم تذكر الآيات الأخرى وهذه بعض الروايات المعتبرة المؤيدة لمعنى هذه الآيات الشريفة .

الإضطراب ، نتيجة حب الدنيا :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتت أمره ، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم الله له ، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره » (٤٨) .

وخلاصة الحديث : من كان حبه للدنيا وعلاقته بها أكثر من الآخرة وكان الوصول إلى الآمال الدنيوية أهم لديه من ضمان حياته الباقية وأصبحت هذه حالته المستمرة فإن الله تعالى يجعله دائماً فقيراً أما في الدنيا فلا لأنه كلما حصل على شيء ، ازداد حرصاً بذلك المقدار وزادت حاجته بحيث أنه لا يمر عليه

(٤٨) الكافي - باب حب الدنيا .

وقت أبداً يرى فيه نفسه غير محتاج . . بل إنه دائماً يرى نفسه محتاجاً ويظل يركض خلف حاجته وما هو حريص عليه . . وغالباً لا يصل إلى ما يركض خلفه من منطلق الإحساس بالحاجة إليه . . . فيزداد غضباً وسخطاً . . ثم إنه خشية الفقر والإملاق . . يبخل فلا ينفق على نفسه وعياله ويعيش فقيراً . . . وهذا هو الفقر الواقعي .

وأما في الآخرة . . فحيث أنه لم يهتم بها وامتنع عن تحصيل الإيمان والقيام بالأعمال الصالحة التي من جملتها الإنفاق المالي فإنه بطبيعة الحال سيرد ذلك العالم (الآخرة) فقيراً .

الإضطراب في الدنيا والآخرة :

وأما الاضطراب والقلق الداخليان وعدم الأمن والاستقرار الدنيويين (لمن كانت الدنيا أكبر همه) بسبب جهوده المتواصلة والخيبات المتتالية في كثير من مجالات آماله . . ويسبب ابتلائه بكثير من المنغصات وحسد زملائه من أهل الدنيا . . أما هذا كله فواضح .

واضطراب آخرته وعدم اتساق أمرها . . هو الذي أخبر به القرآن المجيد : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ﴾ الشورى ٢٠ . وفي مقابل هذا . . من كانت الآخرة أكبر همه . . وهو دائم الفكر في إعمار حياته الخالدة ، فلا يكون حريصاً على الدنيا وهو يسعى لها بكل ثبات واطمئنان ، ولا يرى أنه محتاج إلى أحد غير ربه . . ولا يمد يد الإستجداء إلى أحد أيا كان . . وهو قانع بما رزقه الله ، راض به فهذا هو الغنى الحقيقي والاطمئنان الواقعي « واجعل غناي في نفسي » مثل هذا الشخص غالباً ﴿ يزرقه (الله) من حيث لا يحتسب ﴾ الطلاق ٣ . ويزاد في اطمئنانه ، ولأن الآخرة أكبر همه فهو يسعى لها سعيها وقد

بشره القرآن المجيد بشارات في مجال الإطمئنان والسعادة في عالم الخلود .
« اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا » (٤٩) .

أعمال جميلة ولكنها بلا فائدة :

يقول سليمان بن خالد : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ الفرقان ٢٣ قال :
أما والله إن كانت أعمالهم أشد بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه (٥٠) .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) : « ليجيشن أقوام يوم القيامة لهم من الحسنات كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار فقليل : يا نبي الله أمصلون ؟ قال : كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » (٥١) .

كانوا يجعلون الآخرة فداءً للدنيا :

يعلم من التدقيق في هذه الرواية والروايات الأخرى التي وردت بهذا المضمون أنها جميعاً تبين حال الذين لا يعدمون العلاقة بالآخرة بل إن لهم إيماناً وعلاقة بالآخرة مختصرة ولذلك فهم يصلون ويصومون ويعملون أعمالاً

(٤٩) مفاتيح الجنان - أعمال متصف شعبان من دعاء قراءته في غير النصف من شعبان أيضاً غنيمة .

(٥٠) الكافي - باب اجتناب المحارم .

والقباطي : الثياب البيض الرقاق التي كانت تصنع في مصر بلد الأقباط (عن هامش الكافي بتصرف) .

(٥١) عدة الداعي / ٢٩٥ .

صالحة . . إلا أن علاقتهم بالدنيا أقوى وأشد بحيث أنهم كلما رأوا حراماً لا يعرضون عنه بل يجعلون الآخرة فداءً للدنيا . . . فيشبهون على المحرم ويلقون بأنفسهم عليه . . كالحمر الذي ينفر من الرطوبة والماء ولكنه عندما يريد اصطلياد السمك يقفز ويلقي بنفسه في الماء وقوة حب الدنيا هذه وضعف العلاقة بالآخرة ذنب يوجب حبط الأعمال الصالحة بحيث أن كل أعمالهم تزول ولا يبقى لها أثر ، كما يوجب هذا الذنب عدم قبول أعمال صاحبه ومنعه من القرب (من الله تعالى) .

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ المائدة ٢٧ .

لا نصيب له من الإخلاص :

والسر في ما ذكر أن من كانت له علاقة شديدة بالدنيا إذا أدى عبادة أو عمل صالحاً فذلك لا يقبل منه لأنه فاقد للإخلاص ولا نصيب له منه وقبول أية عبادة وصحتها مشروطان بالإخلاص كما تقدم في بحث الرياء . .

وهذا الشخص تمام الداعي الذي دعاه الى هذه العبادة أو هذا العمل - أو جزء الداعي - هو حب الدنيا . .

مثلاً : إذا أنفق ، فمحركه مدح الناس وثناؤهم ، أو الطمع في زيادة المال ، أو الخوف من ذم الناس أو هدف دنيوي آخر . . وغالباً ما يحتفظ لنفسه بما يحبه وينفق في سبيل الله ما لا يحب .

والخلاصة : عمل محب الدنيا مهما كان ظاهره كبيراً فإنه لا يقبل لأنه فاقد للإخلاص .

لا يغفر له وهو يحب الدنيا :

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : مرّ موسى برجل من

أصحابه وهو ساجد وانصرف من حاجته وهو ساجد فقال عليه السلام : « لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا موسى لو سجد حتى ينقطع عنه ما قبلته أو يتحول عما أكره إلى ما أحب » (٥٢) .

ومن طريق آخر : أن موسى مرَّ برجل وهو يبكي ثم رجع وهو يبكي فقال : إلهي عبدك يبكي من مخافتك ، قال الله تعالى :

يا موسى لو بكى حتى نزل دماغه مع دموع عينيه لم أغفر له وهو يحب الدنيا (٥٣) . يجب الالتفات إلى أن هذا الشخص حيث أنه كان محباً للدنيا فإن خوفه ورجاءه أيضاً دنيويان أي أن سجده أو خوفه أو تمللمه وتألّمه كان نتيجة خيبات أمل ومصائب دنيوية بالرغم من أنه في الظاهر يذكر اسم الله . . والله تعالى ينظر إلى القلب فإذا لم يكن القلب مع الله ولم يكن تعلقه به سبحانه فإنه لا يقبله .

من هنا قال علماء الكلام إن شرط صحة التوبة أن يكون ترك التائب للذنوب بسبب الخوف من الله والندم على مخالفة أمره . . فإذا كان خوفه من مخلوق أو من ضرر دنيوي هو الذي حمله على « التوبة » فتوبته غير صحيحة .

الذين يعادون الله :

قال الإمام الصادق عليه السلام : أبعد ما يكون العبد من الله عزَّ وجلَّ إذا لم يهमे إلا بطنه وفرجه .

ومن الواضح أن حب الطعام اللذيذ والحصول عليه من طريق حلال وأكله ، وكذلك دفع الغريزة الجنسية بطريقة مشروعة مباح وغير مذموم . .

(٥٢) عدة الداعي - ١٦٤ .

(٥٣) المصدر السابق .

ما هو ذنب وقبيح هو عبادة البطن وعبادة الفرج أي العلاقة الشديدة بهاتين الشهوتين وعدم العلاقة بالآخرة بحيث أنهما إذا استوجب خراب آخرة الشخص ووقوعه في الحرام فإنه لا يجد في ذلك حرجاً .

بغض الدنيا أفضل الأعمال :

سئل علي بن الحسين عليه السلام : أي الأعمال أفضل عند الله قال عليه السلام : ما من عمل بعد معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة رسوله (صلى الله عليه وآله) أفضل من بغض الدنيا ، فإن لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعب ، فأول ما عُصي الله به الكبر معصية إبليس حين أبى واستكبر ، ثم الحرص (.) ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا رأس كل خطيئة والدنيا دنياء ان دنيا بلاغ (الإقتصار على الضروري) ودنيا ملعونة^(٥٤) . (وهي التي تجعل صاحبها غافلاً عن الآخرة وتعيقه عن الإستعداد لها) .

أقسام الأعمال :

قال بعض المحققين إن كل فعل يقع في الدنيا فهو أحد هذه الأقسام الأربعة :

- ١ - أن يكون ظاهره وباطنه إلهيين كالطاعات والخيرات الخالصة لله .
- ٢ - أن يكون ظاهره وباطنه دنيويين ، كالمعاصي وكثير من المباحات التي هي أساس السُّكر والغفلة .

(٥٤) الكافي - باب حب الدنيا والحرص عليها .

٣ - ما يكون ظاهره لله وباطنه دنيوياً كالأعمال التي تؤدي رياءً .

٤ - أن يكون ظاهره دنيوياً وباطنه إلهياً كطلب الكفاف من الرزق ، لحفظ البدن والإستعانة على العبادة وهذا من أمور الآخرة لا الدنيا .

أضر من ذئبين جائعين :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « ما ذئبان ضاريان في غنم قد فارقها رعاؤها واحد في أولها وهذا في آخرها بأفسد فيها من حب المال والشرف في دين المسلم » (٥٥) .

قال المجلسي : المقصود من الشرف هنا التعصب وحب الزعامة والوجاهة الذي كان دائماً سداً كبيراً في مقابل دعوة الأنبياء التي كانت على أساس العدالة والأخوة والمساواة . . وقد عبر عنهم في القرآن بالأكابر (٥٦) كما في قوله تعالى :

﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾ الأنعام ١٢٤ .

قطاع طريق الله ، العلماء الدنيويون :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم ، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب » . وقال (صلى الله عليه وآله) : أوحى الله إلى داود عليه السلام : لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً

(٥٥) أصول الكافي - باب حب الدنيا وفي البحار ٧٣ / أورد نصين في أحدهما « بأسرع »

بدل « بأفسد » وكذلك في الجزء العاشر من مرآة العقول .

(٥٦) لم أجد كلام العلامة المجلسي رحمه الله ويلاحظ أن الآية لا تسمي هؤلاء بالأكابر بل بأكابر المجرمين .

بالدنيا فيصداك عن طريق محبتي ، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريرين ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم^(٥٧) .

وينبغي الإنتباه إلى أن المراد بحب الدنيا في هذا الحديث هو ذلك الحب الإستقلالي الشديد للدنيا وعلامته أن يفرح الشخص بلا حدود عندما تتحقق آماله الدنيوية . . ولا يحزن لضرر يلحق بآخرته . . وإذا خاب أمله ولم تتحقق رغباته أو رغبته الدنيوية أو خسرها بعد الحصول عليها فإنه يتألم ويضطرب بشدة حتى إذا كان في ذلك إعمار آخرته وصلاحها . .

المتبع لعابد الدنيا يصبح مثله :

وقوله عليه السلام اتهموا العالم المحب للدنيا على دينكم يعني أن لا تثقوا بدينه لأن من أصبح محباً للدنيا . . فستصبح كل أعماله بهدف الوصول إلى آماله الدنيوية حتى إذا كان ذلك عن طريق حرام ومثل هذا الشخص يجعل دينه فداء لدنياء . . وتقف حدود تدينه عند ما لا يضر بدنياء . .

وقد ثبت فيما مضى أن حب الدنيا والتعلق بها كلما زاد فقد زادت بنفس النسبة عداوة الآخرة وعدم التعلق بها .

وقوله عليه السلام لا تجعل العالم المحب للدنيا واسطة بينك وبينني سببه أن من تعلق بعالم محب للدنيا بهدف تقوية دينه (بمواعظ ذلك العالم) واتبع نهجه وسلك مسلكه ، فسيصبح بعد قليل مثله محباً للدنيا ويستقر في نفس الموقع الذي تبوأه ذلك العالم من البعد عن الله وخراب الآخرة ومن هنا قال بعض الفقهاء أن من شرائط مرجع التقليد أن لا يكون محباً للدنيا حريصاً

(٥٧) أصول الكافي ج ١ / باب المستأكل بعلمه .

عليها(٥٨) .

وما ورد في آخر الحديث من أن العقوبة الإلهية للعالم المحب للدنيا أن ينزع الله حلاوة مناجاته من قلبه . . ينبغي الإنتباه إلى خطورته وأنه قهر إلهي وعذاب روحاني شديد لدى أهل المعرفة . . وأما العقوبة الأشد التي سيواجهها العالم المحب للدنيا فهي فوق مستوى إدراك العقول الجزئية .

طلب الرئاسة ملعون :

قال الإمام الباقر عليه السلام : من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوء مقعده من النار إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها(٥٩) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « ملعون ملعون من ترأس ، ملعون من هم بها ، ملعون من حدث بها نفسه » (٦٠) .

يجب العلم أن طلب الرئاسة سواء في أمر شرعي كالمحارب والمنبر ومسند الفتوى والقضاء أو في الأمور الدنيوية كالسلطنة على دولة إلى الإمارة على قرية . . وبشكل عام : قبول كرسي الرئاسة والسعي إليها إذا كان من منطلق حب الدنيا أي لزيادة الثروة والشوكة والشهرة حتى إذا أضر ذلك بآخرته ووقع في الحرام ، فهو حرام .

وإذا كان زاهداً أي أن علاقته بآخرته شديدة ، ويريد - من أجل ضمان

(٥٨) وأن لا يكون مقبلاً على الدنيا ، وطالباً لها ، مكباً عليها ، مجدداً في تحصيلها ، العروة الوثقى . التقليد - ٢٢ وأن يكون ورعاً في دين غير مكب على الدنيا ولا حريصاً عليها جاهاً ومالاً على الأحوط (تحرير الوسيلة) .

(٥٩) الكافي - باب حب الدنيا .

(٦٠) الكافي - باب طلب الرئاسة .

حياته الخالدة - أن يرشد الناس أو يسط العدل أو ينصف المظلوم فإن ذلك يكون حلالاً .

وقد وردت في حرمة طلب الرئاسة بدواع نفسية روايات كثيرة في أصول الكافي وغيره ويكفي التدبر في الآية ٨٣ من سورة القصص التي تقدم تفسيرها في بحث الكبر : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » (٦١) .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « كان لموسى بن عمران عليه السلام جليس من أصحابه قد وعى علماً كثيراً ، فأستأذن موسى في زيارة أقارب له فقال له موسى : إن لصلة القرابة لحقاً ، ولكن إياك أن تركز إلى الدنيا فإن الله قد حملك علماً فلا تضيعه ولا تركز إلى غيره فقال الرجل ، لا يكون إلا خيراً ، ومضى نحو أقاربه ، فطالت غيبته ، فسأل موسى عليه السلام عنه فلم يخبره

(٦١) في رجال المامقاني ج ٣/ ٢٠٥ في ترجمة المختار بن أبي عبيدة الثقفي عن الإمام الصادق عليه السلام وإذا كان يوم القيامة مرسل الله صلى الله عليه وآله بشفير النار وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام فيصبح صائح من النار : يا رسول الله أغثني (ثلاثاً) فلا يجيبه فينادي يا أمير المؤمنين ثلاثاً أغثني فلا يجيبه فينادي يا حسين ثلاثاً أغثني أنا قاتل أعدائك قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله قد احتج عليك قال : فينقض عليه كأنه عقاب كاسر فيخرجه من النار قال فقلت لإبي عبدالله عليه السلام ومن هذا جعلت فداك قال : المختار قلت ولم عذب بالنار وقد فعل ما فعل قال : إن المختار كان يحب السلطنة وكان يحب الدنيا وزينتها وزخرفها وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : والذي بعثني بالحق نبياً لو أن جبرائيل وميكائيل كان في قلبهما ذرة من حب الدنيا لأكبهما الله على وجههما في النار .

وليلاحظ أن في المصدر رواية أخرى في تعليل دخول المختار النار .

وليلاحظ كذلك أن بعض الروايات تتحدث أن المختار كان قد اقترح على بعض أقاربه وكان والياً اعتقال الإمام الحسن وتسليمه إلى معاوية والله تعالى العالم .

أحد بحاله ، فسأل جبرائيل عليه السلام عنه فقال له : أخبرني عن جليس فلان ألك به علم قال : نعم هو ذا على الباب قد مسخ قرداً في عنقه سلسلة ففزع موسى عليه السلام إلى ربه وقام إلى مصلاه يدعو الله ويقول : يا رب صاحبي وجليسي ، فأوحى الله عز وجل إليه : يا موسى لو دعوتني حتى تنقطع ترقوتاك ما استجبت لك فيه ، إني كنت حملته علماً فضيعه وركن إلى غيره» (٦٢) .

حيوانات في صورة إنسان :

يجب الإنتباه إلى أن من اعتبر الحياة الدنيا حقيقة والحياة الآخرة حكاية . . وكانت الدنيا - لذلك - أكبر همه بل همه الوحيد فإنه شخص مبتلى بنقص إنسانيته . . وإذا تمكن حب الدنيا من قلبه واستقر فيه وأصبح هو خالصاً في حب الدنيا بحيث أصبح ذلك ذاتياً له فقد خرج من دائرة الإنسانية كلياً وأصبح حيوان عالم الروح ، وبعد الموت في عالم البرزخ ستتكشف هذه الحقيقة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان» (٦٣) .

وصورة نفس كل إنسان هي خُلُقُه الحيواني الذي أصبح راسخاً فيه مثلاً إذا كان راسخاً في التقليد (الأعمى) والمحاكاة فهو قرد عالم الروح ككثير من البشر في الشرق الأوسط والشرقيين الذين ليسوا أقل من القرد في تقليد الغربيين وتصرفاتهم .

وإذا كان الشخص قد غرق في عبادة البطن وعبادة النساء وعدم الفهم فهو لا يقل عن البقر والحمار والخنزير . .

(٦٢) منية المريد ٥٢ - ٥٣ .

(٦٣) نهج البلاغة خ - ٨٧ في صفات المتقين والفساق .

وإذا كان قوياً في العجب والكبر والنخوة والإفتراس فقد أصبح نمراً
وذئباً . .

وإذا كان قد أصبح متمرساً في التسبب بالشر والإحتيال فهو شيطان . .
وإذا كان شخص قد رسخ في هذه الأخلاق الحيوانية جميعاً فإنه سيظهر
في المحشر بأشكال مختلفة . . والعجيب أنه يعرف من هو مهما كانت صورته
وقد اتضح تحقيق هذا في القسم الأول من هذا الكتاب .

علي يعرف هذه الحيوانات المفترسة :

ولأن أكثر محبي الدنيا لا يقلون عن الكلب في البخل والحسد والإفتراس
فإن أمير المؤمنين عليه السلام اعتبرهم كلاباً . . قال عليه السلام :

« وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكالهم
عليها (. . .) فإنما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية ، يهر بعضها على بعض
ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها » (٦٤) .

هذه الدنيا كجيفة حولها الناس صفوف (بالآلاف) .

أنشب البعض بها مخالهم ، ومد الآخرون إليها مناقيرهم وسيركها
الجميع يوماً ولا يبقى من كل هذا الحشد إلا هذه الجيفة . . (٦٥) .

ومن الجدير بالذكر أن ما ذكر من الآيات والروايات نماذج من آيات
وروايات كثيرة وردت في باب ذم حب الدنيا ، ولم يرد حول أي ذنب بمقدار
عشرها وفي ما ذكر كفاية لمعرفة حرمة وخطورة ذنب حب الدنيا القوي
والإستقلالي .

(٦٤) نهج البلاغة الكتاب ٣١ .

(٦٥) مضمون ثلاثة أبيات للشاعر سنائي .

حكم المرتبة الثالثة الكراهة :

(وهي مرتبة) من أحب حياته الدنيوية وتعلق بها وبشؤونها إلا أن حبه هذا بالنسبة إلى حبه وعلاقته بالله والآخره ضعيف ولا يكاد يذكر والآخره عنده أهم . . يريد إعمار آخرته ويبحث عنه حتى إذا كان فيه خراب دنياه . . ولذلك فهو يهرب من كل لذة نفسانية إذا كان فيها ضرر لآخرته .

وعلامه الحب الضعيف للدنيا والحب القوي للآخره هي أنه إذا لحق بدنيا الشخص ضرر يحزن ولكن في حدود ، أما إذا لحق بآخرته ضرر كأن يرتكب معصية أو يحرم من عمل خير فإن حزنه يكون أضعاف حزنه على الشأن الدنيوي فيضطرب ويبكي وترتعد فرائضه ولا يقر له قرار ما لم يتيقن بقبول توبته ويعوض ما فاتته . .

تماماً كما يضطرب أهل الدنيا ويتألمون لعدم تحقيق آمالهم وأهوائهم الدنيوية فإنه يضطرب لما يضر بآخرته ويتألم . . ويجد سلواه في ذكر الله والآخره والأعمال الصالحة .

يمنع كمال الإيمان والتقدم :

وهذا المقدار من حب الدنيا ، حيث أنه لا ينافي الإيمان بالله والآخره ولا يوجب الفساد وارنكاب المعاصي ، ليس حراماً ، والآيات والروايات المذكورة لا تشمل هذه المرتبة من حب الدنيا ، وهي (الآيات والروايات) خاصة بالمرتبتين الأولى والثانية كما تقدم .

لكن هذه المرتبة الثالثة من حب الدنيا منافية لكمال الإيمان وتمنع من الرقي الإنساني . . لأن تمام السعادة الإنسانية التي خلق الإنسان من أجلها هي الوصول إلى مقام القرب من حضرة الله تعالى ، وذلك لا يتحقق إلا بالحب

والتعلق . . شرط أن يكون منحصراً أي يكون حب الشخص وتعلقه منحصريين بالله تعالى ، ولا يكون محباً لأي مخلوق على نحو الإستقلال . . بل يحب كل من وما يحبه بالتبع أي حباً يتبع محبة الله تعالى ويتفرع عليها . . وأن يدرك أن العالم الفاني والعالم الباقي وكل من وما فيهما . . كل ذلك من آثار رحمة الله وعلائم قدرته وأنواع نعمته ولذلك فهو يحبهم . . ويصل به الأمر إلى أن يرى نفسه وزوجته وولده وسائر علاقته . . كل ذلك عطاء الله وأمانته . . ولذلك فهو يحبهم .

أنا سعيد بالعالم لأن العالم المنير منه عاشق لكل العالم لأن كل العالم منه (٦٦) .

وأيضاً يحب كل طاعة وعبادة وكل عملٍ صالحٍ يحبه الله . . يحبه بكل وجوده . . كما يحب كذلك الأنبياء والأئمة وسائر أهل الإيمان الذين هم أحباء الله . . . وطبعاً تكون درجة حب كل منهم بحسب درجة حب الله له . . بحيث يكون حبه للجنة باعتبار أنها دار ضيافة الله ومحل إقامة أوليائه . . لا باعتبارها فقط دار التمتع بالنعم والملذات . .

كما أنه ينفر من كل ما يوجب انشغاله عن الله ويسبب له الحب الإستقلالي للدنيا التي تلهيه عن الله تعالى .

حب غير الله بعد عن الله :

وحيث قد علم أن سعادة الإنسان وكماله في القرب من الله تعالى واكتمال العلاقة به . . . فإن الشخص إذا تعلق حبه بشيء أو شخص من عالم الوجود

(٦٦) مضمون بيت تقدم الإستشهاد به ويؤدي معناه مع فوارق :

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وصاحب الديار شققن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

حتى إذا كان نفسه ولو كان هذا الحب بمقدار ذرة فإنه يتعد عن الله تعالى بذلك المقدار ويقترب مما أو ممن أحبه ويحرم بذلك المقدار من السعادة والوصول إلى مقام الإنسانية الرفيع وبناءً عليه فإن العلاقة المستقلة بغير الله . . بأي مقدار كان رغم أنها ليست حراماً ولا موجبة للعذاب . . لكن حيث أنها تمنع من السعادة وتوجب الحرمان فإن على كل طالبٍ للسعادة - بحكم العقل - أن يجتنبها .

وأما حكم هذه المرتبة شرعاً فينبغي الإلتفات إلى أن بعض آيات القرآن المجيد والأخبار نهت عن حب الدنيا بشكل عام وهو يشمل المراتب الثلاث المذكورة كما سيأتي وفي بعضها الآخر نهى أكيد عن المرتبة الأولى والثانية ووعد بالعذاب عليهما كما تقدم .

بناءً عليه فالمرتبة الأولى والثانية من حب الدنيا حرام وسيعذب صاحبهما . . والمرتبة الثالثة مكروهة وصاحبها محروم من السعادة والدرجات .

ويشار هنا على سبيل الاختصار إلى بعض الآيات والروايات التي تنهى عن حب الدنيا وتأمّر بتخلية القلب من العلاقة بغير الله .

لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ المنافقون ٩ .

ومعنى ﴿لا تلهكم﴾ . . عن ذكر الله ﴿أي لا تتعلقوا بها بدلاً من حب الله والعلاقة به .

ومعنى : ﴿ومن يفعل ذلك﴾ الخ . . أي من أحب المال والولد وغيرهما على وجه الإستقلال ، بدلاً من حب الله .

﴿هم الخاسرون﴾ لأنهم لم تكن لهم علاقة بالله فلم يستفيدوا من أعمارهم فائدة خالدة وهي الإيمان والعمل الصالح ..

رجال لا تلهيهم تجارة ...

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ النور ٣٧ .

والمراد بذكر الله في هذه الآية الشريفة الذكر القلبي والحب والتعلق أي أنهم في كل حال وأمام كل عمل قلوبهم معلقة بالله المنعم جلّ جلاله والعلاقة به هي منشأ علاقتهم بالأعمال والنعم وهم جاهزون لحبه عند كل طاعة وعبادة والإتيان بها .

إحصل يا أخي على سر السلطنة والحكم ولا تخسر هذا العمر النفيس دائماً في كل مكان مع أي كنت وبأي عمل اشتغلت إجعل في الباطن عين قلبك باتجاه الصاحب (الله) (٦٧) .

لنبلوهم أيهم أحسن عملاً :

﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴿ الكهف ٧ و ٨ .

إن حسن العمل والعمل الصالح الذي ذكر كثيراً في القرآن المجيد واعتبر الوسيلة الوحيدة للسعادة الخالدة ، هو كل عمل يؤتى به من منطلق حب الله والعلاقة به وحب إطاعة أمره سبحانه .. حتى إذا لم يكن في الظاهر عبادة ..

مثال ذلك من أكل طعاماً لذيذاً ولبس ثياباً فاخرة لا من منطلق حظ النفس

(٦٧) مضمون بيتين .

وعبادة البطن وتلبية رغباتهما بل من منطلق الإلتذاذ بنعمة الله تعالى وإظهار إحسانه وإطاعة أمره .

والعمل السيء والقبيح هو كل عمل يكون من منطلق حظ النفس والهدف الشيطاني والنفع الدنيوي حتى إذا كان ظاهره عبادة مقترنة بالرياء والعجب .

والزينة بمعنى تحسين منظر السلعة لجلب انتباه المشتري وإثارة إعجابه .

الهدف الأصلي والتبعي من الخلق :

لدى الدقة في هذه الآية والآيات الأخرى من القرآن المجيد يعلم أن الله الخالق سبحانه خلق أنواع النعم والبهجة واللذة في الكرة الأرضية وأودع هذه الكرة قطرة من بحر جمال الوجود اللامتناهي ، بمقدار ما يتناسب مع قابلية الأرض^(٦٨) ثم خلق الإنسان وعرض عليهم هذه السلعة (المتاع) لهدفين : تبعي وأصلي ..

والمراد بالهدف التبعي من عرض الدنيا على الناس أن يسعى الإنسان للحصول عليها فيحصلها ويستثمرها .. فيكون ذلك موجباً لإعمار الدنيا وحفظ النسل وبقاء حياته المادية المؤقتة وأما الهدف الأصلي من عرض متاع الدنيا على الناس فهو أن تكون هذه النعم وسيلة لمعرفة المنعم بحيث يصبح الإنسان يبحث عن خالق هذه النعم وصانعها يريد به ويحبه ويتعلق به ويطيع أوامره ويكون شاكراً لأنعمه ..

لا أن يخدع بمتاع الدنيا ويسعى خلفه وإذا حصل عليه اعتبر نفسه غنياً وغير محتاج إلى أحد .. فيكون بذلك قد عبد متاع الدنيا ورأى أنه جدير بالحمد والثناء .. ورأى نفسه المالك المطلق والمتصرف بحق بالكرة الأرضية فلا يتخرج على الإطلاق في مخالفة الحدود الشرعية الإلهية .

(٦٨) ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ الحجر ٢١ .

وباختصار : أن يعرف النعمة فقط فيريدها ويعبدها وينسى المنعم فيتجاوز حدوده ويكون كافراً لأنعمه^(٦٩) .

(٦٩) لتشبيه المعقول بالمحسوس وإيضاح المقصود تأمل في هذه القصة :

يقال إن سبب علاقة السلطان محمود الغزنوي الشديدة بغلامه « إياز » أنه بعد فتح بعض بلاد الهند استولى السلطان على كميات كبيرة من الجواهر فنقلها على جمل ورجع إلى « غزنين » وفي أحد المنازل انكسر صندوق الجواهر فتناثرت فأمر السلطان أن يجمع كل من الحاضرين ما استطاع ويكون له فبادر الوزراء والأمراء يتسابقون على جمع الجواهر . . فنظر السلطان حوله فلم ير معه أحداً غير « إياز » الذي كان واقفاً خلفه . . والباقون من حاشيته تركوه وانشغلوا بجمع الجواهر المتناثرة . .

سأل السلطان « إيازاً » لم لم تبادر كفرك إلى ما انشغلوا به . .

قال : لم أستغ أن أنسل من محضر السلطان وأنشغل بجمع الجواهر . . فإن للسلطان أعداء كثيرين . . وقد قلت : قد تقع عين موتور على السلطان فلم أبتعد عنك لتكون نفسي فداءً لك إذا قصدك أحد بسوء .

لقد كنت أركض خلفك دائماً فلم أستبدل الخدمة بالنعمة^(١) .

وكان اخلاص إيازهذا سبباً في أن السلطان جعله ولياً للعهد رغم وجود أخيه وابنه ، وكان يجلسه أحياناً على عرش السلطنة .

ليعلم القارئ العزيز أن الله يرضى عن العبد ويحبه إذا كانت زينة الدنيا وبها رجاها لا تنسيه ذكر المولى ، وكان هو يحذر كل ما يلهيه ويعيقه عن ذكره سبحانه ، حتى إذا كان ذلك من الزينة المباحة .

ويقال إن السلطان محمود نفسه كان قد وجد بين الجواهر التي حصل عليها من الهند ياقوتة حمراء كان يسطع منها النور في الليل . . وذات يوم عرضها على وزرائه وسألهم عن قيمتها . . فذكر كل منهم مبلغاً طائلاً . . ثم أمرهم السلطان بكسرها فلم يقدم على ذلك أحد وقالوا ليس من المصلحة كسر مثل هذه الجوهرة . . ودخل إياز فسأله السلطان عن قيمتها . . فقال : هي أغلى من كل ما ذكروا ، ثم أمره السلطان بكسرها فكسرها =

(١) مضمون بيت

كيف يبلونا بزينة الدنيا :

وإذا تأمل أحدنا عند مشاهدة زينة الدنيا ، في النقائص التي تكتنفها التي أهمها الفناء وعدم الثبات . . لأيقن أن هناك عالم وجود آخر وفيه أصل الكمال والجمال اللامتناهيين ، الخالين من كل عيب ونقص وأهم هذا الكمال ، الخلود . . واعتبر أنه من أهل ذلك العالم ، أي أنه خلق له ، لأنه لو كانت الحياة تنتهي بالموت ويفنى لكان ذلك مستلزماً للعبث واللغو ، مع أن تمام أجزاء العالم تشهد على حكمة الله اللامتناهية (تقدم بيان ذلك في بحث المعاد) .

هذه هي حقيقة الاختبار الإلهي الذي يتلي الله تعالى به الناس بواسطة زينة الدنيا ويختبرهم به . .

ونتيجة هذا الاختبار وجود وتمايز السعيد عن الشقي ، الطيب من الخبيث

= فوراً . . ففرح الحاضرون إذ أن السلطان سيغضب على أياز لفعله هذا وتناولوه بالتأنيب واللوم وقالوا لم فعلت ذلك لقد ألحقت الضرر بخزينة الدولة ، إنك عدو السلطان ولست من المخلصين له فأجابهم أياز :

« قال أياز يا أفضل العارفين ، أمر الشاه أفضل أم الجواهر » .

« قولوا بربكم هل أمر الشاه أفضل عندكم أم هذه الجوهرة الجميلة » .

« إن كنتم تفضلون الجوهرة على الشاه فأنتم في ضلال وتيه » .

« أنا لا أصرف النظر عن تفضيل الشاه ولا أكون كالمشرك يعبد الحجر » .

« لا جواهر للروح التي تختار حجر الطريق الملون فتفضله ولا تقيم وزناً لأمر الشاه » .

« إن الجوهرة هي أمر الشاه ولقد كسرتموها أيها الحمقى جهاراً نهاراً » (مضامين أبيات) .

فأدرك الحاضرون أن أمر الشاه كان اختباراً لهم فازداد أياز رفعة وازدادوا ضعة وخجلاً .

طاهر الطينة من خبيثها ، عالي الهمة من وضعها ، الإنساني من الحيواني وباختصار أهل الجنة من أهل النار . . ثم يتشكل في يوم القيامة صفات من البشر : أصحاب اليمين الذين سيخلدون في الجنة متنعمين بالإكرام والإنعام اللامتناهين من الله تعالى بالتفصيل الذي بينه سبحانه في القرآن المجيد . . وهكذا سيتجلى الفضل الإلهي العظيم .

وأصحاب الشمال يستقرون في المكان الذي أعدوه لأنفسهم أي النار وينالون جزاء أعمالهم السيئة . . وهكذا سيتجلى العدل الإلهي الحقيقي . . وعندما يستقر كل منهم في المكان الذي يناسبه يتضح أن الفناء المطلق لا ينبغي إلا لله تعالى (٧٠) .

والخلاصة ان رب العالمين سبحانه خلق الحياة الدنيا بزينتها وزخارفها وبهارجها اختباراً لكل شخص منذ ولادته إلى حين وفاته ليميز طالب الدنيا العابد لها من الطالب للآخرة ، المحب للآخرة . . بناءً عليه فإن صاحب العلاقة بالحياة الدنيا (بنحو الإستقلال لا التبعية) سيكون في عداد المخدوعين والخاسرين .

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور﴾ لقمان ٣٣ .

ومعنى ﴿لا تفرنكم الحياة الدنيا﴾ أي لا تحبوها وتعتبروا أنفسكم في غنى عن الله .

وكما أن معنى ﴿لا يفرنكم بالله الغرور﴾ لا يمنعكم الشيطان عن حب الله

(٧٠) ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ الزمر ٧٥ .

أو لا تغتروا بعفو الله وكرمه . وتتجرؤا على المعاصي .

وبما أن الله تعالى نهى عن الإغترار بالحياة الدنيا وكرر ذلك في سورة الأنعام الآية ٧٠ / ١٣٠ والأعراف الآية ٥١ ولقمان الآية ٣٣ وفاطر الآية ٣٣ والجاثية الآية ٣٥ والحديد الآية ١٤ فإن على كل مسلم أن يراقب قلبه دائماً وأن لا يكون من المفتريين بالدنيا .

قل أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ :

﴿زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ﴾ * قل أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادَةِ آل عمران ١٤ / ١٥ .

خلاصة الآية أن الله خلق زينة الدنيا وجعلها اختباراً للبشر ليصبحوا بواسطتها محبين لله ويضمنوا سعادتهم الخالدة . . . إلا أن الشيطان خدعهم وبدلاً من أن يحبوا الله خالق الكون ويهتموا بحياتهم الآخرة أصبحوا يحبون هذه المشتبهات (الزينة) واهتموا بحياتهم الدنيا . . . إلا أن عليهم أن يعلموا أن هذه الحياة والتلذذ بشهواتها فانيان ومدتهما لا تكاد تذكر ، والتعلق بالفاني مناف للعقل ، وأن يهتموا بدلاً من حب الدنيا بحب العالم الباقي فهو الأفضل والأبقى .

ويعلم من هذه الآية الشريفة أن الحب الإستقلالي للدنيا بأي مقدار كان ، شيطاني ومذموم^(٧١) .

(٧١) هكذا الدنيا : إنها إذا أثارت الإعجاب صرحت عن عيبها بملء الصوت وقالت : « في هذا الكون والفساد أيها الأستاذ الكون هو الدغل والفساد هو النصيحة » . =

رواية عجيبة في حب الدنيا :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قال الله تعالى (ليلة

-
- = « الكون يقول تعال فأنا حسن البنيان والفساد يقول إذهب فلا قيمة لي » .
- « أيها المتحسر على جمال الربيع أنظر إلى برد الخريف واصفراره » .
- « عندما ترى في النهار طلعة الشمس الرائعة تذكر موتها عند الغروب » .
- « وعندما ترى البدر ينير الجهات الأربع تذكر حسرته عند المحاق » .
- « طفل صار في الجمال سيد الخلق ثم صار بعد غد خرفاً مفتضحاً بين الخلق » .
- « إذا تجلى اليوم جسده الفضى الفضى فانظر كيف يكون بعد الشيخوخة كالقطن المنفوش » .
- « يا من تتحفر عندما ترى الأطعمة الدسمة أنظر إلى فضلتها والقها في الماء » .
- « قل للخبث أين حسنك وأين الحسن والراغبة في الإنخداع بك » .
- « صارت الأنامل الرشيقة لا تبارى في مهارة الصناعة ثم صارت ترتجف ولا تقوى على شيء » .
- « تكون العين نرجسة تسكر كالروح ثم تغدو عمشاء يتقاطر منها الماء » .
- « الشجاع الذي كان يشق غمار الصفوف ، تغلبه آخر أمره فآرة » .
- « صاحب الفرة والأجدد والذي يقطر مسكاً ، وصاحب العقل (ذو اللب) كل منهم آخره كأوله قبيح هرم متلاش » .
- « أنظر جيداً إلى كونه في البدء في رفاهية ثم انظر في نهايته إلى إفتضاحه وفساده » .
- « إذن لا تقل خدعتني الدنيا بالتزوير وإلا لكان طاربي مما خدعت به » .
- « كل من هو أكثر نظراً للعواقب فهو أكثر سعادة وكل من هو أكثر نظراً للبدايات فهو أكثر تعاسة » ، « مضامين أبيات » .

المعراج) يا أحمد لو صلى العبد صلاة أهل السماء والأرض ويصوم صيام أهل السماء والأرض ويطوي عن الطعام مثل الملائكة ، ولبس لباس العابدين ، ثم أرى في قلبه من حب الدنيا ذرة أو سُمعتها أو رئاستها أو زينتها ، لا يجاورني في داري ولأنزعن من قلبه محبتي ولأظلمن قلبه حتى ينساني ولا أذيقه حلاوة محبتي^(٧٢) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «والله ما أحب الله من أحب الدنيا»^(٧٣) .

وعنه عليه السلام في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال : هو القلب الذي سلم من حب الدنيا^(٧٤) .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة عن قلبه ، وما أتى الله عبداً علماً فازداد للدنيا حباً إلا ازداد الله عليه غضباً^(٧٥) .

ولكم في رسول الله أسوة :

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ، ويركب الحمار ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول لإحدى أزواجه يا فلانة غيبه عني ، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن تغيب زينتها عن عينه ، لكيلا يتخذ منها رياشاً ، ولا يعتقدھا قراراً ، ولا يرجو فيها مقاما ، فأخرجها من النفس ، وأشخصها عن القلب ، وغيبها عن النظر ، وكذلك من أبغض شيئاً

(٧٢) إرشاد القلوب .

(٧٣ - ٧٤ - ٧٥) مستدرك الوسائل - الجهاد - باب ٦١ .

أبغض أن ينظر إليه ، وأن يذكر عنده (٧٦) .

شمول حب الدنيا :

ينقسم الناس من حيث معرفة حقيقة أنفسهم إلى قسمين : الدهريين والمليين ..

الدهريون هم الذين يقولون إن الإنسان موجود مادي ولا يزيد عن الحيوان بشيء .. خرج من التراب وبالموت تنتهي حياته ويصبح تراباً ، وهم متمسكون بهذا الرأي قلباً وقولاً وعملاً أي أنهم يقولون بألسنتهم إن حياة الناس هي هذه الحياة الدنيا فقط ويجب اعتبار استثمارها إلى أبعد الحدود غنيمة لأن الإنسان يفنى بالموت ويصبح عدماً ، وقلوبهم لا تميل إلا إلى الدنيا يحبون شهواتها ويقبلون عليها .

وأما عملاً فإن كل جهدهم واهتمامهم منصب على تحقيق الشهوات والملذات والزينة والرتوش والزخارف الدنيوية وتأمين الراحة والإستقرار في هذه الدنيا القصيرة عبر زيادة الثروة والقدرة والشوكة :

﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ الجاثية ٢٤ .

المليّون على ثلاث فرق :

أما المليّون أي أتباع الأنبياء من اليهود والنصارى والمسلمين الذين يقرون - بإرشاد الأنبياء ووحى الله خالق الكون - بأن للإنسان غير الحياة الدنيا حياة أخرى خالدة فيها الجنة لأصحاب العمل الصالح ، والنار لأصحاب العمل السيء .. لكن المليين - في هذا الإعتقاد - على ثلاث فرق :

(٧٦) نهج البلاغة - من الخطبة ١٩٣ .

الأولى : الذين يعترفون بهذا بألسنتهم فقط إلا أنهم قلباً وعملاً هم والدهريون على حد سواء ، أي أن ألسنتهم تتحدث عن الله والآخرة ، ولكن قلوبهم مع الدنيا ومحبتهم وتعلقهم في لذة الدنيا وشهوتها وثروتها وسلطتها . . وكل جدهم واجتهادهم متركز على تحقيق رغباتهم الدنيوية فقط :
﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ آل عمران ١٦٧ .

المصلون المتساهلون :

والفرقة الثانية : الذين ليس كل وجه قلوبهم إلى الدنيا . . بل أكثره باتجاه الدنيا وقليل منه باتجاه الآخرة ، أي أن حبهم وعلاقتهم الشديدين هما للذات الحياة الدنيا وشؤونها . . ومن هنا فإن أكثر جدهم واجتهادهم منصب على تحقيق ذلك . . ولأنهم لا يعدمون العلاقة بالحياة الآخرة فإنهم يبذلون لها جهداً لا يكاد يذكر ويأتون بأعمال صالحة لا تكاد تذكر . . مثلاً : من أجل الوصول إلى الرغبات النفسية واللذائذ الدنيوية يصرفون قدراً كبيراً من العمر والمال دون أي حرج . . ولكنهم لا يصرفون قدراً كبيراً من عمرهم ومالهم الا القليل وبصعوبة ودون اخلاص ، للوصول إلى رضوان الله ونعيم الآخرة . وهؤلاء على مراتب أشير إلى مرتبتهم الشديدة في قوله تعالى :

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون﴾ الماعون ٥ / ٧ .

لو أن قلوب هؤلاء كانت مرتبطة بالله سبحانه والدار الآخرة لما ابتلوا بضعف الهمة في التوجه إلى الله وذكره عزَّ اسمه ولما عملوا من أجل التظاهر أمام الناس .

وخلاصة أمر هذه الفرقة الثانية من المليين هي تلك المرتبة الثانية من حب

الدنيا التي تقدمت . .

والفرقة الثالثة : بعكس الثانية أي أن جهم وتعلقهم الشديدين منصبان على الله والأخرة ولا تخلو قلوبهم من حب للدنيا لا يكاد يذكر .

كلهم في هذا سواء :

إذا تأملت أيها القارئ العزيز في حال المليين في العالم تجد أنهم جميعاً - إلا القليل - من الفرقة الأولى والثانية ، أي أن اليهود والنصارى والمسلمين في أي دولة كانوا في الشرق أو الغرب والشرق الأوسط ورغم الخلاف اللساني بينهم حول الدين هم جميعاً مع الدهريين سواء في حب الدنيا قلباً وعملاً^(٧٧) .

(٧٧) في كتاب (الدنيا في خطر السقوط) لأبي الحسن الندوي كلام مفيد حول أن الناس في هذا العصر استبدلوا عبادة الله وحب الأخرة والحقيقة والقيم والإنسانية بالمادية وحب الدنيا وعبادة الشهوة التي انتقلت عدواها من أوروبا إلى سائر دول العالم وهذا بعض ما قاله :
الحسن الديني .

الدنيا إلى أين . . وهل بعد هذه الحياة حياة أخرى . . وإذا كانت فكيف هي ؟

هل في الدنيا تعليمات وإرشادات حول مسائل الآخرة ؟

وما هو الطريق الصحيح الذي يوصل الإنسان إلى الحياة المرضية في الآخرة ؟

وما هي نقطة الإنطلاق في هذا الطريق ؟

وما هي أفض السبل للوصول إلى نعم ذلك العالم الأبدية واللامتناهية ؟

ومن أين لنا معرفة هذا الطريق ؟

هذه هي الأسئلة التي كانت تطرح نفسها على البشرية . .

والشرقيين بشكل خاص وكان الجميع يبحثون عن إجابات مقنعة عليها ومبدأ هذه الأسئلة حس سادس غير الحواس الخمسة يسمى الحس الديني . . وهو تلك الفطرة البشرية التي ذكرت في القرآن المجيد ، ولكن الناس فقدوا اليوم هذا الحس نهائياً ولا =

= نخطر هذه الأسئلة على بالهم أبداً . إلى أن يقول :

أكبر مشكلة واجهها الأنبياء وهي الصراع مع أناس فقدوا الحس الديني . .

حقاً لقد كان أولئك الذين تحجرت أفكارهم وقرروا أن لا يفكروا في الأمور الدينية وأمر الآخرة مصيبة كبرى للقادة الإلهيين . . وكلما كان الأنبياء يرفعون من وتيرة تبليغهم كان هؤلاء يقولون : ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ المؤمنون ٣٧ .

﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾ فصلت ٥ .

والناس في هذا العصر فقدوا الحس الديني ولم يعد لهذا النوع من الأسئلة مكان في قلوبهم ، ولا تثير اهتمامهم . . وعندما يتصدى البعض للبحث فليس ذلك من منطلق الإيمان والرغبة في الوصول إلى الحقيقة .

يجب الاعتراف أن المسائل المادية احتلت مكانة المسائل الدينية الإلهية . . وأن أبناء القرن العشرين يصرفون جهدهم الفكري في البحث حول المسائل المادية . . ولا شغل لهم بالبحث عن وجود عالم آخر وعدم وجوده . .

يقوم فكر الناس اليوم على عدم استبدال النقد بالدين . . وأن جميع الأبحاث حول عالم آخر ينبغي أن تترك للعلماء الفلاسفة وسائر علماء الدين . .

وشباب هذا العصر رجال عمل وجد ، لا يرون الحياة إلا في المصانع والدوائر الحكومية وتشغيل الآلات واستلام المرتبات آخر الأسبوع والشهر . . أما العالم الآخر فلا علم لهم بوجوده ولعله - عندهم - لا يعدو كونه وهماً وخيالاً .

وبكلمة : إن الشأن الذي لا يتطرقون إليه ولا يعنيه أبداً . هو الشأن الديني ومجريات ما بعد الموت .

لا مكان اليوم في القلوب للفكر الديني والإلهي ، وقد سدت الحياة المادية سبل العقل ومنافذ الفكر ولا وسيلة لإدراك الأفكار الأخرى .

=

.....
= العقول والقلوب والأعين والأذان كلها مسدودة دون أمور الدين وحديث الأنبياء والقادة الدينيين ، والآلام التي يعانيتها المخلصون والمرشدون اليوم نتيجة دعوة هذا النوع من الناس إلى عبادة الله تعالى لم يعان مثلها الدعاة في أسوأ المجتمعات وأشدّها انحطاطاً . .

وحول هؤلاء يقول الله تعالى لنبيه :

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ﴾ النمل ٨٣ .

إلى أن يقول :

عصرنا عصر المادية المحض ، الذي صرف الناس فيه كل اهتمامهم إلى حياة هذا العالم . . ولا يعتقدون بوجود عالم آخر ليجعلوا له شيئاً من رصيد ، ويستعدوا له . . وهل بالإمكان أن يستعد الإنسان لما لا يعتقد به .

يعتقد المتمدنون في هذا العصر - ما عدا قلة - أن من الواجب الحصول على الثروة من أي طريق ممكن وصرفها في مجالات تأمين الاحتياجات .

يرى عصرنا أن الشرف والعظمة في المال والثياب ومستلزمات الحياة . . ولأن هذا الشرف وهذه العظمة يتغيران باستمرار . . فإن أحدهم يضطر إلى صرف مبالغ طائلة حتى يكون وضعه مطابقاً لما يميل إليه المجتمع . .

ولأنهم يعتقدون أن من الواجب الحصول على المال فإنهم لا يتورعون عن السعي إليه عن أي طريق حلالاً كان أم حراماً بمشقة أم بدونها . .

وحيث أن الذين يتمتعون بالقدرة الكافية لتحصيل المال هم قلة . . فإن الناس بشكل عام يعيشون الغم والحزن وأكبر آفاتهم : المال .

وتتوالى المشاكل الروحية والآلام الوجدانية على اللاهثين خلف « الموضة » ولسوء الحظ فإنها في تبدل وتغير دائمين . وفي كل يوم تدخل السوق موديلات جديدة من الأحذية والقيعات وأدوات الزينة وأثاث البيت ومع أنها جميعاً ليست من المستلزمات الأولية للحياة إلا أنها تعتبر - عند هؤلاء - عنوان الشخصية المتحضرة ودليل التمدن =

الجميع منشدون إلى الشهوات الدنيا وزيتها وملذاتها شديدو التعلق
بها . . والثروة هدفهم الأصلي . . . يلوثون أنفسهم بأنواع الخيانات والجنايات
والمفاسد والصراعات والمجازر . .

الجميع يريدون كل شيء إلا رضا الله . . سراغ لتأمين استقرارهم
وزيتهم في الدنيا ، إلا أنهم لا يفكرون في تأمين آخرتهم . .
يضطربون لأدنى حادثة تواجههم . . إلا أن الذنب لا يشير اضطرابهم . . .
يخافون من الفشل في المجالات الدنيوية . . ولا يخافون أبداً الفشل في
مجالات الآخرة . .

يبدلون جهوداً في الفكر والعمل لحياطة مستقبلهم المظنون في هذه
الدنيا . . ولا يخطر التفكير بحياطة آخرتهم لهم على بال .

ما أكثر الجهود التي يبذلونها لزيادة الثروة ورأس المال وإذا لحق بهم ضرر

= والتحضر ومن لا يقتنيها فليس في عداد الأحياء .

مثل هذه الأسباب رفعت قيمة « الثروة » إلى حد لم تشهدده مرحلة من مراحل تاريخ
البشرية .

أصبحت الثروة اليوم كروح الإنسان . . بمشابة أعظم قوة تدفع الناس في ميادين
العمل . .

المال اليوم هو محور جهود المخترعين والصناعيين والسياسيين . . هو الذي يحمل
النواب على الدخول إلى المجالس النيابية . . والكتاب على الكتابة والمحاربين على
الحرب .

وباختصار أصبح المال محور كل جهد ونشاط .
« ليلاحظ أن النص هنا مترجم عن الفارسية »

يتعالى جوارهم والصراخ . . لكنهم في مجال زيادة الثروة الواقعية والرأسمال الحقيقي أعني الإيمان والقيم والأخلاق الإنسانية . . كالموتى لا يقومون بأي جهد ولا يستطيعون حراكاً . . .

والعجيب أن كل المليين الذين لا يختلفون أبداً عن الدهريين آمنون من عذاب الله وغضبه يظنون أن نجاتهم قطعية ، مفترون بهذا الظن الشيطاني - وكأنهم اتخذوا عند الله عهداً - بل يدعون أن النجاة والسعادة وقف عليهم منحصران بهم وحدهم .

اليهود والنصارى والإدعاء الباطل :

مثلاً : اليهود الذين يقولون نحن من عنصر إسرائيل (يعقوب) أشرف أولاد آدم . . ولنا في الدنيا حق الحكم والسيادة وفي الآخرة ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ البقرة ٨٠ (أي تلك الأربعين يوماً التي عبدوا فيها العجل) يقولون هذا مع أن العقل يحكم - وبهذا صرح القرآن المجيد - أن جميع الناس سواء ولا فضل لأحد على غيره إلا بالتقوى .

وكذلك : يقول اليهود والنصارى « نحن أبناء الله وأحباء الله وأولياء الله » والجنة التي هي دار الخلود خاصة بنا . . يقولون هذا بألستهم مع أنهم واقعاً محبون للدنيا متعلقون بها لا بالله والآخرة . . . والدليل : حرصهم الشديد على الدنيا^(٧٨) إنهم في الحقيقة أولياء الشيطان لا الرحمن همهم الشهوات والملذات الدنيوية لا جوار الله والدار الآخرة .

(٧٨) ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ البقرة ٩٦ .

فتمنوا الموت :

أما ما يقولونه عن نجاتهم في الآخرة . . وأن الجنة خاصة بهم . . فإن كان حقاً . . . وكانوا معتقدين به فلماذا يخافون من الموت والانفصال عن عالم الطبيعة . . ويتمنون طول العمر للإستزادة من الشهوات :

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ البقرة ٩٤ .

قال في مجمع البيان :

« . . . لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة قطعاً ، كان الموت أحب إليه من حياة الدنيا التي فيها أنواع المشاق والهموم والآلام والغموم ومن كان على يقين أنه إذا مات تخلص منها وفاز بالنعيم المقيم فإنه يؤثر الموت على الحياة ، ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصفين بصفين في غلالة لما قال له الحسن ابنه : « ما هذا زي الحرب : يا بني إن أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه » وقول عمار بن ياسر بصفين أيضاً : الآن ألاقى الأحبة محمداً وحزبه ، وأما ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، ولكن ليقل : اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي ، فإنما نهى عن تمنى الموت لأنه يدل على الجزع ، والمأمور به الصبر وتفويض الأمور إليه تعالى ، ولأننا لا نأمن من وقوع التقصير فيما أمرنا به ونرجو في البقاء التلافي » (٧٩) .

(٧٩) مجمع البيان ٣٦٨/١ وفي النص الذي ترجمه المؤلف الشهيد قبل قوله ألا ترى ما ترجمته : كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « والله لإبن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه » إلا أن هذا غير موجود في ط دار مكتبة الحياة .

وحب البقاء في الدنيا بهذا الهدف لا يتنافى مع حب أصل الموت وذلك كما إذا وجه السلطان دعوة إلى شخص لزيارته ولم يحدد له وقت تلبيتها . . وأحب المدعو تأخير الموعد ريثما يستعد رغم حبه لأصل الزيارة وتمنيه له ، وقد تقدم بالتفصيل أن الحب التبعي للدنيا مطلوب ومن لوازم الإيمان بالله والآخرة . ولكن اليهود فإنهم أحبوا الدنيا بالذات (استقلالاً) وتمنوا الحياة والعمر للتنعم بالذات . . بحيث أنهم أحبوا أن يعيش أحدهم ألف سنة . . وخافوا من الموت بشدة وهذا شاهد على كذبهم إذ يقولون : نحن أحباء الله والجنة خاصة بنا .

أما المسلمون فإن كل فرقة منهم يرون أنهم أتباع القرآن ومحبو الرسول والآل ويرون أن نجاتهم وهلاك الفرقة الأخرى حتميان . . في حين أن جميع الفرق - ما عدا القليل جداً - قلوبهم مملوءة بحب الدنيا ، منشدون إلى الدنيا وأوضاعها لصيقون بها لا بالله والرسول ، أتباع الشهوات النفسية والأوامر الشيطانية لا القرآن ، فكرهم وجهدهم منصبان على تأمين الحياة الدنيا والتنعم فيها . . يتحملون المشقات من أجل كل علم فيه نفع دنيوي . . إلا أنهم لا يخطون خطوة من أجل المعارف الإلهية والأحكام الدينية . . إن دعاهم داعي الشيطان أجابوا سراعاً . . يخفون إلى حضور مجالس الغفلة ويتهربون من حضور مجالس العلماء الربانيين التي تذكرهم بالله والرسول والآخرة .

الآثار السيئة للفرار من العلماء :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سيأتي زمام على الناس يفرون من العلماء كما يفرون من الغنم من الذئب ، إبتلاهم الله بثلاثة أشياء :

الأول : يرفع البركة من أموالهم .

والثاني : سلط الله عليهم سلطاناً جائراً .

والثالث : يخرجون من الدنيا بلا إيمان» (٨٠) .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يأتي على الناس زمان بطونهم آلهتهم ونساؤهم قبلتهم ودنانيرهم دينهم ، وشرفهم متاعهم ، لا يبقى من الإيمان إلا إسمه ولا من الإسلام إلا رسمه ولا من القرآن إلا درسه مساجدهم معمورة من البناء وقلوبهم خراب من الهدى علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض (٨١) أي أكثرهم محبوبون للدنيا» .

يا صاحب الزمان ، عجل ظهورك :

ويجب العلم أن عدم الإيمان هذا ، والتلوث بالفساد وأنواع الفتنة والانحراف ، وانتشار الفحشاء والمنكرات في عصرنا الحاضر نتيجة للتلوث الشديد بالدنيا ، ولا تستطيع قوة أن تحول دون هذه الأمراض ، وهي دائماً في ازدياد إلى أن يدرك جميع الناس ويلاتها المدمرة فيذعنوا . . ويصبحون جاهزين لظهور المصلح السماوي . . ويظهر الله تعالى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام . . فينير صلوات الله عليه القلوب بنور الولاية الإلهية الكلية ويرشد عقولهم بحيث تصبح جميعها ترى الحقيقة . . . ويخرج من القلوب حب الدنيا الإستقلالي الذي هو أساس جميع المفاسد ويحل محله الحب الأصلي لله والرسول والآخرة والحب التبعية للدنيا . . وعندما يصبحون كذلك فإنهم سيدركون معنى « الحياة الطيبة » ويلتذون بالحياة . .

كوخ الأحزان يصبح يوماً روضة غناء :

وظهوره عليه السلام وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً من ضروريات المذهب

(٨٠) سفينة البحار ج ٢ / ٢٢٠ .

(٨١) سفينة البحار ج ١ / ٥٥٧ .

(والدين) وقد تواترت به الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل إن جميع الأنبياء بشرُوا أن جميع الناس يصبحون في قسم من آخر الزمان مؤمنين متقين صلحاء راشدون ويعيشون بمتهى السعادة والإطمئنان ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ الأنبياء ١٠٥ والمراد بالزبور زبور داود عليه السلام وبالذكر التوراة وللإطلاع على تفاصيل حياة الناس في ذلك الزمان يراجع المجلد الثاني والخمسون من البحار ، ويكتفى هنا بحديث قصير بالمناسبة .

تكمّل العقول :

قال الإمام الباقر عليه السلام : « إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم » .

ويصل إكتمال العقول إلى حد لو أن امرأة جميلة شابة حملت علبة جواهر وقطعت المسافة بين بغداد والشام مشياً فلا ينظر إليها أحد نظرة خيانة ، كما في الروايات ..

والخلاصة يخرج حب الدنيا من القلوب نهائياً .

واجبنا اليوم :

واجب كل متدين أن يصلح نفسه أولاً ويخرج حب الدنيا من قلبه بالتفصيل الآتي ثم - من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ينبه زوجته وأولاده ، ويخرج - بمقدار استطاعته - حب الدنيا من قلوبهم فهو أصل كل عدم إيمان وكل فساد .. وهكذا يكون قد أدى واجبه وقُلّل من الفساد في المجتمع البشري .

مغالطة الحمقى وجوابها :

وأما ما يقوله الحمقى من أن الدول الكبرى في العالم اليوم التي تمتلك من الصناعة والقوة ما هو في نمو وازدياد ، تجر المجتمع البشري إلى المادية وحب الدنيا والركض خلف الشهوات واللذات بحيث لو أن بلداً بل شخصاً أراد أن لا يتبع هذا المنحى فإنه لا يستطيع أن يعيش . . ولا يكون في عداد الأحياء ومن هنا فإن من الواجب صرف النظر عن الله والآخرة ونسيانهما ! « والسير في ركب الحضارة ! » وعبادة الدنيا . .

والجواب : هذا الكلام مطابق للتقليد الحيواني بعيد عن العقل الإنساني لأن الإنسان العاقل إذا رأى عدة ألقوا بأنفسهم في مستنقع آسن لا يسمح لنفسه - بحجة أن لا يفصل عن المجتمع - أن يغرق نفسه في الأسن والنجاسة . .

وفي تلك الدول الكبرى علماء يمتازون بفطنتهم يتعالى تحذيرهم وتوالى صيحاتهم من الفساد الأخلاقي وشيوع الفحشاء وانتشار الخيانات والجنايات وكثرة إراقة الدماء وانعدام القيم ونقص الإنسانية ولكن لا يصغي إليهم أحد وتذهب نصائحهم أدراج الرياح .

وفي بلدنا هنا . . هل يصغي الناس إلى صيحات الروحانيين ؟

مثلاً : هل يصغون إلى تحذيراتهم من دور السينما التي هي مراكز نشر الفساد الأخلاقي عبر أفلامها الخلاعية التي تقضي على العفة العامة ، وتحمل على ارتكاب أسوأ الخيانات والجنايات والتي يحرص النفعيون على أن تكون أفلامها أكثر إثارة للشهوة وأشد تدميراً لمقومات الإنسانية . .

هل يصغي الناس لذلك . . هل يخطو الأولياء خطوة في مجال

نصيحة إلى جميع المتدينين :

حس التقليد قوي في الإنسان نظراً إلى بعده الحيواني ، وبشكل خاص تقليد الكثرة والجماعة وتقليد صاحب السلطة والثروة .

وفي مقابل هذا الحس أعطى الله الإنسان العقل ليتبع العلم والعالم ويقتفي أثره حتى إذا كانا (العلم والعالم) بحسب الظاهر ضعيفين وقليلين عدداً ويفر من الجهل والجاهل حتى إذا كانا قوين وكثيرين .

بناءً على هذا فبحكم العقل لا ينبغي أن نقتل أوروبا وسائر الدول الكبرى فهم لا يستحقون أن نقلدهم لأنهم بمقدار رقيهم في العلوم المادية قد أخفقوا في معرفة الحقائق وعلوم ما وراء الطبيعة وسيطر عليهم الجهل واستبدت بهم الغفلة . .

مثلاً : إذا سئلوا هل لهذا العالم العظيم صاحب ؟ قالوا : لا ندري . .
وحدود علمنا المادة والماديات . .

هل لهذا المعمل المحير - بدن الإنسان - صانع ؟

يقولون : لا ندري . . نحن نعرف فقط تشريح أجزاء بدن الإنسان وخواصها . .

هل عرفتم حقيقة الإنسانية ؟

يقولون : لا ندري . . لم ندرك من الإنسان إلا أنه حيوان كامل . .

هل للإنسان حياة أخرى بعد الموت تتحقق فيها سعادته التامة ؟

(٨٢) كتب المؤلف الشهيد ذلك قبل انتصار ثورة الإسلام المظفرة أعزها الله .

يقولون : لا ندرى .. ولا علم لنا إلا بالحياة المادية الدنيوية .. هل سعادة الإنسان - كالحیوان - تنحصر في العبّ من أكؤس الشهوات وإتباع الهوى والهوس والثراء والقوة وإحتلال البلاد الأخرى أم أن سعادته في الكمالات الإنسانية كالعفة والشجاعة والسخاء والكرامة والعدالة وحب الخير ونفع الآخرين يقولون في الجواب : لا نرى سعادة البشر إلا في تحقيق آماله وشهواته ..

وحتى لا يعترفوا بجهلهم وغفلتهم يسخرون بهذه الأسئلة ويهزؤون بها ويقولون : هذه الأفكار تافهة ولا قيمة لها في عالم اليوم ..

يجب أن تصرف الجهود الفكرية والجسدية في هذا العصر في مجالات جمع الثروة وزيادة السلطة والقوة حتى لا نبقى متخلفين ..

اليوم .. يجب الإهتمام بصناعة الطيران .. وصناعة القنبلة الذرية لتدمير البلاد ونهب الثروات وإراقة دماء الأبرياء اليوم .. يجب عدم الإعتناء بشيء والمضي سريعاً نحو تحقيق الأهواء وتثبيت الموقع الشخصي ..

اليوم أصبحت مفاهيم الرحم ، الإنصاف ، العدل، العفو، الإحسان ، الحلم ، الوقار ، التواضع، الغيرة المشروعة - التي كانت تعتبر سابقاً من الكمالات الإنسانية - ألفاظاً لا تخطر معانيها على البال فضلاً عن الإلتزام والتحلي بها .

اليوم يجب أن يكتفى من خالق الكون بالإسم فقط وبدلاً من عبادة الله ، تنبغي عبادة الدنيا ، والتخمة ، وإطفاء الغريزة الجنسية بكل إباحية وعن أي طريق لا مشروع أمكن إعتماده ..

كما يجب عدم توفير أي جهد في مجال الأنس والطرب وإرخاء العنان للنفس لترعى كما تريد ..

وسيطول الحديث إذا أردنا استقصاء جهالات أهل الدنيا ومظاهر غفلتهم وآثارها السيئة وأفعالهم القبيحة وليتأمل القارئ العزيز بدقة في أحوالهم وشؤونهم من أجل مزيد من الإحاطة بمساوئهم ، وفي ما ذكر كفاية لإيضاح جهالتهم حتى لا تكون زخارف صناعاتهم واختراعاتهم وبهاجها سبباً لإعتبارهم علماء والإعتقاد بجواز تقليد طريقتهم الشيطانية وعبادتهم للدنيا .

الأنبياء أحق أن يتبعوا :

أيها الإنسان . . . بحكم عقلك يجب عليك أن تتبع طريقة العلماء والمطلعين وعلى رأسهم سلسلة الأنبياء الجليّة ، الذين يستطيعون الإجابة على كل من الأسئلة المتقدمة وأمثالها والذين يحرصون على إرشاد الناس وهدايتهم :

﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهديّ إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾ يونس ٣٥ .

وطريقة الأنبياء والعارفين هي عبادة الله وتأمين السعادة الباقية وتحصيل الأخلاق الإنسانية الفاضلة . . وهي الطريقة التي يجب على أهل العقل إتباعها . .

وأما طريقة أهل الدنيا التي هي عبادة الدنيا والركض ، وراء الشهوات والأهواء فإن نهايتها النار وقبل النار في هذه الدنيا الإضطراب والضياع والتعاسة وأنواع المآسي التي تعاني منها أوروبا والدول الكبيرة .

أيها العاقل . . لو كانت عبادة الدنيا طريقاً مستقيماً ونهجاً سليماً لما تركها الأنبياء والعظماء . . . في حين أنهم جميعاً صرفوا قلوبهم عن الدنيا وأصروا على التوجه إلى الله والآخرة .

لاحظ هذا المثال بدقة :

يقال إن امرأة كانت في غاية القبح والدمامة .. وكان منظرها يثير استياء الناظر وتنفره .. ولم يرغب في الزواج بها أحد وأخيراً تزوجها رجل فقير أعمى .

وذات يوم كانت تحدث زوجها عن حسنها وجمالها وتعدد مفاتها .. فقالت : لقد خطبني عدد كبير ولكن لحسن حظك كنت من نصيبك .. فيما أن تكون ساحراً أو أن دعوتك مستجابة ولذلك حصلت على مثل هذه السعادة .. فأجابها الأعمى العارف بحقيقة الأمر : لو كان ما ذكرت من جمالك حقاً لما تركتك عيون المبصرين لتكوني نصيبي أنا الأعمى ..

نعم .. لو كانت بهارج الدنيا وزخارفها ومؤسساتها ولذاتها خالصة صافية - أي غير منغصة بمئات العيوب والنقائص والمشقات والآلام وبالإضافة إلى ذلك العذاب الشديد في الآخرة - لما تركها الذين يرون الواقع كما هو أهل البصائر النافذة وعلى رأسهم حيدر الكرار وصي الرسول المختار عليه السلام ولكانوا أصبحوا من طالبي الدنيا ..

من هنا فإن طالبي الدنيا هم طائفة العمي والحمقى والمغفلين وعلى رأسهم معاوية وإبنة يزيد الذين لم يدركوا عيوب الدنيا وزوالها وعدم أهميتها ، والذين هم غافلون عن الله والدّار الآخرة ، وظنوا أن سعادتهم في عبادة الدنيا .

الدنيا تعرض نفسها على علي عليه السلام :

أورد الشهيد الثاني في كشف الرية بسند متصل أن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

إنني كنت بفدك في بعض حيطانها ، وقد صارت لفاطمة عليها السلام فإذا أنا بإمرأة قد قحمت علي ، وفي يدي مسحة وأنا أعمل بها فلما نظرت إليها طار قلبي مما تداخلني من جمالها ، فشيئتها بيثينة بنت عامر الجمحي وكانت من أجمل نساء قریش .

فقلت : يا بن أبي طالب هل لك أن تتزوج بي فأغنيك عن هذه المسحة وأدلك على خزائن الأرض فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعدك ؟ فقال لها علي عليه السلام : من أنت حتى أخطبك من أهلك فقلت : أنا الدنيا .

قال : قلت لها : فارجمي واطلبي زوجاً غيري فلسيت من شأني وأقبلت علي مسحاتي وأنشأت أقول :

لقد خاب من غرته دنيا دنية	وما هي ان غرت قروناً بطائل
أتتنا على زي العزيز بثينة	وزيتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غري سواي فلإني	عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فإن محمداً	أحل صريعاً بين تلك الجنادل
وهبها أتتنا بالكنوز ودرها	وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرنا	ويطلب من خزانها بالطوائل
فغري سواي إنني غير راغب	بما فيك من ملك وعز ونائل
فقد قنعت نفسي بما قد رزقته	فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فلإني أخاف الله يوم لقائه	وأخشى عذاباً دائماً غير زائل (٨٣)

(٨٣) كشف الرية / ١٢٧ ضمن رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى عبدالله النجاشي وقد قال الشهيد الثاني في مستهل هذا الحديث « رويناه بأسانيد معتبرة ثم ذكر أحدها » .

كيف يستأصل حب الدنيا :

السبيل الوحيد للنجاة من حب الدنيا أمران :

الأول : تقوية الإيمان بالآخرة .

والثاني : إضعاف حب الدنيا .

وسبيل تقوية الإيمان بالآخرة وزيادته تقدم في قسم العقائد بالتفصيل ويتم التذكير به هنا باختصار :

يجب أن تقرأ آيات القرآن المجيد والأخبار المعتبرة التي تتحدث عن أوصاف عالم خلود الإنسان بعد الموت وتوضح تفاصيله . . وأن تكون هذه القراءة بتدبر وتفكير لتترك أثرها في القارئ وتعمق في قلبه الشوق للوصول إلى العالم الأعلى .

والهدف الأساس من بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن المجيد هو هذا . . أن يسمع المسلمون هذه الحقائق ويعتقدوا بها ، فتعرض قلوبهم عن الدنيا وتتعلق بالله والآخرة وتشتاق إليه سبحانه وإلى دار كرامته ويهيئوا أنفسهم لذلك العالم الباقي بالعمل بما أرشدوا إليه . . .

وللأسف أن المسلمين لا يستفيدون من القرآن المجيد وأكثرهم يمر عليه شهر وسنة ولم يقرأ من كتاب الله سورة أو لم يسمع قراءتها إلا من الإذاعة أو في مجالس الفاتحة وعلى المقابر ، وكان القرآن المجيد نزل للأموات . . في حين نزل ليصبح الأحياء علماء والإيقاظ من الغفلة والشفاء من مرض الجهالة ، والهداية إلى كل فضيلة وإذا قيل إن هذه الطرق المتبعة في قراءة القرآن المجيد

هي في الغالب إهانة للقرآن المجيد فإن هذا الكلام ليس جزافاً^(٨٤) .

والخلاصة إن هذه الطريقة في القراءة والإستماع للقرآن المجيد وحتى في أغلب الخطب والمواعظ ملوثة بكل غرض وهدف نفسي وما ليس موجوداً هو التدبر والتأثر بكلام الله .

من يقرأ يقرأ بهدف أخذ الأجرة أو إظهار نفسه ومن يستمع يستمع بهدف التسلية وتمضية الوقت ، خصوصاً إذا كان صوت القارئ جميلاً .

(٨٤) قال أبو الوفاء الهروي : كنت أقرأ القرآن في مجلس ملك والناس يتحدثون ولا يصغون . فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام متغيراً وقال لي : « أنقرأ القرآن بين يدي قوم وهم يتحدثون ولا يستمعون وإنك لا تقرأ بعد هذا إلا ما شاء الله » واستيقظت أخرس ولكن أهل الحديث قالوا لي سينطلق لسانك مجدداً لأنه (صلى الله عليه وآله) قال لك « إلا ما شاء الله » وبقيت أنام حيث رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مدة أربعة أشهر ، فرأيته مجدداً في منامي فقال لي : « تبت قلت بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : من تاب تاب الله عليه ثم قال أخرج لسانك فمسح عليه بالإصبع المسبحة وقال : إذا كنت بين يدي قوم تقرأ كلام الله فاقطع قراءتك حتى يسمعوا كلام رب العزة » واستيقظت وقد انطلق لساني . گلزار أكبري / گلشن ٥٢ .

حَكَّم أحمد بن طولون مصر سنة ٢٧٠ للهجرة ثم ضم إليها ثغور الشام واستمر حكمه سبعة عشر عاماً أو ستة وعشرين ويقال إنه كان متواضعاً شجاعاً حافظاً للقرآن . . كما أنه عرف بالجدود وكذلك بكثرة إراقة الدماء . وقد بلغ عدد الذين قتلهم أو ماتوا في سجنه ثمانية عشر ألفاً . .

وبعد موته استؤجر شخص ليقرا القرآن على قبره . . فهرب بعد مدة . . وعندما سئل عن السبب قال : لقد نهاني صاحب القبر وهددني وقال لي :

لا أريد أن تقرأ القرآن على قبري لأنك كلما قرأت آية ضربوني على رأسي وقالوا لي : ألم تسمع هذه الآية حتى فعلت ما فعلت . (حياة الحيوان ، بتصرف) .

هل نزل القرآن للتبرك :

وقسم آخر من المسلمين يتخذ أحدهم القرآن للتبرك (فقط) فيضعه في زاوية من زوايا بيته ، أو يحمله معه بهدف السلامة .

والتبرك بكلام رب العالمين أو دفع الأخطار به أمر سليم ممدوح ، لكن القرآن لم ينزل لهذا الهدف الجزئي والذي لا يكاد يذكر (في مقابل الهدف الأصلي) بل إذا كان هدف شخص من القرآن هو هذا فقط فقد أهان القرآن . . وهو تماماً كشخص تصله دعوة خطية من السلطان دعي فيها إلى مقابله وكيفية الإستعداد لهذا اللقاء والإستفادة من محضر السلطان . . فلا يفتح ذلك الجاهل الرسالة أبداً ولا يقرأها . . أو إذا فتحها فإنه ينظر في نقوشها فقط . . أو يقرأها دون أن يدرك معانيها ويكتفي بترديد الألفاظ . . أو إذا قرأها لا ينبعث في قلبه شوق الحضور في مجلس السلطان ولا يهيء نفسه لذلك . . ويكتفي بتقيل الرسالة ثم يرمي بها في جيبه أو في زاوية من زوايا بيته . .

ألا يكون هذا قد أهان دعوة السلطان ولم يهتم بها ؟

أليس مستحقاً للخذلان بل للعذاب والانتقام ؟

هذا حال أكثر المسلمين . . وأما العدة المعدودة من المسلمين الذين هم على صلة بالقرآن فإن أكثرهم يكتفون فقط بقراءة ألفاظ القرآن طمعاً في الثواب .

طبعاً . . ألفاظ القرآن مباركة . . إنها كلام الله وهي نور . . ولذا فإن قراءتها مفيدة ، وكذلك كتابتها والنظر إليها . . لكن الهدف من قراءة القرآن

التدبر والتفكير فيما يقرأ . . بحيث يشوق قارئه إلى العالم الأعلى (٨٥) فيعزف

(٨٥) ورد في القرآن المجيد الأمر بالتدبر في القرآن في عدة مواضع منها : ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ ص ٢٩ .

ويكفي في الدلالة على لزوم التأثير بالقرآن المجيد قوله تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ الزمر ٢٣ .

وخلاصة المعنى أنهم إذا قرؤوا آيات الوعيد بالعذاب أو سمعوها خافوا وارتعدت فرائضهم . . وإذا قرؤوا آيات الوعد بالرحمة إطمأنوا وفرحوا فمن لم يتأثر عند قراءة القرآن فليعلم أنه قرأ القرآن بلسان ملوث وقلب مضطرب ملتصق بالدنيا .

« لا ترفع عروس القرآن نقابها إلا إذا رأت دار المُلْك (الإيمان) خالياً من الضجيج والغوغاء » .

« لا عجب إذا لم يكن نصيبك من القرآن سوى نقش ، فإن الأعمى لا يرى من الشمس إلا الحرارة » .

« مُتَّ أيها الصديق قبل الموت إذا أردت سكر الحياة ، فإن إدريس أصبح بمثل هذا الموت من أهل الجنة ، قبلنا » .

« إذا كنت في خوف دائم من النار فلا تغتر بمال أحد فإن صورته هنا مال . . لكنه هناك أفاعٍ » .

« إعمل بما تعلمت فإن من القبيح أن يُحرّم أهل الصين والمكيون نائمون في البطحاء »
« مضامين أبيات » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين :

« أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً يحزنون به أنفسهم ويستشيرون به دواء دائهم فإذا مروا بآية فيها تشويق ركبوا إليها طمعاً وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم » .

قلبه عن الحياة الدنيا ويتعلق بالآخرة . . . وتحمله قراءة أوامره على بذل الجهد والنشاط ويصبح مستعداً تمام الإستعداد للعمل بها مهما كلف الأمر .

لقد أثنى الله تعالى على الدار الآخرة في مئات من آيات القرآن المجيد ووصف الجنة ونعيمها ودعى أتباع القرآن إليها^(٨٦) وذم في المقابل الحياة الدنيا وأوضح عيوبها ونقائصها ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ .

أي أن جميع أوضاع هذه الحياة الدنيا سريعة الزوال وهي كأطفالٍ اجتمعوا في مكان ولعبوا وفرحوا ساعة ثم تعبوا وتفرقوا « دمية ، يخدع الطفل هذا الدهر المطاع (أو متاع هذا الدهر) الحمقى هم الناس المبتلون به »^(٨٧) .

فهل أعرض المسلمون بقلوبهم عن الدنيا بعد قراءة وسماع كل هذه الآيات وتنفروا منها واشتاقوا إلى الآخرة وتعلقوا بها ، أم أنهم قبلوا الإسلام والقرآن في الظاهر فقط إلا أنهم قلباً وعملاً يحذون حذو الدهريين تعلقت قلوبهم بالدنيا يركضون خلفها ، وقد نسوا الآخرة^(٨٨) .

(٨٦) ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ يونس ٣٥ .

(٨٧) مضمون بيت لسعدي .

(٨٨) حول إيمان المسلمين السابقين إلى صدر الإسلام ، وعلاقتهم بالآخرة ، هناك قصص لا تحصى يكفي هنا بالتذكير بثلاثة منها :

١ - بعد أن انتشرت شائعة مقتل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحد نظر أنس بن النضر إلى جماعة من المسلمين وقوفاً فقال ما يجسكم قالوا : قتل رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم فلقيه سعد بن معاذ فقال إلى أين قال : يا سعد إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو بينانه وبه بضع وثمانون جراحة .

(عن تاريخ الخميس ٤٣٤ بتصرف)

= ٢ - سمع عمير بن الحمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول يوم بدر : قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض فقال عمير : بخ بخ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يحملك على قولك بخ بخ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال : فإنك من أهلها فأخرج تمرات من كرزه أي جعبته فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن حبيت حتى أكل تمراتي إنها لحياة طويلة قال فرمى بما كان معه من التمرات ثم قاتلهم حتى قتل .

تاريخ الخميس / ٣٨٠

٣ - كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج فلما كان يوم أحد وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المشاهد أمثال الأسد ، فأراد قومه أن يجسوه وقالوا أنت رجل أعرج ولا حرج عليك وقد ذهب بنوك مع النبي صلى الله عليه وآله قال بخ يذهبون إلى الجنة وأجلس أنا عندكم فقالت هند بنت عمرو بن حرام إمرأته : كاني أنظر إليه مولياً قد أخذ درقته وهو يقول : اللهم لا تردني إلى أهلي ، فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه في القعود فأبى وجاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله إن قومي يريدون أن يجبسوني (يمنعونني) والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال له : أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك ، فأبى ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقومه وبنيه : لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخلوا عنه فقتل يومئذ شهيداً .

بحار الأنوار ١٣٠ / ٢٠

وتفاصيل تضحيات أمير المؤمنين عليه السلام وإثاره وفدائه في سبيل الله وطلباً للدار الآخرة ، ليلة المبيت وفي جميع حروب الإسلام واضحة للجميع إلى حد أنه كان كلما رجع من حرب شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله : خشيت أن لا يفوز بسعادة الشهادة في سبيل الله وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشره بأنه سيستشهد في المحراب ..

وكذلك تضحيات ولده الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه المؤمنين وسائر الخواص من الشيعة مدونة في كتب التاريخ والحديث .

حب الآخرة لا ينسجم مع الغفلة عنها :

ويجب الإنتباه إلى أن وجود الإيمان والعلاقة بالآخرة مع الغفلة عنها محال ، لقد تعلق أهل الدنيا بها لأن كل ذكائهم وتفكيرهم وسعيهم منصب على الدنيا . . وأهل الآخرة الذين هم متذكرون لها دائماً ويسعون لها سعيها يتعلقون بالآخرة . . بناءً على هذا فإن طريق تقوية الإيمان والتعلق بالآخرة كثرة ذكر الحياة الخالدة وقلة الغفلة عنها .

من هنا كان الإكثار من ذكر الموت مستحباً وكذلك تستحب كتابة الوصية وتهيئة الكفن والنظر إليه وتشيع الجنازة والمشاركة في تغسيل المسلمين وتكفينهم ودفنهم والذهاب إلى المقابر لزيارة أهل القبور والإكثار من ذكر الأموات وإرسال الخيرات إليهم .

والنتيجة المهمة لهذه الأعمال هي تذكر الأحياء للحياة بعد الموت .

والخلاصة أن من الواجب على الراغب في الإيمان والعلاقة بالآخرة أن يتذكر آخرته أكثر من المقدار الذي يتذكر به دنياه . . فينظر كم يتذكر دنياه في اليوم واللييلة ويكون تذكره لآخرته أكثر ليستطيع بذلك أن يقتلع من قلبه الجذور الخبيثة لحب الدنيا ويغرس بدلاً منها حب الله والآخرة (٨٩) .

(٨٩) ان قيل إن هذا لا ينسجم مع أوضاع حياة الناس اليوم لأننا في عصر مهما كان الوقت الذي يحدده أحدنا لأعماله فإنه يجد أن الوقت مضى وقد بقي عليه الكثير . . ثم إن هذا يصبح مستمسكاً للحمقى القائلين بأن الدين لا ينسجم مع عصرنا الحاضر . .

فنعول في الجواب :

أولاً : إن الناس اليوم يسرفون ويتجاوزون الحد في طلب الدنيا وبحجة الوصول إلى ما =

ومن الجدير بالذكر أن لمعاشرة أهل الآخرة وصحبتهم تأثيراً كبيراً في مجال الوصول إلى درجة الإيمان . . كما أن لصحبة أهل الدنيا - أي محبيها - ومعاشرتهم أضراراً كثيرة وقد تقدم ذكر ذلك بالتفصيل في قسم العقائد .

إضعاف حب الدنيا :

لتبريد القلب عن حب الدنيا وإشعاره بدفع محبة الله والرسول والآخرة لا بد من ملاحظة أمور :

= يشتهون من الملذات والتجملات والتشريفات والثروة ، حرموا أنفسهم وحرّموا عليها الإستقرار والراحة والهدوء وهم يركضون ليل نهار في حين أن هذا الجهد المفرط يدمر الأعصاب ويجعلها عرضة للأمراض ويتسبب في النتيجة بقصر الأعمار .

وثانياً : كلامنا في التفكير لا في العمل وما قلته هو أن على الإنسان أن يفكر بأمر حياته الخالدة أكثر من التفكير بأمر حياته الدنيوية القصيرة وأما العمل فقد ورد في روايات كثيرة أن الله لا يحب الكسول العاقل عن العمل الذي يكون كلاً على من سواه . . كما أن الإنسان الحريص الذي يفرط في حب الدنيا يبغضه الله تعالى . . والشخص الذي يقوم بالأعمال الدنيوية في حد الاعتدال إذا كان يقوم بذلك إطاعة لأمر الله فهو حبيب الله تعالى وعمله هذا وسيلة لتأمين حياته في الآخرة .

مثلاً : إذا كان جندياً فيكون هدفه حفظ أمن المسلمين واستقرارهم ومواجهة الأعداء وإذا كان موظفاً فيكون هدفه خدمة الناس ومساعدة العاجز . . وإذا كان يعمل في مجال الثقافة والتعليم فيكون هدفه تعليم الأطفال والشباب وتربيتهم تربية دينية . . وإذا كان يعمل في مجالات الصناعة ، التجارة ، الزراعة ، وأمثال ذلك فيكون هدفه الإشتغال بذلك لأن الله أمر به وأمر أيضاً بإصلاح المعاش والتوسعة على العيال (يراجع كتاب الوسائل) وكلما كان الهدف هو إطاعة أمر الله تعالى فإن عمله يكون عبادة يترتب عليها تأمين الآخرة .

ثالثاً : نحن لم نقل إن التفكير بالآخرة أكثر من الدنيا واجب بل قلنا إن من أراد أن يكون إيمانه صحيحاً ومستقيماً وقوياً يمكنه أن ينعم بخيراته فيجب أن يكون كذلك .

١ - الإكثار من التدبر في ما نقل في هذا البحث - كنماذج - من الآيات والروايات ليفهم المتدبر خطورة ذنب حب الدنيا حقيقة ، ويفهم أن الأساس الأصلي لكل ذنب قلبي وبدني هو حب الدنيا ، بحيث أنه إذا استؤصل فسيصبح بمأمن من شر الشيطان وارتكاب الذنب وأيضاً : إذا استؤصل حب الدنيا فقد أصبح بإمكانه أن يكون لديه إيمان سليم وعمل صالح ينفعه في آخرته . .

وما دام القلب ملوثاً بحب الدنيا فلن يعرف الشخص الإيمان الصحيح ولا العمل الصالح اللذان ينفعانه في الآخرة . . لأنه قد تقدم في بحث الإخلاص من هذا الكتاب بالتفصيل أن الأعمال الصالحة لا تنفع إلا إذا اقترنت بالنية الخالصة والصادقة ، ومحـب الدنيا لا يمكنه أن يتحلى بالصدق والإخلاص .

يمنع من التزود للآخرة :

ويكفي في خطورة ذنب حب الدنيا أنه يمنع من تهيئة الزاد لسفر الآخرة . . لأن الدنيا دار الزراعة . . والآخرة دار الحصاد الدنيا دار التجارة . . والآخرة دار الريح . . إذن . . ما يمنع الإنسان من الزراعة والتجارة ويجعله يرد الآخرة شقياً فقيراً ، يجب إعتباره أكبر ذنب وأشد خطر . . والنجاة منه أكثر وجوباً من أي شيء آخر، الهدف - مما تقدم - الاهتمام بذنب حب الدنيا والعلم بأنه ذنب قاتل ، وأصل جميع الأمراض النفسية والذنوب القلبية والجسدية فإذا كان السل والسرطان يقضيان على الحياة المادية الدنيوية ويتسببان بالإخلاص من آلام الحياة ، فإن مرض حب الدنيا يقضي على الحياة الروحية الإنسانية بحيث أن الشخص يصبح ميت عالم الروح ويحرم من سعادات الحياة الخالدة . . بل يبتلى بآلام الحياة وأنواع العذاب في الآخرة .

لا بد من معالجة الألم :

يجب العلم أنه ما من شخص يسلم قلبه من حب الدنيا لأن الإنسان منذ

أن يأتي إلى الدنيا ويتبلور فيه الشعور الحيواني يتعلق بالدنيا ويظل كذلك إلى أن يوجد فيه الشعور الإنساني ويطلع على حياته الخالدة . . . عندها يصبح واجباً عليه أن يصرف قلبه عن هذه الحياة المستعارة ويتعلق بحياته الأخرى .

بناءً على هذا فمن اللازم على كل فرد أن يعرف مراتب حب الدنيا الثلاث بالتفصيل المتقدم ويرى أية مرتبة من حب الدنيا في قلبه ثم يكون مستعداً جداً للعلاج .

الخطر إلى حافة القبر :

ويجب العلم أيضاً أن الإنسان في خطر ما دام في الدنيا . . . ويكمن الخطر في تقلب الحالات ، والتلون . .

مثلاً : من الممكن أن يكون في شهر أو سنة ما يحب الدنيا بالمرتبة الثالثة ثم بنتيجة كثرة الغفلة توجد في قلبه المرتبة الثانية . . وهكذا إلى أن توجد فيه المرتبة الأولى التي هي الكفر . .

والخلاصة أن المؤمن يجب أن يراقب قلبه وحاله وأن لا يتساهل في علاج نفسه . . وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في بحث القسوة .

الحرص الشديد والحزن المفرط :

يجب الإنتباه إلى أن من تلوث بحب الدنيا ، فإنه - بالإضافة إلى الهلاك الأبدي وأنواع العذاب في الآخرة والحرمان من السعادة - سيتلى في هذه الحياة بالعذاب والآلام والمحن إلى حد أنه يصبح يتمنى الموت ويشار إلى بعض ما يتلى به على سبيل الاختصار :

١ - الحرص الشديد . . إذا لم يكن لديه من الدنيا بعض ما يريد فإنه سيظل يركض حتى يحصل عليه وعندما يتحقق له ذلك سوف لن يستقر ويظل

يركض للحصول على المزيد إلى حد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : بين أنه لو كان للرجل واديان من ذهب لظل يطعم بالثالثة .

٢ - الحزن المفرط : ويظل في حزن دائم شديد الإضطراب من أجل مستقبله خشية الفقر وعدم تحقق رغباته ، وإذا فقد شيئاً مما حصل عليه من الدنيا من الإمكانات البدنية والمالية وسائر ما يحبه فإنه يتململ ويجار وتضيق عليه الدنيا بما رحبت . . ولا يقر له قرار .

الحسد ، الغضب ، عدم الورع :

٣ - ومن أحب الدنيا لا يستطيع أن يرى محبوبه مع غيره ، ويحترق للحصول غيره على النعم الدنيوية ويشب ضرامه ، حتى إذا كان هو قد حصل على بعض النعم . . إلا أنه لا يريد أن يحظى غيره بوصول محبوبه .

٤ - الغضب : محب الدنيا إذا واجهه في الحياة خلاف ما يرغب فإنه لا يستطيع أن يسيطر على نفسه فيغضب ويحترق بنار غضبه .

٥ - عدم الورع : ومحب الدنيا لا يفكر - وهو بصدد تحقيق رغباته - بعواقب الأمور ويصبح لا يتورع عن شيء ولا يقيم وزناً لأي شيء . . الأمر الذي يوقعه في كثير من الورط والصراعات والمهالك وقد تكون النتيجة موته في هذا السبيل .

٦ - التشديد عليه عند الموت : الذين يعشقون الدنيا يدركون عند الموت أنهم سينفصلون عن معشوقهم وإلى الأبد وواضح أي أثر يتركه ذلك فيهم . . وكلما كانت العلاقة بالدنيا أشد أصبح الانفصال عنها أصعب ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ سبأ ٥٤ .

والخلاصة أن الموت بالنسبة لمحبي الدنيا هو أول الفراق والانفصال

وبالنسبة لمحبي الآخرة أول الوصال والفوز ﴿وهم فيما اشتته أنفسهم خالدون﴾ (٩٠) الأنبياء ١٠٢ .

ومن الواضح أنه كلما ازداد تذوق الإنسان لحلاوة الدنيا ، وازداد ادخاره للثروة ، كان الموت والإنفصال عن ذلك أعظم حسرة عنده (٩١) .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « من كثر اشتباكه بالدنيا كان أشد

(٩٠) « عندما أصبح بلال من فرط الضعف مثل الهلال وخيم لون الموت عليه » .

« قال له صاحبه واحربا فقال له بلال واطربا » .

« لقد كنت حتى اليوم في حرب بسبب الحياة . . . ما يدريك أنت ما هو العيش وأي شيء يعني » .

« قال له صاحبه الفراق يا جميل الخصال فقال له كلا . . كلا . . إنه الوصال » .

« قال صاحبه اليوم تذهب غريباً فتغيب عن الأهل والاقارب » .

« قال : كلا ، كلا ، بل اليوم تنتقل روحي من الغربية إلى الوطن » .

« قال : يا روحي وقلبي واحسرتنا قال : كلا ، كلا بل وادولتنا » .

« قال أين يمكننا أن نرى وجهك قال : في جوار الله » .

« مضامين أبيات »

(٩١) يقال إن السلطان محمود الغزنوي كان شديد التعلق بالجواهر وقد بقي في فراش الموت ثلاثة أيام يعاني سكرات الموت فأمر بإحضار الجواهر التي جمعها من خزائن الهند وغيرها فأحضرت وبدؤوا يفتحون الصناديق أمامه . . فكان كلما نظر إلى جوهرة منها إشتد بكأؤه وتثقلت حمراته ثم شرب شربة الموت المرة (بالنسبة لأمثاله) بقلب مملوء بالحسرة ، والعجيب أنه حتى في تلك الحال لم يكن مستعداً لتقسيم بعضها بين الفقراء المستحقين .

« نقلاً عن زينة المجالس »

لحسرتة عند فراقها» (٩٢) .

« العالم الأفضل هو الذي يراه العارف مرأً فإن من يرى الحياة حلوة يموت ميتة صعبة » (٩٣) .

سوء العاقبة :

من كان متعلقاً بالحياة الدنيا يدرك عند الموت أنهم سيفصلونه عن معشوقه وأن ذلك أمر الله ، ولذا سيشعر قهراً بعداء الله والملك ومن دخل عالم الآخرة وهو يبغض الله فمصيره معلوم . . وإنه - بشهادة القرآن المجيد والروايات المتواترة - لا نجاة له من النار وعذابه أبدي ، وأحياناً يتمثل له ساعة الموت الشيء الذي كان متعلقاً به ، ويحمله على الكفر والشواهد على ذلك كثيرة ويكتفى هنا بقصتين :

أبو زكريا في سكرات الموت :

كان أبو زكريا الزاهد في سكرات الموت ، وكان معه أحد أصدقائه يلقيه فأعرض أبو زكريا بوجهه عنه فقال له ثانية : لا إله إلا الله فأعرض عنه أيضاً وقالها له ثالثة فقال : لا أقولها . . وأغمي عليه ، وبعد ساعة أفاق وفتح عينيه قائلاً : هل قلت لي شيئاً فقال صاحبه : لقناك كلمة الشهادة ثلاث مرات وفي الأولى والثانية أعرضت بوجهك وفي الثالثة قلت لا أقولها . .

فقال : اعلموا أن الشيطان جاءني مرتين يحمل قدحاً من الماء وقال : هل تريد ماءً قلت نعم ؟ قال : قل عيسى ابن الله فأعرضت بوجهي عنه وفي المرة الثالثة قال : قل لا إله ، فقلت لا أقول فرمى بقدح الماء وولى هارباً وكنت

(٩٢) أصول الكافي - حب الدنيا والحرص عليها .

(٩٣) مضمون بيت .

أقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن علياً ولي الله (٩٤) .

الليرات الذهبية ، ووثيقة الدّين عند الموت :

شخص آخر لقن الشهادة أثناء احتضاره فأعرض بوجهه . . وبعد أن أفاق وسئل عن سبب ذلك قال : أنا شديد التعلق بالذهب المسكوك . . وفي تلك الحال - الاحتضار - جاءني شخص يحمل طبقاً مملوءاً بالليرات الذهبية وقال لي : لا تقل كلمة الشهادة لأعطيك هذا الطبق ، وقد منعني النظر إلى تلك الليرات والتفرج عليها من النطق بالشهادة .

وآخر كانت له وثيقة دين على شخص . . فجاءه الشيطان حال الإحتضار وهدده بتمزيق هذه الوثيقة إذا أنطق بكلمة الشهادة فامتنع لذلك عن النطق بها (٩٥) .

ومن الجدير بالذكر أن الوسيلة الوحيدة لتسلط الشياطين هي حب الدنيا . . . إذن . . إذا كان حب الله والرسول والآخرة أقوى في قلب شخص فإن الله تعالى سيثبته - كما في قصة أبي زكريا الزاهد - ولن يستطيع الشيطان أن يمسّه بسوء ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ يوسف ١٣٤ .

الفرار من النصيحة :

يفر عشاق الدنيا عادة من استماع الحديث عن معائب الحياة الدنيا ونقائنها وعدم أهميتها وزوالها . . ينفرون من قراءة كتاب يذم الدنيا ويمدح الآخرة ،

(٩٤) لثاليء الأخبار .

(٩٥) منتخب التواريخ / ٨٥٤ .

يستوحشون من مجلس يذكرهم بالآخرة فقط .. يشير دهشتهم إسم الموت والقبر ، ويهزؤون بأهل الآخرة ، ومن الواضح أن العاشق ليس مستعداً لاستماع مذمة المعشوق التي توجب إعراض قلبه عنه ..

من هنا كان علاج مرض حب الدنيا في غاية الصعوبة والإشكال لأن المرض الذي يمكن علاجه هو المرض الذي يدرك المريض خطورته ويكون مستعداً لمعالجته .

عاشق الدنيا .. إذا قرأت عليه الآيات والروايات التي تقدمت حول حُرمة حب الدنيا ، وخوفته من خطورة هذا الذنب ، سوف لن يقبل ، وسيادر إلى المغالطة والسفسطة المغرضة ، محاولاً تفنيد الإجابات التي ذكرت في هذا البحث على اعتراضات محبي الدنيا المتعلقين بها ويأختصار إنه ليس مستعداً للإعتراف بأن حب الدنيا ذنب ليكون مهتماً بالتوبة منه .

وأيضاً : إذا دار الحديث معه عن آفات حب الدنيا وبلباتها ، ومشقاتها ومحنها ، وشقائاتها ، وأنواع الأمراض النفسية والجسدية التي تنتج عن حب الدنيا .. فإنه لا يفسح مجالاً لهذا الحديث ليصل إلى قلبه ، وليس على استعداد لأن يعتبر نفسه مريضاً ليكون بصدد العلاج واقتلاع حب الدنيا من قلبه والحصول على قلب سليم .

هكذا قيل للمجرب : أيها العم قال الحق تعالى ، ﴿اعملوا ما شئتم﴾ :
« فأجاب حيث أن الجدد والنصيحة والجلال لا تؤثر فيهم إلا تولد الخيال » .

فطريق الموعظة والنصيحة إلى نفوسهم مسدود ولذلك استحقوا أمر الله :

﴿أعرض عنهم﴾ (٩٦).

وهذا الفرار من النصيحة والنفور من ذكر الله والآخرة علامة أهل الدنيا كما أن علامة أهل الآخرة النفور من ذكر الدنيا وشهواتها ، وإطمئنان قلوبهم وأنسها وابتهاجها بذكر الله والآخرة (٩٧) .

(٩٦) مضامين أبيات والمعنى : سأل شخص شخصاً آخر خبيراً مجرباً فقال أيها العم ما معنى قول الله تعالى : ﴿إعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ فصلت ٤٠ فقال : هذا خطاب لقوم لا يعرفون الجدد ولا تؤثر فيهم النصيحة ولا يشعرون بجلال الله تعالى وعظمته ولا سبيل للموعظة إلى نفوسهم وقلوبهم وهم الذين استحقوا أمر ﴿أعرض عنهم﴾ وهذا الأمر قد ورد في عدة آيات من كتاب الله تعالى منها : ﴿والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله كيلاً﴾ النساء ٨١ .
(٩٧) ﴿ألا يذكر الله تطمئن القلوب﴾ الرعد ٢٨ .

يا مولاي بذكرك عاش قلبي ، ويمناجاتك بردت ألم الخوف عني « دعاء أبي حمزة الثمالي » .

يقال إن رجلاً دباغاً اعتادت حاسة شمه الروائح المتعفنة ، مريوماً في سوق العطارين ، وعندما تشق رائحة العطر - التي لم تكن تناسبه - أصابه دوار وأغمي عليه ، فجاء الناس بماء ورد ونضحوه على وجهه فازداد وضعه سوءاً ، وأدرك زميل له سبب إغمائه فقال للناس : دعوه فإنني خبير بدوائه ثم بحث عن فضلات كلب ففتها ثم وضعها في أنفه فأفاق ونشط وولى هارباً من العطارين . .

نعم . . إن من اعتاد جيفة الدنيا والتذُّ بالحلاوة الخادعة لذكر الدنيا وشهواتها ولذاتها . . كيف يمكنه أن يلتذُّ بحلاوة ذكر الله والآخرة التي تتنافى مع لذته بحلاوة الدنيا . . بل هي بالنسبة إليه مرارة ولذلك فهو يهرب منها ويعتبر أن الذي يذكره الله والآخرة جاهل لا يفقه شيئاً من أحوال العالم بل مجنون .

لأنهم ضلوا عن عطر الوحي وانحرفوا عنه أطلقوا صرختهم المشؤومة ﴿تطيرنا بكم﴾ .
« قالوا للأنبياء يعذبنا كلامكم ويمرضنا ولسنا نتفاعل بوعظكم . فإذا عدتم إلى نصحننا فسوف نرجمكم » .

=

يجب التدبر في القرآن :

من أجل نصيحة الناس ، وتنبيههم بين الله تعالى في القرآن المجيد حقيقة الحياة الدنيا وعدم أهميتها وفناءها مع ذكر أمثلة على ذلك ، لينجو أتباع القرآن من مهلكة حب الدنيا . .

وواجب كل مسلم أن يتدبر في آيات القرآن ويكرر تلاوتها حتى يحقق الهدف من هذه الآيات وهو الإعراض بقلبه عن حب الدنيا ، والتعلق بالآخرة . . وكنموذج يكتفى بذكر آية واحدة .

الدنيا لعبة ، ولهو ولغو :

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد (للكافرين) ومغفرة ورضوان (للمؤمنين) وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ الحديد ٢٠ .

هذه الآية الشريفة شرح لحياة أهل الدنيا . . توضيح ذلك : الناس منذ خلقهم الله تعالى وإلى نهاية الحياة على قسمين :

« تطيب لنا الحياة باللهو واللعب ولم تألف أنفسنا النصيحة » .

أصبح نوتنا الكذب واللهو والسخرية ونكاد نتقياً من هذا « البلاغ » .

مضامين أبيات

ومن هنا تعرف حكمة الإبتلاءات التي يتلي الله تعالى المؤمن بها وهي أن يشعر المؤمن بمرارة الدنيا . . وحلاوة الآخرة . . كالأم الحنون التي تضع المر على ثديها لينفر منه ويأكل الطعام اللذيذ الذي أعدته له ويألفه ويعتاد عليه ويلتذ به .

الأول : أهل الدنيا وهم الأكثر عدداً . . وهم الذين لا يرون أن لهم حياة أخرى غير الحياة الدنيا ولذلك فكل جهدهم منصب على الوصول إلى ما يشتهون .

الثاني : أهل الآخرة وهم دائماً قلة . . وقد أدركوا أن حياتهم الدنيا مقدمة ووسيلة للوصول إلى حياتهم الخالدة . . وحياة هؤلاء عقلانية ورحمانية وليست نفسانية وشيطانية . .

هدفهم من الحياة معرفة ربهم والإيمان به والعمل الصالح الذي ينفعهم في آخرتهم . . ومن هنا فإن كل جهدهم منصب على تحقيق هدفهم الإلهي بالتفصيل المتقدم . .

وكل عمل يؤديه الإنسان بهدف إلهي فرغم أن العمل نفسه يفنى إلا أن نتيجته وهي نور الطاعة باقي في ذاته وسينعم به في الحياة اللامتناهية . .

إذن حياة أهل الآخرة في الدنيا ليس لعبة ولغواً . . وأما أهل الدنيا فلأنهم لا يفكرون بالله والآخرة . . ومن هنا فإنهم لا يعملون صالحاً تبقى لهم نتيجته ، فإن جميع أفعالهم لغو وعبث أي أنها سريعة الزوال عديمة الفائدة . .

وفي الحقيقة إن جميع حياتهم من أول العمر إلى الموت لا تتجاوز أحد هذه الأمور الخمسة : اللعب ، واللهو ، الزينة ، التفاخر ، التكاثر في الأموال والأولاد ، وهذا إيضاح لكل منها على سبيل الاختصار .

اللعب :

كل عمل يقوم به الإنسان ، ليس له هدف سليم ، ونتيجة صحيحة ثابتة يسمى لعباً . . كالعمل الذي يقوم به الأطفال حين يجتمعون ويركضون ويلعبون بالماء والطين أو غيرهما . . فإنه عمل ليست له أية فائدة إلا تضييع الوقت .

بناءً على هذا فالشباب والشبية من أهل الدنيا الذين ليس لعملهم هدف إلهي ولا يعرفون سوى الهوى والهوس هم والأطفال سواء^(٩٨) لأن نتيجة جميع الجهود والأعمال حتى الثروة وطلب الرئاسة ليست إلا أموراً وهمية وخيالية . . وكل من يبذل جهداً من أجل شيء منها فإن نتيجته ليست كملاً ذاتياً وأمرأً ثابتاً . . بل هو باختصار تضييع للعمر في اللعب الأمر الذي يستلزم دخول العالم الآخر صفر اليدين خالي الوفاض . . والفرق الوحيد بين ذلك وبين لعب الأطفال أن لعب الأطفال أصغر وأقصر مدة . . وأعمال أهل الدنيا الكبار أكبر وأطول مدة . . وكما ينتهي لعب الأطفال بحلول الليل فإن لعب الكبار ينتهي بحلول الموت .

(٩٨) « يصنع الأطفال عند اللعب دكاناً لا ربح فيه إلا تضييع الوقت » .

« ويخيم الليل فيرجع كل منهم جائعاً إلى بيته الذي غادره ويقيم فيه الأم » .

« هذا العالم لعبة والموت هو الليل ، وسترجع خالي الكيس متعباً » .

« وستبقى وحيداً في بيت القبر تردد نداء واحسرتا » .

« رغم أن الأطفال يفرحون بلعبهم فعند الليل تشدهم رغبتهم إلى البيت » .

« ويصبح الطفل الصغير حافياً وقت اللعب ويسرق اللص قبعة وحذاء » .

« ويحل الليل ويصبح لعبه مملاً لكنه يستحي من الرجوع إلى البيت » .

« أو ما سمعت ﴿إنما الدنيا لعب﴾ حتى أضعت ما لديك وأصبحت خائفاً » .

« ابحث عن لباسك (التقوى) قبل أن يحل الليل ، ولا تضيع نهارك بالكلام » .

« هيا أيها الراكب تب ، وألق القبض على اللص واسترد منه لباسك » .

« مضامين أبيات »

اللهو :

كل عمل يشغل الإنسان عن القيام بعمل مهم ، يسمى « لهواً » كالطفل الذي ينشغل باللعب عن الذهاب إلى المدرسة والتعلم . . بناءً على هذا فجميع أعمال أهل الدنيا لهو ، لأنها تشغل عن أمر مهم أي الدار الآخرة والحياة الخالدة ، وتوضح أهمية عالم ما بعد الموت بالتفكير في نسبة المتناهي إلى اللامتناهي .

مهما طالت حياة الإنسان وسواء كانت مائة سنة أو أكثر فإنها ستنتهي وتفتنى لذاتها . . ولذلك فإن من ينشغل بها ويغفل عن حياته اللامتناهية ، لا يؤمر بعمله لهو .

أما أهل الآخرة فلأن هدفهم من كل عمل ينشغلون به هو هدف إلهي . . ويقومون بذلك إطاعة لأمر الله وهم باستمرار مهتمون بزيادة الإيمان الذي هو كمال ذاتي ومهتمون كذلك بزيادة العمل الصالح الذي هو رأسمال الآخرة فليسوا لاهين بل هم أذكياء وعقلاء ومفلحون .

الزينة :

من حسنّ منظر بدنه أو ثيابه أو أثاث منزله أو سائر علائقه المادية وأخفى عيوبها وجعل مظهرها جميلاً بحيث تثير الإنتباه فإن عمله هذا يسمى زينة ، كالنساء اللواتي يزينن أنفسهن لاستمالة قلوب الرجال فيخفين عيوبهن ويتظاهرن بما ليس فيهن غافلات عن أن هذه الزينة لا تنفع ، وأقل مرض أو فقر ، أو الوصول إلى الشيخوخة . . سييدي ما أخفين ويكشف عيوبهن فيفتضح أمرهن . . وفوق ذلك كله الموت الذي يكشف الحقيقة المرعبة .

والتأمل في أحوال أهل الدنيا يكشف أن حياتهم بشكل عام زينة وتظاهر

وستر للعيوب . . يحكمون بناء بيوتهم ليخفوا بذلك حقيقة فنائها ، يزینون ظاهر البيوت واللباس والأثاث بزينة خادعة ، ويهتمون بشدة بمختلف الموديلات ليظهروا أنفسهم بمظهر المتمدنين ، المؤدبين ، الغير محتاجين ، الذين يجيدون التصرف ، يبذلون الجهود للوصول إلى الرئاسة ليشبعوا غريزة حب الظهور ، يتظاهرون بالعلم والكمال ليخفوا بذلك جهلهم بعالم الحقيقة . .

يتظاهرون بحب الخير والعمل الصالح ليخفوا بذلك أنانيتهم وخيانتهم ، يذكرون إسم الله والآخرة والكتب السماوية ويتظاهرون بالتدين حتى لا ينكشف حبهـم للدنيا وميلهم الجامح للشهوات . .

والخلاصة بمقدار ما تلوث باطنهم بأنواع القبائح فإنهم يزینون ظاهرهم بأنواع الزينة . . تماماً بعكس أهل الآخرة الذين يزینون باطنهم - الذي هو مصب نظر الله - بزينة الإيمان .

وفضائل الإنسانية والقيم والأخلاق الحسنة ، والتقوى ، وأما زينة ظاهرهم فإنهم يهتمون بها إلى الحدود التي لا تتنافى مع الإنسانية والتقوى . . وبمقدار ما ورد الأمر بها في الشرع . . كتزین المرأة لزوجها ، أو النظر في المرأة قبل لقاء الآخرين ومجالستهم لتفادي كل ما لا يناسب ، والمحافظة على نظافة البدن والثياب . . أو كإظهار النعمة التي أنعم بها الله . . فإذا حصل الشخص على مبلغ من المال أكمل ما يحتاج الإكمال من بيته أو رممه ، وغير ذلك مما ذكر في باب الحياة الإسلامية (٩٩) .

والخلاصة أهل العقل وأولو اللب يقدمون على تزین الظاهر من منطلق إطاعة الأمر لا من منطلق التظاهر . . وهذا مما يزيد في زيتهم المعنوية والباطنية .

(٩٩) في وسائل الشيعة روايات كثيرة حول ذلك .

التفاخر :

يتباهى الغافلون عن حقيقة ما لديهم من الحياة الدنيا من تعلم الصنعة وزيادة الثروة ، والقدرة ، والشهرة والرئاسة ، والإمّياز بالحسب والنسب ، ويفتخرون به على من سواهم . . إلى حد أن البيض يفخّرون على السود ويتكبرون عليهم . . حتى باتت حياة الناس اليوم تنقضي في غمرة من التفاخر بالموهومات بدءاً من رئيس الدولتين الكبيرتين وإنهاء بأي شخصين عاديين . . ولأن الناس انشغلوا بالتباهي والتفاخر فإنهم لا يفكرون بمعرفة أنفسهم والله والحياة الخالدة ، ولا يبحثون عن الكمال الذاتي الذي ينتهي بالموت . .

وحقاً . . لو أنهم فكروا بعاقبة أمرهم والبقاء سنين طوالاً في بطن الأرض لخبّلوا من تفاخرهم وأقلعوا عنه .

وأما العارفون بالحقيقة فقد أدركوا أن أصل الحياة الدنيا بالنسبة لحياة عالم ما بعد الموت اللامتناهية لا تكاد تذكر فإنهم يرون جميع معلومات وممتلكات وعلائق هذه الحياة أوهاماً والتفاخر بها منافٍ للعقل (١٠٠) .

(١٠٠) « الدنيا كالْحَبَاب (الفقاع) ، ولكن أي حَبَاب ، إنه ليس على وجه الماء بل على وجه السراب » .

« ثم إن هذا السراب هو سراب يرى في المنام ، وهذا المنام أي منام ؟ إنه منام السكران السيء السكر التبعس » .

« أيها البستاني أراك غافلاً عن الخريف ، أو من ذلك اليوم الذي يحمل فيه الريح وردتك الجميلة » .

« قاطع طريق الدهر قد كمن لك فلا تأمنه ، فإذا لم يأخذك اليوم أخذك غداً » .

أوما سمعت بأن الشاه محمود الغزنوي أمضى ذات ليلة بنشاط داخل فرو السمر =

وما عدا الإيمان والتقوى اللذين هما كمال ذاتي يرى - العارفون بالحقيقة أن جميع بني البشر سواسية ، لا مزية لأحدهم على الآخر ولا يحق له أن يتباهى ويستعلي بما هو موهوم وغير ثابت ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

التكاثر في الأموال والأولاد :

الذين ظنوا أنفسهم ماديين وظنوا حياتهم هي هذه الحياة الدنيا فقط ورفضوا ما جاء به الأنبياء عن الحياة الخالدة . . هؤلاء أضاعوا الهدف من الحياة وانصرفوا إلى إيدخار المال المنقول منه وغير المنقول وانصرفوا كذلك إلى سائر العلائق المادية إنهم في الحقيقة قد فقدوا الشعور الإنساني ، لأن الهدف من المال هو رفع الإحتياجات المؤقتة . .

مثلاً : البيت لتأمين الإستقرار في فترة الحياة الدنيا ، الثياب ليتقي الحر والبرد وحفظ ماء الوجه ، الطعام لحفظ قوى البدن ، المرأة لإعمار الحياة ، ودفع الغريزة الجنسية وبقاء النسل ، وكذلك سائر الأمور الأخرى . .

بناءً على هذا فمن يجمع من المال ويدخر أكثر من مقدار حاجته ، ويبقى دائماً مثل جهنم يقول ﴿هل من مزيد﴾ وتصبح سيرته سيرة قارون ، قد انفصل عن سيرة العقلاء .

ألا يقول العاقل : ما الفرق في الإيدخار بين الحجر والذهب ؟ وهل تنفعه مدخراته هذه بعد انتهاء عمره القصير . .

= الثمين ، فيما كان فقير في تلك الليلة يبحث عن الدفء إلى جانب تنوره وعندما تنفس الصبح نهذه الشاه وقال : ليلة السمور مضت وليلة التنور مضت . « مضامين أبيات » .
والمراد بالبستاني الإنسان لأنه يزرع اليوم ما يواجه غداً . . كما أن المراد بقاطع طريق الدهر هو الموت .

ومن الغني عن البيان أنه ليس معنى هذا أن العقلاء وأهل الإيمان لا يسعون للحصول على المال والثروة ، أو أنهم إذا وصل إلى أيديهم مال يرمونه جانباً . . بل إنهم يطلبون المال ويحبونه ولكن من أجل رفع الاحتياجات الدنيوية وتأمين الحياة الخالدة . . وأنهم لا يحبون الثروة بالذات وبعبارة أخرى : يحصلون على المال من الطريق الذي أذن به الله تعالى ويصرفونه في السبل التي أمر بها سبحانه ، وهكذا يمرون دنياهم وآخرتهم^(١٠١) .

وفي مقابل هؤلاء ، أهل الدنيا الحريصون على الثروة فقط ، ويسعون للحصول عليها من أي طريق ممكن حتى إذا كان عن طريق امتصاص دم الضعفاء وسحقهم العاجزين . . ولأنهم معرضون عن الحياة الخالدة فهم في منتهى البخل عن صرفها في سبيل الله . .

والخلاصة علامة أهل الدنيا الحرص والبخل ، كما أن علامة المتدينين القناعة والسخاء .

يجب أن تعلم ، لا أن تقرأ :

يجب العلم أن الأمور الخمسة المذكورة في هذه الآية الشريفة في وصف

(١٠١) « ما هي الدنيا التي تسبب الغفلة عن الله ليست قماشاً وفضة وزوجة وولداً » .

إذا حملت المال من أجل الحق فهو المال الذي قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نعم مال صالح » .

« الماء في السفينة سبب لهلاك السفينة ، ومن فيها ، والماء خارج السفينة يساعدها على الوصول وبلوغ الهدف » .

« من أمكنه أن يطرد من قلبه المال والملك سوف لن يرى سليمان إلا مسكيناً » .

« مضامين أبيات »

الحياة الدنيا ، أمور ينبغي أن تُعلم ، لا أن تُقرأ لأنه سبحانه قال ﴿اعلموا﴾ أي يجب أن تعلموا أن الحياة الدنيا هي هكذا . . بناءً عليه فإن واجب أتباع القرآن أن يدققوا في ذلك ويقلّبوه ظهراً لبطن ليصبحوا عالمين وهكذا يتم شفاؤهم من مرض حب الدنيا .

وكذلك تجب الدقة في المثل المذكور في هذه الآية وعدة آيات أخرى ويطبقوا ذلك على الحياة الدنيا . .

وخلاصة المثل المذكور في هذه الآية أنه سبحانه شبه الحياة الدنيا بأرض خصبة ، ألقي فيها البذر ، ونزل عليها مطر مبارك نافع فاخضرت وازدهت ، بحيث أصبحت طراوتها تثير الانتباه والتعجب . . ثم إنها - بسبب الشمس أو بسبب آفة ما - إصفرّت وبست ، وتناثرت ثم إنها - بسبب رياح الخريف أو غير ذلك - تلاشت نهائياً .

« أنظر إلى ما على وجه الأرض عند إطلالة الربيع ، تجده كلوحة رائعة زينت بيتاً جميلاً » .

« وعندما تنظر إلى أوراق الرياحين في فصل الخريف تجدها إذا أنصفت تستحق أن تذروها الرياح » « مضامين أبيات » .

الشباب ربيع كان وانقضى :

كذلك هي مرحلة الشباب من عمر الإنسان كما نرى . . . حماسها ، وغضارتها ونضارتها يهددها الضعف والذبول والهرم والسلامة والصحة والاستقرار والهدوء يهددها المرض والألم وإختلال الأمن والحوادث المؤلمة . . إذا كان الشاب ثرياً وقوياً فإن الفقر والعجز له بالمرصاد . . وإذا كان حسن السمعة مشهوراً فإن سوء سمعته وإنزواءه حتميان .

وإذا كان في حركة ونشاط دائمين يملأ الجو ضجيجيه . . فإنه قطعاً
سيصبح هامداً منقطعاً خافت الصوت بطيء الحركة أو لا يقوى على الحراك
والمقبرة وأضرحة خير دليل لمن أراد معرفة الحقائق^(١٠٢) .

(١٠٢) « دع جانباً حديث الطفولة وعبادة الذات فإنه كان دواراً وسكراً » .

« عندما يتجاوز العمر الثلاثين بل العشرين فلا ينبغي للمرء أن يعيش كالغافلين » .
« يستمر نشاط العمر إلى الأربعين وعندما يتجاوز الإنسان الأربعين يتناثر ريشه ويصبح
مهبط الجناح » .

« تدوم سلامة الجسد أكثر من خمسة عقود ثم يخفت البصر وتضعف الرجل » .
« وبحلول الستين تظهر بوادر القعود ، وبحلول السبعين تتعطل أجهزة البدن » .
« وعندما تبلغ الثمانين والتسعين فما أشد الصعوبات التي تراها من الدنيا » .
« ثم إذا وصلت إلى محطة المائة فإنه الموت في شكل حياة » .
« كلب الصياد الذي يصطاد الغزال ، عندما يهرم فإن الغزال « يصطاده » » .
« عندما يظهر البياض في الشعر الأسود فقد ظهرت علامة اليأس » .
« ها انت قد اصبحت لابساً للكفن وسدوا أذنك بالقطن ، وأنت رغم ذلك مصر أن لا
تصغي إلى الحقيقة وتخرج هذه القطننة من أذنك » .

« مضامين أبيات للشاعر نظامي »

« من عادة هذا الفلك الأزرق ، مضى عمري وأصبحت ابن مائة عام » .
« وعلى رأسي كل سنة من هذا العمر تحسرت على الذكريات الجميلة في هذه السنة
المنصرمة » .

« ما أشد تعجبي من دوران هذا الفلك . . فقد استرد كل ما أعطاني إياه » .
« ذهب قوة الركبة والساعد ، وذهبت نضارة الخد وذهب لون الشعر » .
=

الدنيا دار عبرة :

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الدنيا : « ثم إن الدنيا دار فناءٍ وعناء وغير وعبر فمن الفناء أن الدهر موثر قوسه لا تخطيء سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب ، آكل لا يشبع وشارب لا ينقع ، ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله (يموت) لا مالاً حمل ولا بناءً نقل ، ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط مرحوماً ومن غيرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله » (١٠٣) ومعنى قوله عليه السلام « ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط

= « وانقرط عقد ثرياي ، وتناثر جواهر أسناني واحدة تلو الأخرى » .

« وما بقي لي ولا يعتريه خلل هو حمل الذنوب وطول الأمل » .

« ودوى صوت الرحيل : إنتقل ، فإن رفاق دربك راحلون » .

« آه من قلة الزاد ليوم المعاد فالزاد قليل والمسافة طويلة » .

« وعلى ظهري حمل ثقل كالطود ، بل يعجز الجبل عن حمل ما أحمله » .

« يا من الذنب أمام عفوك العظيم كالقشة أمام سيل الربيع » .

« إذا لم يأخذ فضلك بيدي ، إذا لم تعصمني بعصمتك » .

« فلن يؤدي طريقي إلا إلى جهنم وسيتعالى صراخي في سقر » .

« أنا غارق في لجة العصيان ، أنا الخجول ، وأنا الجاهل » .

« وأنت الخالق والرحمن ذو الإحسان . . أنت وحدك القادر على المغفرة المبشر

بها » .

(١٠٣) نهج البلاغة خ ١١٤ والشواهد التاريخية على كل من هذه الصفات الأربع ، الفناء

= العناء ، الغير ، العبر ، كثيرة لا تحصى يكفي هنا بنقل قصتين فقط :

مرحوماً » أن الشخص الذي يثير الشفقة والرحمة سرعان ما يصبح قوياً ثرياً
فيصبح مغبوطاً والعكس صحيح . . .

حديث علي عليه السلام عن زوال الدنيا :

وقال عليه السلام : « فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ، ولا تعجبوا
بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها ويؤسها فإن عزها وفخرها إلى نفاذ ، وكل
مدة فيها إلى إنتهاء وكل حي فيها إلى فناء أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر
وفي آباءكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون ، أو لم تروا إلى الماضين

= ١ - وقف جيش الأمير إسماعيل الساماني وكان عدده عشرة آلاف فارساً في مقابل عمرو
ابن ليث وجيشه الذي كان سبعين ألفاً . . وعندما اقتربت ساعة النزال وقرعت طبول
الحرب جمحت فرس عمرو ونفرت وحملته إلى معسكر الأعداء فألقى الأمير إسماعيل
القبض عليه دون أن يحتاج إلى استعمال سيف أو رمح . . وحجسه في خيمة . . . ويقال
إن عمرو رأى في ذلك اليوم - وهو سجين - أحد غلمانه الذين كانوا معه سابقاً فشكى إليه
الجوع ، فجاءه بقطعة لحم وحيث لم يجد قدراً وضعها في سطل الإسطل وأضرم النار
تحتها ومضى . . فجاء كلب ووضع رأسه في السطل فأحس بالحرارة . . وأراد الهروب
فعلق السطل برقبتة . . ورأى عمرو ذلك فضحك . . . وعندما سأله حارسه عن سبب
ضحكه قال :

هذا اليوم شكى مسؤول المطبخ عندي من أن ثلاثمائة دابة لا تكفي لحمل لوازم
المطبخ وما أنا أرى الآن كلباً يكفي لحمل مطبخي . عن « حبيب السير » .

٢ - استمر حكم القاهرة بالله الخليفة العباسي سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام ادخر فيها
أموالاً لا تحصى وكان غاية في الفساد وإراقة الدماء والقسوة . . ثم ألقى الأتراك القبض
عليه وأدخلوا ميل حديد في عينيه ثم طردوه من قصر الخلافة ، فكانت عاقبة أمره أنه كان
يقف على باب المسجد يتسول كسائر العميان ويقول : أيها الناس تصدقوا على من كان
سلطانكم ، وكان يحكمكم

« عن تمة المنتهى »

منكم لا يرجعون ؟ وإلى الخلف الباقي لا يبقون ؟ أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود ، وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه « (١٠٤) .

العمى عن الآخرة ، يطلبون الدنيا :

وقال عليه السلام : « وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى ، لا يبصر مما وراءها شيئاً ، والبصير ينفذها بصره ، ويعلم أن الدار وراءها ، فالبصير منها شاخص ، والأعمى إليها شاخص ، والبصير منها تزود والأعمى لها تزود واعلموا أنه ليس من شيء إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله إلا الحياة فإنه لا يجد له في الموت راحة » (١٠٥) .

فمتى . . تفكرون في المعاد :

دخل أمير المؤمنين عليه السلام سوق البصرة فنظر إلى الناس يبيعون ويشترون ، فبكى بكاءً شديداً ثم قال : يا عبيد الدنيا وعمال أهلها ، إذا كنتم بالنهار تحلفون وبالليل في فراشكم تنامون ، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون ، فمتى تجهزون الزاد وتفكرون في المعاد ؟ فقال له رجل يا أمير المؤمنين إنه لا بد لنا من المعاش فكيف نصنع ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن طلب المعاش من حله لا يشغل عن عمل الآخرة فإن قلت لا بد لنا من الإحتكار لم تكن معذوراً ، فولى الرجل باكياً ، فقال له عليه السلام : أقبل عليّ أزدك بياناً فعاد الرجل إليه فقال له :

(١٠٤) نهج البلاغة خ ٩٩ .

(١٠٥) نهج البلاغة خ ١٣٣ .

إعلم يا عبدالله أن كل عاملٍ في الدنيا للآخرة لا بد أن يوفى أجر عمله في الآخرة وكل عامل في الدنيا للدنيا عماله (أجرته) في الآخرة نار جهنم ثم تلا قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ طَفَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَلِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ . (١٠٦) .

علي عليه السلام ينهى عن الإفراط والتفريط :

كان العلاء بن زياد الحارثي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقد دخل عليه الإمام في البصرة يعوده فلما رأى سعة داره قال : « ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا ، وأنت إليها في الآخرة أحوج ؟ وبلى . . إن شئت بلغت بها الآخرة ، تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم ، وتطلع منها الحقوق مطالعها ، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة » .

فقال العلاء : يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخِي عاصم بن زياد ، قال : وماله ؟ قال : لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا ، قال : عليّ به ، فلما جاء قال : يا عُدِي نفسه ! لقد استهام بك الخبيث ! أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها ، أنت أهون على الله من ذلك . . قال : يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ، قال : ويحك ، إني لست كأنت ، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره » (١٠٧) .

التنعم بالدنيا حرمان في الآخرة :

قال الإمام الصادق عليه السلام : إنا لنحب الدنيا ، وأن لا نؤتاها خير لنا

(١٠٦) بحار الأنوار / ٧٧/ ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(١٠٧) نهج البلاغة خ ٢٠٩ .

من أن نؤتاها ، وما أوتي ابن آدم منها شيئاً إلا نقص حظه من الآخرة» (١٠٨) .

وعن ابن أبي يعفور قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنا لنحب الدنيا فقال لي : تصنع بها ماذا ؟ قلت : أتزوج منها وأحج وأنفق على عيالي وأنيل إخواني وأتصدق ، قال لي : ليس هذا من الدنيا ، هذا من الآخرة » (١٠٩) .

نور الحكمة للزاهد في الدنيا :

وقال عليه السلام : « من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام » (١١٠) .

وقال : « جعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا » ثم قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، « لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا » ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : « حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا » (١١١) .

ما هو الزهد ومن هو الزاهد ؟

الزهد هو عدم الرغبة في الدنيا واجتنابها وعدم التعامل معها على طريقة أهل الدنيا .

روى المجلسي في تفسير الزهد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله

(١٠٨) ميزان الحكمة ٣/٣٢٦ نقلاً عن البحار ٨١/٧١ وغيره .

(١٠٩) بحار الأنوار ١٠٦/٧٣ .

(١١٠) أصول الكافي - باب ذم الدنيا والزهد فيها .

(١١١) المصدر السابق .

وسلم) أنه قال : قلت : يا جبرئيل فما تفسير الزهد ؟ قال : الزاهد يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه ، ويتخرج من حلال الدنيا ولا يلتفت إلى حرامها ، فإن حلالها حساب وحرامها عقاب ، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ، ويتخرج من الكلام كما يتخرج من الميتة التي قد اشتد نيتها ويتخرج عن حطام الدنيا وزينتها كما يتجنب النار أن تغشاه ، ويقصر أمله وكان بين عينيه أجله^(١١٢) .

الدنيا في أمثلة :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى تقتله »^(١١٣) .

حقاً إن الحريص على الدنيا تزداد نار عطشه إليه إضطراباً ، وكلما حصل على شيء من الدنيا إزداد إحساساً بالحاجة ، وقد تقدم ذكر ذلك .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً^(١١٤) .

والواقع أن الحريص على الدنيا أسوأ من دودة القز ، لأن دودة القز التي تسجن في نسيجها لا تموت إذا لم تحرقها حرارة الشمس ، بل إنها تمزق شرنقتها ، وقد تنقذ نفسها وتطير ، ولكن الحريص على الدنيا لا يحاول النجاة أبداً ولا يبذل أي جهد من أجل ذلك والإقلال من العلائق . . وتبقى إنسانيته ميتة إلى أن يحترق بنار جهنم .

(١١٢) ميزان الحكمة ٢٥٣/٤ عن البحار ٢٠/٧٧ .

(١١٣ - ١١٤) الكافي - باب ذم الدنيا والزهد فيها .

وفي جوفها السم الناقع :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إن في كتاب علي عليه السلام إنما مثل الدنيا كمثل الحية ، ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرهما الرجل العاقل ، ويهوي إليها الصبي الجاهل » (١١٥) .

حقاً . . إن ظاهر الدنيا جذاب ، وزخارفها وبها رجها خداعة لأصحاب الرؤية المحدودة . . ولكن العقلاء والمفكرين بعواقب الأمور يعلمون أن حب الدنيا والتعلق بها سم قاتل ، يخرج الإنسان نهائياً من دائرة الإنسانية ويحيل الحياة لديه علقماً ، بحيث أنه كلما ازداد بها تعلقاً وركض خلفها أكثر كلما إزدادت مصائبه وآلامه ومعاناته كما تقدم . من هنا أمكن القول أن الدنيا أسوأ من الحية . . لأن الحية وإن كان في جوفها السم القاتل إلا أن في جوفها أيضاً « الترياق » وهو مضاد للسم ، بحجم بندقة سوداء ، إذا وضعت على مكان عضه الحية شفي المصاب بشمها . . والحية غالباً لا تؤذي من لا يؤذيها ولكن الدنيا تؤذي محبيها أكثر من غيرهم .

قصة عجيبة عن الحية :

يقول في الأنوار النعمانية :

حكى لي ثقة من أصدقائي ، أنه كان في بيتهم حية وكان معها فراخها قال : فأردنا أن ننظر إليها يوماً ، فلما خرجت بادرنا إلى فراخها فوضعناها تحت قدر وخرجنا من البيت ، فلما أتت إلى فراخها فلم ترها ، عمدت إلى البيت وفتشت فيه فلم تجدها ، فلما يشئت أتت إلى لبن في البيت فدخلت فيه وشربت

(١١٥) المصدر السابق .

منه وقاءته حتى صار أصفر من السم ، وخرجت من البيت فعمدنا إلى فراخها ووضعناها حيث كانت ورجعت مرة أخرى فلما رأتها أتت إلى ذلك اللبن ودخلت فيه وخرجت منه فوضعت نفسها على التراب ودخلت في اللبن وظلت تكرر ذلك حتى صار اللبن بلون التراب فتركته وإنما فعلت ذلك حتى لا نشربه^(١١٦) .

ونحبها . . رغم المساوىء :

والعجيب أن الإنسان يظل يعشق الدنيا معانقاً لها رغم كل مراراتها ولساعاتها السامة التي تصيبه من الدنيا وأهل الدنيا ورغم كل الآلام والإخفاقات ولا يعرض عنها ، وإذا نصحه محب للخير وقال له : الدنيا لا تستحق الحب . . فكر بأخرتك فهي دار البقاء وتستحق الحب . . فإنه يستاء ويبادر إلى المغالطة ويرفض النصيحة .

موعظة لقمان لابنه :

قال لقمان لابنه إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها الكثرون ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الإيمان ، وشراعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر^(١١٧) .

قال أحد الأكابر^(١١٨) في شرح تشبيه الدنيا ببحر عميق : يا قرين الأطفال (في اللعب) ويا حمال الأثقال ، أيها المحبوس في بئر الجاه المسموم من أفعى المال ، يا غريق بحر الدنيا ، وأسير هموم الآمال ، ألم تسمع ولم تقرأ

(١١٦) الأنوار النعمانية ١٠٣/١٠٢/٣ بتصرف .

(١١٧) أصول الكافي كتاب العقل .

(١١٨) هو المرحوم آية الله الشيخ حسينقلي (عبد الحسين) الهمداني ، تولى التدريس بعد وفاة أستاذه الشيخ الأنصاري بفترة وجيزة وتوفي سنة ١٣١١ هـ . ودفن في دار حرم سيد الشهداء عليه السلام .

﴿إنما الدنيا لعب ولهو﴾ .

الم نسمع ما قاله ذلك الحكيم العالم بالغيب ، المنزه عن كل شين وعيب
(لقمان) عندما قال لولده : « يا بني إن الدنيا بحر عميق غرق فيها الأكثرون »
(أنا) الحقير أقول عن تحقيق « ونحن منهم » .

وإذا أردت أن تفهم عمق حكمته ، فكر في حقيقة لفظ « عميق » وانظر ما
أكثر جواهر الحكمة التي أدرجها في هذا الصندوق الصغير ، ويكفي أن تعلم :
أن في البحر حوتاً ، وسمكاً ، وحيوانات عجيبة كثيرة ، ومهالكه الغريبة
لا تحصى ..

جزرة المهولة أذابت شجاعة الأسود .. وجبال المخيفة غابت كثيراً من
الناس (من صفحة هذا الوجود) .

أصل هذا البحر وساحته ناشئان من ظلمة الجهل ، ومستقرهما أودية
أراضي أهل الغفلة .

أمواج آمال هذا البحر طالما عصفت بسفن العمر فأفتتها .. وجبال همومه
طالما حالت دون تفتح براعم الأحلام .

وأفاعي معاصيه المهلكة أهلكت بسمها الكثيرين ، وحيثان صفاته
المذمومة إبتلعت العديدين ...

وماء محبته المر والمالح كم أعمى الناس وسلب النور من عيونهم .. كل
من غرق في هذا البحر ، أطلع رأسه من بين أطباق نار الجحيم .. وسيبقى في
العذاب الأليم ..

ناس هذا البحر هم النسناس^(١١٩) وسباحتهم في هذا البحر إلى ساحة
الوسواس . .

وقراصنته هم جنود إبليس ، وأسلحة حربهم الخدعة والتلبيس إذا سألت
عن عمق هذا البحر فسأقول لك : لا يتناهى . .

وإذا كنت لا تصدق فانظر إلى غواصي هذا البحر ، يعني أهل الدنيا من
الأولين والآخرين ، فسترى أنهم جميعاً غرقوا فيه ، ولم يصل أحد إلى قعره . .

وإذا أردت أن تفهم ذلك أفضل ، فانظر إلى حالك الخرب (التعيس)
فسترى أنك مهما كنت تملك تظل تطلب المزيد ، ولا يقف حرصك عند
حد . .

يا سيدي . . كيف أذلت هذه الدنيا الناس ، وجعلت قلوبهم التي خلقت
للمحبة والمعرفة إسطبلًا للخيل والبغال . . جوارحهم متعفنة من القاذورات ،
وقلوبهم لا تعرف الخضوع والخشوع آنأً (من الآنات) ولم يذوقوا ذرة من
حلاوة الطاعة لا في كيانهم من التوبة أثر ، ولا في أوهام تفكيرهم النحس عن
الله جل جلاله خبر . . .

ليل نهار ، يمزقون بسيف لسانهم وسانه عرض المسلمين (كرامتهم)
وما لهم وعصمتهم إرباً إرباً . .

قلوبهم خالية من الذكر والفكر مملوءة بالحيلة والمكر . .

أوثقوا يد العقل وأطلقوا يد الهوى . . .

(١١٩) :نسناس : نوع من القرودة صغير الجسم طويل الذنب (المعجم الوجيز) .

أية جراحات أثخنت بها تلك الأيدي كبد الدين ..

وأية مصائب ألحقها بالشرع الشريف ..

خلعوا لباس الإلهيين ، وارتدوا ثياب الإفرنجيين إستبدلوا أطعمة الإسلام
وأشربته بسم النصارى والدهريين وزقومهم ..

تركوا آداب الشرع والتزموا بآداب الكفر .

سوق الكفر والشرك في بلادهم معمورة ، وسوق إسلامهم خربة
(مهجورة) ..

وافضيحناه .. عسكر الكفر في بلاد وجودنا منصور ومسرور وجيش
الإسلام مقتول ومأسور .

لا نحن في عاقبة أمرنا فكّرنا ، ولا بسياسات الله (جميل صنعه) في
الأمم الماضية إعتبرنا ..

قضية أبابيل الهائلة ، وقصة فرعون وقابيل ظنناها مزاحاً ..

الأرض التي ابتلعت قارون مع كنوزه العظيمة موجودة معنا نحن العوج
المصابون بالدور .

يا روجي ...

الرياح التي أدب بها قوم هود ، هي الآن مطيعة لذلك القادر الحليم ..

إذا كنت أنت قد تجرأت على التمرد على إطاعة أمر ذلك السلطان العظيم
الشأن ، فالتراب والماء والرياح والطين والحجر أذلاء ومنقادون له ...

بلى .. لقد انطلت عليهم حيلة صبره وحلمه ، فغفلوا عن سلطته
العظيمة ، فنزعوا لباس الخجل والحياء ، وتابعوا خطى الجرأة ، فارتكبوا

المعصية في حضور عزه وجلاله ..

ألست ترى أن حكم المحكم جارٍ في السماوات والأرض ألم تقرأ أن السماء تنشر (تتناثر) في يوم النشور ...

بلى .. ماذا أقول عن شذلك اليوم المليء بالآه والحرقة الذي أذاب خوفه قلوب الخائفين .. وكيف لا تذوب وهي خائفة مضطربة من يوم أرضه نار محرقة ، وصراطه أحدٌ من السيف القاطع ، العقول متطايرة ، والدموع منهمرة ، نجومه متناثرة ، وناسه كالجراد المنتشر ، هوله عظيم ، والأنبياء في إضطراب وخوف ، الأخيار مدهوشون ، والأبرار أغمي عليهم (لا يعون) الشدائد كثيرة والمحن لا تحصى ...

الشمس من فوق (رؤوس العباد) والأرض كتثور الحداد ...

الأبدان غارقة في العرق ، واللحوم والعظام تحترق ...

أحاطت جهنم بهم وسدت في وجوههم سبل الفرار ...

الظالم خجل ، والعاقل بدمعه خضل ...

الصحف تتطاير عن اليمين واليسار .. الناس في دهشة وانتظار ،

والملائكة الغلاظ الشداد يروحون ويجيئون ينفذون العقوبة الإلهية في المردة والعصاة ويتشددون ..

أحد أسماء ذلك اليوم الحساب والآخر يوم التناد ...

من جهة ينادي المنادي ضاحكاً مستبشراً : يا أهل الجنة اركبوا ..

ومن جهة أخرى ينادي : يا أهل النار اخسؤوا واحد يُكسى خلعة (حلة)

وآخر يسحب (على وجهه) طائفة أسكرها الشراب الطهور ، وقوم ترك الضريع والزقوم أكبادهم إرباً إرباً ...

في حيرة من أمري أنا .. لست أدري أعن قهره (وانتقامه) أتحدث أم
عن عطفه (وحنانه) .

أهل قهره الترابيون .. وأهل عطفه الأفلاكيون .. أي الذين أوصلوا
أنفسهم إلى الأفلاك النورانية ولا يقيمون وزناً لهذه الأفلاك (غير
النورانية) جسمهم روح وروحهم في عرش الرحمن ...

يا فداء لقلوب أشرق فيها النور الإلهي جل جلاله وجلالة مرتبتهم لا
تتناهى .

فصلوا أنفسهم عن العالم واتصلوا بعالم الأنوار فاستناروا بنور المعرفة ،
مُنحوا خلعة المحبة وركل زهدهم الدنيا .. ونبت توكلهم في أرض التوحيد ..
نفروا من خلق هذا العالم ، واطمأنوا إلى مقام القرب ...

فكرهم نور وذكرهم نور ، وباطنهم وظاهرهم وجسمهم وروحهم وخيالهم
وعقلهم وجنانهم كله نور وغارق في بحر النور ...

كفى !!! ..

أين أنا - اللاطاهر - من مدح الطاهرين ووصفهم ؟ أمثالنا نحن .. يجب
أن نهتم بالوصول إلى ترك المعصية إذا كنا قد أحكمنا أصل الإيمان ..

لقد خدعتنا الدنيا وأصمتنا وأعمتنا بحيث أن مثل هذه المواعظ لا تؤثر أبداً
في قلوبنا القاسية ..

كل ما أعرفه أن واجب المريض الرجوع إلى الطبيب وإطاعته ، وواجب
الطبيب المعالجة ..

والآن لا المريض مطيع .. ولا الطبيب حاذق ..

ولكن إذا كان المريض مطيعاً فإن الله الرحيم سيوصله دون شك إلى
طبيب حاذق . .

وإن لم يكن مطيعاً . . فالسكوت أولى . . .

« نهاية بحث حب الدنيا »

١١ . العزم على الذنب
والرضا به

من الذنوب القلبية ، العزم على الذنب والرضا به .

على كل مسلم أن يوطن نفسه أي يحتم عليها الإجتنا ب عن جميع الذنوب وإذا عرض ذنب ومال إليه فيجب عليه أن يكف نفسه عنه أي يمتنع عن إرتكابه وأن لا يعزم ويقصد القيام به .

بناءً على هذا . . فإذا قصد الذنب وعزم على إرتكابه ، فإن هذا العزم ذنب قلبي وفاعله مستحق للعقوبة الإلهية أي عقوبة التمرد والطغيان والخروج على أمر الله .

وإذا إرتكب ذلك الذنب ، فقد إستحق أيضاً عقوبة ذلك الذنب ، أي أنه مستحق لعقوبة أشد . .

مثلاً : إذا أصبح شخص جاهزاً لقتل بريء ، فقصده هذا هو ذنبه القلبي ويجب عليه أن يفسخ هذا العزم الشيطاني ، والتوبة منه واجب فوري . . وإذا لم يتب وأصر على عزمه واستمر فإن ذلك في حد ذاته ذنب تنبغي العقوبة عليه . . ولو أنه مات في هذه الحال فقد مات مذنباً وهو مستحق للعذاب . .

وإذا حال حائل آخر من تحقق القتل فإن إستحقاق العقوبة على العزم على الذنب باقٍ على حاله والتوبة منه واجبة .

وينضج من هذا العرض إستحقاق العقوبة على الذنب القلبي قائم وموجود في جميع موارد التجري (إضمار السوء جرأة على أمر الله) والتوبة منه واجبة .

موارد التجري :

مثلاً : ظن شخص براءة شخص آخر ، وقتله بقصد إراقة دم لا تجوز إراقاته ثم اكتشف فيما بعد أن هذا المقتول كان مهدور الدم كأن يكون كافراً حربياً أو مرتدّاً . .

أو : إمراة يقاربها شخص تعتقد أنه أجنبي وتقدم على ذلك بقصد الزنا ثم يتبين أنه زوجها . .

أو يشرب شخص كأساً بقصد شرب الخمر ثم يكتشف أنه سائل حلال . .

أو يسرق مالاً من آخر ، أو يأخذه غصباً ثم يتبين أنه ماله أو يقارب زوجته وهو معتقد أنها حائض ثم يتبين أنها في طهر . .

والشخص المتجري تجب عليه التوبة لأنه ارتكب ذنباً قليلاً هو العزم على الذنب واستحق بذلك العقوبة .

الآيات والروايات :

١ - ﴿إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
الإسراء ٣٧ .

أي يقال للإنسان يوم القيامة لم سمعت ما لم يكن ينبغي لك أن تسمعه ولم نظرت إلى ما لم يكن ينبغي لك أن تنظر إليه ، ولم عزمت على ما لم يكن يحل لك أن تعزم عليه .

قال البيضاوي وسائر علماء العامة إن هذه الآية دالة على أن العبد سيؤاخذ بالعزم على الذنب .

يسأل عن السر والعلن :

٢ - ﴿إِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة ٢٨٤ .

هذه الآية الشريفة عامة وهي تشمل الاعتقادات والملكات والنيات . . أي أن كل عقيدة وخلق وعزيمة خيراً كانت أم شراً أفسحت لها مجاًلاً في باطنك وثبت عليها واستقرت . . فإن الله تعالى سيحاسبك على ذلك ويجازيك . . (إلا أن الخواطر العابرة التي لا تستقر في القلب لا يحاسب الله عليها لأنها ليست إختيارية كما سيأتي) .

ويجازى أيضاً على العزم :

قال في تفسير مجمع البيان :

وإنما يؤاخذ الإنسان بما يعزم ويعقد قلبه عليه ، مع إمكان التحفظ عنه فيصير من أفعال القلب ، فيجازيه به كما يجازيه بأفعال الجوارح ، وإنما يجازيه جزاء العزم لإجزاء عين تلك المعصية لأنه لم يباشرها (أي أن من نوى القتل إلا أنه لم يتمكن من تحقيقه فإنه يجازى على عزمه ونيته لا على القتل لأنه لم يفعله) وهذا بخلاف العزم على الطاعة فإن العازم على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الأخبار أن المنتظر للصلاة (يكون)

في الصلاة ما دام ينتظرها ، وهذا من لطائف نعم الله على عباده^(١) .

الوعيد على إشاعة الفحشاء :

٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ النور ١٩ .

والمراد بالفحشاء كالزنا والقذف وأنواع القبائح . . وفي هذه الآية الشريفة اعتبر حب الذنب (إشاعة الفحشاء) ذنباً يستحق الوعيد بالمجازاة الإلهية .

الجنة لمن ؟

٤- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص ٨٣ .

والمراد بالفساد في الآية هو كل ذنب . . لأن كل ذنب يوجب الفساد في الأرض إما بواسطة أو بلا واسطة . . وبناءً على هذا فإن الإرادة القلبية لأي ذنب تمنع من دخول الجنة ، لكن يمكن القول إن الفساد وإن كان عاماً وشاملاً لكل ذنب ، لكنه خصص بالكبائر من الذنوب ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ آل عمران ٣١ .

والخلاصة إن الإرادة القلبية للذنوب الذي هو من الكبائر والميل إليه ومن جملة ذلك إرادة العلو على الناس هي ذنب يمنع من دخول الجنة .

لماذا قتلوا الأنبياء :

٥- ﴿فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ آل عمران ١٨٣ .

(١) مجمع البيان

هذه الآية خطاب لليهود في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسألهم تعالى لماذا قتلتم أنبياءكم . . مع أن الذين قتلوا الأنبياء هم الماضون لا أولئك المخاطبون . . إلا أنهم لرضاهم بفعل أسلافهم وميلهم إليه فكأنهم هم الذين قتلوهم . .

بناءً على هذا فالرضا بالذنب ، ذنب ويستحق المجازاة . .

يسأل الله على النية :

٦ - ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ البقرة ٢٢٥ .

قال في تفسير الجوامع : « كسب القلب ، العقد والنية » .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إنما يحشر الناس على نياتهم »^(٢) .

وقال : « إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى : ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال على نيته »^(٣) .

النية إما أحسن من العمل أو أسوأ :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله »^(٤) .

وروى الصدوق في علل الشرائع عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كان

(٢) الوسائل - كتاب الطهارة - باب ٥ .

(٣) أصول الكافي - باب النية .

(٤) المصدر السابق .

يقول : « نية المؤمن خير من عمله وذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله وذلك لأن الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه »^(٥) .

القاتل والمقتول في النار :

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ، قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : لأنه أراد قتل صاحبه »^(٦) .

الملعونون :

لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخمر عشرة غارسها ، وحارسها ، وعاصرها وشاربها وساقها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها^(٧) .

وكما تلاحظ . . إن أكثر هؤلاء المذكورين إنما لعنوا بسبب إرادتهم تهية الخمر ، وعزمهم على ذلك .

من أخاف مؤمناً فهو في النار :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « من روع مؤمناً بسلطان ليصبيه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصبيه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار »^(٨) .

(٥) ميزان الحكمة ٢٨٣/١٠ عن البحار ٢٠٦/٧٠ .

(٦) رسائل الشيخ الأنصاري - ٧ .

(٧) الوسائل كتاب الأطعمة باب ٣٤ .

(٨) الكافي - باب من أخاف مؤمناً .

بناءً على هذا فإذا وشى شخص بآخر إلى السلطان بقصد الإضرار به بماله أو بعرضه (كرامته) أو روحه . . فإن هذا الشخص في النار بسبب القصد الذي قصده حتى إذا لم يصل إلى ذلك الشخص ضرر من السلطان .

الراضي بعملٍ ، شريك فيه :

قال علي عليه السلام : « الراضي بفعل قوم كالداخل معهم فيهم ، وعلى كل داخل في باطل إثمَان ، إثم العمل به وإثم الرضا به »^(٩) .
ولكن على الراضي بالباطل دون الدخول فيه إثم الرضا به فقط . . .

الإمام المنتظر يثأر :

روي عن عبد السلام بن صالح الهروي أنه قال : « قلت لإبي الحسن الرضا عليه السلام : يا بن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم فقال عليه السلام هو كذلك ، فقلت : وقول الله عز وجل ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ما معناه ؟

قال صدق الله في جميع أقواله ، ولكن ذراري قتلة الحسين (ع) يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أن رجلاً قُتل بالمشرق ، فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القتاتل ، وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم »^(١٠) .

(٩) وسائل الشيعة - كتاب الأمر بالمعروف باب ٥ .

(١٠) في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . قال عموم الفقهاء : يجب الإنكار =

عقر الناقة واحد ، فعمهم بالعذاب :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « يا أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا والسخط وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ » (١١) ويتضح جيداً من هذه الروايات - ومن غيرها مما لم ينقل رعاية للإختصار - أن الرضا بالذنب حرام . . إذن العزم على الذنب الذي هو في مرحلة تالية للرضا حرام وذنب بطريق أولى .

الروايات تؤيد حكم العقل :

ومن الجدير بالذكر أن ما ذكر من الآيات والروايات لإثبات الحرمة الشرعية للعزم على الذنب يؤيد حكم العقل بإستحقاق العقوبة على ذلك لأن من عزم على الذنب وجزم يحكم العقل بإستحقاقه المؤاخظة وإستحقاقه مرتبة من العقوبة ، لأنه في تلك الحال تمرد على أمر الله وإذا إرتكب ذلك الذنب

= القلبي على كل مكلف في مقابل أي ذنب . . في أي حال . . وفي قواعد العلامة وشرح الإرشاد للأردبيلي والجواهر وغيره التصريح بأن معنى الإنكار القلبي ، عدم الرضا بالذنب . بناء على هذا فرضا الإنسان بذنب نفسه والعزم عليه حرام وذنب بطريق أولى ، خصوصاً بملاحظة أن أمير المؤمنين عليه السلام : قال : « لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له ، والناهين عن المنكر العاملين به » نهج البلاغة - ١٢٩ إذن من لم يرضَ بذنب صدر من غيره ، وغضب لذلك ، ولكنه يرضى بذنبه هو نفسه ويعزم على فعله ، فهو ملعون .

وقد وردت في هذه المسألة روايات أخرى ، وتتضح حرمة العزم على الذنب لدى الدقة في هذه الجملة القصيرة (المتقدمة) وفي المدارك : لا خلاف في حرمة إرادة الحرام .

(١١) نهج البلاغة - خ ٢٠١ .

استحق مرتبة أشد من مراتب العقوبة . . وكل من يرجع إلى وجدانه سيجزم بهذا الحكم العقلي ، والآيات والروايات شاهدة على ذلك .

رأي الشيخ البهائي عليه الرحمة :

من هنا قال الشيخ البهائي عليه الرحمة .

« . . إن تحريم العزم على المعصية مما لا ريب فيه عندنا ، وكذا عند العامة وكتب الفريقين من التفاسير وغيرها مشحونة بذلك بل هو من ضروريات الدين . .

ثم نقل كلمات بعض العلماء من الخاصة والعامة حول ذلك إلى أن قال : وقال السيد المرتضى علم الهدى أنار الله برهانه في كتاب تنزيه الأنبياء (. . . .) وإرادة المعصية والعزم عليها معصية ، وقد تجاوز قوم حتى قالوا : العزم على الكبيرة كبيرة ، وعلى الكفر كفر . إلى أن يقول الشيخ البهائي رحمه الله : وأيضاً : فقد صرح الفقهاء بأن الإصرار على الصغائر الذي هو معدود من الكبائر إما فعلي وهو المداومة على الصغائر بلا توبة ، وإما حكمي وهو العزم على فعل الصغائر متى تمكن منها .

وبالجملة فتصريحات المفسرين والفقهاء والأصوليين بهذا المطلب أزيد من أن تحصى ، والخوض فيه من قبيل توضيح الواضحات ، ومن تصفح كتب الخاصة والعامة لا يعثره ريب فيما تلوناه « (١٢) .

غير إختياري ، ومغفو عنه :

وقد ذكر اعتراضان على ما تقدم :

(١٢) مرآة العقول / ١١ / ٢٩٠ / ٢٩١ .

الأول : أن قصد الذنب غير إختياري ، والمؤاخذه والعقوبة عليه قبيحتان ..

الثاني : قد ورد في الروايات العفو عنه .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إن المؤمن ليهم بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة وإن هو عملها كتبت له عشر حسنات وإن المؤمن ليهم بالسيئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه » (١٣) .

وفي هذا الباب ثلاث روايات أخرى بهذا المضمون ومن هنا قال الشهيد في القواعد وجمع من الفقهاء : لا عقوبة ولا مؤاخذه على مجرد قصد المعصية .

المقدمات غير إختيارية لا نفس العزم :

ونقول في جواب السؤال الأول : إن ما هو غير إختياري هو حديث النفس والخطارة والميل ، وأما العزم والجزم فهو أمر إختياري . . أي أن الإنسان بعد أن يوجد في نفسه الميل إلى الذنب يستطيع أن يمتنع عنه ولا يعزم على القيام به ، - يستطيع ذلك - بواسطة الحياء أو الخوف من الله .

توضيح ذلك :

إن كل فعل إختياري يصدر من الإنسان، توجد في باطن الإنسان - قبل صدور ذلك الفعل - حالات أربع (المبادئ الأربعة) : الخطور ، الميل ، الإعتقاد ، العزم . . مثلاً : يخطر ذنب على قلب شخص ثم يميل إليه ويرغبه ، ثم يقول قلبه : يجب أن آتي به . . هنا إذا لم يوجد مانع خارجي أو داخلي كالحياء أو الخوف يمنع من الإتيان به فإنه يعزم على فعل ذلك ويفعله .

(١٣) أصول الكافي - باب من يهم بالحسنة أو السيئة .

الحالة الأولى : تسمى الخاطرة ، حديث النفس ، الوسوسة .

والحالة الثانية : تسمى الرغبة ، الميل ، الطبع والشوق .

والحالة الثالثة : الإعتقاد .

والحالة الرابعة : العزم والإرادة .

بعد إتضاح هذه الحالات الأربع نقول : إن ما هو إضطرابي وغير إختياري هو الحالة الأولى والثانية ، لأن منع النفس عن الخاطرة السيئة ، وعن الميل إليها مشكل وأحياناً يكون محالاً . . وبناءً عليه فليس ذلك مورداً للتكليف والمؤاخذه والعقوبة على هاتين الحالتين قبيحتان .

وأما الحالة الثالثة أي الحكم بأن هذا العمل يجب الإتيان به فعندما يكون غير إختياري ، لا مؤاخذه عليه أيضاً . . أما عندما يكون إختيارياً أي يستطيع أن لا يحكم وأن لا يعتقد بوجوب الإتيان بالفعل فتصح المؤاخذه عليه .

وأما الحالة الرابعة فمن الواضح كونها إختيارية ، لأنه بعد وجود المراحل الثلاثة المذكورة ليس وجود الحالة الرابعة حتمياً بل قد يصرف الشخص النظر عنها لوجود مانع خارجي أو داخلي ولا تتحقق منه إرادة ذلك الفعل . . نعم إذا أراد فوقوع الفعل حتمي ، بناءً على هذا فالعزم والإرادة مورد للتكليف والعقل يحكم بإستحقاق المؤاخذه والعقوبة على ذلك .

معصية معفو عنها :

التأمل في الروايات بدقة ، يكشف أن قصد الذنب ، معصية وسيئة معفو عنها ، ولا تكتب لأنها أصلاً ليست ذنباً . . لاحظ مثلاً هذه الرواية :

« عن عبدالله بن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال : سألته عن

الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد أن يفعله أو الحسنه فقال عليه السلام : ربح الكنيف وريح الطيب سواء؟ قلت : لا ، قال : إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال قم (قف) فإنه قد هم بالحسنة ، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له ، وإذا هم بالسيئة خرج نفسه متن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فإنه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه « (١٤) .

والخلاصة : إن من قصد إرتكاب ذنب يجد الملك منه عفناً معنوياً . .
لكنه إذا لم يرتكب ذلك الذنب يعفى عنه ولا يكتب عليه شيء .

وفي حديث آخر : « وإذا تحدث بأن يعمل السيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها » (١٥) .

ومن الواضح أن المغفرة شاهد على أن نية الذنب ذنب . وحيث قد علم بدليل العقل والنقل الذي تقدم ذكره وشهادة روايات العفو أن قصد الذنب معصية فيجب إيضاح المراد بروايات العفو فنقول : روايات العفو مجملة لأن هناك وجوهاً في المراد منها ويجب ذكر هذه الوجوه والإحتمالات ثم تعيين القدر المتيقن منها :

العفو عن الخاطرة والميل والإعتقاد :

الوجه الأول : أن روايات العفو مرتبطة بالخطرة والميل والإعتقاد ، ولا تشمل العزم والإرادة بالتفصيل الآتي :

من خطر على قلبه ذنب ، ومال إليه ، وعقد القلب على الإتيان به إلا

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) المحجة البيضاء ٧٤/٥ .

أنه - بسبب الحياء أو مانع آخر - لم يرده ، لم يعزم عليه ، وصرف النظر عنه . . فتلك النية ، ذلك الهم ، ذلك القصد رغم أنه ذنب إلا أنه معفو عنه بشهادة روايات العفو والمغفرة .

وفي الحقيقة إن ترك إرادته (صرف النظر عن فعله) هو كفارة معصية قصده .

وإذا صرف النظر عن ذلك الذنب بسبب الحياء من الله أو خوف عقوبة الآخرة ولم يرده ، لم يعزم عليه ، فبالإضافة إلى العفو عن قصده ، تكتب له حسنة على كف النفس وترك إرادة المعصية لله . . واستحقاق الثواب على كف النفس لله (قربة إليه سبحانه) عقلي وتشهد به هذه الرواية .

إكتبوها له حسنة :

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قالت الملائكة : رب ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة (أي مال إلى الذنب) وهو أبصر (الله تعالى أبصر) فقال تعالى : ارقبوه فإن عملها فإكتبوها عليه بمثلها ، وإن تركها فإكتبوها له حسنة ، إنما تركها من أجلي^(١٦) .

والخلاصة : إن قصد الذنب بدون عزم عليه وإرادة له معفو عنه وإذا كان ترك العزم ، لله تعالى ففاعل ذلك مستحق للثواب . . .

وأما العزم على الذنب فهو ذنب ويستحق فاعله المؤاخظة والعقوبة ، سواء وقع ذلك الذنب الذي قصده وتحقق أم لم يتحقق بسبب مانع خارجي أو داخلي ، تدل على ذلك الأدلة المتقدمة .

(١٦) المحجة البيضاء ٧٦/٥ .

لا يكتب له الذنب الذي لم يرتكبه :

الوجه الثاني : روايات العفو مرتبطة بالذنب الذي قصده ولكنه لم يرتكبه ولا تشمل نية المعصية أي إذا قصد شخص إرتكاب ذنب كالزنا ولم يتحقق ذلك فإن هذا العمل لا يكتب في صحيفة عمله بشهادة هذه الروايات (روايات العفو) ولا يستحق العقوبة الخاصة بذلك الذنب . . أما ذنب قصده الذنب واستحقاقه المؤاخذه على ذلك فهذه الروايات لا تشملها : وبناء على هذا تجب عليه التوبة من ذلك القصد الذي قصده ، وقد نقل هذا الوجه عن الشيخ البهائي .

فسخ العزيمة كفارة قصد الذنب :

الوجه الثالث : روايات العفو مرتبطة بمن قصد الذنب وعزم عليه ثم انصرف عن قصده وفسخ عزمته . . في هذه الصورة يكون فسخ العزيمة هذا كفارة نيته وقصده . . ولا يكتب عليه شيء . . ولكن إذا أصر على عزمه واستمر إلى أن وجد مانع خارجي منع من وقوع ذلك الذنب فلم يقع . . فهنا لا يعفى عن نيته وعزمه ، وذلك ذنب تكتب عليه بسببه سيئة ، وتجب عليه التوبة منه ، والفرق بين هذا الوجه والوجه الأول هو أنه في الوجه الأول يكون وجود العزم على المعصية هو المعصية ولا تشملها روايات العفو وفي هذا الوجه يكون الإستمرار والإصرار على العزم هو المعصية .

مجرد العزم ، بدون مقدمات الفعل :

الوجه الرابع : روايات العفو مرتبطة بمن لم يصدر منه إلا مجرد العزم على الذنب فقط إلا أنه لم يتحرك أية حركة بإتجاه ارتكابه . . فإذا كان قد تحرك في هذا الإتجاه فهو خارج عن دائرة العفو وهو عاصٍ . .

مثلاً : إذا عزم شخص على شرب الخمر ونوى ذلك . . فما دام لم يقيم بأي عمل فإن هذا العزم وحده معفو عنه . . أما إذا تحرك لتناول كأس الخمر وشربه فهو خارج من دائرة العفو وهو عاصٍ . . حتى إذا لم يتحقق شرب الخمر كان لم يستطع الحصول عليه ، أو تبين له أن ما شربه ليس خمرًا وإنما هو مائع حلال . . أو منعه أحد من شربه أو أن يموت قبل شربه .

وفي جميع هذه الموارد التي انشغل فيها ببعض المقدمات تكون عزمته حراماً . . وهو عاصٍ . . وهذان الوجهان صرح بهما في الرسائل ، الشيخ الأنصاري عليه الرحمة .

على الأقل ، لا يترك الإحتياط :

بعد معرفة محتملات روايات العفو . . يتضح أن الغرور ، والجرأة وعدم إعتبار العزم على الذنب معصية لا ميرر له ، ومقتضى الإحتياط إعتبار العزم على الذنب معصية والإجتنب عنه ، وكف النفس عن قصد الذنب والمعصية ، وإذا وجد العزم في نفسه فليتب منه فوراً . . وإذا تساهل واستمر على ذلك العزم وأصر فليتب أيضاً من أصل العزيمة (العزم) ومن إستمرارها . .

وإذا انشغل بمقدمات إرتكاب ذلك الذنب فليعلم أن عزمه حرام قطعي والتوبة منه واجب فوري .

العزم على الطاعة :

كما أن العزم على الذنب معصية ، واستحقاق العقوبة عليه ، والعفو عن بعض مراتبه وموارده ثابتان في الجملة ، فكذلك العزم على الطاعة عبادة واستحقاق الثواب الإنقيادي عليها مسلّم ، مع فارق أنه في قصد الذنب لا إستحقاق للعقوبة إذا لم يرتكب ذلك الذنب . . ويستحق فقط عقوبة التجري

(التجرو) كما تقدم ، بينما في قصد الطاعة ، يستحق ثواب ذلك العمل ويكتب له حتى وإن لم يعمله وهذا فضل من الله للمؤمن ، وفي هذا المجال أخبار كثيرة ذكر بعضها . . وتذكر هنا عدة روايات أخرى إيناساً لقلوب أهل الإيمان بالفضل الإلهي :

نية الإنفاق من الفقير إنفاق :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إن العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب أرزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير فإذا علم الله ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله ، إن الله واسع كريم » (١٧) .

تكتب له صلاة الليل :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إن العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلاته ويكتب نفسه تسبيحاً ويجعل نومه عليه صدقة » (١٨) .

وعن علي بن أبي حمزة عن أبي الحسن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال : « رحم الله فلاناً . . يا علي لم تشهد جنازته قلت لا قد كنت أحب أن أشهد جنازة مثله فقال عليه السلام قد كتب لك ثواب ذلك بما نويت » (١٩) .

المؤمن والحسنات التي لم يعملها :

روي عن الإمام الرضا عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة أوقف المؤمن بين يديه (تعالى) فيكون هو الذي يتولى حسابه ، فيعرض عليه عمله فينظر في صحيفته ، فأول ما يرى سيئاته فيتغير لذلك لونه ، وترتعش فرائضه وتفزع

(١٧) الكافي - باب النية .

(١٨ - ١٩) وسائل الشيعة - كتاب الطهارة - باب ٦ .

نفسه ، ثم يرى حسناته فتقر عينه وتسر نفسه وتفرح روحه ، ثم ينظر إلى ما أعطاه الله من الثواب فيشتد فرحه ثم يقول الله للملائكة هلموا الصحف التي فيها الأعمال التي لم يعملوها ، قال : فيقرؤونها ثم يقولون : وعزتك إنك لتعلم أنا لم نعمل منها شيئاً فيقول : صدقتم نويتموها فكتبناها لكم ثم يثابون عليها « (٢٠) » .

هو معنا ، لأن هواه معنا :

عندما أظفر الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام بأصحاب الجمل قال له بعض أصحابه ، وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً (معنا) ليرى ما نصرك الله به على أعدائك فقال له عليه السلام :

« أهوى أخيك معنا ؟ فقال : نعم . قال : فقد شهدنا ، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ، ويقوى بهم الإيمان » (٢١) .

شركاء شهداء كربلاء :

قال الإمام الرضا عليه السلام للريان بن شبيب : « إن شرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » (٢٢) .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً الشهداء : والذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه ، قال عطية : كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ،

(٢٠) تفسير القمي ٢/ ٢٦ .

(٢١) نهج البلاغة خ ١٢ .

(٢٢) عيون أخبار الرضا .

ولم تضرب بسيف والقوم قد فُرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأولادهم وأرملت الأزواج ، فقال لي :

يا عطية سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « من أحب قوماً حشر معهم ، ومن أحب عمل قوم شرك في عملهم ، والذي بعث محمداً بالحق نبتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه » (٢٣) .

وفي الجزء ٥٢ من البحار روايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة عليهم السلام حول أن أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج ، وأن من مات منتظراً لظهوره عليه السلام كالمجاهد بين يديه وأن له أجر خمس وعشرين شهيداً .

جرح صفين بعد سنوات طوال :

قال محيي الدين الإربلي إنه حضر مجلس أبيه وكان عنده شخص فنعس ذلك الشخص فوقعت عمامته عن رأسه ، فبدا فيه أثر ضربة هائلة فسأله عنها فقال : هي من صفين .

ف قيل له : وكيف ذلك ووقعة صفين قديمة . .

فقال : كنت مسافراً إلى مصر فصاحبني إنسان من غزة فلما كنا في بعض الطريق تذاكرنا وقعة صفين ، فقال لي الرجل : لو كنت في أيام صفين لرويت سيفي من علي وأصحابه ، فقلت : لو كنت في أيام صفين لرويت سيفي من معاوية وأصحابه ، وها أنا وأنت من أصحاب علي عليه السلام ومعاوية لعنه الله . . فاعتركنا عركة عظيمة ، وتضاربنا فما أحسست بنفسي إلا مرمياً على

(٢٣) نفس المهموم ٥٤٣/٥٤٤ .

الأرض فبينما أنا كذلك ، وإذا بإنسان يوقظني بطرف رمحه ، ففتحت عيني فنزل إلي ومسح الضربة فالتأمت فقال : إلبث هنا ثم غاب قليلاً وعاد ومعه رأس ذلك الرجل مقطوعاً ومعه الدواب فقال لي : هذا رأس عدوك ، وأنت نصرتنا فنصرناك . . فقلت : من أنت فقال : فلان بن فلان يعني صاحب الأمر عليه السلام ثم قال لي : وإذا سئلت عن هذه الضربة فقل : ضُربتُها في صُفِين (٢٤) .

ختم الكتاب باسم المهدي عليه السلام :

هنا ختمت الكتاب باسم خاتم الأوصياء الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين . .

منَّ الله تعالى بركاته سلام الله عليه على الكاتب والقارىء بـ « القلب السليم » وطهرهما من الذنوب القلبية والجسدية . .

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار وصلى الله على محمد وآله الأخيار .

ربيع الثاني ١٣٩٢

وقد وقع الفراغ من ترجمته ليلة الإثنين

الثاني والعشرين من ربيع الثاني لعام ١٤١٠

للهجرة على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأتم السلام .

بيروت - حسين كوراني

(٢٤) بحار الأنوار ٧٥/٥٢ بتصرف يسير .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
صراط التوحيد طريق القلب السليم	٨
إهتموا بتهذيب النفس	٩
الذنوب التي محلها القلب . . أليس حراماً، القلب الملوث لا يتحقق منه قصد القربة	١٠
١ - القسوة	١٣
سبب للخروج عن الدين	١٥
أولى علامات الإيمان	١٦
توبة مالك بن دينار	١٧
فوائد من هذه القصة، ما هو الخشوع وكيف يحصل	٢٠
القلوب أشد قسوة من الصخر، لماذا هي أقصى من الصخر	٢٢
لماذا لم يتضرعوا عند نزول العذاب	٢٣
روايات عن المعصومين (ع)	٢٥
معنى القلب وقسوته	٢٦

الموضوع	الصفحة
مكتوب من المكاتيب	٢٧
ماهي القسوة	٢٩
قسوة القلب منشأ كثير من الذنوب	٣٠
القسوة ممكنة العلاج ولها مراتب، راقبوا حالات قلوبكم	٣١
مع كلام المجلسي والفيض (ره)، الذين أعيروا الإيمان	٣٢
علاقة بقاء الإيمان وزواله بعمل الإنسان	٣٣
تنقل أحوال القلب	٣٤
١ - الذنب أكبر أسباب القسوة	٤١
٢ - الأمانى تقسي القلب	٤٢
٣ - كثرة الأكل تورث قسوة القلب	٤٢
ميزان كثرة الأكل نسبي	٤٣
٤ - كثرة الكلام الحلال تورث قسوة القلب	٤٤
٥ - كثرة النوم	٤٥
مقدار النوم اللازم	٤٦
٦ - كثرة المال	٤٧
٧ - الغفلة	٤٧
متى تجهزون الزاد	٤٨
ماهي الغفلة	٤٩
ذكر الله على كل حال	٥٠
٨ - ٩ - اجتنب خمساً... وثلاثاً	٥١
١٠ - حب الراحة	٥٢

الموضوع	الصفحة
١١ - النظر إلى البخيل	٥٢
١٢ - الجزارة	٥٢
ما لم تصل القسوة إلى الحرمة فهي مكروهة	٥٢
علاج القسوة	٥٥
مع كتاب أمير المؤمنين (ع) إلى محمد بن أبي بكر	٥٧
إستعملوا دواء مرضكم	٥٩
جواب الإمام الباقر لابن المنكدر، إن إسامة لطويل الأمل	٦٠
كيف يتحقق الحياء من الله	٦١
مواعظ	٦٢
تقرير عن النار	٦٣
بعض ما يلين القلب	٦٤
ذو القرنين والأمة العادلة	٦٧
١ - هم الدنيا	٦٩
٢ - كثرة هم القوت	٧٠
٣ - خفق النعال	٧٠
٤ - الضحك	٧٠
٥ - إهالة التراب في قبر الرحم	٧١
٦ - ترك مجالسة العلماء	٧١
١ - يعظ نفسه بالمرض والموت	٧١
٢ - بنار الدنيا يتذكر جهنم	٧٢
٣ - التمرين على القبر	٧٢

الموضوع	الصفحة
٤ - يانفس ذوقي	٧٣
٢ - ٣ - الرياء والسمعة	٧٥
حقيقة الرياء	٧٧
إين زياد والحجاج أيضاً كانا يصليان	٧٨
حب الشهرة سبب الرياء	٧٩
بيتي أم بيت الله	٨٠
المقدمات ليست إختيارية	٨١
يعيد صلاة ثلاثين سنة	٨٢
لا بد من تصحيح النية	٨٣
الرياء هو مرض القلب	٨٤
إنه أيضاً مثلك مسكين وعاجز	٨٥
حرمة الرياء	٨٦
من عمل للناس فتوايه على الناس ، علامات المرائي	٨٧
إنتشار الرياء في آخر الزمان	٨٨
السمعة	٨٩
ذكر نعمة الله عند الضرورة ليس تزكية	٩٠
السمعة أيضاً شرك	٩١
الرياء بعد العمل ليس مبطلاً	٩٢
مجرد السرور بعمل ليس رياء ولا سمعة	٩٣
الجمع بين هذه الروايات	٩٤
الرياء مطلقاً مبطل للعمل	٩٥

الموضوع	الصفحة
علاج الرياء	٩٦
ليلة عبادة لكلب	٩٧
الندم حين الموت ، يتمنى سرعة الذهاب إلى جهنم	٩٨
إشراق اليقين علاج قطعي ، عبادة السر والإخلاص	٩٩
الأحكام التي تستفاد من هذه الآية	١٠١
قصد القربة يعني الإخلاص في العبادة ، الإخلاص في العمل أصعب من العمل	١٠٢
ما هو الإخلاص في النية	١٠٣
النعم الروحية في الجنة	١٠٥
الأهداف الفاسدة تبطل العمل	١٠٦
الضميمة المباحة التبعية ليست مفسدة ، تحطيم الأصنام للنفس أم لله	١٠٧
ضربة واحدة أفضل من عبادة الجن والإنس ، تعلم الإخلاص من علي	١٠٩
١ - مراتب الإخلاص	١١٠
إذا كان الهدف من العبادة خواصها	١١١
الأهداف في الطاعة متفاوتة	١١٢
الحصول على الثواب والخوف من العقاب هدفان صحيحان ، العمل بدون قصد الطاعة باطل	١١٣
٢ - العبادة بداعي الشكر	١١٤
شكر النعمة بحكم العقل	١١٥
٣ - العبادة بداعي القرب من الله	١١٦
القرب بحسب المرتبة والكمال	١١٧
القرب بحسب الذكر والمحبة	١١٨
٤ - العبادة حياء	١١٨

الموضوع	الصفحة
٥ - العبادة حباً	١١٩
بذكر الله تطمئن القلوب	١٢٠
علامات المحبين	١٢١
مثال ذلك	١٢٣
أردت السلطنة فصرت لك عبداً	١٢٤
٦ - عبادة الكاملين في المحبة والمعرفة	١٢٤
نصيحة ضرورية	١٢٥
التوجه إلى الله .. كيف ، رغبات القلب ميزان	١٢٦
من أراد الله به خيراً	١٢٧
مسائل في الإخلاص	١٢٨
يجب عدم الإعتناء بالوسوسة	١٢٩
يترك الصلاة أول الوقت جماعة	١٣٠
إخلاص المقدس الأردبيلي ، لا يترك العمل عند الشك في الإخلاص	١٣١
المسألة الثانية: لا ينبغي الرياء في كتمان المعصية أيضاً	١٣٢
الأهداف الصحيحة لإخفاء الذنب	١٣٣
المسألة الثالثة: الرياء في العبادة فقط هو الحرام ، الأمور التي يراءى بها	١٣٤
١ - الرياء في الدين بالبدن	١٣٥
٢ - الرياء بالهيئة والزري	١٣٥
٣ - الرياء بالقول	١٣٦
٤ - الرياء بالعمل	١٣٧
٥ - الرياء بالاتباع وأمثالهم	١٣٧

الموضوع	الصفحة
٤ - المعجب	١٣٩
معنى العجب والإدلال	١٤١
مع المجلسي والشيخ البهائي (ره) ، العجب مرض القلب	١٤٢
كل ما لديه من الله ولكنه لا يعلم	١٤٣
الذين يخافون من التزكية	١٤٤
العجب ذنب قلبي وحرام شرعي ، فلا تركوا أنفسكم	١٤٥
بل الله يزكي من يشاء ، تزكية الله بحسب الاستعداد	١٤٦
التزكية المطلوبة ، الاعتماد على النفس شرك	١٤٧
العجب كفر ، مع هذه القصة	١٤٩
المعجب يظلم نفسه ، يظن أنه خالد	١٥٠
الكفر والحسرة ، الذنب خير للمؤمن	١٥١
مثلي يسأل عن صلاته	١٥٢
إنذر الصديقين ، فأضر به بالنعاس	١٥٣
العجب مهلك ، بين عيسى (ع) ومعجب	١٥٤
سفعة من الشيطان	١٥٥
العجب حالة ثابتة	١٥٦
هل العجب غير اختياري ، إزالة سبب العجب إختيارية	١٥٧
العمل بالعلم ، إحترام العلماء	١٥٩
عجب أهل العبادة ، لماذا رأى أنه مطيع	١٦٠
هل العجل مبطل للعمل	١٦١
١ - العجب بالعقائد الباطلة	١٦١

الموضوع	الصفحة
٢ - الإطاعة مع المن	١٦٣
العجب ينافي قصد القرية ، أين الإدلال من الحاجة	١٦٤
يمنون عليك أن أسلموا ، لا تبطلوا أعمالكم	١٦٥
٣ - العجب بكثرة العمل	١٦٦
مصدر الذنوب	١٦٧
هل يفسد العمل ، المعارون ، روايات في العجب	١٦٨
خليل الرحمن حقاً ، لا يقيم لنفسه وزناً	١٦٩
٤ - استكثار العمل بالنسبة لآخر ، يأمن مكر الله	١٧٠
حذيفة بن اليمان	١٧١
هل يعجب النبي	١٧٢
٥ - العجب في غير العبادات	١٧٣
هذا الإهتمام القرآني ، هل يستلزم ذلك العسر والحرَج	١٧٤
الآيات والروايات أعم	١٧٥
١ - العجب بالبدن	١٧٦
٢ - العجب بالقوة	١٧٦
٣ - العجب بالعقل	١٧٧
٤ - العجب بالنسب الشريف	١٧٧
الاحتمالات التي توجب الخوف	١٧٨
٥ - العجب بسائر الأنساب	١٧٩
٦ - العجب بكثرة العدد	١٧٩
٧ - العجب بالمال	١٨٠

الموضوع	الصفحة
٨ - العجب بالرأي الباطل	١٨٠
السرور بالنعمة ليس عجباً	١٨١
لا تنسب الفعل إلى نفسك فقط ، آفات العجب	١٨٢
الحرمان من الحق	١٨٣
عدم الجد في إكتساب الحسنات	١٨٤
المؤمن يتهم نفسه ، علاج العجب ، معرفة الله	١٨٥
كل ميسر لما خلق له	١٨٦
معرفة النفس	١٨٧
وهل يبقى مجال للعجب ، العجب بالأسباب الظاهرية	١٨٨
قد لا ترتب الآثار على الأسباب	١٨٩
العجب في الأفعال الاختيارية ، الأفعال الاختيارية أيضاً من الله	١٩١
وقفة مع العظماء	١٩٢
بين الإمام السجاد (ع) وجابر	١٩٣
من يقوى على عبادة علي ، لاحظ قيمة العمل	١٩٤
وما أنا وما عملي	١٩٥
قيمة الملك	١٩٦
٥ - ٦ - الكبر والتواضع	١٩٧
معنى الكبر	١٩٩
التكبر استعمال الكبر	٢٠٠
الكبر في الأفعال	٢٠١
نموذج لتكبر الغني ، حرمة الكبر	٢٠٣

الموضوع	الصفحة
آيات الكبر	٢٠٥
العزیز والكبر المطلق ، الكبر منشأ الصفات السيئة	٢٠٦
لا يريدون علواً في الأرض	٢٠٧
علي (ع) في سوق الكوفة	٢٠٨
ذهبت الأمانى	٢٠٩
كيف يمنع الكبر من دخول الجنة	٢١٠
الدين لا يمنع التقدم المادي	٢١١
أدنى درجات الإلحاد	٢١٢
المتكبر لا يدخل الجنة	٢١٣
التوبة قبل الموت	٢١٥
الكبر المساوي لإنكار حق	٢١٦
التكبر من ذلة النفس	٢١٧
الكبر ونقص العقل ، الجنون الحقيقي	٢١٨
مراتب الكبر	٢١٩
فرق بين القاصر والمعاند	٢٢٠
تحقير الخلق	٢٢١
إحذر هذا الخطأ ، درس في النبي موسى (ع)	٢٢٢
عطاء الله ليس سبباً للكبر	٢٢٣
حرمة تحقير الناس	٢٢٤
صاعقة تقتل من حقر مؤمناً	٢٢٦
العلم والقدرة والكبر ، العلم كالطعام	٢٢٧

الموضوع	الصفحة
إعرف نفسك أولاً ، فائدة العلم المادي مؤقتة	٢٢٨
هذه الحياة لا قيمة لها	٢٢٩
ويل للعالم غير العاقل ، هذه العلوم مدعاة للفرح	٢٣٠
الكبر بالقدره	٢٣٢
١ - الكبر بالعبادة	٢٣٢
٢ - الكبر بالنسب	٢٣٣
زيد النار	٢٣٤
النسب الشريف ظاهراً	٢٣٥
٣ - الكبر بالجمال الصوري	٢٣٥
٤ - الكبر بالقوة والشجاعة	٢٣٦
٥ - الكبر بالاتباع	٢٣٦
٦ - الكبر بالثروة	٢٣٧
الكبر بغير ما تقدم	٢٣٧
يجب إستئصال الكبر	٢٣٨
يجب أن يصبح التواضع ملكة	٢٣٨
التواضع مع الله	٢٣٩
نماذج من سيرة المصطفى (ص)	٢٤٠
لماذا لم يشرب (ص) المخيض بعسل ، إحتذر إستماع التملق	٢٤٢
أحتوا في وجه المداحين التراب	٢٤٣
بين الشكر والتملق	٢٤٤
٧ - شكر النعمة وقصة النجاشي	٢٤٥

الموضوع	الصفحة
السُّجود عند النعمة المحدثنة	٢٤٦
٨ - كثرة الدعاء	٢٤٧
٩ - التواضع لدين الله	٢٤٨
الإعتراض ينافي العبودية ، عبادة الله فقط ، التواضع للنبي والإمام	٢٥٠
نموذج من تواضع الشيعة	٢٥١
العشار يتشيع	٢٥٢
١٠ - التواضع للخلق	٢٥٤
لا ينبغي التواضع للمتكبر	٢٥٥
إذا لم يترتب الضرر ، ما ينبغي مراعاته	٢٥٦
١ - الإبتداء بالسَّلام	٢٥٧
٢ - أن يكون خادماً لا مخدوماً	٢٥٧
المصطفى مع خادمه	٢٥٨
يكراه الامتياز ، مع الأطفال	٢٥٩
تواضع أمير المؤمنين (ع)	٢٦٠
التواضع للأيتام والأرامل	٢٦١
الإمام السجادي يخدم المسافرين معه	٢٦٢
٢ - إجتناّب صدر المجلس	٢٦٢
حسن المعاشرة	٢٦٣
إدفع بالتّي هي أحسن	٢٦٤
اربعة من التواضع ، المراء النقاش ، الجدال	٢٦٥
لا شك في حرمة المراء ، المراء يمرض القلب	٢٦٦

الموضوع	الصفحة
الجدال لا عن تظاهر، الجدال في طلب الحق	٢٦٧
التواضع للمنبوذين	٢٦٨
حيث كان علي يتواضع ، من آثار التواضع ، التواضع للذمي	٢٦٩
التواضع في خدمة العائلة ، التواضع في نوعية اللباس	٢٧١
تواضع عيسى (ع) للحواريين ، العلماء أحق بالتواضع	٢٧٢
التلميذ يجب أن يكون متواضعاً	٢٧٣
الحسنان يعلمان شيخاً الوضوء ، من نال منه رفعه لا يتضع ، أدب الحرم مع الإمام الحسين (ع)	٢٧٤
العبد الأسود الوفي	٢٧٦
٧ - سوء الظن	٢٧٩
معنى سوء الظن	٢٨١
الحمل على الفساد في الأمور العادية	٢٨٣
ما يخالف التوقع ليس سبباً لسوء الظن ، ومنهم من يلمزك في الصدقات	٢٨٤
نحن أيضاً أهل هذه الآية	٢٨٥
سوء الظن بصفات الله وأفعاله	٢٨٦
الإعتقاد بأن عالم الوجود عبث	٢٨٧
منكرو النبوة والمعتضون على القضاء ، يتوقع الرفاهية لأنه أسلم	٢٨٨
توقع إستجابة الدعاء فوراً ، الظنون الخاطئة سوء ظن بالله	٢٩٠
سوء الظن بالله من الكبائر	٢٩١
علاج سوء الظن بالله	٢٩٢
الدنيا مزرعة والله صادق الوعد	٢٩٣
الإمام الصادق والتاجر المفلس ، حسن الظن بالله	٢٩٤

الموضوع	الصفحة
حسن الظن بالله حين الموت	٢٩٦
الخاطرة ليست سوء ظن	٢٩٧
سوء الظن بالمسلم حرام	٢٩٨
لماذا لم تحسنوا الظن بالمؤمنين ، إن بعض الظن إثم	٢٩٩
ضع أمر أخيك على أحسنه	٣٠٠
أمثلة على ذلك	٣٠١
توبة ما عزبن مالك ، سوء الظن أصل كل فساد	٣٠٢
لا تسمعن في أخيك أقاويل الناس	٣٠٣
كذب سمعك وبصرك ، الجمع بين الروایتين	٣٠٤
هل ينسجم حسن الظن مع تكذيب الآخرين	٣٠٥
التهمة تزيل الإيمان ، درس من الإمام الكاظم (ع)	٣٠٦
سوء الظن عدم إنصاف	٣٠٧
مع الشهيد الثاني (ره)	٣٠٩
سوء الظن خاطرة ثابتة	٣١١
١ - إنعدام الأمن	٣١١
٢ - تتبع عثرات الآخرين الباطنية	٣١٢
٣ - الغيبة والفضيحة نتيجتان	٣١٤
٤ - سوء الظن يفسد العبادة	٣١٤
٥ - سوء ظن الإنسان ينسيه عيبه	٣١٥
٦ - المؤمن سيء الظن بنفسه	٣١٦
٧ - غربة سيء الظن	٣١٧

الموضوع	الصفحة
٨ - سوء الظن مرض مسر	٣١٧
سوء الظن سبب للخيانة ، علاج سوء الظن	٣١٨
لا تحدثن نفسك أنك فوق أحد من الناس	٣١٩
الحمل على الصحة ما أمكن	٣٢٠
الإمام الكاظم وشقيق البلخي	٣٢١
تدريجياً يصبح حسن الظن عادة	٣٢٢
لا تساعد الآخرين في سوء الظن	٣٢٣
مثال من سيرة المصطفى (ص) ، لا استثناء في حرمة سوء الظن	٣٢٤
صدق المؤمنين ، إسماعيل وشارب الخمر القرشي	٣٢٦
٨ - الحقد	٣٢٩
البغض الحرام	٣٣١
١ - بغض الله	٣٣١
٢ - بغض القضاء الإلهي	٣٣٢
لا يؤمنون حتى يحكموك	٣٣٣
العلاج حسن الظن بالله	٣٣٤
٣ - بغض النبي والإمام والملائكة	٣٣٦
٤ - بغض المؤمن لإيمانه	٣٣٧
٥ - بغض المؤمن لمعصيته	٣٣٨
عمله قبيح وذاته جميلة ، ما تقدم لا ينافي النهي عن المنكر	٣٣٩
مداراة المخالفين	٣٤٠
٦ - بغض المؤمن لظلمه	٣٤١
المعاملة بالمثل جائزة ، الكل في هذه الأحكام سواء	٣٤٣

الموضوع	الصفحة
العفو أفضل	٣٤٤
والكاظمين الغيظ	٣٤٥
هل بغض الظالم غير إختياري ، هل يدخل الحاقد الجنة	٣٤٦
هل العفو إستسلام للظلم	٣٤٧
الدِّفاع واجب	٣٤٨
عدم الثأر ليس إستسلاماً للظلم ، العفو وإختلال النظام	٣٤٩
العفو يمنع الظلم غالباً ، النبي يعفو عن قاتل عمه	٣٥٠
عند الاعتذار يصبح العفو لازماً	٣٥١
٧ - بغض المؤمن لعدم مراعاته الآداب ، في سخط الله ولا يقبل عمله ..	٣٥٢
السابق إلى الجنة	٣٥٣
وربما استحقا اللعنة	٣٥٤
من أدب طلب الحوائج	٣٥٥
يجب إستصغار الدنيا وإكبار الآخرة	٣٥٧
١ - ٢ - الحسد والهجران	٣٥٨
٣ - الشمانة والتأنيب	٣٥٨
٤ - الغيبة والتهمة	٣٥٨
٥ - ٦ - الخيانة والتحقير	٣٥٩
٧ - ٨ - منع الحقوق الواجبة والإيذاء	٣٥٩
٩ - الأضرار الدنيوية	٣٥٩
١٠ - الأضرار الأخروية	٣٦٠
صلاة الجماعة تغيظ الشيطان	٣٦١
خير المؤمن الأليف ، علاج البغض الحرام	٣٦٢

الموضوع	الصفحة
١ - بغض الله	٣٦٣
حب المنعم فطري	٣٦٤
الإيمان إتصال قلبي والكفر إنفصال	٣٦٥
٢ - علاج بغض القضاء والقدر	٣٦٥
ليس في العالم شيء مطلق ، ليتذكر النعم الأخرى	٣٦٦
النبي يوسف مع أبيه وأخوته ، الدنيا المتقلبة بلاء دائم	٣٦٧
يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب	٣٦٨
٣ - علاج بغض النبي والإمام والملائكة	٣٦٩
عزرائيل واسطة وصال لا فراق	٣٧٠
٤ - بغض المؤمن	٣٧٠
بغض المؤمن الفاسق	٣٧١
٥ - بغض الجاهل القاصر	٣٧٢
التكفير والتفسيق الرائجان	٣٧٣
بغض الفاسق في الواجبات والمحرمات العملية ، بين الغضب الرحماني	
والنفساني	٣٧٤
٦ - بغض الظالم	٣٧٥
من يظلم يُظلم	٣٧٥
درس من مالك الأشتر (رض)	٣٧٦
كظم الغيظ ، سيرة العظماء	٣٧٧
مس الرحم يسكن الغضب ، لم يغضب وحقن الدماء	٣٧٨
عندما تضطرم نار الغضب	٣٧٩
٧ - الوقاية من الغضب	٣٨٠

الموضوع	الصفحة
إذا أكبر الإنسان الآخرة	٣٨١
نصيحة ضرورية	٣٨٢
١ - المراء والجدال يورثان الحقد	٣٨٢
٢ - ٣ - النميمة وكثرة المزاح	٣٨٢
٤ - ٥ - ٦ - العبوس والسب وحبس الحقوق	٣٨٣
٧ - الطمع يسبب العداء	٣٨٤
البغض الواجب: التبري ، يجب أن يكون الحب والبغض في الله	٣٨٥
إستغاثة .. من تفرق المسلمين	٣٨٦
الحياة الإجتماعية للمسلمين مأساوية	٣٨٨
صلاح المجتمع من صلاح الفرد ، نفسك .. فعائلتك .. فالآخرين ...	٣٨٩
التأكيد على الإصلاح بين المسلمين ، صدقة يحبها الله	٣٩٠
إذا دُعيت إلى الإصلاح	٣٩١
٩ - الحسد	٣٩٣
بين الحسد والغبطة	٣٩٥
الحسد في القرآن	٣٩٦
إنكار حق أهل البيت حسداً	٣٩٧
لا تتمن نعم الآخرين	٣٩٨
لو أننا نعمل بهذه الآية	٣٩٩
أعوذ بالله من الحاسد ، الحسد في الروايات	٤٠٠
آفة الدين وعلامة النفاق ، داء الأمم من قبلكم	٤٠١
يخرج من الجنة ويذهب الإيمان ، الحسد أهلك قابيل	٤٠٢
فتاوى فقهاء الإسلام	٤٠٣

الموضوع	الصفحة
الحسد حرام أم إظهاره ، دليل حرمة الحسد	٤٠٧
الحسد ليس خلقاً طبيعياً	٤٠٨
التنافس غير الحسد ، الإحساس بالحاجة في الطفل ، مع المحدث الفيض والفاضل النراقي	٤٠٩
وقفة مع حديث الرفع	٤١٠
ثلاثة لا يسلم منها أحد ، إستعمال الحسد بالقلب	٤١٣
الحسد ينافي عصمة الأنبياء	٤١٤
الحسد بمعنى المحسود ، جذور الحسد	٤١٥
١ - العداوة	٤١٥
حسد العداوة من صفات الكفار	٤١٦
٢ - الإشتراك في أمر معنوي	٤١٨
العلماء والوعاظ في معرض الحسد أكثر	٤١٩
الزمالة والحسد	٤٢٠
٣ - التكبر وحب التفرد	٤٢١
حسد النساء وغيرهن	٤٢٢
العلاج في الخروج من الجهل المركب	٤٢٣
٤ - الحرص والطمع	٤٢٣
٥ - البخل الشديد ، لا يجتمع الإيمان والبخل	٤٢٤
علاج الحسد بشكل عام	٤٢٥
لا يرى عيبه الخفي ، العجب يحجب رؤية العيب	٤٢٦
العلاج العلمي للحسد	٤٢٧
معرفة الدنيا والآخرة ، هل تستحق هذه الدنيا الحسد	٤٢٨

الموضوع	الصفحة
أ - الأضرار الدنيوية - العذاب الدائم ، الحسد سجن الروح	٤٣٠
ب - الخيبة الدائمة	٤٣١
الحاسد يفرح المحسود	٤٣٢
ج - المرض	٤٣٢
د - قصر العمر	٤٣٣
هـ - الحسود وحيد دائماً	٤٣٤
و - الحسود لا يسود	٤٣٤
ز - زوال الإيمان	٤٣٥
ح - زوال الحسنات القلبية والبدنية	٤٣٥
العبادة الميتة ، حسد إبليس وبنى أمية	٤٣٦
لماذا يحسد العلماء	٤٣٧
تفكير ساعة	٤٣٨
١ - سوء الظن وحسن الظن	٤٣٨
٢ - القدح والمدح	٤٣٩
٣ - الكبر والتواضع	٤٣٩
٤ - الشماتة والمواساة	٤٣٩
٥ - العداوة والصداقة	٤٤٠
يرى نعمة المحبوب نعمته	٤٤١
٦ - ترك صحبة الحسود	٤٤١
٧ - تذكر الله والآخرة يصرف عن الحسد ، نصيحة لا بد منها	٤٤٢
التأمل في فضائل أصحاب الكمال	٤٤٣
صعب ولكنه لذيد	٤٤٤

الموضوع	الصفحة
مقارنة بين سلوكيين	٤٤٥
فكان العفو مناسجية	٤٤٧
١٠ - حب الدنيا	٤٤٩
معنى الدنيا	٤٥١
العمل الصالح باق ، العبادة خارجة من موضوع حب الدنيا	٤٥٢
خلقتكم للبقاء ، فالآخرة إذن تحب	٤٥٣
حب الدنيا للآخرة	٤٥٤
النعم الدنيوية بأهداف إلهية ، ... وبهدف السعادة في الآخرة	٤٥٥
الحب الإستقلالي للدنيا مرفوض	٤٥٦
علامة حب الدنيا للآخرة ، ما هو الحب الإستقلالي	٤٥٧
مراتب حب الدنيا	٤٥٨
يحب الدنيا أكثر	٤٥٩
حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان في قلب	٤٦٠
لا ينسجم مع ادعاء الإيمان	٤٦١
هل حب الدنيا فطري ، إخراج حب الدنيا من القلب ، لأنه عسر وجرح فليس واجباً	٤٦٢
حب الآخرة أكثر إختياري	٤٦٣
هل يختل الوجود بدون حب الدنيا ، ليس كل حب للدنيا حراماً	٤٦٤
لتفرغ قلوبهم للآخرة ، ما كان الله ينمو	٤٦٥
رأس كل خطيئة	٤٦٧
حب الدنيا سبب إختلال النظام ، تلخيص ما تقدم	٤٦٨
أولئك مأواهم النار ، وقفة مع هذه الآية	٤٦٩

الموضوع	الصفحة
المسافر وحب الوطن	٤٧٠
إطمئنان أهل حب الدنيا ، الغفلة عن آيات الله	٤٧١
الإعراض عن ذكر الله	٤٧٢
القلوب المطبوعة بسبب حب الدنيا ، في ضلال بعيد عن الحقيقة ، ويذرون (. . .) يوماً ثقيلاً	٤٧٣
بين طريقين ، الناس على ثلاث	٤٧٤
رأس كل خطيئة	٤٧٥
الشفاء عند الموت ، قصة قرية مات أهلها	٤٧٦
يفسد العقل ، عدوان لدودان	٤٧٩
إن كنتم تحبون الدنيا أكثر	٤٨٢
حب الله يستلزم حب أوليائه	٤٨٣
حب الدين من حب الله	٤٨٤
فلننظر في أنفسنا	٤٨٥
هل تريد رضا أهل البيت	٤٨٦
أهل البيت يعتبرونه عدواً ، حب أهل البيت طاعة الله ، حب الله منشأ كل خير	٤٨٧
عشرون خصلة في حب أهل البيت	٤٨٨
وهل الحب إختياري ، ليدرك أحدنا خطأه	٤٨٩
المعرفة هي الميزان لا الرؤية ، لماذا لا يحبون الله	٤٩٠
معرفة الآخرة وحبها	٤٩١
علي (ع) يصف الجنة والناس ، آيات أخرى في حرمة حب الدنيا	٤٩٢
أرضيتم بالحياة الدنيا ، تأمل في هذه الآيات	٤٩٣
والله لا يحب كل مختال فخور	٤٩٥

الموضوع	الصفحة
ما هو الفرح الحرام	٤٩٦
يقترن بالأمن واليأس	٤٩٧
علامة الشاكر والكافر	٤٩٩
شكر النعمة أسمى من النعمة ، الفرح بالنفس إنقطاع عن الله	٥٠٠
الحزن الحرام .. على الدنيا	٥٠١
لا تمدن عينيك ، طراوة البرعم قصيرة الأمد	٥٠٢
مع المحقق الأردبيلي عليه الرحمة	٥٠٣
خلاصة معنى الآيات المتقدمة ، الإضطراب نتيجة حب الدنيا	٥٠٤
الإضطراب في الدنيا والآخرة	٥٠٥
أعمال جميلة ولكنها بلا فائدة ، كانوا يجعلون الآخرة فداءً للدنيا	٥٠٦
لا نصيب له من الإخلاص ، لا يغفر له وهو يحب الدنيا	٥٠٧
الذين يعادون الله	٥٠٨
بغض الدنيا أفضل الأعمال ، أقسام الأعمال	٤٠٩
أضر من ذئبين جائعين ، قطاع طريق الله ، العلماء الدنيويون	٥١٠
المتبع لعابد الدنيا يصبح مثله	٥١١
طلب الرئاسة ملعون	٥١٢
حيوانات في صورة إنسان	٥١٤
علي يعرف هذه الحيوانات المفترسة	٥١٥
حكم المرتبة الثالثة الكراهة ، يمنع كمال الإيمان والتقدم	٥١٦
حب غير الله بعد عن الله	٥١٧
لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم	٥١٨
رجال لا تلهيهم تجارة ، لنبلوهم أيهم أحسن عملاً	٥١٩

الموضوع	الصفحة
الهدف الأصلي والتبعي من الخلق	٥٢٠
كيف يبلونا بزينه الدنيا	٥٢٢
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم	٥٢٤
رواية عجيبة في حب الدنيا	٥٢٥
ولكم في رسول الله أسوة	٥٢٦
شمول حب الدنيا ، المليون على ثلاث فرق	٥٢٧
المصلون المتساهلون	٥٢٨
كلهم في هذا سواء	٥٢٩
اليهود والنصارى والإدعاء الباطل	٥٣٣
فتمنوا الموت	٥٣٤
الآثار السيئة للفرار من العلماء	٥٣٥
يا صاحب الزمان عجل ظهورك ، كوخ الأحزان يصبح يوماً روضة غناء	٥٣٦
تكمل العقول ، واجبنا اليوم	٥٣٧
مغالطة الحمقى وجوابها	٥٣٨
نصيحة إلى جميع المتدينين	٥٣٩
الأنبياء أحق أن يتبعوا	٥٤١
لاحظ هذا المثال بدقة ، الدنيا تعرض نفسها على علي (ع)	٥٤٢
كيف يستأصل حب الدنيا	٥٤٤
هل نزل القرآن للتبرك	٥٤٦
حب الآخرة لا ينسجم مع الغفلة عنها	٥٥٠
إضعاف حب الدنيا	٥٥١
يمنع من التزود للآخرة ، لا بد من معالجة الألم	٥٥٢

الموضوع	الصفحة
الخطر إلى حافة القبر ، الحرص الشديد والحزن المفرط	٥٥٣
الحسد ، الغضب ، عدم الورع	٥٥٤
سوء العاقبة ، أبوزكريا في سكرات الموت	٥٥٦
الليرات الذهبية ووثيقة الدين عند الموت ، الفرار من النصيحة	٥٥٧
يجب التدبر في القرآن ، الدنيا لعبة ولهو ولغو	٥٦٠
اللعب	٥٦١
اللهو ، الزينة	٥٦٣
التفاخر	٥٦٥
التكاثر في الأموال والأولاد	٥٦٦
يجب أن تعلم لا أن تقرأ	٥٦٧
الشباب ربيع كان وانقضى	٥٦٨
الدنيا دار عبرة	٥٧٠
حديث علي (ع) عن زوال الدنيا	٥٧١
العمي عن الآخرة يطلبون الدنيا ، فمتى .. تفكرون في المعاد	٥٧٢
علي (ع) ينهى عن الإفراط والتفريط ، التنعم بالدنيا حرمان في الآخرة ..	٥٧٣
نور الحكمة للزاهد في الدنيا ، ما هو الزهد ومن هو الزاهد	٥٧٤
الدنيا في أمثلة	٥٧٥
وفي جوفها السم الناقع ، قصة عجيبة عن الحية	٥٧٦
ونحبها رغم المساوىء ، موعظة لقمان لابنه	٥٧٧
١١ - العزم على الذنب والرضا به	٥٨٥
موارد التجري ، الآيات والروايات	٥٨٨
يسأل عن السر والعلن ، ويجازى أيضاً على العزم	٥٨٩

الموضوع الصفحة

الوعيد على إشاعة الفحشاء ، الجنة لمن ، لماذا قتلوا الأنبياء	٥٩٠
يسأل الله على النية ، النية إما أحسن من العمل أو أسوأ	٥٩١
القاتل والمقتول في النار ، الملعونون ، من أخاف مؤمناً فهو في النار	٥٩٢
الراضي بعمل شريك فيه ، الإمام المنتظر يثار	٥٩٣
عقر الناقة واحد فعمهم بالعذاب ، الروايات تؤيد حكم العقل	٥٩٤
رأي الشيخ البهائي عليه الرحمة ، غير إختياري ومعفو عنه	٥٩٥
المقدمات غير إختيارية لأنفس العزم ، توضيح ذلك	٥٩٦
معصية معفو عنها	٥٩٧
العفو عن الخاطرة والميل والإعتقاد	٥٩٨
إكتبوها له حسنة	٥٩٩
لا يكتب له الذنب الذي لم يرتكبه ، فسخ العزيمة كفارة قصد الذنب ، مجرد العزم بدون مقدمات الفعل	٦٠٠
على الأقل لا يترك الإحتياط ، العزم على الطاعة	٦٠١
نية الإنفاق من الفقير إنفاق ، تكتب له صلاة الليل ، المؤمن والحسنات التي لم يعملها	٦٠٢
هو معنا لأن هواه معنا ، شركاء شهداء كربلاء	٦٠٣
جرح صفين بعد سنوات طوال	٦٠٤
ختام الكتاب بإسم المهدي عليه السلام	٦٠٥

